

الوزارة الأولى

مكتبة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا
مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية

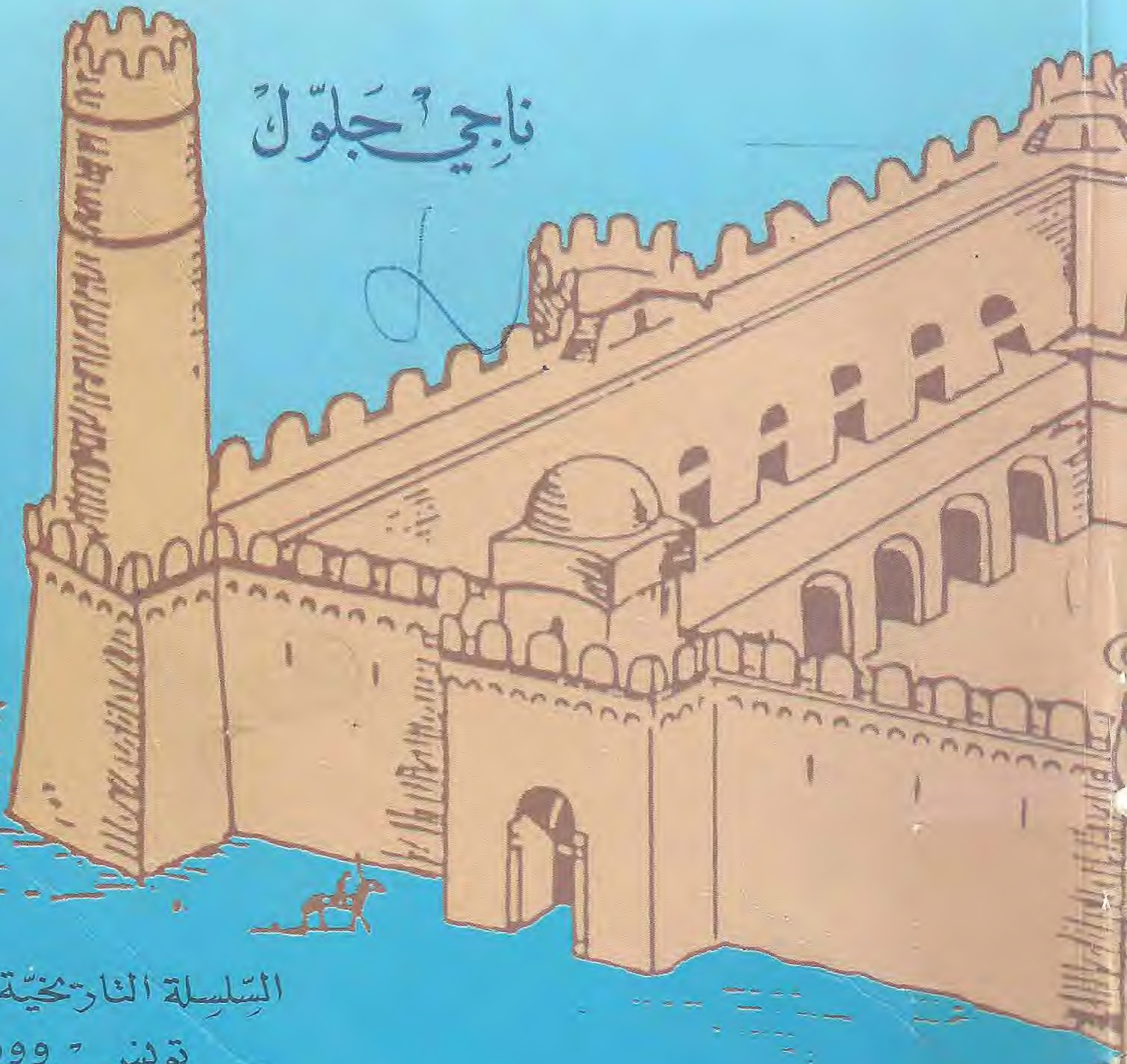
الرباط على الخريطة

بأفريقية في العصر الوسيط

ناجي جلّول

السلسلة التاريخية عدد 9

تونس 1999



٤ ٩٩٨٥٨

الوزارة الأولى
كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا
مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية

١٩٩٩



الرباطيات الحضرية

بأفريقية في العصر الحديث

ناجي جلّول

السلسلة التاريخية عدد 9

تونس 1999

الأميرة عذبة

الأميرة عذبة

الأميرة

إلى الأميرة عذبة

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي وصديقي الهاشمي
العبيد مدير مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية
والاجتماعية الذي فتح لي أبواب هذه المؤسسة العريقة
ومكّنتني من انجاز هذا العمل في أحسن الظروف. كما
أتقدم بالشكر أيضا إلى كلّ من ساهم في اخراجه،
وخاصة الأستاذ عبد العزيز الضيفي والآنسة
لمياء اليهابوي.

توطئة

اعتبر محمد أركون -على حق- أن مسألة "التراث الإسلامي لم تعالج أبداً في إطار التحليل والفهم الأنثروبولوجي. أمّا النقد الاستشراقي [التقليدي] فلم يفعل إلا أن زاد من خطورة المنهجية الإيمانية الشكلية للمسلمين". وأضاف أن "نسبة العقل في هذه المنتجات الثقافية كلها تحتاج إلى إعادة تقييم علي ضوء أنثروبولوجيا المخيال وعلم اجتماع العامل الأسطوري والشعائري والتاريخي، والعقلاني واللاعقلاني، والعقل الكتابي والتراث الشفهي".¹

وقد أدى هذا المنهج في كثير من الأحيان إلى تطابق، يبدو غريباً من الوهلة الأولى، ولكنه منطقي، بين الاستشراق الكلاسيكي والإسلام التقليدي، في مجالات عديدة، مثل التفسير والحديث والتاريخ². على أن الوعي بهذه المخاطر دفع في الفترة الأخيرة بالعديد من المؤرخين والأثريين العرب إلى السقوط في فخّ المقالتيّة (l'essayisme)³، في حين أنّ هذه المراجعة تتطلب المرور بمرحلة الأعمال المنوغرافية. ولهذا، فإنّ هذا الكتاب المخصّص لرباطات إفريقية يواصل العمل الذي افردناه للتحصينات الساحلية التونسية في العهد العثماني وهو وليد قناعة أصبحت راسخة لدينا، وهي ضرورة الاسراع بإنجاز منوغرافيات تهتمّ بمختلف مجالات الحضارة العربيّة الإسلاميّة، بداية بالتاريخ المحلي. أمّا المقاربات المقارنة والتأليفية، فربّما يجب تركها للجيل القادم، لكي لا نرتكب من جديد خطأ جيل النهضة الذي اكتفى بحشر أقدامها في قياس لا يناسبها، أو بإعادة تلميع حذائها البالي.

وقد أدّى التطابق الذي ذكرناه آنفاً بين أغلب إتجاهات الاستشراق الكلاسيكي والإسلام التقليدي إلى اعتبار "الرباط" مؤسّسة "دينيّة -حربيّة"، والحصون (الرباطات)

(1) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تعريب هاشم صلاح، بيروت 1986، ص 15، 21.

(2) انظر: صادق جلال العظم، ذهنية التحريم، لندن 1992، ص 17-21.

(3) انظر (على سبيل المثال): الحبيب بيّدة، "محاولة في جمالية الفن العربي الإسلامي"، مجلة التنوير، 1993، ص 55-65.

"أديرة محصنة" إختصّ بها المسلمون - خاصة في إفريقية - دون غيرهم⁴. وهي أراء متأثرة بإيديولوجية الجهاد التي ظهرت في مصنفات الحديث والطبقات والجغرافيا بعد تراجع الاعتزال، والتي كرّستها معاجم عصر الموسوعات مثل لسان العرب لابن منظور. كما أنّ إعتبار "إختصاص" المسلمين بهذه المنشآت ينطلق من مقولة "جبّ الإسلام لما قبله"، في حين أنّ كلّ القرائن تدلّ على أنّ الرباط، رغم خصوصيته، يندرج في إطار التّواصل الدّيني بين أفريقيا القديمة وإفريقية المسلمة. وهو تواصل دعمه التّصوّف القادم من المشرق⁵ في القرن الثالث للهجرة، عصر الرباطات، وكذلك عصر الأدب الزهدي⁶، في الإمارة الأغلبية.

وقد ارتبطت المراقبة في إفريقية منذ البداية بالتصوّف، ويعود اغفال هذه العلاقة حسب رأينا إلى عدم فهم خصوصية الطريقة التي انتشر بها هذا التيار الدّيني في الغرب الإسلامي، نظرا لسيطرة الفقهوية juridisme المالكية. وهو ما أدّى إلى تأخير هذه الظاهرة إلى الفترة التي قبلت بها الأوساط السنية الرّسميّة (حوالي القرن 11 هـ/11م). ومن جرّاء هذا سوف تتطابق مراكز التّصوف الكلاسيكي في الغرب الإسلامي مع مواقع المراقبة، مثل المنستير، مرسية (موطن ابن عربي)، سالة، العبّاد (مدفن أبي مدين شعيب)، المرية ورباط شلب، الذي ثار به سنة 1141 الصّوفي ابن قسي، تلميذ ابن العريف، وفرض به طول عشر سنوات دولة المريردين⁷. وإلى جانب اقترانها الوثيق بالتصوّف وردّة فعل الأوساط الإسلاميّة التقليديّة ضدّ الاعتزال، كانت الرباطات أيضا مراكز لنشر الإسلام السنّي ولتوطين الفاتحين الجدد، وأداة للتوسّع الزراعي. كما ارتبطت بها العديد من الأنشطة الاقتصادية الأخرى، مثل الصيد البحري والتجارة.

4 (جورج مرسية، مقال "رباط"، دائرة المعارف الإسلامية، ص. 1051، ح. حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، تونس 1980، ص. 27-28، محمد الهادي شعيرة، الرباطات الساحلية الليبية، ليبيا في التاريخ، طرابلس 1968، ص. 235-236،

M. Van Berchem, *Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicum*, Paris 1894, P.153,488 ; O. Asin, "Origin arabe de rebato, arrohada, y sua homanias", In *Boletin de la Real academia espagnola*, XIV, 1928, p. 340 et suiv. ; G. Marçais, "Notes sur les ribats en Berberie", in *Melanges H. Basset*, Paris 1957, II, p. 395-96 ; A. Lezine, *Le ribat de Sousse suivi de notes sur le ribat de Monastir*, Tunis 1957 ; S. M. Zbiss, "Le ribat, institution militaro - religieuse des côtes africaines", in *C.R.A.I.*, 1954, p. 143-145.

5 (حول ارتباط التصوف بالموروث القديم : محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، بيروت 1989، ص. 219=186 L. Massignon, "Inventaire de la littérature hermétique arabe", in R. P. Festugière, *La révélation d'Hermès Trimegiste*, I, Paris 1944 - 1949.

6 (حول طغاء الزهاديات على الأدب الإفريقي في القرن الثالث للهجرة، راجع خاصة : مختار العبيدي، الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغلبية، تونس، 1994.

7 (أ. بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تعريب عبد الرحمان بدوي، بيروت 1981، ص. 380.

وقد عرفت تطوّرات هامّة تجعلنا نعكف على حصرها ضمن بعض الحصون البحرية⁸، وتحتم علينا عدم اعطاء تعريف متواطئ للفظ رباط، أو اعتباره مجرد "دير محصّن"، إذ يجب دائما ربطه بزمان وظرفيّة معيّنة، نظرا لتطوّر وتعقّد إستعمالاته. وكما هو الشأن بالنسبة للمشرق، يجب اعادة النظر في تاريخ هذه المؤسّسة من خلال إرتباطها بالموروث القديم، خاصّة المسيحي والمانوي. ذلك أنّ إفريقيّة، مهد القديس اغسطينوس، كانت أيضا موطن أبو ملال الديهوري⁹، الذي أعاد (في القرن الثاني للهجرة) تنظيم « الكنيسة » المانويّة (في اصطخر بالذات)¹⁰ التي لم تقض على وجودها حملات الإضطهاد الونداليّة والبيزنطيّة،¹¹ والتي لعبت مبادؤها دورا هامّا في تشكيل البيئة الفكرية التي ترعرع فيها مرابطوا العصر الوسيط الأوّل.

(8) C. Chebbi, art. "Ribat", E. I, VII, pp. 511-524 ; C.E. Bosworth, "The city of Tarus and the arab-byzantine frontiers", in *Oriens*, XXXIII Leyde 1992, pp. 284-286.

(9) حول هذه الشخصية أنظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص . 407 ، محمد الطالبي ، دراسات في تاريخ إفريقية ، تونس 1968 .

(10) انظر أيضا : F. Decret et M.H. Fantar, *L'Arique du Nord dans l'Antiquité*, Paris 1981, p. 309.

(11) حول المانويّة بإفريقية في العصر القديم، راجع خاصة : F. Decret, *Aspects du manichéisme dans l'Afrique romaine*, Paris 1970, ID, *L'Afrique manichéenne*, Paris 1978.

الفصل الأول

الرباط والمرابطة خارج إفريقية

الجهاد والرباط في المشرق الاسلامي في العصر الوسيط

إن ما ذكرناه حول غياب المنوغرافيات الخاصة بحضارة الإسلام يجعلنا نجهل تقريبا كل شيء حول الرباطات في المشرق الاسلامي ، وخاصة الجوانب المتعلقة بالعمارة¹ والاقتصاد² . ولهذا فإن هذه التوطئة التي أردناها أن تكون مدخلا لدراسة حصون إفريقية سوف تعتمد بصفة شبه كلية على المصادر الجغرافية³ ، خاصة المقدسي⁴ ، ابن حوقل⁵ وقدامة ابن جعفر⁶ ، وعلى المقال الذي خصّصته لتطور المؤسسة كاترين الشابي في دائرة المعارف الإسلامية .

الرباط إسم مشتق من فعل ثلاثي مجرد : ويقال ربط الشيء وشده، ويشمل معنى الإحاطة به وكذلك الإقامة المستمرة. وورد في القرآن والحديث - بصيغ أخرى - بمعنى ربط القلب وشده (ثلاث صيغ مجازية قرآنية)، وأيضا بمعنى المواظبة على الشيء. ويبدو أن إستعمالات الجذر ر.ب.ط. كانت في لغة القرن السابع الميلادي مرتبطة بالحروب القبليّة، أي التجهيزات الخاصة بالخيول المعدة للغزو (الجياد أو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات). وهو المعنى الذي نجده في سورة الأنفال (60) : "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُهُمْ" . وهي معدّة "لِلَّذِينَ كَفَرُوا" أي الذين رفضوا إعتناق الإسلام والخضوع لسلطة المدينة. وفي آل عمران (200) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁷ وفي هذه الآية لا نجد أيضا مفهوم "ملازمة الثغور" إذ أن هذه الوظيفة سوف لن تظهر إلا بعد الفتوحات الإسلامية التي حولت الحرب مع بيزنطة والأتراك إلى

(1) نظر : ابراهيم شيوخ ، "حول منارة قصر الرباط بالمنستير وأصولها المعمارية" . مجلة إفريقية، III-IV، تونس 1969 - 1970، ص. 5-15.

(2) انظر مقال "Hima" بدائرة المعارف الإسلامية، III، ص 1000.

(3) حول طبيعة هذه المؤلفات أنظر : A. Miquel, *La géographie humaine du monde musulman*, Paris-Lahaye, 1967-1980.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1906 .

(5) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1967 .

(6) "كتاب الخراج" ، ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، ليدن 1889 .

(7) وترجمها حميد الله الى الفرنسية بمعنى *Tenez ferme* ولا يضعها في إطار حربي : M. Hamidullah, *le Coran*, Maryland 1989, p. 184.

حرب مواقع . ويبدو أنه منذ العهد الأموي، وخاصة العباسي، بدأت الكلمة تعني - على الأقل في المشرق - مكانا محصّنا (قلعة، برج مراقبة، خندق، خان، مدينة محصّنة . . .). وكانت هذه المنشآت توجد خاصة على الحدود والسواحل و الطرق الداخلية الغير الآمنة⁸ . ولكن هذا التطور لم يكن شاملا، كما أنّ اعتمادنا في هذا المجال بصفة كليّة على مصادر متأخرة تجعل تأريخ هذا التطور شاقا، إذ لم نقل مستحيلا . فالكلمة ترتبط بالتأكيد بوجود خطر ، لكن لا تعني معلما محدّد المعالم، ولا "ديرا محصّنا" . كما أنّها استعملت في العراق للدلالة على منازل الصوفية الحضرية . ولكن باستثناء هذه المنطقة الاصطلاح الشائع - وليس الوحيد - كان الخانقاه والزواية والتكية، وهي مؤسسات ليست لها -إلا نادرا - علاقة بالحرب والحصون الحدودية التي تأوي (نظريّا) "المجاهدين في سبيل الله" . ولكن هذا المفهوم الأخير مرتبط أيضا بالمخيل والايديولوجيا ولا يخضع للتطور التاريخي⁹ . ويدلّ على ذلك التناقض الذي نلمسه بخصوص الحدود مع العالم التركي، فهذه المنطقة أصبحت في القرن 4هـ / 10 أمنة (نتيجة للغزوات الإسلامية الناجحة واعتناق هذه الشعوب للإسلام)، ولكن مصادر هذا العصر واصلت اعتبارها "أرض رباط"¹⁰ .

ويري محمد الهادي شعيرة أنّ الرباطات السّاحلية أحدثت منذ عهد عمر بن الخطاب، "على مسافات مقدّرة بحيث يمكن الاتصال بين نقط الرباط بالعين المجردة عن طريق النيران"¹¹ لكننا نشكّ كثيرا في وجود هذا النظام المبكر، فرواية البلاذري (ت. 279هـ/822م) - وهو مؤرخ لم يتأثر كثيرا بإيديولوجية الجهاد - التي اعتمدها على ما يبدو تذكر فقط أنّ معاوية بن أبي سفيان، لمّا احتلّ ملطيّة، "رتّب فيها رابطة من المسلمين" مع عاملها . وهو مصطلح يعني كتيبة من الفرسان المتمين إلى جند الخلافة¹² . كما أنّنا نملك مؤشرات عديدة عن تواصل "الرباط" القبلي التقليدي في عهد عمر بن الخطاب الذي كان يحتفظ بالخيول المتأتمية من موارد الصدقة الموظّفة على القبائل، وكانت تجمع في مراعي خاصة بها في حمى النقيع¹³ . على أنه منذ منتصف

(8) C.Chebbi, *op. cit*, p. 512.

(9) C.E. Bosworth, *op.cit*, p.284- 286.

(10) C.Chebbi, *op.cit*, p, 518.

(11) محمد الهادي شعيرة، "الرباطات السّاحلية الليبية"، ليبيا في التاريخ، 1968، ص. 235-236 .

(12) البلاذري، فتوح البلدان، نشر محمد رضوان بيروت 1978، ص. 189 .

(13) Art. "Hima", *E.I*, III, p 1000.

القرن الثاني للهجرة (8م) بدأت تظهر - في مصنفات الحديث والتفسير والمغازي والفقهاء - قطيعة هامة مع المفهوم التقليدي للرباط. وستتطور في القرن الثالث (9م) مع ظهور الصّحاح الكلاسيكية وكتب المسالك، وهي أيضا قطيعة في الغرض لا في المعنى، إذ أن الرباط سيقترن بإيديولوجية الجهاد¹⁴ التي تبلورت في بداية العصر العباسي¹⁵.

وكان مفهوم الجهاد بدوره غامضا في البداية وأرتبط بتكفير الخوارج لغيرهم من المسلمين¹⁶، وليس بالحرب مع أتباع الديانات الأخرى¹⁷. وتمكننا مقارنة أقدم نصٍّ لموطأ مالك (ت. 179هـ/795) (رواية محمد بن الحسن الشيباني الحنفي (ت. 189هـ/804م)¹⁸ برواية القرطبي يحي المصمودي (ت. 254هـ/848م)، من جهة، وبمؤلفات الحديث الكلاسيكية من جهة أخرى، من تأريخ وفهم أسباب هذا التحول الذي طرأ على معنى الرباط. فالرواية الأندلسية تشتمل على "كتاب جهاد" لا يوجد في النسخة الأولى، حيث يبدو الإمام مالك متحفّظا من "القتال على الحدود" في إطار الجهاد، رغم أن محمد بن الحسن ألف بدوره "كتاب سير"¹⁹. وهو ما يؤكّد وجود تيار - يمثله مالك والشيباني - يحترز من التطوُّع للقتال في الثغور والعواصم "بدافع البحث عن المغانم". ويورد مالك حديثا (مرسلا) يفسّر "صَابِرُوا وَرَابِطُوا" "باسباغ الوضوء وكثرة الخطي الى المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط"²⁰ فالمواظب على الصلاة ("من غدى وراح لا

(14) راجع : E. Tyan, art. "Djihad", *E.I.* II, p. 554.

(15) لدى المحدثين وأصحاب المغازي، ثم في مرحلة ثانية عند الفقهاء

(16) حول هذه الفرقة انظر : محمد عمارة، "الفرق الإسلامية" موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت 1986، II، ص. 373-398.

(17) الاستعمالات القرآنية في هذا المجال هي خاصّة "القتال" (التوبة، 28-29 "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله". وأما الجهاد فهو لا يوجد كمصطلح قائم بذاته بل بواسطة "إستعمالات" مثل "المجاهد في سبيل الله" (النساء، 95، البقرة، 218، المائدة، 54) و"جاهد" و"شهادة". أما المصطلح الشائع لدى الفقهاء فهو "السير". انظر: فؤاد سزكين، التراث العربي، الرياض، I، ص. 458-60؛ C. Chebbi, *op. cit.*, p. 512.

(18) نشر عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة 1967.

(19) انظر في هذا الصدد : M. Bonner, "Some observations concerning the early development of jihad on the arab-byzantine frontiers", in *S.I.*, 1992, p. 24-25 ; C. Chebbi, *op. cit.*, p. 512 ; C.E. Bosworth, "Abù Amr uthmàn al-Tarsûsi, Siyar al-Thughûr and the last yeras of arab rule in Tarsus", in *Graeco-Arabica*, V, Athnès 1993 ; ID, "Byzantium and the Arabs : War and peace between two world civilisations" in *JOAS*; III-IV, 1991-92 ; G. Dargon, "Le Combattant byzantin à la frontière du Taurus : guérilla et société frontalière", in *Le combattant au Moyen âge*, Paris 1991.

(20) ونزلك، المعجم المفهرس لمعاني الحديث، تونس 1987، II، ص. 212 (مادة رباط). كذلك مسند ابن حنبل، بيروت 1978، II، 277، ابن منظور، لسان العرب، III، 1561.

يريد غيره") له فضل "المجاهد" أي المجاهد القرآني وليس بالضرورة جندي الثغور²¹ ولهذا أكد ابن أبي زيد القيرواني ("مالك الصغير") أن مهمة المرابطين الأساسية تتمثل في أداء الصلوات في أوقاتها²². ونجد نفس الشيء في المدونة لكن سحنون بن سعيد - المتأثر حتما بمذاهب الشامي الأوزاعي والمصري الليث بن سعد - جعل أيضا من مشمولاتهم "حراسة السواحل"²³ ولكن هذه الحراسة يكتنفها أيضا كثير من الغموض، مثلما سنبينه في الفصول الخاصة بإفريقية. وهي وظيفة غامضة أيضا في كثير من الأحاديث وتختلف عن الحرب بحصر المعني الذي لم يكن من إختصاص عباد الحصون²⁴. ويؤكد موقف ابن سريين (ت110هـ) ما ذهبنا إليه حول تأخر ظهور المرابطة التقليدية إذ يذكر أنه لما سأل الرسول في المنام "الجهاد أفضل أم الرباط؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الرباط رباط يوم وليلة خير من عبادة ألف سنة"²⁵ فهذا الرباط مختلف عن الجهاد²⁶. ويتصل بهذه الوظيفة اسم القصر الذي أطلق أيضا على بعض الرباطات، سواء كان ذلك القصر في الصلاة²⁷ أو الإقامة المستمرة والاعتزال. ويدل كل هذا على وجود تباين في وجهات النظر منذ آخر القرن الثاني للهجرة (8م) بين إتجاهين (في أوساط المحدثين، "أهل العلم")، وهي أيضا الفترة التي برزت فيها أيديولوجية الجهاد في الشام وخراسان والمغرب والأندلس، أي الأمصار التي ظهر فيها الرباط بمفهومه الجديد²⁸. ففي حين أكد أهل الجزيرة والعراق على فضل المجاورة (الإقامة بمكة)²⁹

(21) انظر في هذا الصدد الجدل السني الشيعي حول "حي على خير العمل" أي الصلاة وفضلتها على القتال.
(22) فتوى لابن أبي زيد حول رباط المنستير. راجع: هـ. ر. إدريس، الدولة الصنهاجية، تعد. حمادي الساحلي، بيروت 19، II، ص. 306. وأيضا: الرباطة، أي الصومعة التي يعتزل فيها الناسك.

(23) المدونة، V، ص. 367: "قال ابن القاسم: قلت لمالك أنا نكون في ثغورنا بالاسكندرية فيقولون لنا الامام يقول لا تحرسوا إلا بإذني. قال مالك: يقولون أيضا لا تصلوا إلا بإذني، فليحرس الناس ولا يلتفتوا إلى قوله هذا".

(24) الهادي الدرقاش، فقه الرسالة، بيروت 1989، ص. 242؛ ونزك، نفس المرجع، II، ص. 33 (مادة رباط). انظر أيضا "الرباطة" والعساسة بمعنى الشرطة. المالكي، II، ص. 488؛ محمد الرحموني، الشرطة في الاسلام، تونس 1983، ص. 93.

(25) ابن سريين، تفسير الأحلام، بيروت 1995، ص. 84 وكذلك "قال الاستاذ أبو سعيد بلعنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله". ص. 475 "ثلاثة أعين لا تمشي النار، عين حرس في سبيل الله...". ص. 481 "والحصن حصانة في الدين لمن رأى أنه فيه. ومن جمع له أمره واستمكن من الدنيا فقد أشرف على الزوال وتغير الحال لأن كل شيء إذا تم زال".

(26) Tyan, art. "Djihad", E.I, II, p.900.

(27) ياقوت الحموي، IV، ص. 354-355.

(28) M. Bonner, op. cit, p. 24-25

(29) ويعبر عن هذا الموقف أحسن تعبير الحنبلي ابن قتيبة (ت. 276 هـ / 889م) في عيون الأخبار (I، ص 219، و356). فهو يسرد على لسان مجاور: فضيل بن عياض (ت. 187 هـ / 803م) نادرة تتعلق برجل تكبد المصاعب قبل أن يلتحق "برباط" طرسوس، لكنه ارتد بعد مدة قصيرة إثر أسره من طرف الروم. أما القصة الثانية فهي تتمحور حول "إختبال" ناسك صوام بالمصيصة.

دعي أصحاب الاتجاه الثاني الى مجاورة من نوع جديد، أي الإقامة بالثغور، مثل المصيصة وعسقلان والمنستير وسوسة التي بدأت توضع في شأنها الأحاديث. على أن موقف أصحاب ايدولوجية الجهاد سيتدعم في القرن الثالث (9م) مع ظهور الصّحاح السنّية الكلاسيكية³⁰، إذ تحتوي مصنّفات كلّ من ابن حنبل (ت. 245هـ/855م) والبخاري (ت. 256هـ/870م) ومسلم (ت. 275هـ/888م) والترمذي (ت. 227هـ/892م) والنسائي، فصولاً عن "فضل" الجهاد في سبيل الله "على الحدود التركية والبيزنطية"³¹. وقد أصبح "الرباط" عند هؤلاء ملازمة الثغور (أو ثغر العدو)، وهو المعنى الذي نجده عند ابن منظور الذي ينتمي إلى نفس المنظومة الفكرية³². ولكن لا نجد رغم هذا أثراً في هذه المصادر والمؤلفات المعاصرة لها لمعلم محدّد المعالم يسمّى رباط. فالحصون أغلبها قلاع قديمة أعيد إستعمالها، كما كانت رباطات المصيصة وعسقلان مدناً محصّنة قبل الإسلام³³. كما أنّ جلّ أصحاب الصّحاح (باستثناء ابن حنبل) ينتمون إلى المناطق التي تطوّرت فيها المرابطة (الشّام، خراسان...)، وكانت خراسان إحدى مراكز الكرامية، أي الفرقة التي ارتبطت باكراً بالمرابطة.

وفي حين واصل دعاة "تيار الجهاد" الحديث عن جهاد مستمرّ ضدّ الاتراك - رغم تغيير الأوضاع السياسية والعسكرية - في القرن الرابع للهجرة (10م)، نرى الموظف الحكومي والجغرافي قدامة بن جعفر (صاحب كتاب الخراج) (توفي في بداية ق. 10م)، والذي لا يستعمل "لغة دينية"³⁴ يورد حديثاً يدعو المسلمين إلى عدم محاربة الترك "إذا جنحوا إلى السلم"، وهو أيضاً مفهوم قرآني. كما أنّه لا يستعمل مصطلح "رباط" عند تعداده لثغور الاسلام³⁵. نفس الشيء بالنسبة لابن حوقل

(30) حول هذه الصّحاح وعلاقتها بالمسانيد أنظر: محمد أحمد خلف الله، "الحديث وعلومه"، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، II، ص. 3-4، 55.

(31) النسائي، سنن، IV، جهاد، 39. "من رباط يوماً وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه. ومن مات رباطاً أجرى له مثل ذلك في الأجر وأجرى عليه الرّزق وآمن من الفتان". وبصيغة أخرى "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل". راجع أيضاً، طهارة، 106؛ أبي داود السجستاني، III، باب فضل الرّباط، 2500. "كلّ ميت على عمله إلا المرابط فإنّه ينمو له عمله ويؤمن من فتان القبر". ابن ماجه، جهاد، 11؛ ابن حنبل، مسند، II، 362؛ الترمذي، جهاد، 25-35؛ البخاري، باب فضل الجهاد والسير، IV، 17-128؛ مسلم، كتاب الجهاد والسير، V، 139-200.

(32) محمد عابد الجابري، تكوين، ص. 79.

C. Chebbi, *op. cit.*, p. 513 ; CL. Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des croisades*, Paris 1940, (33) p. 148-152.

C. Chebbi, *op. cit.*, p. 513 (34)

(35) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ليدن 1889، ص. 208، 212، 262 كما أنّه يتحدث عن "فرسان أساورة" "يرابطون" على الحدود مع بلاد الديلم.

(ت. 367هـ/ 977م) الذي أشاد بالجيوش السامانية الجديدة (على الحدود التركية) المتركبة "من مماليك الأتراك" المنظمة، وقارن بينها وبين فوضى صعاليك العسكر وشوآذ القبائل الذين كانوا "يرابطون" فيما قبل على حدود بلاد ما وراء النهر³⁶. أما بالنسبة لجهة بيزنطا³⁷، فإن قدامة لا يتحدث إلا على جنود نظاميين (جند) يتلقون العطاء، وبعض الفرق من "صعاليك القبائل" (فرق غير نظامية) تتقاضى الجعل، تغزو لحسابها الخاص ولا تشارك في المغنم الرسمية. وهي مجموعات تنتمي إلى شرائح اجتماعية متدنية وليس لها أية علاقة "بالجهاد المقدس". كما يقدم لنا قدامة احصاء دقيقا للإستحكامات الحدودية ولكنه لا يستعمل مصطلح رباط. أمّا الغزاة (جمع غازي)³⁸ فقد كانوا يعسكرون في القرن العاشر الميلادي على حدود بلاد ما وراء النهر، وهي تسمية رمزية فيها تذكير بصحابة الرسول، وكانوا يشكّلون مجموعات من المغامرين الذين يتحوّلون وقت السلم الى قطاع طرق³⁹، قبل أن يشركهم محمود الغزنوي في فتوحات الهند⁴⁰. كما أنّ المرابطون المتطوّعون الذين صنعتهم ايدولوجية الجهاد لم يلعبوا أي دور في إستعادة أراضي فلسطين، ذلك أن الحرب ضدّ الفرنجة كانت قبل كلّ شيء من مشمولات الجيوش النظامية السلجوقية والأيوبيّة⁴¹، في حين تدعو ايدولوجية الجهاد "كل المسلمين" أن يتدبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة الاسلام، وقد لا حظت ك. الشابي على حق أن هذا المصطلح (المسلمين) عام وليس له أي محتوى سوسيولوجي وتاريخي⁴².

ورغم كلّ هذا الغموض لا يمكن أن ننكر وجود مجموعات وأفراد تطوّعوا "للرباط" في العهد العبّاسي الأول على الحدود الاسلامية البيزنطية⁴³. ولكن قراءة

(36) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1967، ص. 471.

(37) لم يكن البطل، بطل العرب في الحروب ضدّ بيزنطة مرابطا انظر:

Melikoff, art. "Battal" *E.I.*, I, p. 1137

(38) I. Melikoff, art. "Ghàzī", *E.I.*, IV, p. 1068 - 1069

(39) الطبري، III، ص. 1044 حول النظام البيزنطي المماثل للغزاة. : Melikoff, *op. cit.* p. 1069 (acrites).

(40) I. Melikoff, *op. cit.* p. 1069 : حول علاقتهم بالتصوّف والفتوة في القرن الثالث عشر الميلادي

(41) C. Chebbi, *op. cit.* p. 514 ; N. Elissef, *Nur al-Din*, Damas 1967, II p. 31 ; E. Suvan, *L'Islam et les croisades, Idéologie et propagande dans la réaction des musulmans aux croisades*; Paris 1968, *passim*; Cl. Cahen, *Orient et Occident au temps des croisades*.

(+2) C. Chebbi, *op. cit.* p. 514

(43) نفس المرجع، ص. 514.

سريعة لطبقات ابن سعد تبرز التناقض الصّارخ بين المؤلفات النظرية والواقع التاريخي وتؤكد أنّ رجال الثغور لم يصبحوا بعد (في القرن الثالث للهجرة) مثاليين. فقد خصّ ابن سعد ثمانية عشر من رجال الثغور بتراجم قصيرة "وعادية"، مثل الأوزاعي. وقد كان هذا الفقيه (الذي انتشر مذهبه في الشّام والأندلس) يسكن بيروت التي كانت تعتبر ثغراً. أمّا ابن المبارك الخراساني فقد كان يكتفي "بالحثّ على الجهاد". كما لا يذكر ابن سعد طرسوس التي وضع في شأنها الحديث، ولا يخصّ أحداً من رجال المصيصة (12 ترجمة) بالرباط أو حتى الجهاد، باستثناء أبي إسحاق الفزاري (ت. 188هـ/805م) الذي كرّس حياته "للغزو". على أنّ كتاب "السير" الذي ينسب إليه لا يتحدث عن الرباط، في حين سيجعل منه مؤلفوا الطبقات المتأخّرة رابطاً مثالياً.

وتبرز ايديولوجية الجهاد في القرن الرابع والخامس للهجرة (10-11م) بأكثر وضوح لدى المتصوّفة التي حاولت بهذا أن تعطي لنفسها شرعية دينية وتاريخية،⁴⁵ وكذلك الأشاعرة مثل الغزالي الذي عاب عليه أعداؤه دوره السلبي إبّان الحروب الصليبية⁴⁶. ولكي نفهم التحوّلات التي طرأت على مفهومي المراقبة والجهاد يجب التذكير بأن صاحب المنقذ من الضلال لعب دوراً أساسياً في المصالحة بين التصوّف والإسلام السنّي (الشافعي - الأشعري)⁴⁷. ومن أتباع هذا المذهب الكلامي عبد القاهر البغدادي (ت. 429هـ/1039م) الذي أعطى مفهوماً حيويّاً للجهاد، إذ أدرجه ضمن "الامر بالمعروف والنهي عن المنكر"⁴⁸. نفس الشيء بالنسبة لابن أبي زيد القيرواني الذي ضمّن رسالته الفقهية باباً في الجهاد تحدّث فيه عن "فضل الرباط"⁴⁹. أمّا الشافعي، واضع علم أصول الفقه، فقد قنّن بصفة نهائية مفهوم فرض الكفاية (الجهاد)⁵⁰. وفي باب "تعريف فرض الجهاد" من كتاب "الأم" عدّد واجبات الخليفة والاحتياطات التي يجب إتخاذها لكي لا تتحوّل الحملات إلى "مهلكة". كما ذكر الحصون والخنادق التي يجب

(44) نفس المرجع، ص. 514.

C. Chebbi, "Reflexions sur le soufisme iranien primitif", in J.A, ccL XVI; 1978 (45)

H. Laoust, La politique de Ghazali, Paris: 290 ص. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص. 290 (46) 1970, p.264, 342-343.

(47) محمد عابد الجابري، نفس المرجع، ص. 285-290.

(48) عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، اسطنبول 1923، ص. 193.

(49) ابن أبي زيد، الرسالة، الجزائر 1945، ص. 63، 165 انظر أيضاً الهادي الدرقاش، فقه الرسالة، ص. 242.

(50) عكس فرض العين. الشافعي، كتاب الأم، بيروت 1980، IV، ص. 176؛ VII، ص. 201، 284.

إقامتها على الحدود، و "ضرورة حراستها" بواسطة رجال شجعان (دون إبراز صفة المجاهد أو المرباط). وأكد من جهة أخرى على ضرورة التراجع إلى "رباط الجهاد" عند فشل الغزوة، و "الرباط" هنا لا يعني معلماً محدداً "يحرسه رهبان محاربون" بل معقلاً عادياً للجند النظامي⁵¹. وإضافة إلى الأشاعرة تطوّرت إيديولوجية الجهاد أيضاً في الأوساط الحنبليّة، على أن هنري لاووست الذي نشر عدّة عقائد حنبليّة أكّد أنّ أقدمها (مثل عقيدة ابن بطة (ت. 287هـ/ 997م) تتحدث عن "الغزو" أكثر من الجهاد. وسوف لن يتبلّور هذا التوجّه بصفة نهائية إلا مع ابن قدامة (ت. 620هـ/ 1223م). كما نجد في مسند ابن حنبل عبارة غامضة تذكر أن "الجهاد هو رهبانيّة الاسلام"⁵³.

ورغم تطوّر إيديولوجية الجهاد فإنه لا يوجد في المشرق في القرن الثالث والرابع (9-10م) "رهبان محاربون" متطوّعون "للجهاد في سبيل الله" على الحدود، كما لا نجد معالم خاصّة بهم. لكن منذ القرن الخامس (11م) سوف تجعل كتب الطبقات المتأثرة بالتصوّف من سكان الحدود السابقين والمعاصرين لهذه المؤلفات نوعاً من القدسيّين: صالحون⁵⁴ وأبدال⁵⁵. ومن هذه المؤلفات مصنّف أبي نعيم الإصفهاني (ت. 430هـ/ 1038م): "حلية الأولياء"⁵⁶. وقد أعادت هذه التراجم كتابة "سير" زهّاد القرن الثاني والثالث (8-9م) وأسبغت عليها طابعاً ملحمياً ميثولوجياً. ومن هؤلاء الزهّاد إبراهيم بن أدهم (ت. 161هـ/ 777م)⁵⁷، لا يذكره ابن سعد) الذي تعتبر حياته نموذجاً لحياة المرباطة، والذي نسبت إليه عدّة خوارق في البحر والجبال، وعبد الله بن المبارك المروزي (ت. 181هـ/ 797م). وكلّ هذه السير ليست في الحقيقة إلا إعادة كتابة وأسطرة للماضي، خاصّة القرون الأولى للإسلام، وهي لا

(51) الشافعي، نفس المصدر، IV، ص. 176-180.

(52) H. Laoust, *La profession de foi d'Ibn Batta*, Damas, 1958, p. 47, 127 ; ID, *Le précis de droit d'Ibn Qudama*, Damas 1950, p. 271 ; C. Chebbi, *op. cit*, p. 514.

(53) ابن حنبل، مسند، III، ص. 82، 266؛ C. Chebbi, *op. cit*, p. 514.

(54) وهي في القرآن من صفات الانبياء (الصفّات، 112) وبشرناه بإسحاق نبياً من الصّالحين ("

(55) جمع بدل : إحدى درجات القدسيّة عند الصّوفيّة. ويسكن الأبدال الشام ويلعبون دوراً هاماً في توازن الكون (نزول الأمطار، الانتصار على الأعداء...). انظر : E. Goldziher, art. "Abdal", *E.I.*, I, p. 97.

(56) حلية الأولياء، القاهرة 1932.

(57) نفس المصدر، VIII، ص. 7-8، 71، 515؛ C. Chebbi, *op. cit*, p. 515.

تتطابق مع تاريخ الثغور والحروب⁵⁸. ويمكن أن نتأكد من ذلك عند مقارنة هذه التراجم والمؤلفات السابقة المتأثرة بإيديولوجية الجهاد مع المصنّفات الأدبية (مثل العقد الفريد لابن عبد ربه)⁵⁹ وتفسير الطبري الذي حاول التوفيق بين كلا الاتجاهين⁶⁰.

الرباطات في المشرق الاسلامي

إن التضارب والغموض الذين لمسناهما عندما حاولنا التأريخ للمؤسسة، نجدتهما كذلك فيما يخصّ المعالم، فقد ألحقت هذه الصّفة بمنشآت متعددة ومختلفة مثل المدن (المحصّنة) والقلاع والأبراج، وأبراج المراقبة ومحطّات البريد والخانات ومنازل الصّوفيّة، وحتىّ المشاهد والمقابر. وفي هذا المجال أيضا بقيت القلوب كما قال الغزالي "عن المنهج المألوف شديدة النفار"⁶¹. فأندريه ميكال الذي أحصى كلّ استعمالات هذا اللفظ⁶² بقي رغم هذا وفيّاً لتعريف "دير محصّن"⁶³، في حين أنّه باستثناء رباطات الصّوفيّة في العراق (والتي برزت منذ العهد السلجوقي في إطار سياسة المصالحة الرّسمية بين الأشعرية والطرقية التي سلكها نظام الملك تحت تأثير الجويني وتلميذه الغزالي في القرن الخامس للهجرة) كانت هذه الفضاءات متنوّعة. وممّا يزيد الأمر تعقيدا تأثر أقدم مصادرنا - جغرافيو القرن III - IV هـ / IX - X م بإيديولوجية الجهاد، ممّا يدعم تداخل الظاهرة التاريخيّة (البحثة) والأسطورة. ويؤكد ما ذهبنا إليه مقارنة مصطلحات قدامة بن جعفر. (ت. 320 هـ / 930 م) "الموضوعيّة" بمصطلحات جغرافي منتصف القرن الرابع، فصاحب كتاب الخراج لا يذكر الرباط

(58) انظر خاصّة : ابن العديم (ت 660 هـ / 1262) ومؤلفه "بغية الطلب" (دمشق 1991، 11 مجلد). وينسب ابن العديم "لمرابط" من القرن الرابع للهجرة : عثمان بن عبد الله الطرسوسي مصنّف يسمّى : سير الثغور ، وهو مجموعة تراجم "لمرابطي" هذا الثغر. ونرى أن مصطلح "سير" أصبح لا يعنى مواقف فقيهة مثلما هو الشأن في *Abou Amr* القرن الثالث. انظر : *Abù* ; Bosworth, "The city of Tarsus" *Oriens* 1992, p 271-280 ; ID, *Abù* ; *al-Tarsusi, Siyar al- Thughur*, in *Greco-Arabica*, V, Athnes 1993, p. 184-185 ; C. Chebbi, *op. cit*, p. 516.

(59) ابن عبد ربه (ت. 328 هـ / 940 م)، *العقد الفريد*، (كتاب الحرب).

(60) الطبري (ت. 320 هـ / 923 م). جامع البيان، القاهرة ؛ VII ، 501 ، XIV ، 51631 ، C. Chebbi, *op. cit* ,

(61) الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ، ص 134 .

(62) A. Miquel, *Géographie humaine du monde musulman*, Paris 1967, II, p. 536 - 82, 529, IV, p. 374.

Ibid, III, p. 82 - 63

كمنشأة للجهاد على الحدود⁶⁴. وتوجد أغلب الرّباطات - حسب المقدسي (ت 378 هـ/ 988 م) وابن حوقل (ت. 376 هـ/ 977 م) - في بلاد ما وراء النهر، خراسان، مقاطعات جنوب القوقاز وغرب بحر قزوين وسواحل المتوسط (مصر، المغرب والأندلس)، ويمكن أن نلاحظ منذ الوهلة الأولى ندرة الرّباطات على أخطر الجبهات: الحدود مع بيزنطة، وغيابها في بلاد السند⁶⁵.

"الثغور" الشرقية

لا يتحدّث قدامة بن جعفر عند وصفه للحدود الشماليّة - الشرقيّة عن الجهاد الاسلامي بل يذكر الغارات التركيّة. وبدل مصطلح "رباط" الذي لجأ إليه ابن حوقل يستعمل كلمة خان للمحطّة التجاريّة وسكّة لمرحلة البريد (مع استعمال كلا اللفظين لنفس المعلم بالنسبة لبعض المنازل المنعزلة)⁶⁶، في حين أنّ المصادر الأخرى تتحدّث عن جهاد مستمر انطلاقاً من آلاف الرّباطات على حدود إيران الشرقيّة. فالمقدسي وابن حوقل يذكران ألف رباط في بيكند (حدود بخارى)، بعضها "عامر" والآخر "خراب"، دون إرشادنا حول نسبة هذا العمار. كما أحصى المقدسي 1700 رباط في منطقة إسبيجاب (ضفة نهر سيحون : سيرداريا)⁶⁷. وتؤكد هذه الأرقام "الأسطوريّة" ما ذهبت إليه كاترين الشابيّ حول تأثر الجغرافيين بإيديولوجيّة الجهاد، إذ أنّها تتناقض مع الواقع "الحربي". فقد انتهج الولاة الطاهريون، ثم من بعدهم الأمراء السّامانيون في القرن-IV III هـ/ IX-X م تجاه الغزّ والخرلوكيّة سياسة دفاعيّة تعتمد على مدن محصّنة وقلاع (كوخنديز) وخنادق دفاعيّة (خاصّة في منطقة خوارزم)، شيّد أغلبها قبل الاسلام، وهي سياسة تواصل الإجراءات التي إتخذها السّاسانيون من قبل. وكانوا يردّون على الغارات التركيّة بحملات تأديبيّة أشهرها حملة السّاماني إسماعيل التي إستهدفت عاصمة الخرلوك طلس سنة 280 هـ/ 893 م، وقد أدّت إلى تأمين الحدود مع شعوب السّباسب خلال أغلب ردهات القرن الرابع للهجرة، أي الفترة التي كتب فيها ابن حوقل

(64) C. Chebb, *op. cit*, p. 516

(65) انظر ابن حوقل، ص. 218 - 230.

(66) ابن خرداذبه، ص. 209 - 210 - 262.

(67) المقدسي، ص. 273 - 282؛ ابن حوقل، ص. 489. "ولكرمينيّة قري كثيرة وكذلك لكلّ منبر من هذه المدن كور وقري ومزارع إلا بيكند فإنّها وحدها لا شريك لها في الانفراد من الاعمال. وبها من الرّباطات ما ليس ببلدان ما وراء النهر كهو أو ما يقاربه، ويقال أنّ بها نحو ألف رباط ولها سور حصين ولها مسجد جامع"

والمقدسي⁶⁸ . كما سارع بإنهاء هذه المجابهات الاعتناق التدريجي لهذه الشعوب للإسلام . ورغم كلّ هذه العوامل واصل المقدسي الحديث عن توافد المتطوّعة على أوش (فرغانة) والغزاة علي بيكند⁶⁹ ، في حين يمكن إعطاء بعض المصدقيّة لما ذكره > ، حصون مرتفعات غور ، الموجودة بين هرات وباميان ، وهي منطقة وقعت أسلمتها بصفة متأخرة نسبياً ، علي يد السلطان محمود الغزنوي (ق . 5 هـ / 11 م) . لكن الدّفاع عن هذه المنطقة كان أيضاً موكولا لجنود نظاميين ("مرتّبون وحرّاس")⁷⁰ . كما أنّه عندما يتحدّث عن ثغر إستواء لا ينعته بالرباط بل يذكر فقط أنّه يرباط به "رجال شهام" مزودون بالخيول والأسلحة " (وليسوا بالضرورة متطوّعة) ، في ثلاثة حصون متّصلة⁷¹ . وعندما وصف ابن حوقل هذه المنطقة بالذات ذكر بأنّ "ستكند بها منبر وهي مجمع الأتراك وقد أسلم منهم أحياء شتّى ودخل في إسم الاسلام قوم من الغزيّة والخرلخيّة ولهم بأس ومنعة في الأتراك . وبين باراب وكنجدة والشاش مراعي خصبة بينها نحو ألف بيت من الأتراك قد أسلموا"⁷² . وهو ما يؤكّد أنّ المقدسي كان يتحدّث عن وضع سابق أي وضع القرن المنصرم . كما لا يذكر ابن حوقل مرابطي أوش التي كانت "مدينة عامرة وقهندز عامر ودار الإمارة والحبس في القهندز ، وللمدينة ربض وعلى الربض سور وهي ملاصقة للجبل الذي عليه المرقب للأتراك الذي تحرس فيه مقائهم وسرحهم"⁷³ . وفي الحقيقة لم يعد الاتراك مسؤولين عن انخراط الأمن في هذه المنطقة بل "الغزاة" المسلمون ذاتهم قبل أن يشركهم محمود الغزنوي في فتوحات الهند⁷⁴ .

وإلى جانب غياب الكرونولوجيا فإنّ العديد من "الرباطات" لم تلعب أي دور عسكري ، وإنّما كانت مجرد منازل لايواء المسافرين ، مثل رباطات إسبيجاب الأربعة

C. Chebbi, *op. cit.*, p. 5127 (68)

(69) المقدسي ، ص . 272 ، 282 .

(70) نفس المصدر ، ص . 306 ، 320 .

(71) نفس المصدر ، ص . 320 ؛ C. Chebbi, *op. cit.*, p. 517 .

(72) ابن حوقل ص . 511 ،

(73) نفس المصدر ، ص 513 ،

(74) R.N. Frye, "The Sàmanids", in *The cambridge history of Iran*, cambridge 1975, p. 155; C. Chebbi, *op. cit.*, p. 517

(التي كانت توجد قرب أبواب المدينة)⁷⁵. ويقع تعهّد هذه الرباطات الخاصة (التي تقع أيضا على أهم الطرق التجارية) بواسطة الأوقاف المحبسة عليها⁷⁶. وكان الأمراء يساهمون في إنشاء هذه المؤسسات، مثل الرباط الذي شيّده الساماني قراتجين (ضريحه يوجد داخل المعلم) وحبس عليه عائدات سوق⁷⁷. وقد ذكر ابن حوقل بوضوح هذه الوظيفة عند حديثه عن مفازة فارس وخراسان "وما يعرض في أضعاف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق ليستجار بها في شدة البرد من الثلوج وفي شدة القيظ من الحرّ وليس فيما عدا أطرافها كثير عمارة ولا سكّان"⁷⁸. وقد كانت هذه الخانات - الرباطات غالبا محصنة، مثل رباط بدخشان⁷⁹.

ويخبرنا ابن حوقل أنّ مدينة ديزك "لها رستاق وبها يربط أهل سمرقند وفيها رباطات تشتمل على عدد كثير وأجلّ رباط في حدودها رباط خديسر وهو منها على فرسخين وهو من أشهر رباطات ما وراء النهر بناه الأفشين وفي وسطه عين ماء تنبع وعليه أوقاف وضياع سبلها قبل خروجه إلى العراق، وهو من أقرب تلك الرباطات إلى بلاد العدو"⁸⁰. ويبدو أنّ هذا الرباط الذي أحدثه القائد التركي (للجيش العباسي) (ت. 226 هـ / 841 م) كانت له وظيفة عسكرية في السابق، كما يجب التذكير بأن الأفشين قاد حملة مقاومة الاعتزال في آخر العهد العباسي الأوّل. وإضافة إلى إيواء المسافرين كانت عدّة رباطات معدّة أيضا لايواء رجال البريد، مثل رباطات بوخارى وشمال خراسان⁸¹. وذكر ابن حوقل أنّ "رباط ميله لأبي الحسن محمد بن الحسن ماه [منطقة بلخ] هو أجلّ رباط حسنا في نفسه ونفعاً في موضعه لشدة الحاجة إليه في مكانه وكثرة ضرورة الناس إلى الاستغاثة والاستعانة به في المخاوف وعند اناخة العدو والثلوج وتوقع المتالف وهو حصين في ذاته منيع بعلوه وسمكه فسيح المباني واسع الافنية لو نزل به عسكر لأقله وملك عظيم لستر جيشه وأظله وأكّنه، هذا إلى ما هو أجلّ منه من

(75) المقدسي، ص. 272 - 273؛ ابن حوقل، ص. 510؛ C. Chebbi, *op. cit.*, IV, p. 56؛ A. Miquel, *op. cit.*, 518 ?

(76) C. Chebbi, *op. cit.*, p. 18؛ Cl. Cahen, "Reflexions sur le Wakf ancien", in *les peuples musulmans dans l'histoire médiévale*, Damas 1977, p. 287 - 306.

(77) وكذلك رباط مركي الذي أسسه أحد أمراء السامانيين : المقدسي، ص. 275.

(78) ابن حوقل، ص. 401.

(79) المقدسي، ص. 303.

(80) ابن حوقل، ص. 504 - 505.

(81) المقدسي، ص. 493, 372, 291؛ A. Miquel, *op. cit.*, IV, p. 55.

رباطاته في أقطار ماوراء النهر وبخراسان وماله منها بالقواديان . ومن أحسنها رباطاته بالترمذ مع الجرايات التي على نزالها والنفقات الدارة على سكّانها من المتفقهة وطلاب العلم . . . ورباطاته بشومان وصرمنجي والصغانيان وكلّ منها نفيس في ذاته وعليه الحبس لنفقاته ومؤنه وممرّاته⁸² . وتنسب هذه الرّباطات عادة لمؤسّسيها مثل أبي محمد بن الحسن الذي كان حسب ابن حوقل " من أرغب خلق الله في الخيرات واقتناء الصّالحات "⁸³ أو القائد الساماني ابن سمجور الذي ينسب إليه أيضا حصن مماثل⁸⁴ .

وقد تحوّلت بعض الرّباطات - التي لم تلعب كلّها في الأوّل دورا عسكريّا - إلى مشاهد مقدّسة (مزار)، بعد أن أضيفت إليها أضرحة رمزيّة، مثل " رباط الصّحابة " في نيسابور⁸⁵ و " رباط " ذو القرنين (إسكندر المقدوني) و " رباط " النبيّ ذو الكفل (خراسان)⁸⁶ . ويذكر المقدسي أيضا وجود " مجاورون " في رباط يقع في منزلة قرب نهر أموداريا⁸⁷ وربّما تعلّق الأمر بمجموعة من النّسّاك الذين كان نشاطهم الأساسي يتمثّل في نشر الاسلام بالطرق السلميّة التبشيريّة (دعاة) . وقد لعبت خانقاهات - الرّباطات الكرامية في العهدين السّاماني والغزنوي (والغوري نسبيا) دورا هامّا في هذا المجال في المناطق التركيّة⁸⁸ . وهو دور واصلته (منذ القرن 11 م خاصة) خانقاهات الصّوفيّة التي كانت لها كثير من القواسم المشتركة مع هذه الفرقة . لكن هذا لا يعني أن كلّ هذه الرّباطات لم تلعب في الأوّل دورا عسكريّا قبل أن تتحوّل إلى مراكز عبادة واعتكاف يؤمّها النّسّاك و " مجاهدوا النفس " .

ويعتبر قدامة بن جعفر كلّ السواحل من سورية إلى مصر ثغورا⁸⁹، أمّا المقدسي وابن حوقل فإنّهما تحدّثا عن مدن مسوّرة وحصون، ولكن لا يذكّران إلا نادرا الرّباطات . فصاحب صورة الأرض يكاد لا يخصّ بهذه الصّفة إلا بيروت " التي يرباط

(82) ابن حوقل ، ص 454 - 455 .

(83) نفس المصدر ، ص 454 .

(84) المقدسي ، ص 493، 372 ; 518 . C. Chebbi, *op. cit.*

(85) المقدسي ، ص 334 ; 51 . A. Miquel, *op. cit.*, IV,

(86) المقدسي ص 291 ، 333 . A. Miquel, *op. cit.*، IV p. 133 ; Montgomery Watt, art "Iskander", *E.I*

(59) . ان العرب يعرفون جيّدًا إسكندر (منذ الجاهلية) وتوكّد سورة الأنبياء أنّ ملك مقدونيا كان يعتبر لدى المسلمين

نبيّا ومسلما، cit, IV, p. 51

(87) المقدسي ، ص 292 .

(88) C. E. Bosworth, art. "Karàmiya", *E.I*, V, p.

(89) ابن خرداذبة ، ص 253 ، 255 .

بها أهل دمشق وسائر جندها، وينفرون إليهم عند إستنفارهم"⁹⁰، ويتغافل عن أهم وأقدم "رباطات" الشام ومصر: عسقلان وطرسوس والمصيصة والاسكندرية، وهي "ثغور" وضعت في فضلها الأحاديث⁹¹. وأكد المقدسي على تعدد الرباطات على سواحل دمياط الصعبة⁹². وذكر أن لها مواسم تجارية يتوافد خلالها المرابطون بكثرة على "الحصون"⁹³. وعدد ابن زولاق (ت. 387 هـ/ 977) رباطات وثغور مصر فذكر "من ذلك رباط البرلس، ورباط رشيد، ورباط الإسكندرية، ورباط ذات الحمّام، ورباط البحيرة، ورباط أخنا، ورباط دمياط، ورباط شطا، ورباط الفرما، ورباط الورداء، ورباط العريش، ورباط بئر أبي إسحاق وما يضاف الى هذه الثغور. ورباط الحرس من جهة الحبش والبجة وما يقرب منهم، ورباط أسوان على النوبة، ورباط الواحات على البربر والسودان"⁹⁴. على أن المؤرخ المصري خلط بين الرباط والحصن العادي، وهو ما تؤكد الأخبار التي ساقها لنا تقي الدين المقرئ حول تداخل مؤسسة الرباط والمنشآت الخاصة بالصوفية. وذكر المالكي أن الإفريقي أبو عيسى مروان بن عبد الرحمان اليحصبي كان يرباط بالاسكندرية⁹⁵. وكانت "المتطوعة" تحرس - حسب البكري - في مسجد يوجد في أعلى المنار⁹⁶. ومن رباطات مصر أيضا جبل المقطم الذي كان - مثل المنستير - مدفنا للصالحين⁹⁷. كما كان جبلا للكام والأكواخ في الشام مراكز هامة للمرابطة⁹⁸. وكان أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك الإفريقي "كثير السباحة والتعرف على الأوطان. وسكن (ق. 9م) جبل اللكام وصحب الأبدال". وكان يتردد عليه ابن وطنه أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري الذي "غزا به عدة غزوات"⁹⁹. وذكر المالكي أيضا أن بشر بن عمرو المرابط بالمنستير (ق. 9م) كان يتردد على

(90) ابن حوقل، ص 504

(91) المالكي I، ص 486، 500.

(92) وهو ما يجعل الهجمات البحرية الموجهة ضدها نادرة.

(93) المقدسي، ص 203.

(94) ابن زولاق، كتاب ذكر مصر وأخبارها، مخط. مكتبة أيا صوفيا، استنبول، رقم 3081، وورقة 8 أ. (ابراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص 10).

(95) المالكي، I، ص 195.

(96) البكري، II، ص 634.

(97) يفد عليه الأفارقة وأهل الأندلس. المالكي I، ص 178، 189، 191، II، ص 415 "عبد الله بن فرّوج دفن بسفح المقطم سنة 175 هـ".

(98) ياقوت، I، ص 318، V، 320-321-336.

(99) المالكي، I، ص 198، II، ص 414.

طرسوس التي "لقي بها جماعة من الصّالحين" ¹⁰⁰ و"ركب يزيد بن محمد الجمحي (ق. 9م) من إفريقية يريد غزو المصيصة فخرج عليهم عدوّ صقلية فاستشهد" ¹⁰¹.

ذكر المقدسي أنّ أغلب المدن الساحلية في فلسطين (الرّملة، عسقلان ¹⁰²، أزدود، حيفا، ميماس، أرسوف. ييني) كانت - على غرار سوسة وصفاقس والمنستير في إفريقية - مراكز مرابطة. وتوجد ضمنها بعض المدن البعيدة عن البحر كغزة ¹⁰³. وكانت هذه المدن - الرّباطات، خاصّة عسقلان، كثيرة الحصون والمحارس؛ وهي بدورها رباطات ثانوية ¹⁰⁴. وإلى جانب الانذار بوصول عمائر الرّوم كانت لهذه الرّباطات مهمّة فداء أسرى المسلمين. و"كانت تطلع إليها شلنديّات الرّوم وشوانيهم ومعهم أسارى المسلمين، وفي كلّ رباط قوم يعرفون لسانهم. . . ويضجّ بالنفير لما تترأى مراكبهم فإن كان اللّيل أوقدت منارة ذلك الرّباط، وإذا كان نهارا دخّنوا. ومن كلّ رباط إلى القصبة [المدينة] عدّة منائر. . . فيخرج النّاس بالسلاح والقوّة ويجتمع أحداث الرّسائيق ثم يكون الفداء" ¹⁰⁵.

الرّباط والخان في المشرق الاسلامي

كانت العديد من خانات فارس تسمّى أيضا رباطا (مثل الرّباط الشريف في مشهد) ¹⁰⁶ (ش. 76). كما كانت الكثير من رباطات بلاد ما بين النهرين منازل للمسافرين. والخان كلمة فارسيّة تطلق عادة عليّ بناية، مخصّصة لبيع البضائع وخزنها، وإيواء المسافرين ودوّابهم، توجد في المدن وعلى الطرق الدّاخلية والبحريّة. ومن الناحية النظرية لا يجب أن تتعدّى المسافة بينها ثلاثون كلم (مرحلة). ويعتبر هرزفلد Herzfeld

(100) نفس المصدر، I، ص. 419 "وكان بها رجل من خرسان يلبس الصوف"، أنظر أيضا: C.E. Bosworth, "The city of Tarsus and the arab.-byzantine frontiers", in *Oriens* XXXIII, Leyde 1992, p. 280 - 290 وتتصل بها قلعة أرواد المحصّنة.

(101) المالكي، I، ص. 279. أنظر أيضا: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص. 250.

(102) نفس المصدر، I، ص. 500.

(103) المقدسي، ص. 174، 177؛ A. Miquel, IV, p. 55.

(104) المقدسي، ص. 174.

(105) لمقدسي، ص. 177؛ C. Chebbi *op. cit*, p. 519؛ A. Miquel, *op. cit*, II, p. 471. وحول عمليات الفداء بصفة عامّة: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص. 189 - 196.

(106) A. Papadopoulo, *L'islam et l'art islamique*, Paris 1976, p. 518؛ B. O'Kane, "Ribat - i - Sha-rif", *E.I.*, VIII, P. 526.

أن الخان الاسلامي وريث الأفهانا Avahana الأخمينية، وقد أخذها عنهم البيزنطيون الذين كانوا حلقة التواصل مع عالم الاسلام¹⁰⁷.

ويشكل الخان عادة بناية مربعة متركبة من طابق أرضي وآخر علوي، يتمحوران حول باحة سماوية تحفّ بها المخازن والمكاتب وغرف النوم. وتدعم سورها الخارجي ومدخلها الوحيد أبراج دفاعية، كما يوجد بها مسجد وإسطبلات، وفي بعض الأحيان برج مراقبة (منار). وتشبه عمارة "رباط سوسة" إلى حدّ كبير هندسة خانات عطشان (في الكوفة : 775م) والعقبة (1213م).¹⁰⁸ أمّا الرباط الشريف (مشهد) فهو يقع على طريق القوافل : نيسابور - سرخس. ويتمحور المعلم - الذي شيّد سنة 540 هـ / 1154م - حول ساحتين مزودتين بأربع إيوانات ومسجد¹⁰⁹، وقد اعتمد هذا التخطيط في العديد من خانات الأناضول مثل سلطان خان (1232م) الواقع على طريق سيفاس - قيصريّة. ويتميّز هذا المعلم السلجوقي بضخامة بوابته وأسواره الصلبة وأبراجه التي تدعم جدرانها (ش. 76)¹¹⁰.

الرباط والخانقاهات الكرامية

تمتاز مناطق الرباط في بلاد ماوراء النهر - مثل بخارى - بتعدد خانقاهاتها¹¹¹. كما أن أسطورة تاريخ الرباط والطابع "التناسخي" للفكر الاسلامي عامّة¹¹² يؤكّدان القواسم المشتركة التي وجدت بصفة مبكّرة بين هذه المؤسسة وفرقة الكرامية التي أسبغ التصوف المتأخّر على أعلامها طابعا ميثولوجيا. ومما يزيد الأمر تعقيدا أن أغلب ما نعرفه عن تاريخها - وتاريخ الفرق الاسلامية بصفة عامّة - وصلنا عن طريق مؤلفات أصحاب

(107) N. Elissef, art. "Khan", E.I, V, p ; 1043 - 49. نجد في بعض الاحيان في بغداد وإفريقية مصطلح دار، وتارة منزل، والمنزلة مرحلة في التكوين الصوفي وكذلك موضع النزول بعد مرحلة (6 - 8 فراسخ)، قرب مدينة أوخان محصّن. وتوافق Mansio اللاتينية : انظر N. Elissef, art. "Manzil", E.I, VI? p. 440-441

(108) K.A.. C. Creswell, *Early muslim architecture*, II, p. 91, G. Marçais, *Architecture*, p. 35 ; N (108) Elissef, "Khan", E.I, p. 1043.

(109) A Papadopoulo, *op. cit*, p. 518 ; B. O'Kane, "Ribat -i - Sharif", p. 1043 ; ID, *Timurid architecture in Khorrasan*, Malibu, 1987, p. 287 - 97, fig. 41.

Esin Atil, *Turkish art*, New York 1980, p. 70 (110)

A. Papadopoulo, *op. cit*, p. 522 (111)

(112) انظر : محمد عابد الجابري ، تكوين ، ص . 45 .

المقالات الأشعرية (الأشعري، البغدادي، الشهرستاني)¹¹³ والمعتزلية¹¹⁴ والظاهرية¹¹⁵. وهي مصنّفات منحازة ومتأخرة من جهة، ومتأثرة بإيديولوجية الجهاد من جهة أخرى. كما أنّهم كانوا يفتقرون - كما أشار إلى ذلك الشهرستاني¹¹⁶ - إلى منهج واضح، ممّا جعل تصنيفهم للفرق يتّسم بكثير من الاضطراب. وممّا لا شكّ فيه أنّ إعادة قراءة تاريخ الكرامية قراءة نقدية والإمام الشّامل به (لأنّه لم يدرس بعد) سيمكّننا حتما من إزاحة اللّثام عن الغموض الذي مازال يحيط بالربّاط والمرابطة في صدر الإسلام.

إنّ الشائع لدى أصحاب المقالات (خاصّة الأشعري) أنّ الكرامية تفرّعت عن المرجئة¹¹⁷، وهي من أقدم التيارات العقائدية في الإسلام. وكانت تقول بتأخير العمل عن الإيمان وفصله عنه، وبأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة، فالإيمان هو الاقرار والتصديق باللسان دون القلب. ومن أبرز أعلامها في العصر الأموي ثابت قطنة وجهم بن صفوان (ت. 128 هـ / 740 م) الذي تنسب إليه فرقة الجهمية¹¹⁸. وقد قادت المرجئة في العصر الأموي عدّة ثورات في بلاد ما وراء النهر (سمرقند، بلخ، بخارى...)، أي المنطقة التي كانت تعدّ حسب ابن حوقل والمقدسي آلاف الربّاطات. وقد اندلعت هذه الثورات بسبب الشروط المجحفة التي وضعها بنو أمية أمام الأتراك الرّاغبين في اعتناق الإسلام (حسن الإسلام، الإختتان، إقامة فرائض الدّين، قراءة سورة قرآنية). ورغم الغموض الذي مازال يحيط بهذه الأحداث فإنّه يمكن أن نقول بأنّ المرجئة ارتبطت باكرا بالوافدين الجدد على الإسلام ولعبت في أطراف الامبراطورية الأموية دورا تبشيريّا¹¹⁹. كما أنّ حالة الغليان التي كانت تعيشها هذه المنطقة كانت شبيهة إلى حدّ كبير بالوضع الذي كانت تعيشه إفريقية - البلد الثاني للربّاطات - حيث كان الخوارج يشعلون نار "الفتنة" باسم المساواة بين العرب

(113) الأشعري، مقالات الاسلاميين، اسطنبول 1929؛ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، بيروت 1973؛ الشهرستاني، الملل والنحل، القاهرة 1331 هـ.

(114) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)، تونس 1972.

(115) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة 1331 هـ.

(116) الشهرستاني، I، ص. 9 - 13. انظر أيضا: محمد عمارة، "الفرق الاسلامية"، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية II، 1986، II، ص. 544.

(117) حول المرجئة أنظر: جمال الدين القاسمي، تاريخ الجهمية والمعتزلة، القاهرة 1331 هـ؛ محمد عمارة، "الفرق الاسلامية"، ص. 399 - 400. art. Murdjia, E.I.

(118) Djahm Ibn Sfwan, E.I.

(119) محمد عمارة، "ثورات المرجئة"، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية II، ص. 201 - 207.

والبربر الذين قاموا بنشر الاسلام في أوساطهم¹²⁰. وقد تفرّعت عن تيار الارحاء عدّة فرق مثل الجهميّة (التي ورثت عنها المعتزلة القول بخلق القرآن والطابع "التبشيري")¹²¹، وخاصّة الكراميّة التي تنسب إلى محمد بن كرام السّجستاني¹²². وقد لعبت دورا أساسيا في أسلمة شعوب خراسان وبلاد ماوراء النهر في القرن الثالث للهجرة (9م)، أي الفترة التي تطوّرت فيها المراقبة. كما لعبت نفس الدور الذي لعبه المراقبة في المغرب بتمهيدهم الطريق أمام التصوّف الكلاسيكي. ولم تفقد الكراميّة إشعاعها في هذه المنطقة إلا بعد الغزو المغولي.

ولد أبو عبد الله محمد بن كرام السّجستاني في منطقة سيستان وتتلّمذ في خراسان على النّاسك أحمد بن حرب النّيسابوري (ت. 234 هـ / 849 م)، صاحب "كتاب الدّعاء"، وإبراهيم المكياني (بيلخ). وتمثّل حياة ابن كرام، الذي يلقّب "بالعابد"، نموذجا لما سوف تكون عليه حياة المراقبة فيما بعد. فبعد أن قضى خمس سنوات بمكة كمجاور، باع كلّ أملاكه "حبّا للفقير"، و"لبس زيّ النّسّاك" وانقطع للعبادة، ثم ارتحل "بعد أن أطلق محمد بن طاهر سراحه من السجن (بسبب نشاطه)" إلى القدس حيث توفي سنة 251 هـ / 865 م. ويوجد - حسب ياقوت - متعبّد خاصّ قرب قبره بباب أريحا¹²³. وقد شرح مبادئ فرقته في كتابه "عذاب القبر" (مفقود) الذي أورد أجزاء هامّة منه عبد القاهر البغدادي (الفرق بين الفرق) وابن حزم الاندلسي (الفصل في الملل والنحل). ومثل كلّ تيارات الارحاء تقرّ الكراميّة مبدأ الفصل بين الإيمان والعمل، وهي أيضا مشبّهة مجسّمة، ويصلها المقدسي - خطأ - بأبي حنيفة الذي عدّه بعض أصحاب المقالات مرجئا. علي أنّها وقفت موقفا وسطا بين المعتزلة وأهل الحديث الذين - خاصّة الحنابلة والظاهرية - ناصبوها العداء. وتقول الكراميّة - مثل المسيحيّة - بأنّ الله جوهر، ويبدو أنّها أوّل من تحدّث عن الملائكة نكير ومنكر. كما أمتازت بالدّعوة إلى النّسك والتواكل والتقشّف¹²⁴. ويستعمل المقدسي مصطلح خانقائي للتدليل على اتباع الكراميّة (في حين أنّه يسمّي الصّوفية بأسمها) ويربطهم

(120) محمد الطالبي، دراسات في تاريخ إفريقيّة، (المقالات الخاصة بالخوارج وبروغواطة)

(121) محمد عمارة، الفرق الإسلاميّة، ص. 316.

(122) حول الكراميّة أنظر: محمد عمارة. نفس المرجع، ص. 270. C. E. Bosworth art. "Karāmiya", I, V, p. 393.

(123) ياقوت II، ص. 393؛ C.E. Bosworth, op.cit p. 280 - 290.

(124) المقدسي، ص. 365؛ المقرئزي، خطط، II، ص. 357؛ C. E. Bosworth, op. cit, p. 280-290.

بالمساجد والرباطات الرّيفيّة. ويذكر ابن جبّير أن الرباط يسمّى خانقاه في سورية¹²⁵. ويأتي هذا الخلط من تشابه المؤسستين، ويبدو أن افراد الكرامية اعتكفوا في الأول في الرباطات قبل تأسيس خانقاتهم الخاصّة، وهو ما يفسّر "أسطورة" إحداه أول خانقاه في الرّملة (في بداية القرن الثاني للهجرة (8م) أي أكثر منطقة تكثر بها الرباطات في الشام¹²⁶. ويذكر الجوزداني، صاحب "كتاب الحدود" (ألف حوالي 372 هـ / 982م) أن "المانيين لهم خانقاه في سمرقند"، التي أصبحت حسب ابن النديم مركزا للمانوية بعد انتقالها من العراق. وكانت هذه المنشآت مراكز عبادة وأدلجة وتبشير¹²⁷. وقد ورثت عنها الكرامية توجّهها النسكي و"رهبنيتها" وكذلك الخانقاه. ولا ندري هل أن انتشار الكرامية في نفس المناطق التي كانت المانوية شائعة فيها يعبر عن تواصل أم مجرد صدفة. فقد انتشرت الخانقاهات الكراميّة (منذ القرن 9م وخاصّة 10م) في خراسان وبلاد ما وراء النهر (جرجان - طبرستان) وإيران والشام، وكان لها حيّ خاصّ بها في الفسطاط. وكانت تعقد فيها حلقات الذكر، كما كانت أيضا مراكز لنشر الاسلام¹²⁸. ويذكر المقدسي بأن الكراميّة لم يكن لها أتباع في المغرب، وهو أمر غريب نظرا لمتانة الروابط الثقافية بين هذه المقاطعة (التي تطوّرت فيها المانويّة قبل الاسلام) ومصر¹²⁹. ولكن يبدو أيضا أن هذا الغياب لم يكن إلا ظاهريّا، فالفقهويّة (Juridisme) المالكية الضيقة لم تمنع أفكار ابن كرام من التطوّر داخل رباطات إفريقيّة.

وقد تصدّعت الكراميّة منذ القرن التاسع الميلادي إلى عدّة فرق، العابدية الطرائفيّة، النونيّة، الزرييّة، الحيسميّة، الحسينيّة، وخاصّة الإسحاقية التي أسّسها في القرن العاشر أبو إسحاق إبراهيم بن محشّد الكزروني (ت. 462 هـ / 1033م)¹³⁰. وقد

(125) ابن جبّير، رحلة، ص. 256.

(126) الانصاري، طبقات الصوفية، ص. 164؛ المقدسي، ص. 164؛ C. Chebbi, art. *Khankah*, E.I., 164. V, 1075 - 1059

(127) C. Chebbi, *Khankah*, p. 1058 - 1059. وحول انتشار المانويّة في العالم الاسلامي، محمد عابد الجابري، تكوين، ص. 149 - 150.

(128) المقدسي، ص. 179، 182، 202، 232، C. E. Bosworth, *op. cit*, p. 280 - 290.

(129) كان ايبيفانيوس *Epihanus* يشكو في القرن الرابع بعد الميلاد من أنّه كان لا يزال بمصر عدد كبير من الغنوصيين (العرفانيين الهرمسيين) الذين لا ضابط لأخلاقهم والذين تسرّبت الكثير من آرائهم الى جماعات الصوفية. "كما ينقل الكندي أنه في عام 200" ظهر بالاسكندرية طائفة يسمّون الصوفية". محمد عابد الجابري، تكوين، ص. 202.

(130) محمد عمارة، الفرق الاسلامية، ص. 258. H. algar, art. "Abù Ishaq al-Kazrūnī", E.I., IV.

لعبت بدورها - مثل كل فرق الكرامية - دورا هاما في الدعوة الى الاسلام. وينسب لأبي إسحاق اعتناق 24000 يهودي ومزدكي للديانة الجديدة. كما يرجع إليه الفضل في تنظيم حركة "الغزاة" (المرابطون) على الحدود البيزنطية، ولهذا كان يلقب "بالشيخ الغازي"¹³¹. وقد لعبت الخانقاهات التي أسسها أتباع هذه الفرقة (66 خانقاه) في فارس دورا اجتماعيا لأنها كانت تأوي المسافرين وتقدم المعونة للفقراء. وقد انتشرت هذه المؤسسات فيما بعد في الهند والصين والأناضول، كما أصبح الكزروني حاميا للمسافرين والبحارة الذين يقدمون هبات للخانقاه التي أسسها في كرازان (إيران) ويحملون قبل ركوب البحر حبات من تراب ضريحه "لتهدئة العواصف".

الرباط والخانقاه الصوفية

كنا أشرنا سابقا إلى حديث المقدسي عن "مجاورون" يرابطون برباط قرب نهر أموداريا، وأكدنا أن الأمر يتعلق على ما يبدو بمجموعة من دعاة الكرامية. وقد واصلت الصوفية هذا الدور التبشيري (السلمي)، مما يفسر الالتباس الذي وقع فيه كثير من المؤرخين حين نسبوا بداية هذه الحركة للمتصوفة، نظرا للتشابه الكبير بينهما من الناحية العقدية والتنظيمية¹³². على أن المقدسي جعل الخانقائي مرادفا للكرامي، ولا يربط قط بين هذه المنشآت (التي برزت في بلاد ما وراء النهر في القرن التاسع الميلادي) والصوفية¹³³. كما أن الخانقاه الصوفية لم تبرز إلا في منتصف القرن الرابع للهجرة (10م)، وهي الفترة التي ظهر فيها أيضا التصوف "المنظم". وسوف يتطور بصفة ملحوظة في العصر السلجوقي (ق. 5 هـ / 11م) بعد سقوط النظام البويهى الشيعي - المعتزلي، وكان ذلك تحت تأثير إمام الحرمين الجويني وتلميذه الغزالي. وقد ساهمت الأشعرية في تعميم هذا التصوف الجديد في المغرب، وهو ما يفسر أدبيات مرابطي إفريقية حول التجسيم ورؤية الله، وكذلك كتابات ابن أبي زيد في هذا المجال.

(131) حول تراث الاسحاقية انظر : L. Massignon, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Paris 1954, p. 267.

(132) المقدسي، ص. 179، 182، 414 - 415، 431؛ "Kana-kah"، E.I, V, p. 1087.

(133) C. Chebbi, "Remarques sur le développement historique des mouvements ascétiques et mystiques au Khuràsan", in *S.I.*, 1977, p. 50-70 ; ID, art. "Kanakah", E.I, V, p 1087-1088.

ويبدو أن الخانقاهات الكرامية كانت منشآت و "مساجد" غير حضرية، في حين كانت الخانقاه الصوفية حضرية. لكن هذا لا يمنعنا من اعتبار الكرامية همزة وصل بين المراقبة التقليدية والمراقبة الصوفية. وقد كانت الخانقاهات (والرباطات أيضا) الصوفية الإيرانية (مثل خانقاه طوس التي أسسها الغزالي) إطارا للعبادة والاعتكاف و "الهروب من حياة الدنيا" وليس لها أية علاقة بالحرب ومهنة الأسلحة¹³⁴. وينسب نظامها عادة إلى الصوفي أبي سعيد (ت. 440 هـ / 1048) الذي جعل لها قانونا يتضمن عشر قواعد (مثل شروط الرباط)¹³⁵، منها قانون التدرج في "التصوف" الذي يذكرنا بتدرج الغدامسي في رباط المنستير. وقد أنتشرت هذه المؤسسات منذ القرن الحادي عشر الميلادي في المناطق الغزنوية، وكذلك في الهند الإسلامية منذ القرن الثالث عشر، بعد هجرة النخب الإيرانية إثر الغزو المغولي¹³⁶. كما عمل السلاجقة والحكومات المتفرعة عنهم (الزنكيون، الأيوبيون) على نشرها في الشام ومصر والآناسول. ومع مجيء القرن الثالث عشر ستقترن الطرق الصوفية بجلّ مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وهو تطور مهّد له المراقبة التقليدية، بشكلها "الرباطي" والكرامي على حدّ السواء. وهو ما يفسّر الجسور التي مدّها مؤلفوا طبقات الصوفية المتأخرين بينهم وبين نساك الرباطات، في إطار حركة التشريع للماضي الذي عرفها الفكر الإسلامي السني - الأشعري. كما يفسّر أيضا تسمية "المرباط" (ومنها *marabout*) التي كان ينعت بها المريد في العصر الحديث، وكذلك "مراقبة" إسلام إفريقيا السوداء الذي انتشر هو أيضا بالطرق السلمية.

وكانت الخانقاهات تسمى أيضا رباطا في المناطق الإيرانية، وخاصة بغداد التي برزت فيها أقدم الرباطات الحضرية الصوفية¹³⁷. وفي مصر والشام كان نفس المعلم يسمى أيضا في آن واحد رباطا وخنقاه، ونادرا زاوية (أي المصطلح الذي كان شائعا في

134) وفي هذه المنطقة ظهرت أيضا أول المدارس السنية (نيسابور) التي أسست لتدريس الفقه، وكرّة فعل ضد بيت الحكمة المعتزلية - الشيعية. وقد كان النموذج أيضا بوذيا (الفيهره *Vihara*). كما كانت هذه المنشآت في بعض الأحيان مراكزا للحلقات الصوفية. انظر : Bulliet, *The patricians of Nishapur*, Cambridge 1922, p.24 ; C. Chebbi, "Ribat" p. 520.

135) M. Agha, *Les etapes mystiques du Shaysh abù Saïd*, Paris 1974, p. 36, 324

136) K. A. Nizami, "Some aspects of Khanaqah life in medieval Indina, S. I, VII, 1957, p. 51 - 59 ; C. Chebbi, "Ribat", p. 521.

137) C. Chebbi, "La fonction du ribat de Baghdad du Vème. S au début du VIIème. S", R.E.I, (137 XLII, 1, 1974.

المغرب). وكانت هذه المعالم - التي يوجد بها في بعض الأحيان ضريح المؤسس¹³⁸ - مختلفة جداً من الناحية المعمارية، على أنها كانت -مثل الرباط- تشمل على قاعة صلاة ومحلات لايواء المريدين والمسافرين. ويذكر المقرئزي (ت. 845 هـ / 1442م) أن القاهرة كانت تعدّ في عصره 23 خانقاه، 12 رباط و26 زاوية¹³⁹. وكان بدمشق في القرن السادس عشر الميلادي 29 خانقاه، 26 زاوية و21 رباطاً¹⁴⁰. ويؤكد هذا التواصل المغربي ابن بطوطة (ت. 779 هـ / 1377م)، فهو يستعمل كلمة زاوية (المغربية) لنعت كلّ هذه المنشآت، بما في ذلك "خانات" المسافرين ومقرّات منظمات الأخيس (المرتبطة بالفتوة)¹⁴¹ في الاناضول (في حين أنّ التسمية التقليدية في هذه المنطقة هي التكية). على أنّه لجأ إلى مصطلح "رابطة" بالنسبة لمسجد مقدّس (مزار) ينسب للنبيّين الخضر وإلياس، في منطقة صنوب¹⁴². وقد سبق أن أشرنا أنّ ابن جبير الأندلسي (ق. 12م) ذكر أنّ "الرباطات تسمّى خانقاهات في سورية"¹⁴³. وقد أكّد المقدسي قبله أنّ متصوّفة السّوس الإيراني كانوا يعقدون مجلسهم في المسجد الجامع، ويرابطون بحصون عبادان البحرية¹⁴⁴. وهي مرابطة بمعنى المجاورة، والجهاد هنا هو "المجاهدة الصّوفيّة" (الجهاد الأكبر - مجاهدة النفس)، وقد اكّد ذلك الصّوفي الكبير السّهروردي (قتله الآيوبيون سنة 622 هـ / 1239م)، صاحب نظريّة الفيض (شيخ الاشراق)، في الفصول التي خصّصها "لشروط الرباط"، وهي نفسها "شروط الخانقاه" التي سبق أن عدّها أبو سعيد الصّوفي¹⁴⁵.

(138) كان يوجد في بعض الأحيان بالخانقاه مقبرة يحجّ لها.

(139) المقرئزي، الخطط والمواعظ، بولاق 1850، II، ص. 414 - 436.

(140) عبد القادر النعمي، تنبيه الطالب وإرشاد الدّارس، القاهرة 1948، ص. 50.

(141) Cl. Cahen, *Pré-ottoman Turkey*, Londres 1968, p. 196-200, C. Chebbi, "Ribat", p. 522.

انظر أيضاً دائرة المعارف الاسلاميّة (المقالات: *Futuwwa, Abadan*).

(142) ابن بطوطة، ص. 319، 326.

(143) ابن جبير، ص. 256، 330.

(144) المقدسي، ص. 415. وقد أسّست عبادان على ضفاف شط العرب في القرن VIII - IXم على يد النّاسك

عباد بن الحسين لتكون مركز مرابطة، وهي تسمية تذكّرنا بالعباد الجزائرية. كما كان هذا الحصن - تماماً مثل حصن لمطة - متاخماً لملاحة يمتار منها أهل البصرة وواسط. انظر: ديوان أبي العتاهية، ص. 218 L. Massi-

gnon, Essai, P. 135; L. Lockhart, art. *Abadan*, *E.I.*, I, p. 5.

(145) الفصول 13 - 18 "شروط الرباط" من "كتاب عوارف المعارف". انظر: C. Chebbi, "Ribat", p.

رباطات الغرب الاسلامي

رباطات صقلية

تعتبر صقلية، مع بلاد ما وراء النهر وسورية وإفريقية، من أهم مناطق المراقبة في العالم الاسلامي. على أنه خلافا لقدامة بن جعفر الذي تحدث بصفة عامة عن تعدد الثغور، فإن المقدسي اعتبر سواحل الجزيرة "ثغورا جليلة ورباطات فاضلة" ¹⁴⁶. ويبدو أن هذه المنشآت كانت أداة لتوطين جزء من قدماء المحاربين، فقد ذكر الداودي ضمن رباطات صقلية "قلعة بينها وبين البحر ثلاثة أميال كانت خرابا في فتح البلد وعمرت بالمسلمين"، فأجبرتهم السلطة الأغلبية على قطع الخشب لصالح دور الصناعة (الذي اعتبر جهادا) مقابل تمتعهم بالأراضي التي وقع إحيائها ¹⁴⁷. فهذه المراقبة - رغم إتصالها بالحرب - ليس لها أيضا علاقة بالجهاد الكلاسيكي. أما ابن حوقل فقد ذكر أن بصقلية "رباطات كثيرة على ساحل البحر مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق متمردين شيوخ وأحداث أغاث رثاث قد عملوا السجادات منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات نقم منزلة وبلايا شاملة وحتوف مصبوبة منصوبة وأكثرهم يقودون ومنهم من لا يرى ذلك لشدة الرياء والسمعة. وأكثرهم بالزور تطوعا يشهدون مع جهل، لا يفرق فيه بين فرض الوضوء وسنته، ويقصدهم من أعوزه المكان لبطالته والموضع لعيارته فيؤوونه، وربما شاركوه بتافه من المأكول على أحوال يقبح ذكرها، وليس هذا الكتاب مما يذكر فيه مثلها. وأحسب أن تأسيسها كان على غير التقوى حسب ما أسست عليه المساجد المتقدم ذكرها، فهارت وباد أهلها بما جنوه من الفتن والعصيان وشق عصا السلطان والله أعلم" ¹⁴⁸. والمساجد "المتقدم ذكرها" هي بدون شك الرباطات التي وصفها ابن حوقل في المشرق، مما يؤكد مرة أخرى دورها الديني، ولكن يبدو أن حصون صقلية فقدت حتى هذا الدور، وتحول مرابطوها - مثل غزاة بلاد ما وراء النهر - الى قطاع طرق ومتمردين.

(146) ابن خرداذبة ص. 265-266؛ المقدسي ص. 215-219. C. Chebbi, "Ribat", p. 215-219. Etudes d'orientalis- (147) الداودي، كتاب الأموال، نشر ح. حسني عبد الوهاب وفرحات الدشراوي ضمن : me dédiées à Levi-Provençal, Paris 1962, II, p. 416

(148) ابن حوقل، ص. 73 انظر أيضا : C. Chebbi, "Ribat", p. 519 ; A. Miquel, op.cit, IV, p. 55

رباطات الأندلس

أكّد المقدسي أنّ أهل الأندلس كانوا - مثل أهل المغرب - في حالة جهاد دائم، لكن ابن حوقل لا يذكر أيّ رباط في المنطقة التي توجد فيها الثغور الثلاثة الواقعة على تخوم الممالك النصرانية. كما أكّد أن الجيوش "المرابطة" بثغر الجلالقة *Galice* ليس لهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسيّة وقوانينها وإن شجعت أنفسهم ومرتوا بالقتال فإنّ أكثر حروبهم تتصرّف على الكيد والحيلة ومارأت ورأي غيري بها إنسان قطّ جرى على فرس فاره أو برزون هجين ورجلاه في الركابين، ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن أحد منهم لخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب¹⁴⁹. ويبدو أن بعض المواقع التي مازالت تسمّى منستير كانت مراكز مرابطة مثل غردمار *Gardamar* شرق الأندلس التي تمتاز بعمران يشبه عمران منستير الساحل الإفريقي¹⁵⁰. ويرى جورج مرسية أنّا نجد ذكرى الرّباط في المواقع التي مازالت تسمّى: *Rapita, Ravita, Rabida, Monastrell, Almonaster*¹⁵¹. وفي الحقيقة ترتبط هذه التسميات -بأستثناء *Monastrell* - بالمرابطة، وهي مؤسّسة دينية¹⁵² لعبت نفس الدور الذي لعبته الخانقاه الكراميّة في بلاد ماوراء النهر، وليس لها علاقة مع الحرب، رغم وجودها على ضفاف البحر. ومن أشهر هذه المنشآت رابطة المرية (رأس فاطا *Gata*) ورابطة التوبة (في جبل طارق، في نفس الموضع الذي يوجد فيه اليوم دير الرّابطة *Rabita*)¹⁵³.

رباطات المغرب الأقصى

لقد أسبغ ابن حوقل - لأسباب نجهلها - وضعاً مثاليّاً على المغرب. لكن يبدو أن بعض رباطات المغرب الأقصى لعبت دوراً عسكرياً قبل العصر الموحدّي نتيجة لنشاط

(149) المقدسي، ص. 233؛ ابن حوقل، ص. 113؛ C. Chebbi, "Ribat"; p. 520

(150) M. De Epalza, "al-Munastir d'Ifriqiya et al-Munastir de Xarq al-Andalus", in *Actes du VIIeme colloque universitaire tuniso-espagnol, Cahiers du Ceres, Tunis 1980*, p. 100 sq.

(151) G. Marçais. "Notes sur les ribats", p. 30

(152) مازال الدّير يسمّى *ràbita*

(153) حول الرّابطة في الأندلس انظر: T. Balbas, "Rabitas hispanomusulmanas", in *al-Andalus*, XIII, 1948, p. 475-91; O. Asin, "Origin arabè de rebato, arrobadada y suo homonias", in *Boletin de la Real academia espanola*, XIV, 1928, p. 50; E. Levi-Provençal, art. "Rabita", E.I, VIII, p. 372; C. Vallameva, "Rabitas granadinos", in *Miscelanea de estudios arabes y hebraicas*, 1954, III, p. 79-86. على أن كلمة *rebato* عني أيضاً الغزوة، ممّا يدل على أن الأندلس حافظت بصفة متأخرة على المدلول القديم للرّباط (الحرب القبليّة).

نساك المالكية. لكنّها كانت خاصّة مراكز للدّعوة الاسلاميّة السّلمية، وهي حركة تبشيريّة دشتتها على ما يبدو فرقة المعتزلة منذ القرن الثاني للهجرة، ممّا جعل مذهب واصل بن عطاء يغلب على قبائل منطقة طنجة التي أعانت - خاصّة أوربة - الأدراسة علي الاستقرار في المغرب سنة 788 هـ/ 172م. وقد دفن مؤسس الدولة - إدريس الأول - برباط يوجد خارج فاس (ضريح مولاي إدريس الحالي)¹⁵⁴ بعد أن قتل، بأمر من هارون الرّشيد، سنة 175 هـ/ 791م. ويعود تأسيس أشهر رباطات المغرب - رباط سالة - على ما يبدو إلى هذه الفترة، وكان يحتل موقع قصر بني ترقا، على وادي أبي الرّقراق. وذكر ابن حوقل أنّ "عليه المدينة الأزليّة المعروفة بسلة القديمة وقد خربت، والنّاس يسكنون ويرابطون برباطات تحفّ بها. وربّما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة قبيل من قبائل البربر علي المحيط متّصلين بهذه الجهة التي سقت عمارة بلد الاسلام إليها يغزون ويسبون".¹⁵⁵ كما أسّس المرابطون بهذا الموضع رباطا في القرن الخامس للهجرة (11م) موجهها علي ما يبدو ضدّ "كفرة" الشّاوية، ويبدو أنّ هذا الرّباط هو نفسه مدينة سالة الحاليّة، ذلك أنّ جزء من سورها مشيّد بالغشيم (الطّراز المرابطي)¹⁵⁶. وبعد نهاية الحرب مع برغواطة (545 هـ/ 1150م) تحوّل الرّباط الأوّل إلى حصن (رباط الفتح - مدينة الرّباط الحاليّة) إستعمله عبد المؤمن بن علي لحشد الجنود المعدّة لحروبه في الأندلس¹⁵⁷.

كما لعبت "دار المرابطين" في السوس أيضا دورا حربيّا ودعائيّا¹⁵⁸، ويبدو أنّ دعوة المرابطين التي انطلقت من رباط آخر بقع علي ضفاف نهر السينغال تأثّرت بهذه الحركة¹⁵⁹. وقد انطلق الموحدون من رباط تازة (ق. VI هـ/ XIIم) لطرده المرابطين من

E. Eustache, art. "Idris 1er", E. I, IV, p. 1057 (154)

(155) ابن حوقل، ص. 81-82. وكانت مواطن اتباع برغواطة (من البربر المصامدة) في سهول تامسنا وريف الأطلسي، من سالة وأزمور وأنفا (الدار البيضاء) وأسفي. وقد قضى الموحدون في القرن السادس للهجرة على هذه الديانة التي أسّسها طريف بن صالح، والتي كانت خاصّة ردّة فعل على سياسة العرب "العنصريّة" تجاه البربر. حول برغواطة انظر خاصّة: أ. بل، الفرق الاسلاميّة في الشمال

الإفريقي، بيروت 1989، ص. 173. M. Talbi, *Etudes, passim* ؛

(156) E. Levi-Provençal, art. "Ribat al-Fath", E.I, VIII, p. 524 ; H. Terrasse, *L'art hispanomau- resque*, p. 292 ; G. Marçais, *Architecture*, p. 221, C. Chebbi, "Ribat", p. 520

G. Marçais, *Architecture*, p. 221 (157)

(158) مقدّش، I، ص. 126 "انقال في المغرب قرية يقال لها دار المرابطين".

H. T. Norris, art. "Muràbitun", E.I., V (159)

الحكم والحلول مكانهم. ومن رباطاتهم رباط تيت (أو طيط) الواقع على ضفاف الأطلسي، على بعد 12 كلم جنوب - غرب مزاغن. وهو مدينة محصنة (مولاي عبد الله الحالية) أسست بعد نهاية الحرب مع برغواطية، في مكان لا تصله الحملات المسيحية. وتقع قصبة الرباط قرب البحر، وقد استغلّ في بنائها طبوغرافية المكان كأحسن ما يكون. ويدعم جدارها البحري ستة أبراج (طولية ونصف دائرية) مشيدة بالحجارة الصغيرة، كما يوجد علي مقربة منه منار مثنى¹⁶⁰. ومن رباطات المغرب الموحدية حصون أرزلة وكوز ونكور. وقد أرتبط رباط الفتح في العهد المريني بمقبرة شالة التي احدثت على انقاض مدينة - Sala Colonia القديمة. وكانت هذه المدينة - المقبرة تدعى رباطا (ويسمّيها ابن أبي زرع زاوية)، وذكر ابن خلدون أن سلاطين فاس حبسوا عليها عدة أراضي كانت عائداً لها تصرف لصيانة معالمها ودفع جرايات القراء الذين يرابطون بها. ويحيط بهذا الرباط - المقبرة سور خاص (مشيد بواسطة الطابية) تدعمه أبراج طولية (عرضها 3 - 4م) ويتخلله باب متعرج يفضي إلى الداخل، حيث تقع الخلوة التي تذكّرنا برباط السيدة بالمنستير. ويحتوي هذا المركب المحاط بدوره بسور خاص على قبور أغلب أمراء بني مرين¹⁶¹، ومسجد يعلوه منار، وعدة غرف للقراء وسبيل وزاوية¹⁶². وفي العهد المريني تطوّرت في المغرب أيضا الرابات، وهي منشآت مخصصة للعباد وليس لها علاقة بالحرب¹⁶³.

H. Basset et Henri Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, p. 337-376 ; (160)

G. Marçais, *Architecture*, p. 222

(161) خاصة قبور عبد الحق (ت. 1308م)، أبي الحسن (ت. 1348م).

G. Marçais, *Architecture*, p. 282-83, 320. (162)

(163) انظر ما كتبه G.S. Colin في مقدمة الترجمة الفرنسية لمؤلف عبد الحق البادسي : "المقصد الشريف والمنزع اللطيف عن ذكر صلحاء الرّيف"، مجلة *Archives Berbères*، باريس 1926، ص. 240

الفصل الثاني

رباطات شمال إفريقية

رباطات تونس (ش. 1 ، 2)

برز دور مدينة تونس العسكري والسياسي¹ منذ بداية العهد الاسلامي، لما جهّزها حسان بن النعمان (أيام عبد الملك بن مروان) بدار صناعة تتصل بالبحر بواسطة قنال اصطناعي (قنال حلق الوادي أو فم الوادي)². وتذكر مصادر العصر الوسيط عدّة قصور محصّنة كانت تحمي الشريط الساحلي الممتدّ بين قصر الأمير (حلق الوادي)³ وقصر جبل المنار (سيدي بوسعيد) أهمّها: قصر قومش (قرب المواني البونية)، وقصر رباط أبي سليمان⁴، وفي الشمال كان يوجد قصر رباط فمرت⁵. ويبدو أنّ منارة قصر قرطاجنة التي ذكرها التيجاني كانت أيضا مرتبطة برباط بيرصة.

قصر رباط جبل المنار (سيدي بوسعيد) (ش. 4)⁶

يعود تأسيس هذا الحصن الذي كان يعلوه برج مراقبة (منار) الى الفترة الأغلبية⁷ في منطقة لعبت دورا عسكريا هاما منذ الفترة البونية

(1) حول تاريخ مدينة تونس ومعالمها العسكرية أنظر خاصة : R. Brunschvig. art. "Tunis", E.I. anc. edit., T.IV, 1931, pp. 81-88 ; A. Daoulati, *Tunis sous les Haf-sides*, Tunis 1976 ; G. Marçais, *Tunis et kairouan*, Paris 1937 ; A. Lezine. *Deux villes d'Ifriqiya, Sousse et Tunis*, Paris 1971 ; S. M. Zbiss. *Les monuments de Tunis*, Tunis 1971 ; N. Djelloul, *Les fortifications côtières ottomanes*, Zaghuan 1995, T.I, p. 105-156 ; ID, "Les fortifications de Tunis à l'époque attomane", in A.H.R.O.S. 7-8, 1994, pp. 163-204.

(2) وقد كان يحمي هذا القنال قصر محصّن يتوسّط جزيرة شكلي. وعلى أنقاض هذا القصر أقام الاتراك ثم الاسبان قلعة شكلي الحالية. انظر في هذا الصدد . عبد العزيز الدولاتي، "أضواء تاريخية على بحيرة تونس"، المجلة التاريخية المغربية، III، 1975، ص 30-36 ; N. Djelloul, *Histoire de Chekly*, Tunis 1941 ; M. Gandolphe, *op.cit*, I, p. 134-135.

(3) إلى جانب قصر الأمير كان مدخل هذا القنال - الميناء الذي احده حسان بن النعمان محميّا بواسطة سلسلة حديدية. البكري، ص 84؛ الادريسي، ص 131؛ هادي روجي إدريس، II، ص 38؛ Van Ghisthèle, p. 165 ; A. Adorne, p. 184 ; N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 130.

(4) وقد كان قصر رباط أبي سليمان مزودا بدوره بمنار، تماما مثل رباط بيرصة البكري، ص 43؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 150

(5) حول استحکامات هذه المدينة - الرباط (المحصّنة) التي خرّبها الاسبان سنة 1535 انظر خاصة : البكري، ص. 44؛ الادريسي، ص 124؛ الزركشي، ص 93؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 154

(6) حول تاريخ سيدي بوسعيد انظر خاصة :

L. Feuille et G. Lemonier, *Sidi Bou-Saïd, faubourg de Carthage*, Tunis 1936 ; A. Pellegrin, "Sidi Bou Saïd", in *Bulletin economique et social de Tunisie*, 107, 1955, pp. 123-146 S. M. Zbiss, *Sidi Bou Saïd*, Tunis 1971 ; N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 152.

(7) N. Djelloul, I, p. 152-153.

Megara⁸ . وقد أصبح هذا الرباط في العهد الحفصي من أهم المراكز التي يرتادها المتصوفة، مثل أبي سعيد الباجي (ت. 628 هـ / 1236 م) الذي أعطي إسمه لهذه المنطقة وسيد الظريف (ت. 787 هـ / 1385 م)⁹ . وقد كان هؤلاء النساك الذين يعقدون حلقاتهم على السفح الجنوبي للهضبة (كرسيّ الصلاح) يهتمون أيضا بمراقبة خليج قرطاج وبحشد المتطوعة لحماية السواحل ضد هجمات الأساطيل المسيحية. وقد لعبوا دورا رياديا أيام حملة القديس لويس التاسع¹⁰ . كما لعب الحصن (الذي أدخل عليه ابو العباس (1370 - 1394 م) وأبو فارس (1370 - 1390 م) عدة تحويلات، ممّا جعله يتسع لأكثر من ثلاثمائة مرابط)¹¹ دورا هامًا أيام الصراع العثماني الاسباني، ولكنه أندثر في القرن الموالي. أمّا الناظور الحالي، فهو مقام على أنقاض البرج الدفاعي الذي أحدثه في نفس الموقع علي باشا في منتصف القرن الثامن عشر¹²

قصر رباط رادس (ش. 1)¹² ب

تقع رادس (مكسولا Maxula الرومانية) على ضفاف نهر مليان، على بعد عشرة كيلومترات جنوب شرق مدينة تونس. وتدرّج المدينة العتيقة التي يعود تأسيسها الى الفترة النوميدية على سفح هضبة تشرف على البحر (منطقة الأمراح الحالية)¹³ ، ممّا جعلها تلعب بصفة مبكرة دورا عسكريا بارزا. وبما أنّ الفاتحين العرب اختاروا في أوّل أمرهم الاستقرار بتونس، بعيدا عن خليج قرطاج (المستهدف باستمرار لحملات البحرية البيزنطية)، فقد قاموا منذ القرن الأول للهجرة (VII م) بإحداث رباط برادس التي كانت تشكّل آنذاك المنفذ البحري الوحيد للمرفأ الجديد. ولتشجيع المرابطين على

(8) حول قصر مرسى ابن عبدون (المرسى) أنظر : البكري، ص 44 ؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 436 ؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 154.

L. Magnin, "Les exhortations d'al-Dhriff, soufi tunisien du VII/XIVe siècle", in I.B.L.A., 1950, (9 pp. 375-387.

(10) حول الدور الذي لعبه المتصوفة إبان هذه الحملة انظر : S.M. Zbiss, *op.cit*, p. 19

(11) S.M. Zbiss, *op.cit*, p. 20 ; N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 153

(12) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 154

(12) البكري، ص. 37-38 ؛ التيجاني، ص 5-6 ؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 44 ؛ N. Djelloul, *Les fortifications*, I, p. 156.

(13) عثر على تماثيل رومانية تمثل الالهة أبولون ومينارفة (متحف باردو) في أعلى الهضبة التي كان يوجد بها معبد الكابيتول.

الاستقرار بهذا القصر، الذي يعدّ من أقدم حصون إفريقية، وضعت في شأنه - كالعادة - العديد من الأحاديث النبوية¹⁴.

ويذكر التيجاني أنّ الروم أغاروا على رادس "في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس إذ ذاك شيء يحصّنها (؟) فبلغ أمرها من المسلمين كلّ مبلغ فانتقل إليها أمير إفريقية حسان بن النعمان الغساني فأقام مرابطا بها وكتب بذلك إلى عبد الملك وأرسل مع كتابه أربعين رجلا من أشرف العرب يخبرونه بما نال المسلمين من الجهد فعظم ذلك عليه، وكان التابعون إذ ذاك موفورين وفيهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وأنس بن مالك فقالا لعبد الملك : أمد هذه البلاد وأنصر أهلها ليأمنوا من العدو فإنّها من البلاد المقدسة المرحوم أهلها. فبعث عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز وهو أميره على مصر يأمره بأن يوجّه إلى حسان ألف قبضي وألف قبطية يستعين بهم فحملهم عبد العزيز في البرّ فلما وصلوا إلى حسان أثبت كثيرا منهم في رادس وفرّق باقيهم في مراسي تونس. وأمر عبد الملك حسانا أن يحفر البحر إلى تونس من جهة رادس... فحفره حفرا وخرقه إلى أن وصل إلى دار صناعتها وأنشأ فيها مراكب كان يغير فيها إلى ساحل الروم"¹⁵.

ويستدلّ من قول التيجاني أنّ أحداث دار صناعة تونس وميناء حلق الوادي كان نتيجة لهذه الحملة البيزنطية، وهو ما يؤكده أغلب المؤرخين المسلمين¹⁶. ولكن أحداث هذه القاعدة الجديدة لم يؤدي إلى تراجع الوظيفة العسكرية لقصبة الرباط، التي كانت توجد في منطقة الأمراح أيضا، غير بعيد عن زاوية سيدي بويحي¹⁷. كما أنّ مكانة الحصن تدعّمت أيام محمد بن الأغلب الذي أحدث به مجموعة من المراقب التي استخدمت لمراقبة الخليج وكمراكز للبريد الرسمي. وقد لعبت دورا حاسما في

(14) التيجاني، ص. 5-6 : "ولم تزل رادس في القديم رباطا مشهورا بالفضل، وقد روى أبو عبيد في المسالك (ص. 37) عن زيد بن ثابت وأنس بن مالك أنهما قالوا : من رابط برادس يوما واحدا فله الجنة. وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن الرقيق في تاريخه : أن علماء المشرق وفقهائه، كتبوا إلى أهل إفريقية : من رابط عتّا برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة... وقد روى أن السفينة التي هي مذكورة في القرآن أنّها خرقتها الخضر ببحر رادس، هذا وأنّ الملك الذي كان يأخذ كلّ سفينة غصبا هو الجلندي ملك قرطاجنة... وهنالك فارق الخضر موسى عليهما السلام".

(15) التيجاني، ص. 5-6

(16) N. Djelloul, op.cit, I, p. 134-135

(17) بنى هذه "الزاوية" سيدي بويحي التي تجعل منه الراوية الشعبية أحد أقارب الرسول.

عهد الصنهاجين، وحالت دون سقوط تونس في يد النورمان. على أن القلعة (قصة الرباط) التي تذكرها أغلب المصادر الحفصية¹⁸ سوف تندثر في العهد العثماني، وهي الفترة التي تراجع فيها أيضا عمران المدينة¹⁹.

قصر رباط الحمامة²⁰

يفهم من بعض تراجم المالكي أن حصن الحمامة (أو حمامة الجزيرة، المعروفة حاليا بحمام الأنف) كان أيضا قرية محصنة، تحميها قصبة يأوي إليها أمين القصر والتجار والمسافرون²¹. وقد اشتهرت في العصر الوسيط "بمائها المفرط السخانة والموصوف بإبراء ذوي العاهات"²². وهي توافق بدون شك موقع نارو Naro البونية الرومانية، ويستدل من هذه التسمية العتيقة أن قربها من جبل بوقرين جعل منها موقعا ممتازا لمراقبة البحر، وهي أيضا إحدى وظائف الرباطات الإسلامية. وقد انقرضت هذه القرية في العهد الحفصي، تماما مثل ابيانة المجاورة لها²³.

ومن أشهر مرابطي الحمامة، عمرون الأسود الحامي (ت. 339 هـ)²⁴، وهو غير أبي بكر عمرون المتعبّد (ت. 378 هـ) المترجم له في المعالم²⁵. ويذكر المالكي أن الأمير الأغلبي ابراهيم بن أمحمد لما سمع الكثير عن كراماته سافر إليه وسأله "ألك حاجة في خاصتك أو عامّة بلدك تأتي عليها فوق إيثارك؟ فقال له: ليست لي حاجة ولكن ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا"²⁶. وذكر الشيخ أبو الحسن السبائي أن "أبا الحسن بن تمام الأجدابي - رجل من التجار - أخبره أنه خرج مع أبيه وهو صغير إلى تونس

(18) ر. برنشفيك، I، ص 332؛ Van Ghistèle, p. 165؛ B. Ruffino, p. 464, L. Marmol, II, p. 464؛ N. Djelloul, *Fortifications* I, p. 156؛ التيجاني، ص 5 "ورادس هي المنزلة الأولى للمحال والعساكر (في العهد الحفصي) دائما إذا خرجوا من تونس لا يتجاوزونها إلى غيرها... وهي قرية قديمة الرّسم، وبها كروم كثيرة ومزارع متسعة وجامع للخطبة عتيق وابتني بها وقتنا هذا جامع أضخم منه إلا أن الخطبة لم تنتقل إليه".
(19) الوزان، II، ص. 82 "كانت قديما عامرة بالسكان ومتحضرة جدا، ولكن لم يبق بها إلا بعض الفلاحين الذين يزرعون الكتان ولا يحصدون غيره".

(20) المالكي، II، ص. 378؛ البكري، ص 45؛ هادي روجي ادريس، II، ص. 436؛ N. Djelloul, op.cit, I, p. 156

(22) التيجاني، ص 5-6

(23) N. Djelloul, op.cit, I, p. 156. حول المدينة الرومانية وبيعته اليهودية، انظر: P. Monceaux, "Les colonies juives de l'Afrique romaine," *Cahiers de Tunisie*, XVIII 1970, p. 163-167.

(24) المالكي، II، ص. 377

(25) ابن ناجي، III، ص. 126

(26) المالكي، II، ص. 378

من القيروان... فباتوا في الحصن الذي كان فيه عمروون الحامي، فذكر أنّ أباه عمد إلى المبيت في سقيفة الحصن وجعل فرشه خلف الباب بعد أن غلق. وذكر أنّه اجتمع تمام بعمرّون في داخل القصر بعد أن غلق، فلما كان في السّحر سمع آذان عمروون خارج القصر والباب مغلق بعد لم يفتح، ثمّ فتح الباب وخرجوا إلى عند عمروون فوجدوه عند شجرة لوز²⁷. وذكر أبو علي بن حمّود التونسي أن عبيد الله المهدي "أخرج من المهدية صقلبيّا له عنف وسلطنة، ووجه معه عسكريا لحشد الزّويليين والبحريين فحشد من تونس وباديتها وصطفورة خلقا عظيما، وجاز بهم على قصر الحمامة، فوجد قوما من أهل القصر يسقون على البئر فقرمهم فجرى أهلهم إلى عمروون مستغيثين به، فخرج عمروون وقطع قدّام الصقلبي الخيل وأشار بعصاه، فأنهزم الصقلبي فلم يردّهم ردّا إلى منزل بني صلتان²⁸، وهي فحوص على مسيرة ميل... ووصل الصقلبي إلى المهدية وليس معه أحد من المحشودين. فقال له السلطان: وأين الحشد؟ فقال الصقلبي: حشدت خلقا عظيما، فلما قربت من مرسى الحمامة خرج منها شيخ وبيده حربة قد أنتهت إلى السّماء، فصاح صيحة وأشار بها، فما جمع الله منّا واحدا وأفترق الحشد... ونزل بالقصر رجل غريب محتار ومعه زوجته، وهي حامل، فأتى الرّجل إلى جماعة القصر وقال لهم: إن لي امرأة حاملا وقد أشتتحت حوتا، وليس عندي ما أشتريه به... فجاء عمروون المتعبّد، فأخبروه بالخبر، فدعا بالرّجل ونزل معه حتّى إذا بلغا ذلك السّمّار الذي بين البحر والقصر قطعا سمارتين ومضيا إلى البحر، فما كان بأوشك أن طلع الرّجل وفي كلّ سمارة حوت كبير يثقل الانسان²⁹.

رباطات صطفورة (ش. 5)³⁰

كانت منطقة بنزرت تعرف في العصر الوسيط بأسم كورة صطفورة؛ ومن أهم مدنها: بنزرت (عاصمة المقاطعة)³¹ وتينجة وأنبلونة (سيدي أحمد بوفارس). وتوجد أغلب الرّباطات الأغلبية علي الشريط السّاحلي الممتدّ من بنزرت إلى رأس فمرت:

(27) نفس المصدر، II، ص 379

(28) حاليا صلتان. انظر التيجاني، ص 22

(29) المالكي، II، ص 383

(30) حول صطفورة في العصر الوسيط انظر خاصّة، هادي روجي إدريس، II، ص 438

(31) حول تاريخ بنزرت انظر: L. Salvator, Bizerta, Prague 1881 ; H. Bouita, Bizerte : les monuments islamiques, Tunis 1992 ; C. Hannezo, "Monographie de Bizerte", in Revue Tunisienne, XI, 1904, pp.193-332 ; N. Djelloul, op.cit, I, p. 158

بنزرت³² ، حصن أبي المهزول ورباط أبي صقر. ويتفرّد المالكي بالحديث عن قلاع بنزرت، "وهي حصون يأوي إليها أهل تلك الناحية إذا خرج الروم غزاة إلى بلادهم... وهي رباطات للصالحين".³³ وأهم هذه القلاع : ³⁴ قلعة أبي خليفة (الرأس الأبيض) ودرنة (سيدي مشرق).

✧ حصن أبي المهزول

ينسب هذا الرباط إلى أبي محمد عبد الله بن أبي المهزول المتعبّد (ت. 339 هـ). وكان يوجد حسب المالكي "بمرسى الياقوتة بناحية بنزرت"³⁵ ، ويفهم من مسالك البكري ونزهة المشتاق للادريسي أنّ هذه القرية المحصّنة (الرباط) تقع بين بنزرت ورأس الجبل، غير بعيد عن مراسي بني وجّاص والوادي وقملارية.³⁶

وتنسب كتب الطبقات الى أبي المهزول العديد من الكرامات، فقد ذكر ربيع القطّان أنّه "لا يقرأ البسملة في صلاته. وكان مؤدّن مسجده لا يقول في آذانه : "حيّ على خير العمل"³⁷ فانتشر ذلك عنه وفشا حتّى فشا الأمر الى السلطان... فبعث ابن زريق ليشهد على فعلهما ويعاتبهما... فقال المؤدّن لابن أبي المهزول : نترك الأذان ؟ فقال له الشيخ : لا تفعل، فإنّي سألت الله عزّ وجلّ أن يمتنّي وإياك قبل أن يتلينا بأمر من عندهم. فأتى كتاب الملعون السلطان بقتلهما والناس منصرفون من جنازة أحدهما، وقد دفنا جميعا أحدهما بعد الآخر... وذكر أبو إسحاق السبّائي أنّ ولد ابن أبي المهزول سقط من فوق القصر الى أسفل، فقام ابن أبي المهزول إلى الصلاة لمّا سمع بخبره، فسلم الصبي من وقعته وقام يمشي على رجليه وقام يجذب بثوب أبيه ويقول : يا أبي هذا أنا".³⁸

(32) يرجح أن يكون مركز الرباط مكان برج الاندلس الحالي. انظر N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 172

(33) البكري، ص. 57-58

(34) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 158

(35) المالكي، II، 376

(36) إضافة الى المدن الرئيسية الثلاث تذكر مصادر العصر الوسيط : مرسى الياقوتة - مرسى بني وجّاص (قرب جزيرة قملارية)، مرسى الوادي، قصر ترشة داود، قصر صونين، مرسى رأس الجبل، مرسى الثنية، رباط أبي صقر، مرسى رباط قصر الحجامين، قصر جالة وقصر جردان. البكري، ص. 75، الادريسي، ص. 114-115 ؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 436

(37) حيّ علي خير العمل (الحيّ علا) التي حذفها عمر بن الخطاب من الأذان واحتفظ بها الشيعة.

(38) المالكي، II، ص. 374

قصر رباط أبي صقر (ش. 5)

تؤكد أسماء بعض المناطق المتاخمة لهذا الحصن مثل عين الدّمنة³⁹ وعين المنستير (وهو اسم اقترن بالرباطات) أنّ قصر رباط أبي صقر كان أيضا قرية محصّنة يعود تأسيسها إلى العصر البوني (Rusucmona)، وأصبحت تدعى منذ العهد الحفصي غار الملح. ورغم تراجع وظيفة الرباط فإنّ مصادر وخرائط القرن السادس عشر ميلادي تذكر وجود قلعة أغلبية مزوّدة بمنار للمراقبة، أدمجت في القرن الموالي ضمن عمارة برج الناظور⁴⁰. أمّا قصر رباط مرسى الحجامين الذي تذكره مصادر العصر الوسيط فلا نعرف عن موقعه شيئا. وغير بعيد عن غار الملح توجد بلدة رفراف التي تنسب الذاكرة الشعبية تأسيسها إلى عبد الله السرقسطي مؤسس رأس الجبل (704 هـ / 1307 م). على أن أقدم مسجد بهذه البلدة مازال يسمّى مسجد القصر، ممّا يؤكد أنّا إزاء قرية محصّنة (قصر) تعود إلى الفترة الإسلامية الأولى. وقد اكتفى السلطان الحفصي بتجديد سورها (بواسطة جدار من الطين) في القرن الخامس عشر الميلادي⁴¹.

قصر درنة (سيدي مشرق) (ل. 5-4)

توجد مرسى سيدي مشرق بين رأس تاكمرت ورأس سرّات. وقد أقام الأغالبة بهذه القرية (الرّومانية)، التي أشتهرت بسمكها في العصر الوسيط⁴²، رباطا أدمج فيما بعد في مباني مصرف فرنسي مازالت آثاره قائمة حذو المقبرة والميناء. ويتكوّن هذا الحصن (الذي يمكن أن نعدّه ضمن قلاع بنزرت التي تحدّث عنها البكري) من بناية طولية تدعّمها أبراج نصف دائرية.

(38) حول الدّمنة بسوسة والقيروان (حيث يوجد مسجد السبت الذي تعقد به الحلقات الصّوفية) انظر خاصة : هادي روجي إدريس، II، ص. 46

(40) V. Guérin; II, p. 17 : L. Lanfreducci et G. Bosio, "Costae et discorsi di Barbaria", p. 517-518 ; P. Cezelly, *Notice sur porto-Farina*, Paris 1904, p. 33 ; N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 179.

(41) R. Brunschvig, *op.cit*, I, p. 306 ; N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 157

(42) N. Djelloul, "La pêche en Ifriqiya au Moyen âge", in *La pêche côtière en Tunisie*, Cahiers du CERES, 11, 1995, p. 51.

رباطات جزيرة شريك (الوطن القبلي) (ش. 6)⁴³

اشتهرت جزيرة شريك⁴⁴ في بداية العصر الوسيط بخصبها وتعدّد مدنها وقراها.⁴⁵ وقد أدّى الغزو الهلالي من جهة، والحملات النورمانية والأيوّبية والمرابطيّة (بنو غانية) من جهة أخرى، إلى انقراض المدن الكبرى، مثل باشو⁴⁶ والنّوبة.⁴⁷ على أنّ الاضطراب الذي أحدثته هذه الغزوات دفع بالسكّان إلى الاحتماء بالقصور المحصّنة والرباطات التي يعود إنشاؤها في أغلب الأحيان إلى العهد الأغلبي. وتعتبر الجزيرة، مع الساحل ومنطقة صفاقس، من أهم مراكز المراقبة في العصر الوسيط⁴⁸. ويمكن لنا أن نؤكد أنّ هذه الظاهرة تواصل في بعض الأحيان تقاليد تعود إلى بداية دخول الاسلام⁴⁹. كما أنّ تعدّد الزّوايا (زوايا المعاوين)⁵⁰ بشبه الجزيرة في العصر الحفصي⁵¹ لم يكن إلّا تواسلا (مثلما هو الشأن بالسّاحل) لأهميّة حصون الفترات السّابقة.

ورغم كثرة الإشارات في كتب الطبقات إلى حصون الجزيرة⁵² وعبّادها⁵³، فإننا لا نستطيع تحديد مراكز المراقبة على غرار ما يوجد بالساحل، نظرا لعدم دقّة المعلومات المتوفّرة لدينا. ومن أشهر مرابطي الجزيرة اسماعيل بن رباح الجزري، أبو سليمان ربيعة الجزري، أبو عثمان الجزري، أبو ابراهيم بن العربي، نصرون اللّوزي، عبد

(43) حول تحصينات الوطن القبلي في العصر الوسيط أنظر : N. Djelloul, *Les fortifications*, I, pp. 203-225.
(44) التيجاني، ص 11 "تنسب إلى شريك العباسي أحد العاملين بها وهو والد قرّة بن شريك والي مصر من قبل عبد الملك بن مروان". انظر أيضا : ابن الاثير، الكامل، V، ص 13، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، I، ص 241

(45) التيجاني ص 11 : "هذه الجزيرة لم تزل معروفة بالخصب والبركة وهي كما قال الشريف الادريسي طيّبة مباركة ذات عمارات متّصلات وبركات وخيرات، وبالجملّة ففيها خصب زائد على غيرها من الأرضين".

(46) التيجاني، ص 12 : "وكانت جزيرة شريك محتوية على أقاليم كثيرة أعظمها المنزل الكبير المعروف بمنزل باشو. وكان بلدا كبيرا أهلا... وهذا المنزل الآن خراب ولم يبق منه إلّا مكانه (الجديدة قرب قرمبالية)... وينسب إلى مدينة باشو صلحاء منهم أبو عبد السلام مفرج بن بياضة". حول تاريخ باشو وتحصيناتها، انظر : حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص 229 - 335 ؛ N. Djelloul, *op.cit*, p.222

(47) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 218-219.

(48) التيجاني، ص 11 "قال أبو القاسم ابراهيم بن القاسم الرّقيق في كتابه : لم تخل هذه الجزيرة قط من عابد مذكور"

(49) البكري، ص 83

(50) أهمّ المراكز : أزمو، المعمورة والصّقالبة.

(51) ومن ذلك تسميتها بدخلة المعاوين.

(52) المالكي، I، ص 335، II، ص 353 ؛ التيجاني، ص 11-12

(53) المالكي، II، ص 353

المؤمن بن المستنير الجزري، حفص بن عمر الجزري، أبو الحسن الصقلّي الجزري، أبو بكر بن سعدون الجزري وأبو بكر عطية الجزري الجماجري. أمّا مراكز المراقبة فقد كانت توجد بسليمان، سيدي داود (النوبة)، الهوارية، قلبية، لبنة، قصر سعد، اللوزة (منزل تميم) والحمامات. ويمكن أن نضيف إليها مرسى بن رمضان وسيدي هلال.

ونجد في تراجم المالكي إشارات هامة إلى الدور الاقتصادي والسياسي الذي لعبته هذه الحصون في العصر الأغلي. فقد ذكر (مثلا) أن عبّادها كانوا أوّل من ناهض الضريبة النقديّة الجديدة (ثمانية دنانير على كلّ زوج تحرث) التي أحدثها الأمير عبد الله بن إبراهيم الأغلي. ويبدو أنّها شملت أحمية الحصون التي كان يستغلّها المرابطون ممّا أثار حميتهم. "فتقدّم حفص بن عمر الجزري"⁵⁴ مع رجال صالحين من أهل الجزيرة فدخلوا على أبي العباس... الذي كان من أجمل الناس فقال له حفص: أيّها الأمير اتّق الله واحذر على وجهك الجميل من النار وخفّف على الناس واسقط عنهم ما وضعت على الأزواج⁵⁵ من هذه الدنانير، فرفض. فخرجوا من عنده يريدون القيروان، فقال لهم حفص: تصلّون ركعتين تخلصون فيهما الدّعاء، ونضرع إلى الله تعالى لعله يكفيناه... ودعا عليه أبو حفص، فما لبث أبو العباس إلّا خمسة أيّام، ثمّ خرجت له قرحة"⁵⁶. وذكر عن فضل بن أبي العنبر، وكان واليا على الجزيرة قال: قدمت بزواملي وأعواني فنزلنا ببعض حصون الجزيرة التي على ساحل البحر، فأدخلوا ثقلي في مسجد من مساجد الحصون، وأدخلوا الحصن كلابا وطيورا كانت معهم. قال الفضل، فلمّا دخلت رأني اسماعيل بن رباح (الجزري)⁵⁷ فأتاني وقال: ما هذا الذي أحدثت، أما ترى ما فعل أعوانك في بيت من بيوت الله عزّ وجلّ، فصحت عليهم وأخرجتهم بالزّجر، فنظر إليّ اسماعيل وقال: حقن الله دمك"⁵⁸. وتؤكد هذه الترجمة الأهميّة الدّينية التي كانت تتمتع بها الحصون التي كانت غالبا تجمّعات عمرانية تحتوي على الأقل على مسجد جامع (معدّ للخطبة)⁵⁹. كما نجد

(54) المالكي، II، ص. 331

(55) زوج البقر المعدّ للحرث.

(56) المالكي، I، ص. 331-332. انظر أيضا التيجاني، ص. 11-12؛ ابن الاثير، الكامل، VI، ص. 329؛

ابن عذاري، I، ص. 95-96؛ النويري، نهاية الأرب، ص. 138

(57) مصادره: أبو العرب، ص. 76-71؛ المالكي، I، ص. 333-344

(58) المالكي، I، ص. 335؛ التيجاني، ص. 12

(59) كان سحنون يشترط وجود تجمّع عمراني هام لاجداث خطبة جديدة، ممّا جعل مدينة مثل تونس تكتفي بخطبة واحدة (الزيتونة) إلى مجيء الموحدين الذين أحدثوا خطبة جامع القصة.

أيضا في ترجمة اسماعيل بن رباح وأبي ابراهيم بن العربي⁶⁰ تأكيداً على ثانوية الدور العسكري الذي لعبه هؤلاء النساك، وسلبية العقلية المسيطرة على أوساطهم. فقد توفي اسماعيل بن رباح (سنة 212 هـ) غريقاً في البحر بعد رجوعه من الحج. "وذلك أنه ركب البحر فتحرك عليهم الهواء، فقالوا له: يا أبا عبد الله ادع لنا، فقال: قد قضيتم حجكم فما الذي تريدون؟ ثم أخذ مصحفه فجعله في عنقه، ثم غطى رأسه بكسائه، ثم غرقت بهم المركب"⁶¹.

وكان ابراهيم بن العربي (ت. 335 هـ) "من أجلاء عبّاد الجزيرة. وكان من شأن عبّاد الجزيرة إذا أرادوا التوجه للحصون للرباط أتوا إليه وسألوه أن يمضي معهم رغبة في صحبته، فيقول لهم: حتى أشاور والدتي، فإن أذنت له مضى معهم، وإن أبت جلس وتركهم. فقالوا له يوماً: في مثل السير إلى الرباط وأبواب البرّ تشاور والدتك؟ فقال لهم نترك ما هو أفضل لي من طاعة الوالدة ونخرج في ما هو أتعب لي وأشقّ عليّ وأقل أجراً بل أجري في طاعتها أكبر من أجرى في المواضع التي نتوجه إليها معكم"⁶². ويؤكد ما ذكره المالكي عنه مرة أخرى الانتماء الايديولوجي المذهبي لمؤسسة الرباط. فقد حجّ ابن العربي "صحبة عطية الجماجري، فلماً وصلاً إلى برقة - ومنها أهل أبي ابراهيم - سأل عن نسبه بها، فعرف أنه من العجم، فكتب إلي بعض اخوانه بالجزيرة كتاباً فيه: قد كنت انتسبت عندكم إلى البربر، فتقصيت في بلدي عن نسبي فإذا بي من العجم، فنحمد الله تعالى إليكم الذي لم يجعلني من البربر. وإنما خاف أن يكون من البربر لأحاديث رويت في ذمهم، فمن ذلك ما ذكر مسند إلى ابن سنجر، مسند عن عثمان بن عفان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قسم الله الخبث على سبعين جزءاً فجعل في البربر تسعة وستين جزءاً والثقلين جزءاً واحداً. ويروى عن شيخ ثقة من أهل الإسكندرية أنّ سليمان بن داود أرسل بربرياً مع الشيطان في حاجة، فرجع الشيطان يتعوذ بالله عزّ وجلّ من البربري"⁶³. والبربر يمثلون قبل كلّ شيء المعارضة الايديولوجية المذهبية (الخوارج) للسلطة السياسية التي يدعمها المرابطون⁶⁴.

(60) مصادره؛ المالكي، II، ص 352

(61) المالكي، I، ص. 341

(22) نفس المصدر، II، ص. 353

(63) المالكي، II، ص. 354. حول هذه الأحاديث الموضوعة انظر: محمد الطالبي، دراسات في تاريخ افريقية،

ص. 52

(64) انظر في هذا الصدد، محمد الطالبي، نفس المرجع، ص 13-79 كما أنّ منطقة التوبة كانت منطقة أباضية في العصر الوسيط. انظر: H.R. Idris, *op.cit*, II, p. 364

وقد كانت جبرية هولاء النساك⁶⁵ مقترنة بتعصب ديني ومذهبي ستبرز نتائجه الوخيمة في العصر الزيري. فقد حدث أبو سليمان ربيعة الجزري⁶⁵ "قال: كنا في الجزيرة على طعام إذ دخل علينا يهودي فدعونا، فجلس يأكل معنا إلى أن أقبل اسماعيل بن رباح فرفعنا اليهودي إلى غرفة. فلما دخل اسماعيل دعونا إلى طعامنا فمدّ يده ليأكل ثم قبضها وقال: طعامكم نجس، أو أكل منه نجس، فقلنا له: دعونا يهوديًا طوافًا فأكل معنا، فقال: أمّا تستحيون من الله تعالى، تأكلون مع من كفر بالله".⁶⁶ وتؤكد ترجمة عبد المؤمن بن المنستير الجزري (توفي في بداية القرن 3 هـ / 9 م)⁶⁷ مذهبنا إليه حول اقتران الرباط ببداية التصوف الإسلامي. فقد كان هذا الناسك "رجلا صالحا كثير الرباط، كثير الرواية لغرائب الرباط".⁶⁸ وكان أبو الحسن الصقلي الجزري⁶⁹ "صامتا لا ينطق إلا بذكر الله عز وجل...". وقال ربيع القطان دخلنا عليه نعوده عند مسجد أبي أرجونة فقال لنا: كان عندنا بثغر صقلية رجل يقال له أبو علي الطنجي وكان من الكدّادين عمره لله وكان من أهل الشغل والذكر وكان يظهر له عدوه ابليس في هيئة إنسان، قال: فكان يقول له العدو انضحك قلبي بكذك فوالله لأنضحك قلبك أو تكفّ عما أنت فيه... فبينما هو ذات يوم راقد على سدة إذ قلبه عدوّ الله من فوقها، فأنجرح له موضع السجود، فلم يزل يرم وينتشر حتى أخذ الوجه، فيأتيه العدو فيقول له: اقصر ويزول عنك ما تجد، فيقول اذهب يا عدوّ الله والله لا أقصر أو أموت، وكانت تلك العلة سبب موته"⁷⁰.

وكان عبّاد الجزيرة يترددون بكثرة على رباطات الساحل. فقد كان أبو بكر بن سعدون الجزيري التميمي⁷¹ "كثير الرباط" ولزم لفترة طويلة قصر ابن الجعد⁷². كما كان يتردد أيضا على جبل اللكام والأكواخ (بلبنان) والمقطّم (مصر). وجبل المقطّم

(65) خلافا للمعتزلة كانت الأوساط الجبرية والمحافظة لا تقرّ بخلق القرآن، ومنهم من كان يذهب إلى القول بأنّ الحروف والمداد والورق من عند الله. وهو ما يفسّر ما أقدم عليه اسماعيل بن رباح الجزري لما رأى في القناة التي تجري حذو دار أبي محرز القاضي بالقيروان قرطاسا فيه إسم من أسماء الله تعالى فوق القناة لم يغرق فيها فخاف اسماعيل إن حاول اخراجه بقصة أن يغرق في القناة فيتلطخ بالنجاسة، فلقى كساءه ونزل إلى القناة، فساخ فيها إلى نورك". المالكي، I، ص. 335

(66) نفس المصدر، I، ص. 336

(67) أبو العرب، ص. 111؛ المالكي، I، ص. 292-391

(68) المالكي، I ; z: 391

(69) المالكي، II، ص. 204، 195؛ 194، Amari, Bibliotheca, p.

(70) المالكي، I، ص. 205

(71) المالكي، I، ص. 414؛ ابن ناجي، III، ص. 65-67

(72) المالكي، II، ص. 497 "كان قوم من الجزيرين بزقاق الرّوم (سوسة) يكبرون في أيام العشر".

مشهور عند المصريين بأعتباره أشهر مزاراتها. وهو "أحد الشيوخ الذين عقدوا الخروج على بني عبيد الله. وكان من دعائه إذا فرغ من صلاته في أيام أبي يزيد أن يشير إلى جمّة يقول : اللهم من أرادنا فردّه ومن كادنا فكده... " ⁷³.

قصر رباط قليبية (ش. 9-7) (ل. 8-6) ⁷⁴

تقع مدينة إقليبيّة (Clipea أو Clupea في العهد الروماني) في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة الوطن القبلي، وتبعد عن جزيرة قوصرة Pantelleria حوالي 83 كلم، ولا يفصلها عن صقلية سوى 120 كلم. وقد كانت المدينة العتيقة، التي أحدثها البونيون (Aspis) منذ القرن السابع قبل الميلاد بسفح هضبة "البرج"، من أهم المدن التونسية في العهد الأغلبي، وتدعم دورها العسكري في العصر الفاطمي لما أحدث بها بنو عبيد دارا للصناعة ⁷⁵. ولكنها بدأت في التّقهقر بداية من القرن الثاني عشر الميلادي (بعد أحداث المدينة الحاليّة) لتتقرض في بداية العهد الحفصي (ق. 13 م) ⁷⁶. علي أنّ القلعة (البرج) حافظت على دورها العسكري والديني إذ أصبحت في العهد الحفصي أهمّ مركز للرباط بعد سيدي بوسعيد. وقد كان هولاء النّسّاك يعقدون حلقاتهم قرب صخرة محاذية للبحر (مجمع الصّلاح).

ويعود أحداث القلعة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، على أنّها عرفت اصلاحات هامّة أثناء حملة طاغية سرقوسة أغاثوكلّاس Agathocle على قليبية سنة 310 ق م ⁷⁷، وقد قام الرومان بتخريبها وإحراقها سنة 146 ق م. أمّا المسلمون، فقد اكتفوا في أوّل أمرهم بتحويل القلعة البيزنطيّة الصغيرة (التي توجد أنقاضها داخل المعلم الحالي) إلى مركز للمرابطة. أمّا البرج الحالي (الرباط الحفصي) فيعود أحداثه إلى فترة يحيى بن تميم الصنهاجي (حوالي 505 هـ / 1112 م). وقد حافظ منذ هذا العهد على مظهره العام، رغم الاصلاحات العديدة التي عرفها في العهد العثماني (1550، 1637، 1640، 1704، 1840...) ⁷⁸.

(73) المالكي، II، ص 17+

(74) حول تاريخ قليبية ومعالمها العسكرية انظر : عمّار بن عبد اللّطيف، تاريخ قليبية، تونس 1983 ؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 203-205

(75) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 203

(76) أدّى اندثار المدينة الى تكوين عدّة قرى محصّنة حول حصون المنطقة مثل تاهرت، منصورّة القرنس، القصيبة ومنصورة القصيبة.

(77) حول قلعة قليبية قبل العهد الاسلامي انظر : M. Gharbi, *Africa Romana*, VIII, 1989, p. 187-198

(78) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 206-207

ويعتبر برج قليبية من أكبر القلاع الإسلامية بالبلاد التونسية إذ تقارب مساحته هكتارا ونصف. ويحيط به جدار صخري تتخلّله أبراج طولية، ولا يحتوي إلا على مدخل وحيد مستقيم يوجد في الواجهة الشرقية، يفضي بدوره إلى ساحة ضخمة تتوسطها خزانات المياه (الرومانية) وأنقاض مسجد يعود أحداثه إلى الفترة الأغلبية. وقد كان القصر يتّصل بالمدينة العتيقة بواسطة فصيل (طوله 200 متر) يفضي إلى باب غدر (Poterne). وقد كان هذا المسلك المحصّن (الذي يسميه الأهالي ممشي بنت الرّي) يقوم بحماية جنود القصر حين يهرعون لنجدة المدينة إبان الغزوات، وهي تقنية عسكرية كانت شائعة في الاندلس (Corachas) منذ القرن الحادي عشر الميلادي⁷⁹.

قصر رباط الحمامات (ش. 11-12) (ل. 13-14)⁸⁰

رغم الترميمات العديدة التي عرفتھا معالم الحمامات العسكرية، فإنّ المدينة العتيقة (التي يقارب عدد مساكنها الثلاثة مائة) تعطينا فكرة جيّدة عن عمران القرى - الرباطات في العصر الإسلامي الأوّل⁸¹. فالمنازل (التي تصطفّ حول أزقة ضيقة) المعدة لسكنى المرابطين تمتاز بتشابه مساحتها (حوالي 90 متر مربع)، ممّا يدل على وجود عمران من نوع خاصّ يتناقض مع عمران المدن العادية. ويحيط بهذا القصر سور حجري يعود إلى الفترة الأغلبية، ولكن رُمّم عدّة مرّات في العهدين الحفصي والعثماني. ويتخلّل الجدار مجموعة من الابراج الطويلة (برج عزّوز - برج الزيايدي، برج السلوقية)⁸² وثلاثة أبواب خارجيّة (باب البحر في الشمال الغربي، باب السوق في الجنوب الغربي وباب الهوّارة). وتحتلّ قصبة الرّباط التي وقع تجديدها في العهد الحفصي (ثمّ ادخلت عليها تحويرات جذريّة أيام الحكم العثماني) الزاوية الجنوبيّة الغربية للقصر.

ولم تترجم كتب الطبقات لأي مرابط من الحمامات، ولكن يبدو أن أشهرهم كان سيدي بوحديد (من رجال القرن 12م) الذي تحاذي زاويته القصبة، كما أنّ هذا المعلم

(79) N. Djelloul, *op.cit*, I; p. 208

(80) حول تاريخ الحمامات ومعالمها انظر خاصّة : T. Bachrouch, *Medinas de Tunisie, Hammamet*, Cahiers : du CERES, N°7, Tunis 1996.

(81) حول قصر المّامات انظر : المالكي، I، ص 268

(82) حول العمران : J. Binous, "la structure urbaine et l'évolution de l'habitat dans la medina de Hammamet", in *Medinas de Tunisie, op.cit*, pp. 13-35. وتنسب الذاكرة الشعبيّة برج الزيايدي إلى عبد الرّحمان بن زياد، من رجال القرن الاول للهجرة، أمّا برج السلوقية فيرتبط بأيّام الصّراع الاسباني المسيحي، لمّا رفض أهالي الحمامات تزويد جيش خير الدّين بالمؤونة وعلّقوا سلوقية ميتة على أحد أبراج السور.

توسطه زاوية المرباط سيدي بوعلي (من رجال القرن 14م) التي كانت فيما مضى
مصلّى القلعة. ويتّصل بقصر الحمّامات قصر الزيت، وهو من القرى المحصّنة التي
انقرضت في بداية العصر الحفصي⁸³، وقرية الدّواميس⁸⁴.

قصر اللّوزة (منزل تميم)⁸⁵

خلافًا لقصر الحمّامات، انقرضت معالم رباط اللّوزة الذي كان على ما يبدو يحتل
موقع حيّ بني عيشون. وينتسب إلى اللّوزة نصرون اللّوزي المتعبّد، وقد عدّد المالكي
براهينه وكراماته، "فمن ذلك أن سلما وأبا ابراهيم بن العربي وغيرهما مضوا لزيارة
نصرون فقال بعضهم لبعض : ليشتهي كلّ واحد منّا شهوة، فقال سلم : أنا أشتهي
إفريقية بزيت طيّب. وقال أبو علي : أنا أشتهي قرصا من سميد بعسل. وقال أبو
ابراهيم : أشتهي أنا قمحا مقلوا... فلما كان الليل أتى إليهم بالعشاء، فقدم إليهم ثردة
بدجاجة وعليها زيت طيّب، وقال لسلم : كل ياسلم يا صاحب الافريقية، ثم أتى
بقرص سميد بعسل طيّب وقال : كلّ يا أبا علي يا صاحب الحلوات، ثم أتى بقمح
مقلوّ وقال : كل يا ابراهيم يا صاحب المخفّفات. فذكرت هذه الحكاية للمعلّم محرز
(بن خلف) فقال : يمكن أن يكون سمع منهم رجل من مؤمني الجنّ فوصله إلى
نصرون أو رأى ذلك في المنام"⁸⁶.

قصر لبنة (ل. 12)

تقع خرائب قصر لبنة (الذي يطلق عليه الأهالي إسم البلد) على بعد 200 متر من
وادي لبنة. ويشكّل الموقع تجمّعا عمرانيّا صغيرا يحيط به سور من الحجارة (مداميك
في الأسفل وحجارة متوسطة في الأعلى) تدعّمه أبراج نصف دائرية من الطراز الأغلب.
أما المقبرة التي يتوسطها ضريح سيدي علي المجاهد فهي توجد في الجهة الغربيّة.⁸⁷

(83) البكري، ص 96-97؛ ر. برنشفيك، I، ص 440. H. R. Idris, II, p. 440. ويحتل قصر الزيت موقع مدينة
سياق الرومانية، في الجنوب الغربي لمدينة باشو. وبقي منه اليوم جدار طوله حوالي 24 متر وبعض الغرف والحنايا
المهدّمة.

(84) البكري، ص. 96-97

(85) حول تاريخ منزل تميم انظر : جلّول عزّونة، منزل تميم، تونس 1984

(86) المالكي، II، ص. 355-356

(87) الإدريسي، ص 124؛ N. Djelloul; op.cit, I, p. 215. وتذكر الرّواية الشعبيّة أن سيدي المجاهد أتى من
الشرق واستقرّ مع أصحابه بهذه المنطقة وكان يشفي المرضى (فقيه البدن) ويعلم الصبيان بمسجد القصر الذي كانت
له خطبته الخاصّة.

قصر سعد (ل. 12)⁸⁸

يوجد قصر سعد جنوب قصر لبنة (منطقة قربة)، غير بعيد عن وادي سيدي عثمان. وخلافاً للقصر الأول يتكوّن المعلم من حصن صغير مهذّم يحتوي على مسجد وبعض الغرف المعدة لسكنى المرابطين. ويوجد إلى جانبه مقبرة عتيقة وضريح سيدي عثمان الذي يغلب على الظنّ أنّه أبو عثمان الجزري الذي ترجم له المالكي في رياض النفوس. و"كان من أولياء الله المنقطعين إليه المتبتّلين في العبادة. حدث بشير بن عمروس المنستيري المتعبّد، قال: صليّنا العيد في المنستير، فخرجت الي الشعراء أدورها، فإذا أنا بأبي عثمان الجزري وصاحب له قعود خلف شرف، فما شعرا بي حتى وقف عليهما. فأما صاحب أي عثمان ففرّ منّي فدخل الشعراء، فلم أدر من هو، فقلت يا أبا عثمان السلام عليك فردّ عليّ السّلام فقلت له: اليوم يوم عيد فأطعمني ممّا معك، فقال لي: اقعد، فأخرج كسرة يابسة من مخلاة كانت معه، فقلت له: يا أبا عثمان، قد تعلم ما جاء فيمن أدخل على أخيه المؤمن السرور فسرّني! فقال لماذا؟ قلت تمضي معي إلى البيت فأنس بك، وأجابني إلى ذلك، فقلت له: وصاحبك؟ فقال: ليس تقدر عليه ولا تراه (يقصد الخضر) ولكنّي امضي أنا معك. قال: فمضي معه حتى دخلنا قصر المنستير وصعد معي إلى بيتي، فلما دخل البيت علّق مخلاته. قال بشير: فخرجت إلى برّا وتركته في البيت، واشترت ربع خروف وأتيت به، فلما نظر إلّي قام فأخذ مخلاته وخرج إلى المسجد، فما زال كذلك حتى صليّنا الظهر... فلما أمسى وصليّنا المغرب أقرن قدميه وصليّ إلى العتمة، فلما صليّ العتمة أقرن قدميه فصليّ إلى الصبح، فلما صليّنا الصبح خرجت إلى البيت، ثم جئت لأطلبه في مكانه فإذا به قد خرج، فخرجت إلى باب القصر أنظر أي وجه قد أخذ، فلم أعرف أين أخذ"⁸⁹.

رباطات الهواريّة (ل. 9)⁹⁰

تقع الهواريّة بأقصى الشمال الشرقي من الجمهورية التونسية، ويحدّها البحر من ثلاث جهات⁹¹. ويعود تأسيس الهواريّة إلى العهد القديم (Aquilaria) ولكن يبدو أنّها

88) الأدرسي، ص. 124؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 215.

89) المالكي، I، ص. 333.

90) حول تاريخ الهواريّة انظر: N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 220.

91) وهي تضم مناطق صاحب الجبل، بوكريم، زاوية المقايير وتازگران.

هجرت في العهد الزيري ولم تعد إليها الحياة من جديد إلا في العهد الحفصي، بعد أن تغير موقعها⁹². أمّا قصر الرباط فقد كان يوجد برأس أدار، ويبدو أن هذا القصر يعود الى بداية الفتح الاسلامي⁹³. ومع تفاقم القرصنة المسيحية في القرن الخامس عشر الميلادي، أدخل عليه السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز عدّة اصلاحات حولته الى قلعة ضخمة، كانت تعدّ من أهمّ المعاقل الافريقية⁹⁴. أمّا القصر الثاني فيحتلّ موقع زاوية سيدي بو الرباط الذي تذكر الروايات الشفوية أنّه أصيل الهوارية.

قصر النوبة (سيدي داود) (ل. 11-10)⁹⁵

يعود تأسيس النوبة الى ما قبل الاسلام (Missua)، وقد ازدهرت خاصّة في العصر الوسيط الأوّل، وكانت في بداية العصر الاسلامي عاصمة لجزيرة شريك قبل أن يستقرّ عاملها في باشو⁹⁶. وقد اتخذها عمّال بني أمية والأغالبة (الذين احدثوا بها دارا للصناعة) مركزا هجوميا لغزو جزر البحر الابيض المتوسط نظرا لقصر المسافة التي تفصلها عن صقلية. كما كانت مرفأ تجاريا هامّا حتى القرن الثاني للهجرة، ومركزا للصيد البحري، كما تؤكد ذلك المصائد الحجرية العتيقة (Viviers) (ل. 11). ويبدو أنّ جزيرة النجيلة كانت جزءا من هذا الميناء الذي انقرض في العهد الحفصي. أمّا خرائب المدينة الأغلبية فتمتدّ (على مساحة 500 م x 300 م تقريبا) حذو زاوية سيدي داود. وترتبط التسمية الحالية بهذا الفقيه والمرابط (سيدي داود النوبي، ت. 661 هـ). ومن ذريته سيدي داود (ت. 732 هـ) صاحب المقام المشهور بمنطقة المرسى وسيدي احمد بن داود بالمعمورة. ويذكر ابن ناجي من ذريته أيضا احمد (زاوية بو كريم) وإسحاق (زاوية المقاييز). ويبدو أن قصر الرباط الذي كان ملاصقا للمرسى يقع قرب زاوية سيدي داود⁹⁷.

(92) يبدو أن اقدم معالم الهوارية الدينية هو الجامع الكبير (ق. 17م).

(93) البكري، ص. 83.

(94) ابن خلدون، العبر، III، ص. 83؛ الزركشي، ص. 116.

(95) حول تاريخ النوبة (سيدي داود) ومعالمها انظر: R. Brunshvig, "A propos d'un toponyme tunisien : Nuba-Nùbiya" in, *Revue tunisienne* T. XLII, 1935, pp. 150 sq ; N. Djelloul, op.cit, I, p. 218-219.

(96) اليعقوبي، ص. 348.

(97) كانت زاوية سيدي داود ذات قبة واحدة مع ثلاثة منازل ومسجد شيدت كلها منذ العصر الوسيط. وقد أزيلت القبة سنة 1336 هـ وشيدت مكانها الزاوية الحالية بقبابها الست. (أشغال مؤرخة بواسطة نقيشة).

قصر جهم (سليمان)⁹⁸

تقع سليمان في المنطقة الشمالية - الغربية من الوطن القبلي، وتبعد عن تونس العاصمة مسافة 30 كلم. وقد أسّس الفاتحون المسلمون على أنقاض مدينة رومانية Megalopolis (مدينة الماجوس؟)⁹⁹ قصر جهم،¹⁰⁰ ومن آثار هذا القصر "برج" البليدة الذي كان يوجد وراء السوق البلدي، وقد تهدّم اليوم ولم يبق منه إلا السور الخارجي والمدخل والمسجد¹⁰¹. ويبدو أن التسمية الحالية (سليمان) تعود الى العهد الحفصي وتخلّد ذكرى أحد أحفاد سيدي داود النوبي. أمّا مركز الرباط فقد كان يوجد في المنطقة الساحلية، على بعد 6 كلم عن البلدة، قرب زاوية سيدي الجهمي، حيث عثرنا علي بقايا برج نصف دائري من الطراز الأغلي¹⁰².

قصر النخلة¹⁰³

يوجد قصر النخلة شمال قصر قربص (Aqua Caputana القديمة)¹⁰⁴ غير بعيد عن مرسى بن رمضان. ويتكوّن هذا الحصن الذي تذكره مصادر العصر الوسيط¹⁰⁵ من بناية مربعة يعلوها منار يشبه منارات سوسة والمنستير. ويدعم هذا الحصن قلعة رأس الفرطاس التي يعود إنشاؤها إلى العهد البوني، وتواصل استغلالها الى آخر العهد الحفصي¹⁰⁶.

N. Djelloul, *op.cit*, I p. 216 (98)

(99) هل عربت *Maius* بماجوس؟

(100) الادريسي، ص. 124-125

(101) يشكّل برج البليدة بناية طويلة تتخلّل سورها الخارجي دعائم حجرية.

(102) قرب قلعة سيدي الجهمي التي يعود احداثها الى القرن التاسع عشر.

(103) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، III، ص. 15+، N. Djelloul, *op.cit*, II, p. 440-441 ; H.R. Idris, *op.cit*, I, p. 218.

(104) تذكر الروايات الشفوية انه وقع تأسيسها من قبل سيدي عمارة (سنة 1663 م) القادم من طرابلس. ولكن

الادريسي تحدّث منذ القرن الثاني عشر عن قصر قربص، الادريسي، ص. 124 ؛ H.R. Idris, *op.cit*, II, p. 128. أمّا كربيس Carpis العتيقة فقد كانت توجد في منطقة المريسة.

(105) الادريسي، ص. 124 ؛ ص. 37-45

(106) N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 218

قصر توسيهان (بني خيار)

إمتازت المنطقة الساحلية الممتدة بين قليبية والحمّامات في العصر الوسيط بتعدد قراها وقصورها. ومن هذه القصور قصر توسيهان¹⁰⁷ الذي يناسب موقع بلدة بني خيار التي مازالت رحبتها تحمل إسم القصر، كما أن عمرانها يشبه الى حدّ بعيد تخطيط القصور الساحلية (ش. 13)¹⁰⁸، ويذكر الادريسي أن رأس توسيهان (المعمورة) كان بدوره محميّا بواسطة حصن رابط به احمد بن داود الصنهاجي¹⁰⁹.

قصور نابل وقربة

لا توجد أية إشارة الى وجود مركز للمرابطة بقصر نابل الذي يبدو من وصف الادريسي أنّه كان بدوره قرية محصّنة¹¹⁰ على أن بقاء تسميات مثل سيدي المحرسي تجعلنا نرجّح وجود رباط بهذه المنطقة. وغير بعيد عن نابل توجد بلدة دار شعبان الفهري¹¹¹ حيث يوجد الى اليوم رباط سيدي هلال الذي لم يبق منه إلاّ برج سيدي هلال. هذا المعلم، الذي يتّصل بالخارج بواسطة باب وحيد، مبنيّ بواسطة الحجارة المصقولة. ويتّصل بهذا البرج مجموعة من

(107) الادريسي، ص. 125-104 ؛ N. Djelloul, *op.cit* p. 218

(108) تذكر الروايات الشعبية أنّ بني خيار أسّستها مجموعة من أهالي قصر هلال.

(109) الادريسي، ص. 125-104. تجعل الرواية الشعبية من سيدي احمد بن داود مرابطا. ويقال أن مركز الرّباط كان زاويته التي أصبحت فيما بعد سوقا لقرى الجهة. وتذكر نفس الرواية أن أحمد بن داود قدم الى المعمورة من الهواريّة، وهي أيضا مركز مرابطة.

(110) الادريسي، ص. 125-124 ؛ N. Djelloul, *op.cit*, I, p. 216. وتبعد نابل القديم (Neapolis) عن المدينة الاسلامية حوالي 4 كلم. ويوجد قصر نابل بين وادي سويحيل ووادي الصغير، وكان يتكوّن من مدينة وربض وتذكر الرواية الشعبية أن أقدم مساجدها (الجامع الكبير-مسجد السبت-مسجد النورية-مسجد الكرمة-مسجد بوغدير) تعود الى العهد الحفصي.

(111) يحدّ دار شعبان من الجهة القبليّة البحر ومن الجهة الجوفيّة جبل عمرون ومدينة نابل من الجهة الغربية (1 كلم) ويحدّها من الجهة الشرقية بني خيار. ومازل وسط المدينة يحمل اسم القصر (ساحة الشهداء)، وهو الحدّ الفاصل بين بلدة دار شعبان وبلدة زاوية الفهري. وتذكر الرواية الشعبيّة أن مؤسس القصر هو شعبان مشماش، وهو من أبناء الوافدين الاوائل على افريقية. وتذكر مناقب احمد الفهري (التي تنسب لسيدي قاسم الجليري) أنّه قدم من الساقية الحمراء الى افريقية في العصر الزيري. واستقرّ بدار شعبان بعد أن صاهر صاحبها. وقد شكّلت بلدة الفهري حول زاويته. على أن بعض الاعمدة الرّومانية التي مازالت توجد بضريح سيدي الفهري تجعلنا نرجّح وجود تجمع عمراني قديم قام الزيريون بتحسينه (قصر). ومن اقدم معالم هذا القصر، اضافة الى برج هلال، ضريح سيدي الفهري، المسجد العتيق (الجامع الكبير) زاوية سيدي المجذوب، زاوية سيدي غلاب وزاوية سيدي الزين.

الحصون المنفردة (مثل قصر النخيل¹¹² وقصر الحديد¹¹³ والمنارات المنعزلة، التي كانت تحمي قصور قرية¹¹⁴ وتازركة¹¹⁵).

رباطات وادي الرمل

توجد مقاطعة وادي الرمل بين الجزيرة والساحل ويشكل جزؤها الساحلي (ساحل بحر المدفون) منطقة تغلب عليها السباح (سبخة الجريبة) والمستنقعات، وهو ما يفسر ندرة التجمعات العمرانية. وقد أدى وجود الجادتين الرئيسيتين اللتين تربطان منذ القديم ساحل البلاد بالشمال إلى نشوء قرى المرصد (أو مرصد شريك)¹¹⁶، فندق ريحان¹¹⁷ وقصر المدفون (أو قصر المرابطين)¹¹⁸. ويحمي هذه التجمعات من الجهة الشمالية قصر المنار (أو المنارة) الذي لم يبق منه في العهد الحفصي إلا المنارة الاسطوانية التي مازالت توجد قرب بوفيشة¹¹⁹ (ل. 15).

(112) الادريسي، ص. 124-125. هل هو القصر الذي مازالت آثاره قرب الحمامات ؟

(113) الادريسي، ص. 124-125.

(114) يبدو أن قرية نفسها كانت مركز مرابطة. ويحتل قصر قرية (الادريسي، ص. 124) الذي حافظ على سوره الى قرن التاسع عشر (N. Djelloul, *op.cit.*, I, p. 215) موقع مدينة *Curubis* الرومانية. وقد كانت في العهد المسيحي مركز اسقفية ويوجد بها الى اليوم كنيسة عتيقة (مقام سيدي الدعاس)، في حي بني عيشون، الذي يمثل نواة القصر والمدينة الرومانية. أما أقدم معالمها الاسلامية فهو جامع بني عيشون الذي جدد سنة 1856.

(115) تقع تازركة بالجنوب الشرقي من الوطن القبلي بين قرية وبني خيار. كما أن مركز القرية مازال يسمى القصر، مما يجعلنا نعدّها ضمن قصور العصر الوسيط. على أن أقدم معالمها (الجامع، مقام سيدي بوراوي، مقام سيدي عمر عبادة، الذي تذكر الرواية الشعبية أنه كان يمتنّ صنّع السيوف) تعود الى الفترات اللاحقة.

(116) البكري، ص. 37-45؛ الادريسي، ص. 125؛ الداعي إدريس، ص. 280؛ التيجاني، ص. 23؛ 'مررنا بالقرية المعروفة بالمرصد' (توافق حاليا موقع المرصل).

(117) البكري، ص. 37-45؛ الادريسي، ص. 148؛ N. Djelloul, *op.cit.*, I, p. 441-442 ; H.R. Idris, II, p. 224.

(118) البكري، ص. 37-45؛ التيجاني، ص. 24.

(119) التيجاني، ص. 23. "وتنتهي أرض وادي الرمل الي حيث انتهت بنا مرحلتنا من الفلاحين وذلك المبنى المعروف بالمنارة، وهو بناء مستدير الشكل مفرط الارتفاع قد انتظم من فصوص الحجارة المربعة الضخمة، ينسب بنؤه لابن الأغلب باني هذه القصور والمحارس الافريقية كلها. وهي متصلة فيما بين الاسكندرية وبحر الزقاق الذي بسبته وإليه تنسب المنارة الأخرى المشهورة بقرطاجنة بتونس". ويؤكد وصف L. Frank (1806) أن هندسة هذا منار الذي استعمل في العهدين الحفصي والعثماني لارسال الاشارات الضوئية لم تتغير كثيرا :

L. Frank, *Histoire de Tunis*, edit. J. Marcel, Paris 1850, p. 34 "c'est une grosse construction semblable à une haute tour, mais sans autre aménagement intérieur qu'une voûte qui la recouvre et une baie de porte qui y donne entrée. Les Maures l'appellent Minaret et prétendent qu'autrefois on allumait des feux sur le sommet pour guider les navigateurs".

وحول وجود لقيات أثرية من العهد الروماني بهذا الموقع انظر : M. Yacoub, *Guide du Musée du Bardo*, p.49

رباطات منطقة بجاية-بونة

ذكر ابن حوقل أنّ بونة (عَنَابَة) "مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة، ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر لا يزول كالرّابطة"¹²⁰. وتوجد هذه المدينة قرب منطقة القبائل الصغرى (بلاد كتامة) التي كانت تعدّ (من الشرق إلى الغرب) عددا من الموانئ والمراسي، وهي على التوالي: مرسى الخروبة، مرسى ابن الألبيري ومرسى قصر تكوش. ويقع هذا الأخير على بعد 18 ميلا شرقي رأس الحمراء (قرب بلدة تاكاتوا العتيقة)، وبه ميناء محمي على أحسن وجه، وتشمل مناطقه الداخليّة عدّة قرى تنتج كثيرا من الفواكه¹²¹. كما كان يوجد به في عصر الإدريسي رباط "وهي رابطة وبها قوم ساكنون"¹²². ويبدو أن بجاية (Saldae العتيقة) كانت أيضا مركز مرابطة، فقد كان يوجد بها في العصر الوسيط (خارج السور) حيّ يسمّى حومة رابطة المتمني، وحصن يسمّى الناظور¹²³، وهي تسمية كانت تطلق عادة على منائر الرباطات.

(120) ابن حوقل، ص. 76.

(121) البكري، II، ص. 758؛ هـ. ر. إدريس، II، ص. 102.

(122) الإدريسي، ص. 103.

(123) مقديش، I، ص. 95؛ هـ. ر. إدريس، II، ص. 111.

الفصل الثالث

رباطات السّاحل

ساحل القيروان

لم تكن منطقة الساحل التونسي تمثل قبل الفتح العربي إلا جزءاً من مقاطعة بوزاقية Byzacium الرومانية ، الممتدة من جنوب الوطن القبلي شمالاً إلى مستوى ضيقة جنوباً ، وتشمل غرباً مناطق السّباسب¹ . ورغم تغيّر مراكز القرار السياسي لهذه نكورة (سوسة - سبيطلة - القيروان) ، فإن الفاتحين الجدد حافظوا على هذا تقسيم الجغرافي - الإداري ، وربما اكتفوا بتعريب الاسم القديم إلى مزاق² . وقد وردت هذه التسمية في إحدى أشعار القاضي القيرواني عبد الرحمان بن انعم المعافري (ت. 261 هـ / 874 م)³ وذكر التسمية أيضاً ابن عبد الحكم⁴ وابن الشباط⁵ ، في حين كد المالكي ثم ابن ناجي من بعده⁶ أنّ "مزاق" هو فحص القيروان⁷ . هذا الفحص كان يشمل ساحل القيروان ، أي ما عرف فيما بعد بأوطان سوسة - المنستير - نمهدية وصفاقس⁸ .

هذا الارتباط الوثيق بين القيروان وساحلها يؤكد النص الذي أورده العديد من مؤرّخين حول تأسيس مدينة عقبة . ذلك أنّه لما أختطّها قال له بعض أصحابه : 'قربها من البحر ليكون أهلها مرابطين . فقال لهم : إنّي أخاف أن يطرّقها صاحب

(1) حسب حسن حسني عبد الوهاب (ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، تونس 1981، II، ص. 18) "بوزاقية توفّق المنطقة التي تعرف اليوم ببلاد الساحل وتمتدّ على سيف البحر على مسافة تقدّر بمئتين وخمسين كيلومتراً، تبدأ من سوسة وتصل إلى بطرية في الجنوب من بلد الشابة". هذا التعريف تفنّده كتابات الجغرافيين اللاتينيين الذي يضمّنون إلى بوزاقية مناطق القيروان وسبيطلة وصفاقس . انظر في هذا الصدد : Plin l'Ancien, *Histoire naturelle*, edit. J. Desanges, Paris 1980, V, 24 p. 226-229, pl. 4 ; Cl. Lepelley, *Les cités romaines d'Afrique au bas empire*, Paris 1981, II, p. 261, fig. 2

(2) محمد الطالبي، دراسات في تاريخ إفريقية : تونس 1982، ص. 114 ؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 18

(3) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 18

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، القاهرة 1922، ص. 19 "وكانت إفريقية يومئذ تدعى مزاق".

(5) "قبل هو فحص القيروان وقيل هو إسم إفريقية وأنها تدعى به". انظر المالكي، I، ص. 150، هامش 34 (6) المالكي، I، ص. 156

(7) ابن ناجي، معالم الايمان، تونس 1320 هـ، II، ص. 173

(8) المالكي، II، ص. 392، اللبيدي، مناقب أبو إسحاق الجبلياني، تح. هادي روجي ادريس، باريس 1959،

ص. 10، محمود مقديش، نزعة الأنظار، تح. محمد محفوظ وعلي الزواري، بيروت 1988، II، ص. 25 ؛

حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 125، التيجاني، ص. 23

القسطنطينية فيهلكها، ولكن أجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها غزاة البحر لأنّ صاحب المركب لا يظهر في اللجة حتّى يستره الليل، فهو يسير الى ساحل البحر الى نصف الليل، فيخرج، فيقيم في غارته الى نصف النهار، فلا تدركها منه غارة أبدا. فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التّقصير، فأهلها مرابطون، ومن كان على البحر فهم حرس لهم، وهم حرس معقود الى آخر الدهر، وميتهم في الجنة". " هذا النصّ يفسّر ما أورده التيجاني على لسان ابن شرف بأنّ "أهل سوسة كانوا في الأصل عبيدا لأهل القيروان. وذلك أنّه لمّا افتتحت إفريقية أشدّت إغارة الرّوم على مدن البحر، فابتنيت القصور على السّواحل، كقصور سوسة وغيرها، وجعل بها من عبيد أهل القيروان ومن أنتدب معهم قوما للرّباط، فكثروا هنالك وأستقلّوا بمدينتهم . . . والواجب أن لا تقبل دعوى قروي على سوسي والعكس بالعكس"¹⁰. ومهما كانت درجة المبالغة في هذا الخبر، فهو يعكس حقيقة لاجدال فيها، وهي أنّ منطقة السّاحل بزيوتونها كانت "مدار غلات إفريقية"¹¹ ولعبت - مثل صقلية -¹² دور منطقة التّوطين لجزء من قدامى المحاربين.¹³ لكن وإن كنّا نعرف طبيعة الخدمات التي يؤدّيها هؤلاء في الجزيرة الكبرى - قطع الخشب لصالح دور صناعة السفن -¹⁴، فإنّ الأمور تبدو أكثر تشعّبا في إفريقية، وهذا يرجع ربّما إلى اختلاف الفقهاء في تحديد نوعيّة أراضي إفريقية، أي هل أفتتحت عنوة أم صلحا¹⁵. على أنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ أغلب أعيان القيروان، خاصّة المقرّبين من العرش الأغلبي، كانوا يملكون بالسّاحل قرى وضيعات شاسعة، مثل ابن مسروق وعلي بن سلم البكري وعيسى بن مسكين وبني نافذ، وسحنون بن سعيد.

(9) المالكي، I، ص. 11. انظر أيضا: ابن ناجي، I، ص. 7،

(10) التيجاني، 1981، ص. 33. حسب الهادي روجي إدريس (الدولة الصنهاجية، تعريب حمّادي السّاحلي، بيروت 1992، II، ص. 47)، "هذه العداوة المتوارثة تعطي أهمية بالغة للمأدبة التي أقيمت بمناسبة إصطلاح أهل القيروان وسوسة".

(11) التيجاني، ص. 49

(12) الدّواوي، كتاب الأموال، نشر حسن حسني عبد الوهاب وفرحات الدّشراوي، تحت عنوان: "Le régime foncier en Scile au Moyen âge", in *Etudes d'orientalisme dédiées à Levi-Provencal*, Paris 1962, II, p. 416.

(13) F. Dachraoui, *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis, 1981, p. 32.

(14) الدّواوي، ص. 16، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 30

(15) المالكي، II، ص. 250؛ الدّواوي، ص. 28-29؛ II، ص. 250؛ الدّواوي، ص. 28-29؛

M. Talbi, *Etudes d'histoire Ifriqiyenne et de civilisation musulmane médiévale*, Tunis 1982, p. 185.

فمحمّد بن مسروق، كان والده من رجال موسى بن نصير¹⁶. ويعرف عنه أنه كان قبل أن يتزهد "يفتضّ كلّ يوم عذراء...". وكان يمرّ بالقرية من قرى أبيه، فيخرج إليه منها ومن فيها فيقولون: نحن عبيدك وكلّ ما ترى في هذه القرية فهو لك... ومحمد بن مسروق هذا هو صاحب المسروقين التي على طريق السّاحل¹⁷. أمّا على بن سلم البكري، فهو ابن سحنون من الرّضاع وولاه قضاء السّاحل¹⁸. وكان أيضا من أهل الخطط¹⁹، ممّا جعله يملك عدّة منازل²⁰، منها قرية جبنيانة²¹. هذه الثروة ضخمة مكّنته من أن يشيّد على نفقته الخاصّة أسوار وجامع صفاقس وعدّة محارس بنفس المنطقة²². وإلى جانب جبنيانة، كانت توجد قرية بني نافذ (بليانة)²³ الذين غرّوا الوزارة أيام بني الأغلب. والشئ نفسه ينسحب على عيسى بن مسكين، قاضي إفريقية، الذي كان يملك بالسّاحل قريته الخاصّة²⁴.

وكان سحنون بن سعيد - صاحب المدوّنة -، بالرّغم من تواضع جذوره الاجتماعيّة يملك بمنزل صقلاب وبناحية صفاقس 12000 أصل زيتون،²⁵ في حين أنّ ضيعة صاحبه عبد الرّحيم بن عبد ربّه الزّاهد صاحب قصر زياد كان بها 17000 أصل

(16) المالكي، I، ص. 193؛ M. Talbi, *Etudes*, p. 196.

(17) المالكي، I، ص. 193. المسروقين تعرف اليوم بسيدي الهاني. أنظر في هذا الصدد: البهلي النّبال، تحقيقه التاريخيّة للتصوّف الإسلامي، تونس 1962، ص. 233. وتوكّد التسمية القديمة *Vicus Augusti* التّواصل بين الملكيّة الكبيرة الرّومانية والإسلاميّة (11) حول هذه الشخصيّة، أنظر خاصّة: اللّبيدي، مناقب أبي إسحاق الجبنياني، نشر الهادي روجي إدريس، باريس 1959.

(1) أي الذين شملتهم عملية توزيع الأراضي على الفاتحين الجدد. راجع في هذا الصدد: ابن منظور، لسان العرب، VII، بيروت 1956، ص. 288.

(2) كلمة منزل تعني عادة القرية ويضاف إليها غالبا إسم أول من نزلها أو تملّكها. كما أنّ هذا المصطلح يمكن أن يحمل في طيّاته معنى القرية - المحطّة للتجّار والبريد. انظر في هذا الصدد: حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج: II، ص. 86.

(21) المالكي، ج. II، ص. 261.

(22) اللّبيدي، ص. 197؛ M. Talbi, *Etudes* p. 189.

(23) المالكي، ج. I، ص. 427-428، اللّبيدي، ص. 55، مقدّيش، II، ص. 226، الهادي روجي إدريس، دولة الصنهاجيّة، II، ص.

(24) مقدّيش، ج. II، ص. 246، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 104.

(25) عياض، ترتيب المدارك، تحقيق محمد الطّالبي، تونس 1968، ص. 163، ابن ناجي، II، ص. 65، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 100.

من نفس الأشجار²⁶ . كذلك كانت ليعقوب بن المضاء - أحد أفراد العائلة الأغلبية - عدة ضياع بناحية جمّة (المهدية) ، صادرتها - مثل ممتلكات آل الجبنياني - الدولة الفاطمية²⁷ .

إنّ هذه الحركيّة خلقتها الفراغ الذي تركه رحيل الرّوم ، بعدما جعلوا من منطقة السّاحل آخر مناطق الصّمود المسيحي في بوزاقيّة ، وهو ما يؤكده المالكي في حديثه عن حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذي " أقام في سبيطلة ، فلما رأى الرّوم الذين بالساحل ما حلّ بجرجير وأهل سبيطلة غارت أنفسهم وتجمّعوا وكاتب بعضهم بعضا في حرب ابن أبي سرح "²⁸ . كما أنّ أسد بن الفرات قال لجنده قبل غزو صقلية " هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم . " وفسّر المالكي معنى قول أسد " هؤلاء عجم السّاحل الذين هربوا منه لما فتحت إفريقية " .²⁹ ونحن نعرف أنّ آخر أماكن تواجد فيها الرّوم بكثافة كانت السّاحل والوطن القبلي ، أي الجهات التي تكاثرت فيها الأربطة . وهذا يؤكّد ما ذهبنا إليه آنفا ، حول وجود قاسم مشترك بين الأربطة وعملية توطين الفاتحين الجدد في أراضٍ استولت عليها الدولة الجديدة .

ابّان الحملة الأولى على إفريقية ، لم يحاول عبد الله بن أبي سرح التوغّل أكثر في شمال البلاد ، بل اكتفى بما غنمه من مزاقي ، و " صالح أهل الحصون والمدائن على ألف دينار من الذهب " ³⁰ . كما أنّه " وجد أكثر أموالهم الذهب والفضّة فغنم منها وسألهم من أين لكم هذا ؟ فجعل أحدهم يلتمس شيئا من الأرض فأثابه بنواة زيتون وقال له من هذا أصبنا هذه الأموال " ³¹ . هذا الزيتون الذي لعب دورا هامّا في ازدهار هدريم Hadrumetum و الجم Thysdrus في العصر الرّوماني ، كان أيضا يشكّل في منتصف القرن السّابع الثروة الأساسيّة لبلاد السّاحل ، وربّما أيضا منطقة القيروان³² لكن أنخرام الأمن بعد الغزو الوندالي أدّى الى تراجع العمران والحياة الإقتصادية ، حتى أنّ

(26) حول قصر زياد انظر خاصّة : N.Djelloul, "A propos d'un toponyme de la région de Sfax : Qasr Ziyad", in Actes du colloque : La dynamique économique à Sfax entre le passé et le présent, 28-30 novembre 1991.

(27) الداعي إدريس ، أفتتاح الدّعوة ، تحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت ، 19 ، ص . 90 ، اللّبيدي ، ص . 7 ، M. Talbi, Etudes, p. 191

(28) المالكي ، 1 ، ص . 27 .

(29) نفس المصدر ، ص . 272 .

(30) المالكي ، 1 ، ص . 19 ، التيجاني ، ص . 46 ،

(31) التيجاني ، ص . 46 ،

(32) محمد الطّالبي ، دراسات ، ص . 131 .

بركوب Procope " لا يتحاشى أن يجزم في تاريخه السري أن إفريقية أصبحت من الخراب بحيث يعجب المسافر إذا ما ألتقى، بعد مراحل طويلة، برجل من الرجال" ³³. كما أن لأموال التي غنمها ابن سرح يمكن ان تدعم هذا الرأي، ذلك أنه إبان الأزمات السياسية، يعتمد الناس الى كنز الذهب عوض إنفاقه ³⁴

إن الدراسات الحديثة حول إفريقية البيزنطية تدعونا اليوم إلى مراجعة كتابات شارل ديال Ch. Diehl ومحمد الطالبي حول هذه الفترة ³⁵، دون أن ننفي تماما حقيقة التراجع التي عرفتة البلاد بالنسبة إلى عصر السفيريين Sevères. هذا التقهقر سوف يتداركه العرب، خاصة لأغلبة الذين ساهموا بقسط وافر في جعل الساحل فحشا "كثير السواد من الزيتون والشجر ونكروم... وفيه قرى كثيرة متصلة بعضها ببعض... وفي جميع المراحل حصون متقاربة يسكنها العباد والمرابطون" ³⁶. كما أن مؤسسة الرباط التي تطورت خاصة في هذه المنطقة ترتبط بعملية الإحياء والتعمير وساهمت من هذه الناحية في تشكيل طابعها الحالي وتمتيز بزراعة الزيتون والبقول وتعدد القرى. هذا الارتباط بين عالم الزيتون والساحل سيتأكد في العصر الحفصي، فبعد انقراض غابة صفاقس ³⁷ أصبحت حدود هذه المنطقة تقريبا هي نفسها التي يعرف بها حاليا الساحل الإعتباري، أي ولايات سوسة والمنستير ونمهدية. ³⁸ في حين أصبح الشريط البحري - الجنوبي ينعت أكثر فأكثر بوطن صفاقس.

مدينة - رباط سوسة . (ش. 15 - 17 - ، ل. 16 - 17)

كانت كل مدينة سوسة الأغلبية تعتبر رباطا ³⁹، وهذا يبرز بصفة جلية من خلال عدة تراجم أفردتها المالكي وعياض وابن ناجي لنساک هذا الحصن ⁴⁰.

(1) نفس المرجع، ص. 126. انظر أيضا : Ch. Diehl, L'Afrique Byzantine ; p. 282.

(2) محمد الطالبي، دراسات، ص. 125.

(3) انظر خاصة : D.Pringle, *The defences of Byzantin Africa, from Justinian to the arab conquest*, Oxford 1981, 2 vol.

(4) اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن 1892، ص. 102.

(5) التيجاني، ص. 41، 49.

(6) التيجاني، ص. 17 و 1981، ص. 23. "من آخر أرض وادي الرمل وبالتحديد من قرية المرصد شمالا الى رأس قبوذية جنوبا".

(7) عرف ياقوت الرملة بأنها "مدينة عظيمة، كانت قصبة فلسطين وكانت رباطا للمسلمين". حول مفهوم المدينة - رباط انظر أيضا : L. Golvin, "Notes sur le mot ribat" in, R.O.M.M, 1 et 2 ème Semestres ; 1969, p. 95.

101

(+) هذه التسمية - اي الحصن - كانت الأكثر شيوعا في العصر الوسيط. انظر المالكي، II، ص. 5، 14.

- سأل إبراهيم الثاني (261 - 289 هـ / 875 - 902 م) أبا الأحوص أحمد بن عبد الله (ت : 284 هـ / 897 م)، أحد مرابطي سوسة في بعض زياراته أن " يكلفه حاجة يقضيها له، فقال له " هذا البلد قد عمر، وهو ثغر، وأهل إفريقية إليه مقصدهم وهو مرابطهم، والقرويون في ليلة كل جمعة يرابطون فيه والجامع يضيق بهم، وأحب أن تزيدهم فيه وهذه الدواميس تجري إليها ساقية من خارج المدينة، وتوصل إليها ماء السماء فينتفع بذلك الناس والأرامل والأيتام، ويجد فيه راحتهم أهل الموسم من الغرباء والمرابطين والمنقطعين الى رب العالمين لجله وقدم أجله . وتخرج الذين حبستهم في الدواميس من أهل تونس . فأجابه الى جميع ذلك وأخرج المحبوسين، وزاد في الجامع الثلاثة سقوف العالية التي تلي القبلة ويقال أنه سأل أيضا أن يبنى للمسلمين مصلى يصلون فيه يوم العيد ففعل ذلك " .⁴¹ .

" وذكر أيضا أن إبراهيم بن أحمد أظهر يوما في قصره عزفا ولهوا ، فدخل رجل من المتعبدين الى المسجد الجامع من بابه الغربي فقال لأصحابه : قوموا بنا الى هذا الرجل، فقد أحدث علينا أمورا لا نعرفها، ولا نصبر عليها ، فإما أن يزيل عنا هذا الأمر وإلا فنحن نخرج وأرض الله الواسعة . ونحن إنما سكنّاها لله الواحد القهار . فخرج من باب الجامع الشرقي فصحبه نحو سبعين رجلا من المتعبدين، فتوجهوا الى قصر إبراهيم، فملؤوا الفضاء الذي بين يدي القصر مع من تبعهم، فوجدوا الأمر الذي يكرهونه قائما من اللهو والعزف . فقالوا له : نحن إنما جئنا الى هذه المدينة وسكنّاها لله الواحد القهار، وقد أحدثت علينا هذه الأمور من اللهو والعزف، فإما أن يقطع عنا هذا الأمر وإلا فنحن نخرج عنها وأرض الله واسعة . . . فخرج الأمير الى قبة الرمل فكان يخلو فيها بمن يحب، فإذا قضى وطره رجع ليلا الى قصره " .⁴² .

هذه المدينة التي تحيط بها الأسوار كانت - نظرا لهذه الوظيفة - تعتبر " طرسوس المغرب " .⁴³ وكان يحيى بن عمر (ت . 289 هـ / 902 م) يقول : " إنما هي عندي مثل الإسكندرية وعسقلان وهذه المواضع التي ذكر فضلها في الحديث " .⁴⁴ . وكانت

(41) نفس المصدر، أ، ص . 486 .

(42) المالكي، ص . 486 .

(43) نفس المصدر، أ، ص . 486 .

(44) المالكي، أ، ص . 500 . حول " فضل المصيبة وعسقلان " انظر : التيجاني 1981، ص . 32 . وقد وردت الأحاديث خاصة في فضل المصيبة وعسقلان والمنستير ورادس .

- مثل باقي الحصون⁴⁵ تغلق أبوابها ليلا ولا تفتحها قبل طلوع الشمس.⁴⁶ وأرضها
- ككل الرباطات - أحباس، لا يمكن بيعها. وذكر عياض أن أحد مرابطي سوسة،
محمد بن رزين (ت. 255 هـ / 868 م) "كان أول من باع من أهل العلم دارا بسوسة،
في كن الفقهاء لا يرون بيع دورها"⁴⁷.

عملية البيع التي أقدم عليها ابن رزين، ربما تنذر ببداية تدهور مؤسسة الرباط، أو على
أقل تراجع سوسة كمركز للعباد وتحولها الى تجمع حضري عادي. ويخبرنا التيجاني في
هذا نصدد أن "الأمير أبا إبراهيم أحمد (242 - 249 هـ / 856 - 863 م) جدّد سورها
وأشرفها بالمدن"⁴⁸. يؤكد ذلك ما أورده المالكي بشأن "قوم من الجزيريين بزقاق الروم
يكبرون في أيام العشر ويرفعون أصواتهم بالتكبير". وكان يحي بن عمر يجوز عليهم إذا
مضى إلى الجامع ويسمع تكبيرهم، "فنهاهم عن ذلك وقال لهم: هذه بدعة، فلم يتهوا.
فيقال أنه دعا عليهم فصار ذلك المكان خرابا، وأقام كذلك مدة ثم عمّر بعد ذلك".⁴⁹
و التكبير والتطريب من عادات المرابطين التي ذكرها سحنون في المدونة⁵⁰، أما الجزيريون
فهم بلا شك عباد الجزيرة الذين وفدوا إلى سوسة باكرا وأستقروا بها.⁵¹ وربما يعود
حرب دورهم الى تراجع وظيفة الرباط الأولى (لصالح صناعة السفن والنشاط العسكري
صنعة عامة) وبالتالي إهمال الأماكن المخصصة لهؤلاء النساك.⁵² هذا التدهور ربما
يتر أيضا "التفسخ" الأخلاقي الذي انسابت عدواه الى المرابطين أنفسهم، والذي

- مالكي، I، ص. 15، 16.

- قال أبو جعفر القمّودي (ت. 324 هـ / 935 م) "بينما أنا سابت إذ وقف بي شخص فقال لي: إن أردت أن
تري نبي الله تعالى فأخرج إلى مسجد الدّمنة - يريد المصلى الذي في قبلة الدّمنة - فقمّت من فوري إلى الذي
عند مذبح أبواب المدينة فسألته أن يفتح لي فقال لي: تفتح حصن المسلمين في هذا الوقت؟ فقلت له: افتح
ففتح وكن من ورائي فإن خرجت فأغلق الباب... ففعل الباب ذلك لجلالته". المالكي، II، ص. 6.
مذكر عن المؤلف (II، ص. 230) أنه "لما وافى أبي جعفر المنية" نفر الناس من القيروان من صلاة الظهر إلى
عشاء فآخروا باب سوسة [الباب القبلي] سحرا... فقال البوابون لم يمت، فانتظر الناس إلى طلوع
الشمس. فمات رحمه الله تعالى".

- عياض، 1968، ص. 156؛ G.Marçais, "Notes sur les ribats en Berberie", in Melanges d'histoire
et d'Archéologie de l'Occident musulman, Alger 1957. ويذكر ابن ناجي (I، ص. 37) "أن موسى
بن معدوية نصمادحي سأله زيادة الله عن عمود في مسجد خرب بالساحل أراد تحويله إلى المسجد الجامع بالقيروان
وقد دنته لا يجوز".

- تيجاني، ص. 26.

- مالكي، I، ص. 497، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 52.

- مدونة، II، ص. 42. "قوم يكونون في الحرس في الرباط فيكبرون ويطنون".

- مالكي، I، ص. 340.

حاول الحسن بن نصر (ت 341 هـ / 954 م) محاربته لما ولّاه زيادة الله الثالث قضاء المدينة.⁵³ وسيتواصل هذا التراجع مع بداية العصر الفاطمي، خاصة وأنّ عبد الله المهدي - دون أن يعطل تماماً مؤسسة الرباط مثلما يحاول أن يوهمنا بذلك اخباريو السنة -⁵⁴ عمل على إضعافها،⁵⁵ فبرزت بسوسة الملاهي ودور الخمر،⁵⁶ وهو ما يتنافى "عادة" مع حياة الزهد والرباط.

ومع بداية حكم الخليفة الفاطمي الثالث اسماعيل المنصور (334-341 هـ / 946-953 م)، الذي سلك سياسة مصالحة مع المالكية⁵⁷، إستعادت سوسة (على الأقل بالنسبة الى زهاد المالكية) لفترة دورها التقليدي. ويذكر صاحب رياض النفوس ان الحسن بن نصر نفسه بعد أن "قطع من سوسة الملاهي وكسر ما في دار الخمر من أواني، سمع حسّ مزمار من ناحية قصر طارق. فقطع ما هو فيه ونزل الى باب داره، ففتحته وصاح الى بعض جيرانه وقال: إلتمسوا لي هذا المزمار في أي دار هو وعرفوني بذلك، فمضوا حتّى وصلوا الى قصر طارق فسألوا أهل القصر عمّن نزل بالمسكن الذي بناه طارق غربي قصره، فقالوا: نزل به رجل من هؤلاء القوم يقال له الأمير طاهر جاء من المهدية وهو ابن

(52) أنظر في هذا الصدد ما أورده المالكي (II، ص. 456) بشأن المرابط أبا حفص عمر بن عبد الله الصديقي (ت. 349 هـ / 960 م) المقيم بقصر ابن الجعد "فأذا تكاثرت الناس بالمنستير أيام الموسم يخرج الى سوسة لمّا إشتهر أمره وكانت له بها زوجة فيقيم بها، ويلبس ثياباً جميلة ويتزأ بزّي حسن ويتصرّف في الأسواق كتصرّف التجار ليخفي بذلك حاله". كذلك يحيى بن عمر، بالرغم من حبه لسوسة، كان يرباط بالمنستير كلّ رمضان (المالكي I، 437، 500).

(53) المالكي، II، ص. 403.

(54) ابن ناجي، II، ص. 199 "عبد الله المهدي اخذ أموال الأقباس والحصون وأخذ السلاح الذي في الحصون التي على ساحل البحر" راجع أيضاً المالكي، II، ص. 260.

(55) حول تواصل المرابطة في العصر الفاطمي انظر: المالكي، I، ص. 260-230، 382، 446؛

F.Dachraoui, Le califat fatimide, p. 394, N. Djelloul, "A propos d'un toponyme", *passim*.

(56) المالكي، II، ص. 401، التيجاني، ص. 53 ذكر سلمان بن محمد المهري أنه كان بسوسة شاعراً يهوى غلاماً من غلمانها وكان الغلام يعرض عنه فحرق داره بعد ان شرب وقال:

لما تمادي على بعادي	وأضرم النار في فؤادي
ولم اجد من هواه بداً	ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي	ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي	أقلّ في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي	ولم يكن ذاك من مرادي

(57) الداعي إدريس، عيون الأخبار، نشر فرحات الدشراوي، تونس 1979، ص. 194-197، 215.

(58) المالكي، II، ص. 401.

عمّ إسماعيل السلطان، أتى معه بالمسكر والملاهي، فرجعوا الى الشيخ وعرفوه بذلك فقال لهم : تصلون الى هذا الفاسق وتقولون له : أتيت بالمنكرات إلى رباط المسلمين وثرغ من ثغورهم، أخرج عنا وإلاّ جاهدناك حتّى تخرج... فقال لهم : أنا منصرف عنكم بالغداة، وقطع التي كانت عنده ولم يسمع منه بعد النكير عليه شيء⁵⁸

كتب الطّبقات هي بدون منازع أهم مصادرنا حول الرّباطات التونسية . لكن رغم لترتيب الزّمني الذي إعتمدته أغلب هذه المؤلّفات ، فإنّها لا تعطينا فكرة شافية حول التطوّر العمراني لمدينة سوسة نفس الشيء بالنسبة الى الدّراسات التاريخية والأثرية العديدة التي إهتمّت بهذا الموقع،⁵⁹ لأنّها إكتفت في الغالب بالتركيز على بعض "معالم الشهيرة التي أحدثت في العصور الإسلامية الأولى مثل التحصينات"⁶⁰، "قصر رّباط"⁶¹، المسجد الجامع، مسجد بوفتاة⁶² والقصبة⁶³ . وبدون أن نكرّر ما كتب حول هذه المنشآت ، سنحاول أن نضعها في إطارها العمراني وخاصة في علاقتها مع مؤسسة الرّباط التي تهتمّنا بالدرجة الأولى في هذا البحث .

التطوّر العمراني والنشاط المعماري

يبدو أنّ مدينة هدريم *Hadrumetum*⁶⁴، بعد أن كانت قاعدة لمقاطعة مزاق الرّومانية، تدهورت فيما بعد الى حدّ نسيان إسمها القديم (خلافا لما حدث بالنسبة الى مدن قفصة

(58) انظر خاصة . حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 15-84، مراد الرّماح، سوسة من الفتح الإسلامي الى مجيئ الفاطميين، شهادة التعمّق في البحث، كلية العلوم الإنسانية، تونس 1980 . (مرفوعة)؛ C.Hannezo, *Sousse de 146 av.J.C à nos jours*, Sousse 1906 ; G.Marçais, "Sousse et l'architecture musulmane du IX ème siecle", in, Annales de l'Institut d'Etudes orientales, Alger 1948, ID, L'architecture musulmane d'occident, Paris 1955, pp. 23-25, 30-31, A. Lezine, Architecture de l'Ifriqiyya, recherches sur les monuments aghlabides, Paris 1966 ; I.D, Sousse, les monuments musulmans , Tunis 1967. (60) انظر خاصّة : N.Djelloul, Les installations militaires et la défense des côtes tunisiennes, thèse, Paris-Sorbonne 1988, II, pp. 477-497.

(61) A.Lezine, Le ribat de Sousse, suivi de notes sur le ribat de Monastir, Tunis 1957; I.D, "Deux ri-bats du Sahel tunisien", in Cahiers de Tunisie, IV, 1956, pp.275-288.

(62) L.Golvin, Essai sur l'architecture religieuse musulmane, Paris 1974, III, pp. 212-219; ك.أ.س. كرزويل، الآثار الإسلامية الأولى، تعريب عبد الهادي عبلة، بيروت 1984، ص. 352-360.

(63) A.Lezine, Sousse, pp. 47-48; N.Djelloul, op.cit T. II, pp. 492-496

(64) حول المدينة الرومانية انظر خاصّة :

C.Hannezo, "Observations sur le tracé du plan d'hadrumette par Daux", in Revue archéologique. XXX, 1897, pp. 20-29; L.Foucher, Hadrumetum, Paris 1942

Capsa ، باجة Vaga ، الأربس Laribus ، شقنبارية Sicca Veneria التي حافظت على مكانتها في بداية العصر الوسيط)⁶⁵ . فسوسة لما طرقتها جيوش ابن الزبير سنة 34 هـ / 654 م لم تكن سوى مركز عسكري صغير تحول الى قرية بعد إنهاء السلطة البيزنطية⁶⁶ . هذا المركز سوف لن "يعمر" ⁶⁷ إلا في منتصف القرن التاسع الميلادي ، لما توافد عليه المرابطون وأحدث به الأغلبة إحدى دور الصناعة الهامة في الغرب الإسلامي . ويفهم من كلام أبي الفضل مسرور ، مولى نجم الصيرفي المرابط بسوسة ، أن هذه النواة الأولية كانت قصر الرباط أو محرس الرباط الذي كان يعتكف به بعض الزهاد ويأوى إليه سكان البوادي المجاورة إبان غزوات الروم . ⁶⁸ هذا المحرس يعود إحداثه الى فترة يزيد بن حاتم المهلبى (155 هـ / 171 هـ / 772-788 م) الذي يرجع له الفضل أيضا في بناء المعلم المصطلح عليه حاليا "برباط سوسة" ⁶⁹ .

ولما اعتلى ابراهيم بن الأغلب عرش إفريقية (184-196 هـ / 800-812 م) عمل على تطوير مؤسسة الرباط ، خاصة وأنه كان مقربا من أوساط فقهاء المالكية⁷⁰ ، أشد المدافعين عن المرابطة ، مما حدا بهم الى وضع الأحاديث في شأنها . وقد يكون هذا الأمير أوكل لتابعه هارون بن موسى⁷¹ بإحداث مسجد وقصر جديد (مكان الجامع الحالي) وبعض الدور لسكنى المرابطين . خليفته الثاني زيادة الله (201-223 هـ / 817-838 م) ، أعطى دفعا جديدا لهذا التجمع السكى بإنشاء دار الصناعة في 206 هـ / 821 م ، أي في نفس السنة التي أضيف فيها المنار المستدير الذى يعلو الركن الجنوبي

(65) الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، II . ص . 40 ، 74 ، 78 ، برشفيك ، تاريخ إفريقية ، I ، ص . 333-336 .

(66) التيجاني ، ص . 26 ؛ حسن حسني عبد الوهاب ، ورفات ، II ، ص . 50 ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، 1986 ، III ، ص . 282 المالكي ، II ، ص . 240-241 .

(67) المالكي ، II ، ص . 240 - 241 .

(68) قال أبو الفضل (ت: 324 هـ / 935) . "كنت بسوسة منذ أربعين سنة فجاءت مخاوف من العدو ومشيت مراكبه في البحر فأخذ الوالي أهل سوسة وأصحاب النوالات وغيرهم بالحرس نوبا ، وكان المرابطون في ذلك الوقت قليلين ، فلما سمع الناس بذلك جعلوا مقبلين الى سوسة وكثر الناس ، فخرجوا الى رملة سوسة مستعدين ، حارسين ذراري المسلمين . فإنا ذات ليلة في ذلك نحرس وقد علوت في المحارس ورأيت أهل الدور يمشون في ضوء السرج حتى جن الليل ، فسمعت صيئة وهي تقول لأمها : يا أمه قد جاء المرابطون يحرسوننا قم بنا نرقد ، فأعجبني ما سمعت وأغبتت بما فتح الله عز وجل لي من ذلك" . المالكي ، II ، ص . 240-241 .

(69) محمد الطالبي ، الدولة الأغلبية ، تعريب المنجي الصيادي ، بيروت 1985 ، ص . 431 ، A.Lezine, Le ri-bat de Sousse; p. 21

(70) محمد الطالبي ، الدولة الأغلبية ، ص . 147-148 .

(71) حسن حسني عبد الوهاب ، ورفات ، II ، ص . 21-22 .

- الشرقي "لقصر الرباط،⁷² لتسهيل عملية تنقل السفن الحربية . هذا الاهتمام الجديد بسوسة يواصل نفس السياسة التي سلكها إبراهيم الأول، أي التقارب مع أوساط المالكية⁷³، خاصة وأن تونس التي انفردت - مع النوبة - بأغلب العمليات البحرية الموجهة ضد جزر المتوسط⁷⁴ تعددت بها حركات العصيان، مما حدا بزيادة الله الى تهديم سورها سنة 218 هـ / 833 م⁷⁵ . ويفسر هذا التوجه تعيين الفقيه أسد بن الفرات على رأس الحملة التي خرجت سنة 827 (من سوسة) لغزو صقلية⁷⁶ . كما أن منطقة الساحل بصفة عامة - إضافة الى قربها من القيروان - بقيت طيلة الثورات التي عصفت بالإمارة على ولائها للدولة المركزية⁷⁷، وقد لعب المرابطون بدون شك دورا في صياغة هذا الموقف⁷⁸ . إلى جانب هذه العوامل السياسية والمذهبية، كانت سوسة من الناحية الحربية الصرفة تمثل موقعا ممتازا لإقامة دار الصناعة الجديدة . فهي مجهزة منذ العصر الروماني بميناء إصطناعي خارجي، ويتمتع أهلها - رغم تراجعها العمراني - بتقاليد بحرية تعود الى العصر البوني .

المنشآت الجديدة تمثلت خاصة في حوض داخلي لتزليق السفن يحتل المنطقة التي توجد اليوم شرقي الجامع . ويتصل به عدة مباني - خزائن البحر - لصنع وتخزين المعدات الحربية والبحرية من خشب وقلوع وسلاح . أما دور الاسطولييين فالمرجح أنها أقيمت جنوب هذا المركب (منطقة سيدي بوراوي) أي بنفس الحي الذي توجد فيه مساكن ونوالات المرابطين . على أنه بالرغم من هذا التطور بقيت سوسة قبل كل شيء مركزا عسكريا ومقرا للمرابطة . والمرابطون أنفسهم ، رغم استقرار العديد منهم بهذا الحصن⁷⁹، كان أغلبهم سكانا موسميين، أي من أصحاب الدور أو من "أصحاب الموسم" ، خاصة وأن الفقهاء اختلفوا حول مسألة أساسية وهي هل "أن الرباط يحصل

(72) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 20 ؛ محمد الطالبي، الدولة، ص. 31+، A.Lezine, Le ribat de Sousse, p. 22

(73) ابن ناجي، II، ص. 75 "أمراء بنو الأغلب كانوا يخرجون من رقادة ليلة نصف شعبان لزيارة دور العباد والعلماء والمحارس"

(74) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 23.

(75) محمد الطالبي، الدولة، ص. 233-234، N. Djelloul, Les installations militaires, I, P. 195.

(76) محمد الطالبي، الدولة، ص. 237، 456-457.

(77) M. Talbi, Etudes, p.190

(78) N.Djelloul, A propos d'un toponyme de la région de Sfax Qasr ziyad", passim.

(79) المالكي، I، ص. 414-415.

لمن خرج عن أهله وسكن بالسواحل أو من أستوطن بها⁸⁰ . لهذا نرى بعض العباد مثل ابن سهلون " يرى أهله وولده في السنة مرة واحدة ثم يخرج عنهم إلى سياحته "⁸¹ في حين كان أبو الحسن علي الأنصاري يلقب بالسائح لكثرة تنقله بين الحصون⁸² . وكان أهل الدّور خاصّة من النّسّاك الذين يقيمون في القيروان أو برباطات الشريط السّاحلي ويقضون أغلب فترات حياتهم في السياحة⁸³ وريادة القصور . وقد أطلق على ذلك لفظ الدّور، أي المجموعات التي " تدور " وتتفقد بصفة دورية الحصون⁸⁴ مثلما كان يحدث على نطاق ضيق في " خرجة ابي سعيد الباجي "⁸⁵ . وخلافا لأصحاب الدّور فإنّ أصحاب الموسم كانوا غالبا " نسّاكا " عاديّين من سكّان القيروان والقرى المجاورة لسوسة،⁸⁶ يربطون بها خلال شهر رمضان وخاصّة أيام الجمعة وعاشوراء.⁸⁷ وتوسيع الجامع والمواجل في فترة لاحقة لا يدلّ بالضرورة - مثلما ذهب الى ذلك أ. لزين -⁸⁸ على نموّ سكان الحصن، بل يفسّره قبل كلّ شيء تدفق " أهل الموسم من الغرباء والمرابطين "⁸⁹، تماما مثلما يحدث اليوم في بعض المحطّات السياحية الكبرى في فصل الصيف .

(80) عقّب ابن ناجي (I، ص. 7) على قول عقبة بن نافع " فأهلها مرابطون، ومن كان على البحر فهم حرس لهم . . " بأنّه تأكيد على " أنّ الرّباط يحصل بسكنى الأهل ونصوص الفقهاء إذ أنّ الرّباط لمن خرج عن أهله وسكن بالسواحل . أمّا من إستوطن بها فلا يحصل له فضل الرّباط " . وربّما لأجل هذا كان يحيى بن عمر الذي إستوطن سوسة يرباط بالمنستير خلال شهر رمضان . (المالكي I، ص. 437-500) .

(81) المالكي، II، ص. 262،

(82) أبو الحسن علي الأنصاري السّائح، أحمد السّائح (المالكي، II، ص. 257. 262) كما ذكر ابن ناجي في ترجمة أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الله " أنه كان كثير السياحة والرّباط لا يمرّ بشرف ولا بقبر ولا روضة حسنة إلا وركع فيها " .

(83) حسب ما يتّضح من ترجمة ابي القاسم عبد الوهاب، هنالك إرتباط بين السياحة والتصوّف وهذا يفسّر الأحاديث التي نهت عنها .

(84) انظر شرح هذه اللفظة في : دوزي : ملحق القواميس العربيّة، I، ص. 470 . كما تحدّث عن ذلك المالكي في عدّة تراجم : II، ص. 241 (ترجمة ابي الفضل مسرور " أهل الدّور يمشون في ضوء السّرج " ؛ II، ص. 257 (ترجمة سعدون الخولاني) " أبو الحسن الأنصاري السّائح : كنّا مع سعدون في الدّور الذي يدور على الحصون حتّى حاذينا تونس "، و ص. 258 " بلغ عبيد الله ان سعدون يجتمع إليه خلق من الناس يخرج بهم الى الدّور "، ص. 347 " قال مكّي بن يوسف : رابطنا ومشينا الدّور ومحمود القطان معنا ، ونحن على الساحل ، فأصابني عطش " .

(85) انظر حول هذه الخرجة : S.M Zbiss, Sidi Bou Said, Tunis 1971, p. 19 N.Djelloul, Les installations militaires, I, p. 324.

(86) المالكي، II، ص. 225، 230، 403 .

(87) نفس المصدر، I، ص. 486، II، ص. 225، 403 .

(88) A.Lezine, "Sur la population des villes africaines ", in, Antiquités Africaines, III, 1969, p. 69-82 (80-81).

(89) المالكي، I، 6 ص. 486 .

هذه النواة العمرانية الأولى كانت تتركب من منشآت دار الصناعة و "قصر الرباط" نحالي ودور الأسطولين والمرابطين. أمّا الجامع الكبير، فربّما كان استحكاما عاديا قبل أن يتحوّل الى مصلى.⁹⁰ لكن من المؤكّد أنّ كلّ هذه التجهيزات كانت تفتقر الى سور يحميها، ولهذا جهّزت أركان المسجد بأبراج ضخمة لحماية حوض دار الصناعة⁹¹. أما سور الذي تحدّث عنه ابو الفضل مسرور فقد أحدثه زيادة الله الأوّل في مرحلة ثانية لتدعيم الطاقة الدفاعية لهذا المركز البحري.⁹² ويذكر المالكي في هذا الصدد أنّ الأمير الأغلب قال بعد الفراغ منه " لا أبالي إذ شاء الله، ما قدمت عليه يوم القيامة وقدمت أربعة : بنائي المسجد الجامع بالقيروان، وبنائي القنطرة بباب أبي الربيع وبنائي الحصن بسوسة، وتوليتي أبي محرز قضاء إفريقية".⁹³ هذا الحصن لا يمثّل (مثلا ذهب الى ذلك بعضهم)⁹⁴ مبنى "الرباط" الحالي الذي لا يتّسع لأكثر من خمسين شخصا⁹⁵، بل يضمّ كلّ هذا التجمّع العمراني الجديد المحاط بسور صخري. وقد أكّد ذلك كلّ من نبكري وياقوت عندما ذكرا أنّه يوجد "داخل مدينة سوسة محرس عظيم كالمدينة متصل بدار الصناعة"⁹⁶. هذا المحرس، هو نفسه حصن زيادة الله الذي تجمّعت فيه جيوش أسد بن الفرات سنة 827 م⁹⁷ وأيضا "قصر سوسة" الذي تحدّث عنه المصادر نقاطمية.⁹⁸ ويبدو من نصّ البكري أنّ هذا الحصن⁹⁹ لا تتعدّى حدوده جنوبا النهج الذي يلي السّفرة ومسجد سيدي علي عمّار، وغربا زاوية الزقاق¹⁰⁰. هذا الوضع يؤكّده أيضا موقع المقابر التي تقام عادة خارج الأسوار، في حين أنّ "جبانة الغربية"،

(90) حسب أ. لزين (Sousse, p.37) هذا المسجد يمكن أن يكون القسبة الأغلبية

(91) A. Lezine, Sousse, p. 37-38

(92) البكري، ص. 34، ياقوت، III. ص. 282، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 44.

(93) المالكي I، ص. 398.

(94) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II ص 24 ؛ G. Marçais, Architecture, p. 30

(95) A. Lezine, Sousse, Les monuments, p. 23

(96) البكري، ص. 34-36، ياقوت، III، ص. 282

(97) L.Golvin, "Notes sur le mot ribat", p. 96 ولا يمكن بالطبع تجميع كلّ هذا الجيش في "قصر الرباط" نحالي.

(98) نداعي إدريس، ص. 134.

(99) حصن سوسة عند المالكي (II، ص. 414). نفس المؤلف يذكر تارة حصن سبيطة وتارة اخرى مدينة سبيطة I. ص. 20.

(100) نسبة الى أبي جعفر الزقاق، من أصحاب الأربسي والقمودي : حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 70.

أي "الغرباء من المرابطين" توجد اليوم داخل المدينة. وقد تزامن وجودها مع جبّانة قبة الرّمل التي كان يدفن بها خاصة عبّاد المدينة مثل أبي جعفر الأربسي والقمودي¹⁰¹.

أقدم معلم مؤرخ خارج محرس الرّباط هو مسجد بوفتاتة الذي أسّسه الأمير أبو عقّال سنة 223 هـ / 838 م، وأشرف على بنائه مولاه فتاتة¹⁰². حول هذا المسجد سوف يتطوّر حيّ جديد، كان يوجد به زقاق الرّوم، وقد تكفّل فتاتة نفسه بإحاطته بسور¹⁰³ مستقلّ يتّصل بهضبة القصبة ويحوي جبّانة الغرباء. على أنّ هذه الأشغال لم تتمّ إلّا في عهد أبي العبّاس محمّد الأول (226-242 هـ / 841-856). هذا الأخير كلّف أيضا تابعه مدام بمباشرة بناء المسجد الجامع الحالي سنة 236 هـ / 850 م.¹⁰⁴ وتؤكد مساحة هذا المسجد المتواضعة (ثلاثة بلاطات) أنّ المدينة لم تعرف نموّا ديمغرافيا كبيرا رغم توافد المرابطين، وأنّ الحي الجديد الذي أقيم به مسجد بوفتاتة مازال في طور التكوين، ممّا مكّن الأمير أبو العبّاس من إقامة قصبة سنة 230 هـ / 844 م¹⁰⁵. هذه القلعة تتّصل بالزاوية الجنوبية - الغربية من السّور، حيث أحدث خلف، فتى أبي العبّاس، المنار المربع الذي يتوسط القلعة الزيرية¹⁰⁶.

أبو إبراهيم أحمد (242-249 هـ / 856-863 م) الذي إتبع سياسة مصالحة مع العامّة وحاول إيجاد دعائم جديدة للدولة بعد ثورة الجند¹⁰⁷، عرف أيضا بكثرة إنشائه للرّباطات، إذ نسب إليه ابن خلدون إقامة ألف حصن¹⁰⁸. وفي إطار هذه السياسة نراه يهتمّ من جديد بسوسة، إذ يخبرنا ابن ناجي أنّ هذا الأمير بني سنة 245 هـ / 859 م "الماجل الكبير الذي بداخل القصر"¹⁰⁹. ويبدو أنّ هذا الماجل هو نفسه خزّان

(101) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 61-62.

(102) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 65-66. G.Marçais, Architecture, p. 24.

(103) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 66.

(104) التيجاني، ص. 29، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 33. G.Marçais, Architecture, p. 23.

(105) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 39. A. Lezine, Sousse, p.37; N.Djelloul, Les installations militaires, II, p.492.

(106) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 36. G.Marçais ; 39 Architecture. p. 36; N.Djelloul, op.cit., II, p. 495.

(107) محمد الطّالبي، الدولة الأغلبية، ص. 274.

(108) نفس المصدر، ص. 274.

(109) ابن ناجي، II، ص. 97؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 25.

نسفرة الذي رممّه إبراهيم الثاني (261-289هـ / 875-902 م) وساق إليه المياه من فسقية المريدين (التي توجد على بعد عشرة كيلو مترات جنوب سوسة)¹¹⁰. هذه لأشغال الجديدة - وكذلك توسيع الجامع¹¹¹ تندرج في إطار تدعيم طاقات دار صناعة المائية والبشرية في فترة تكثفت فيها العمليات العسكرية في صقلية

إن فعل بنى غالبا ما إستعمل في اللغة العربية بمعنى رمم وأصلح، ولذا فإن النقيشة التي توجد في الجدار الجنوبي من السور (تحمل سنة 245 هـ / 859 م وإسم فتاة)¹¹² لا تؤرخ في الواقع إلا لعملية الترميم التي قام بها أبو إبراهيم أحمد وأخطأ تأريخها التيجاني¹¹³. وفي نفس السنة أقيمت دار الملك¹¹⁴، ربما داخل القصبه، بقرب درية العامل الحالية. ويذكر تيجاني أنه منذ تلك الفترة "ألحقت سوسة بالمدن"¹¹⁵، أي أنه أصبح لها - كأغلب مدن عصره - حي سكني وقصبه يتوسطها قصر الأمير أو الوالي، وهو التخطيط العام الذي يبرز من وصف الجغرافيين والرحالة العرب منذ القرن العاشر الميلادي¹¹⁶.

التجهيزات البحرية والتحصينات (ش . 16 - 17 ، ل . 18 - 20)

الى حدود سنة 1894¹¹⁷، كان يوجد أمام سوسة، من الناحية الشمالية الشرقية، ميناء إصطناعي شبه مربع (300 500 X م) يعود إلى العصر القديم، يتسع لأكثر من

(11) المالكي، I ص. 486، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 63. حول هذه الأشغال، انظر أيضا: G.Marçais, Architecture, p.39 ; A.Lezine, Sousse, les monuments, p.51-52

(112) المالكي، I ص. 486 ؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 33. حول هذا المعلم انظر أيضا: G.Marçais, Architecture, p. 23 ; L. Golvin, Essai, III, p. 219 ; A. Lezine, Sousse, p. 37-38

(113) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 35؛ A. Lezine, Sousse ; G.Marçais, Architecture, p.35; A. Lezine, Sousse ; N.Djelloul, Les installations militaires, II, p.484.

(114) التيجاني، ص. 29، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 45

(115) ابن ناجي، II، ص. 97، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 60

(116) التيجاني، ص. 29

(117) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1967، ص. 72-73 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص. 16-17 ؛ بكرى، ص. 34-35 ؛ ياقوت، III، ص. 282؛ التيجاني، ص. 25 ؛ الحميري، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1984، ص. 331

(118) حول التجهيزات البحرية لمدينة سوسة انظر خاصة Ch. Tissot, Géographie comparée de la province de Hadrumetum, Paris 1884, T.II, p. 152-153; C. Monluzun, "Topographie d'Hadrumette", Revue archéologique, 1900, p.195-215; L.Foucher, Hadrumetum, p.15-17; C.Hannezo, Sousse, p.120-122; A.Lezine, Deux villes, p.20-22 I.D., Architecture, p.110-112; ID, Sousse, p.16-17, 49-50; N. Djelloul, Les installations militaires, II, p.480-486

مائي مركب (ش. 16) ¹¹⁸. هذا المرفأ، الذي أُرست به عمارة إسلامية قادمة من مصر سنة 83 هـ / 703 م ¹¹⁹، وقع إصلاحه في القرن التاسع إبان الحملات الكبرى على جزر المتوسط. وكان هذا الميناء الخارجي يتّصل بحوض داخليّ صغير (بواسطة البوابة الكبرى - باب البحر)، يستعمل لتزليق السفن، (radoub) ¹²⁰ يعود إحداثه إلى عهد زيادة الله الأول، مثلما أكّدت ذلك الحفريات التي قام بها دو Daux وإ. لزين. فلأسباب التي أجراها هذا الأخير مكّنتنا خاصّة من العثور على أرصفة الحوض الأغلبى وعدد من الحلقات (anneaux) الإسلامية التي كانت تستعمل لشدّ المراكب ¹²¹. وسينقرض هذا الحوض وكذلك مباني دار الصناعة في العصر الحفصيّ، نتيجة لتراجع البحرية التونسية ¹²². أمّا الميناء الخارجي، فرغم تعرّض بعض المصادر لذكره فإنه وقع التخلّي عنه وتعويضه بالمرسى الطّبيعي الذي يوجد تحت الأسوار الشرقيّة، من ناحية باب الجديد الحالي ¹²³.

ومثل أغلب التجمّعات العمرانية في السّاحل التونسي، أقيمت مدينة سوسة على سفح ربوة متوسطة الارتفاع، ويطوّقها من كلّ الجوانب سور صخري "يتّهي إليه البحر ويضرب فيه" ¹²⁴ من الشرق والشمال. جدار هذا السّور (الذي يبلغ طوله 2500م) ¹²⁵ لا يتعدّى سمكه 2,50 م وتتخلّله أبراج مستطيلة، ماعدا الزوايا حيث وقع الالتجاء إلى الأبراج المستديرة (برج الشرش) (ل. 20). أمّا ممشى العسّة chemin de ronde، الذي تحميه من

G. Kokovtsov, "Relation d'un voyage en Barbarie", in, Revue Africaine, T.XCV, 1951, p.111; (118 V. Guerin, Voyage archéologique, Paris 1862, T.I, p. 107 ; E. Pellisier, Description de la régence de Tunis, Paris 1853, p. 85; N. Djelloul, Les installations militaires, T.II, p. 480-484

A. Lezine, Deux villes, p. 91 ; N.Djelloul, op.cit, T.II, p. 480 (119

(120 ذكر المالكي (I، ص 487) أنه "لمّا أمر السلطان [الفاطمي] ببناء المراكب للخروج الى صقلية هدم الذين ينشؤونها مقابر المسلمين ورقّدوا بها المراكب، إلّا قبر يحيى بن عمر". وهذه العملية لا تهدف الى "تثقيل السفن لكي لا تلعب بها الرياح" مثلما ذهب اليه ناشر الرياض بل لضمان عملية التزليق.

C.Hannezo, "observations sur le tracé d'Hadrumette," p.20-29 et Sousse, p.158; A.Lezine, Deux (121 villes, p.91-92.

(122 حول هذه التجهيزات في العصر الصنهاجي أنظر خاصّة، هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 46 ; A. Lezine, Deux villes, p.91-92

A. Adorne, "Voyage en Barbarie", edit.R.Brunschvig, Deux recits de voyage, Paris 1936, p. (123 221

(124 ياقوت، III، ص. 282 ; التيجاني، ص. 26

(125 حول عمارة السّور أنظر خاصة : N.Djelloul, Les installations mili- A. Lezine, Sousse, p.44-45 ; taires, II p. 480-486

خارج شرافات نصف دائرية، فهو محمول بدوره على حنيات ثنائية تساهم في توازن البناء في حالة قصفه بالآلات الحربية.¹²⁶ ويذكر البكري أن بسوسة ثمانية أبواب، وهي بوابة دار نصّاعة، أبواب البحر¹²⁷ في الشمال، والبابين الغربيين¹²⁸ وباب القبلة أبواب القيروان في الجنوب.¹²⁹

خارج السور، من الجهة الشرقية - الشمالية (شاطئ أبو جعفر حالياً)، كانت تمتدّ رملة سوسة المحاذية للميناء القديم،¹³⁰ حيث أقام بنو الأغلب قبة الرّمل وقصراً تحاذيه مقبرة الشهداء، التي دفن بها أبو جعفر الأربسي (الذي أعطى إسمه لهذه المنطقة)¹³¹. وفي الجهة الغربية، حذو باب "الفنقة" (المشنقة)، كان يوجد الملعب، و"هو بنيان عظيم للأول، به أقباء مرتفعة"¹³² على شاكلة الفنتاس، أي "الهيكل العظيم الذي يوجد خارج المدينة، وهو أول ما يرى البحريون من البحر إذا قصدوا صقلية".¹³³

وحسب ابن ناجي كان "قبر يحيى بن عمر يوجد في الفصيل، بين السور والستارة" التي قممها بنو حفص جنوب الجدار الأغلب¹³⁴. وهذا يدل على أن أهم مقبرة في سوسة كانت - مثلما ذكر ذلك ياقوت - جنوب المدينة، على يمين طريق القيروان، أي غربيّ الباب نقيلي¹³⁵. في نفس المنطقة كان يوجد مصلى العيدن الذي أحدثه إبراهيم الثاني¹³⁶ ودمنة سوسة القريبة من سوق الحنّاطين¹³⁷، وهو سوق نعرف أنّه يحاذي عادة الأبواب¹³⁸. هذه

(12) انظر في هذا الصدد : N.Djelloul, op.cit, II, p.486

(12) المالكي، II، ص. 225، الدّاعي إدريس، ص. 353؛ هادي روجي إدريس الدولة الصنهاجية، II، ص. 46.
(13) الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 46؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 46؛ A. Lezine ; Sousse, p.44-45

(14) المالكي، II، 6 ص. 225، 230؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 46-47.
(15) المالكي، II، ص. 240-241؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 46-47.
(16) المالكي، I، ص. 487 و II، ص. 211، 231، 644؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 402-403، الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 47.
(17) البكري، ص. 34-36، ياقوت، III، ص. 282. انظر أيضا المالكي، II، ص. 402؛ الحميري، الروض المتعارف، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1984، ص. 331.
(18) البكري، ص. 34-36، ياقوت، III، ص. 282؛ الحميري، ص. 331.
(19) ابن ناجي، II، ص. 164؛ روبرت برنشفيلد، الدولة الحفصية، I، ص. 339؛ N. Djelloul, Les installations militaires, II, p. 484

(20) ياقوت، III، ص. 282؛ المالكي، II، ص. 485.

(21) المالكي، II، ص. 485.

(22) المالكي، I، ص. 132، II، ص. 275، 5؛ ابن ناجي، II، ص. 170؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 46-48؛ هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 48.
(23) انظر في هذا الصدد : الشيرازي، نهاية الرتبة طلب في الحسبة، ص. 13.

الدّمنة¹³⁹، على غرار مثيلتها بالقيروان، أقيم بها مسجدان (مسجد الدّمنة ومسجد الخضر)¹⁴⁰ حيث وكانت تعقد حلقات صوفيّة (لقراءة الرّقائق)¹⁴¹ حاربها يحيى بن عمر ونهى عن حضورها.

الرباط (ش. 18 - 33، ل. 22 - 32)

و يوجد داخل المدينة الجامع المحصّن، وبإزائه المبنى المعروف حالياً "برباط سوسة". هذا القصر يعدّ من أقدم مباني المدينة التي وصلت إلينا، ويتكوّن من بناء مربع، تحميه أبراج نصف دائريّة، باستثناء الزّواية الجنوبيّة - الشرقيّة التي يعلوها منار إسطواني الشكل¹⁴². وللقصر مدخل وحيد يفتح في برج مربع متقدّم يفضي الى ساحة سماويّة يحيط بها رواق. خلف هذا الرواق نجد ثلاثين حجرة ذوات بناء بسيط وتفتقد فيها العناصر الزّخرفيّة. أمّا الطّابق الثاني فهو يتميز بوجود مسجد القصر الذي يحتلّ كلّ الجناح الجنوبي. هذا المبنى كان معدّاً لإقامة المرابطين، ربّما الموسمين منهم ولهذا يتّخذ شكل الخانات¹⁴³، لكن الحسن الوزان Léon l'Africain، الذي أقام "بسوسة أربعة أيام بسبب عاصفة" يذكر أنه "قصر الوالي وأصبح اليوم شبه زاوية"¹⁴⁴. هذه الرّواية يدعّمها ما جاء على لسان المالكي بأنّ أبا البشير محمد بن أحمد بن يونس، "كانت داره بجوار دار العامل، فإذا ضرب أو ظلم أحد صال عليه"¹⁴⁵. هذه الدّار ليست القصبة التي أحدثها محمد الأول¹⁴⁶ ولا القصبة الحالية التي لا يمكن تأريخ أقدم أجزائها قبل القرن الحادي عشر ميلادي¹⁴⁷.

(139) حول هذه المنشآت الاستشفائيّة : أنظر خاصّة : حسن حسني عبد الوهاب، وركات، I، ص. 273-294

(140) المالكي، II، ص. 5 و 275؛ هادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 48

(141) الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 309

(142) نقيشة المنار (206 هـ/821 م)

بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله

مما أمر به الأمير زيادة الله بن ابراهيم

أطال الله بقاءه على يدي مسرو الخادم.

مولاه في سنة ست وستين ومائتين. اللهم انزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين.

(143) حول تأثير خان عطشان العراقي على عمارة "رباط سوسة" انظر خاصة : G.Marçais, Architecture, p. 32-33

(144) الحسن الوزان (المعروف بليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تعريب محمد حجّي ومحمد الأخضر، بيروت

1983، II، ص. 83.

(145) المالكي، II، ص. 275

(146) هذه القصبة ليست القصر الذي يوجد بجواره قبة الرمل في عهد إبراهيم الثاني (المالكي، I، ص. 486) أو دار

الشيوخ (المالكي، II، ص. 223) التي كان يقيم فيها أبو جعفر الأربسي.

(147) A. Lezine, Sousse, p. 47-48

بأستثناء منار خلف الذي تدل عمارته وأرتفاع مدخله بأنه كان مرصدا منعزلا ، على غرار منار الإسكندرية¹⁴⁸ .

ومن قصور سوسة الشهيرة قصر طارق الذي شيّده أحد أثرياء العصر الأغلبي (طارق ؟) في آخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي¹⁴⁹ . ولهذا القصر " صدى كبير في أشعار أدباء سوسة المتقدمين مثل محمد بن عبدون"¹⁵⁰ . لكن خلافا لما ذكره حسن حسني عبد الوهاب وهادي روجي إدريس ، لم يكن البتة مركزا للرباط . ويبدو من خلال تراجم المالكي¹⁵¹ إنه كان يوجد داخل المدينة ، غير بعيد عن جبل المعسكر (أي هضبة القصبة)¹⁵² .

المرابطون

إن الطابع الموسمي للرباط وكثرة تنقل النساك بين الحصون يجعل تعداد مرابطي سوسة عملية شاقة . لهذا سوف نكتفي بذكر العباد الذين إعتكفوا بسوسة مدة طويلة وبعض مشاهير المرابطين الموسمين . كما أنه لا بد من التأكيد على تنوع الآفاق الجغرافية لهؤلاء النساك ، فمنهم من قدم من البصرة ومن الرقة¹⁵³ ، ومن مصر ، ومن المغربين ، ومن الأندلس وحتى من السودان الغربي¹⁵⁴ .

- محمد بن رزين السّوسي (تـ . 255 هـ / 868 م) ، من عباد سوسة ، سمع من أسد بن الفرات وكان راوية للحديث والفقه¹⁵⁵

- أبو الأحوص أحمد بن عبد الله ، من عباد سوسة ، توفي بها سنة 284 هـ / 897 م¹⁵⁶ . "أصله من المغرب الأقصى و انتقل الى إفريقية ، وصحب سحنون

N. Djelloul, Les installations militaires, T.II, p. 496 (148)

(149) حسن حسني عبد الوهاب ، وراقات ، II ، ص . 82 ؛ هادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، II ص .

(150) التيجاني ، ص . 26 ، 39 الحميري ، ص . 331 ، حسن حسني عبد الوهاب ، وراقات ، II ، ص . 82-83

(151) المالكي ، II ، ص . 400

(152) يعدّ هذا الجبل من المناطق التي قاسها القائم لتغيير مكان العاصمة الفاطمية

(153) المالكي ، II ، ص . 319

(154) حسن حسني عبد الوهاب ، وراقات ، II ، ص . 51

(155) أبو العرب ، ص . 119 ؛ المالكي ، II ، ص . 12 ، هامش . 8 ؛ عياض (طالبي) ص . 155 ؛ حسن حسني

عبد الوهاب وراقات ، II ، ص . 134 .

(156) مصادره : الخشني ، ص . 146 ؛ المالكي ، I ، ص . 482 ؛ ابن عذاري ، I ، ص . 130 ، حسن حسني عبد

نوهاب ، وراقات ، III ، ص . 137 .

بالقيروان وأخذ عنه كثيرا. ¹⁵⁷ ويذكر المالكي أنه "أتى الى سوسة مرابطا فأقام بها مدة حتى نفدت نفقته فأراد الرجوع الى المغرب، فأتى الى جامع سوسة ليركع فيه، وينصرف. فبينما هو راكع إذ رأى عصفورا دخل الجامع وفي فمه شيء يطعمه فراخه، فسقط من فم العصفور ما كان فيه، فخرج من خلف الحصار فأرأى ما سقط من فم العصفور، فقال: فأر خلف الحصار قيض الله تعالى له من رزقه فكيف أضيع أنا، لله عليّ أن لا أدع مدينة الرباط إلى غيرها أبدا... فأقام بمدينة سوسة هو وزوجته واشتهر بها حتى مات... وكان إبراهيم الأمير يزوره، فإن وجده يطحن قوته بيده جلس على التراب وإن وجده فارغا جلس على جلد المطحنة لأنه لم يكن في بيته حصار ولا غيرهما" ¹⁵⁸

يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي (ت. 289هـ/902م)، يمكن أيضا إعتباره من عبّاد سوسة رغم أنه كان يرباط خاصة بالمنستير. قدم من قرطبة مع أهله وإستوطن سوسة الى آخر حياته، وكان يعدّ من أبرز علماء إفريقية في العصر الأغلبي ¹⁵⁹. ويذكر ابن الجزّار أنه ألف "نحو أربعين جزءا"، منها أحكام السوق، "كتاب أحمية الحصون" و"كتاب فضل المنستير والرباط" ¹⁶⁰.

أبو عبد الله محمد بن أبي حميد. سمع من سحنون ولزم سوسة للرباط وبها توفي سنة 293 هـ/905م ¹⁶¹. ومما يروى عنه أن الأمير إبراهيم الثاني قدم الى سوسة وقد بلغه عن أهلها أذى فقال "أمضى إليها فأخربها وأهدم سورها وأعذب أهلها. فوصل الى سوسة في الليل فأتى الى الدّمنة فنزل في مسجدّها واجتمع اليه أهل الدّمنة... فقرأ عليه أبو حميد "يا أيّها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرى أن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتيكم خيرا ممّا أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم". فبكى إبراهيم بكاء عظيما وركب من ساعته راجعا الى القيروان... ومما ينسب إليه ما حدّث به الطّبري المؤدّب، قال دخلت يوما على أبي حميد في علّته التي مات منها وهو في البيت وكان في الدّار ذباب فإذا بكفّ خارجة من الحائط تذبّ من وجهه ¹⁶². ويذكر ابن ناجي أنه مات مجذوما "لأنه كان يخدم [بدمنة سوسة] الأضرأ حتى مات ضريرا مثلهم" ¹⁶³

(157) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 137

(158) المالكي، I، ص. 482.

(159) مصادره: المالكي، I، ص. 490؛ عياض، ص. 260

(160) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 129

(161) مصادره: المالكي، ج. II، ص. 5، عياض، ص. 332

(162) المالكي، II، ص. 8-9

(163) ابن ناجي، ج. II، ص. 170

محمد بن الطيب المصري، المتعبد (بسوسة)، "من أهل العبادة، صحب أبا هارون الأندلسي، وحدث عنه الحسن بن نصر السّوسي". توفي بالقيروان سنة 305 هـ / ودفن بمقبرة باب أسلم¹⁶⁴.

أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المسوحي (توفي سنة 306 هـ)، من أهل القيروان ولكنه كان كثير السياحة والرباط بسوسة¹⁶⁵. وأورد المالكي أن أبا داود العطار قال "صحبت أبا عبد الله إلى الرباط، فنزلنا منزلاً لإخوان لي، فأتونا بطعام فأكل ثم تقياً الطعام وقال: يا أبا داود أدخلت بطني طعاماً لا يحل... فتدبرت قوله فإذا القوم غرمائي ولي عليهم دين، وهدية المديان مكروهة عند مالك"¹⁶⁶. وقال نفيس السّوسي "صحبت يوماً المسوحي إلى الدور حتى إنتهينا إلى حصن سوسة، أقمنا أكثر من عشرين يوماً فما علمت أنه أكل إلا أكلتين في دارين... وكان أيضاً يمكث السبعة أيام والأقل والأكثر لا يأكل طعاماً ويتغذى ببقول البرية والزيت"¹⁶⁷.

أبو الغصن نفيس السّوسي، "العابد، المرابط بسوسة (وبها توفي سنة 309 هـ / 921)¹⁶⁸، من أبناء البلاد الأصليين، كان أبوه نصرانياً وأسلم. وكان "فقيه البدن، سمع من سحنون ومن جماعة بمصر... وكانت صنعة الغرابيل يعيش منها وكان له رباع في بني وشتيت"¹⁶⁹. عرض عليه إبراهيم الثاني القضاء فامتنع وقال له "لا تعر القضاء بي، لأنني عبد رومي، أعور، غرابلي، مولى امرأة [من بني وشتيت] وهذه هجنة عليك أن تولي مثلي"¹⁷⁰. ومما يذكر عنه أيضاً "أنه كان يجاوره [بمنزله] بسوسة شاب بطل ممعن في ملاهي، فأقيمت الصلاة يوماً في مسجد أبي الغصن¹⁷¹ فقال للشاب "تقدم فصل بنا، فلما إنقضت الصلاة رجع الشاب فلم يدع في بيته مسكراً ولا أداة ولا ملاهي"¹⁷².

(164) مصادره: المالكي، II، ص. 136-137؛ ابن ناجي، II، ص. 340.

(165) مصادره: المالكي، I، ص. 414-415؛ ابن ناجي، II، ص. 334.

(166) المالكي، I، ص. 414.

(167) المالكي، I، ص. 415 "فلما أتى إلى سوسة تلقته امرأة تقيّة - وكانت من الصّالحات - وذهبت تبثقل له، يريد: تجمع له بقل الفحص المباح يتغذى به".

(168) مصادره: الخشني، ص. 167؛ المالكي، II، ص. 162-165؛ ابن عذارى، I، ص. 187.

(169) المالكي، II، ص. 162. حول هؤلاء المتطبّبون الذين يطلق عليهم إسم فقهاء البدن، أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، I، ص. 272.

(170) المالكي، II، ص. 162.

(171) حول مساجد أبي الغصن، يحيى بن عمر والزقاق، أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 81-76-77.

(172) نفس المصدر، II، ص. 163.

أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي، أصله من البصرة. قدم إلى سوسة مرابطا وتوفي بها سنة 313 هـ / 925 م¹⁷³، "أدخل إلى إفريقية كتباً غريبة من كتب المالكيين، ككتب المغيرة بن عبد الرحمن وابن كنانة... وكتب كتباً كثيرة بخطه"¹⁷⁴

أبو محمد عبد الله التاهرتي، من تاهرت بالمغرب الأوسط، "كان فاضلاً عابداً يشير إلى المحبة"¹⁷⁵، سكن مدينة سوسة محتبساً للحرس بها على المسلمين¹⁷⁶ وبها توفي سنة 313 هـ / 925 م. ومما يذكر عنه، "أنه إعتل علة شديدة حتى يئسوا منه، فقال للذي يخدمه: لست أموت من هذه العلة، فإذا كانت المرضة الثانية بعدها توقعوا موتي"¹⁷⁷

أبو جعفر أحمد بن سعدون الأربسي¹⁷⁸ (ت. سنة 323 هـ / 934 م ودفن بمقبرة الشهداء، عند قبة الرمل). "وكان ذا سمت وورع وفقه وثقة في الحديث... كتب جميع كتب يحيى بن عمر وسمع عليه أكثرها. لما هرب يحيى بن عمر من إبراهيم بن أحمد في الوقت الذي طلبه فيه العراقيون، أودع كتبه عند أحمد فكانت عنده في داره فكتبها كلها"¹⁷⁹. وأورد المالكي أن أبا جعفر القمودي الذي كان يقيم عنده في منزله بسوسة "ذكر له بأن الرّيح تدخل إليه من الطّاق فتعهد بإصلاحه وأخرج كيساً مربوطاً فنفضه فوق منه دينار فقال: هذه بقية ألف دينار دخلت بها سوسة فقالوا له: فيما ذهب أصلحك الله؟ قال: في الزكاة وحبوب البقل"¹⁸⁰. ويذكر نفس المؤلف أن أبا جعفر وأبا بكر بن أبي عقبة وأبا سعيد خلف السّرتي، كانوا يخرجون من سوسة "فيقفون صفّاً واحداً كأنّ العدو بين أيديهم ويجرون خيلهم في ذلك الموضع حتى تطلع الشمس"¹⁸¹

(173) مصادره: الخشني، ص. 168؛ المالكي، II، ص. 181؛ عياض، ص. 384

(174) عياض، ص. 384

(175) حول هذا المصطلح الصّوفي انظر: رياض النفوس، II، ص. 182، هامش. 1

(176) المالكي، II، ص. 182

(177) نفس المصدر، II، ص. 182

(178) يذكر حسن حسني عبد الوهاب (ورقات، II، ص. 143) أنه يعرف بالسرداني لأنه شارك في إحدى الغزوات التي استهدفت هذه الجزيرة. حول هذا الناسك انظر أيضاً: عياض، V، ص. 326؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 144

(179) المالكي، II، ص. 207

(180) نفس المصدر، II، ص. 208

(181) المالكي، II، ص. 196

أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس (ت. سنة 331 هـ / 942 م). من عبّاد سوسة الذين إستوطنوها، و"كانت داره بجوار دار العامل"¹⁸². و"كان كثيرا ما يخرج الى دمنة سوسة فيأتي الى سوق الحنّاطين في وقت عمارته فيذكر الله عزّ وجلّ. ثمّ يتمادى الى الدّمنة، فيفتح له باب مسجدّها فيركع فيه، ثمّ يجتمع اليه أهل الضرّ، فيسألهم عن حالهم ويهوّن عليهم ما هم فيه من الضرّ والبلاء"¹⁸³.

أبو الفضل عبّاس بن العبّاس الممسي (قتل سنة 333 هـ / 944 م بالوادي المالح إبّان الحملة التي قادها صاحب الحمار وبعض متعصّبي المالكية على المهدية)، كان يربط بسوسة كلّ شهر رمضان. ويذكر المالكي أنّه كان يرفض أكل سكر صقلية "لأنّه يعمل من ضياع إقتطعها السلطان. . . ويرى أنّ الخروج مع أبي يزيد وقطع دولة بني عبيد فرض لازم لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم إسم الإسلام وبني عبيد نيسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم إسم الإسلام"¹⁸⁴.

الحسن بن نصر (توفي سنة 341 هـ / 952 م بسوسة ودفن بها)¹⁸⁵. مولى إمراة من قسطلية وولاه زيادة الله الثالث قضاء المدينة في آخر أيام الدولة الأغلبية. ويذكر نمالكي أنّه "أقام فوق الأربعين سنة إذا دخل شهر رمضان لا يكلم أحدا. . . وكان في عنته التي مات فيها يربط حبلا في السّقف ليقدّر على الصلاة واقفا"¹⁸⁶.

الربّاطات الخارجية

ذكر البكري، ومن بعده ياقوت أنّه كانت توجد خارج سوسة "محارس وروابط ومجامع للصّالحين"،¹⁸⁷ وأشهرها المنستير التي كانت تعدّ من محارس قاعدة نسّاحل¹⁸⁸. هذه الحصون كانت ترتبط بها عدّة منازل (أو منازل بادية سوسة كما يسميها مؤلف الرياض)¹⁸⁹ ساهم إحيائها في إزدهار سوسة الإقتصادي. وقد أدّى تراجع هذه

(182) نفس المصدر، II، ص. 275.

(183) المالكي، II، ص. 275.

(184) المالكي، II، ص. 295.

(185) مصادره: المالكي، II، ص. 363-377؛ عياض، III، ص. 363.

(186) المالكي، II، ص. 393.

(187) بكري، ص. 36؛ ياقوت، III، ص. 282.

(188) بكري، ص. 36؛ ياقوت، III، ص. 282؛ التيجاني، 1981، ص. 30.

(189) نمالكي، II، ص. 225.

المنازل في العهد الحفصي، بعد إستيلاء دلاج وحكيم (في الشمال) وطرود (في الجنوب) على أراضيها،¹⁹⁰ إلى ركود الحياة الإقتصادية والعمرانية لسوسة¹⁹¹

قصر الطوب (ل . 33)

يحتلّ هذا القصر (الذي يوجد على بعد 5 كلم جنوب سوسة، قرب قرية سيدي عبد الحميد) موقعا يمتاز بتعدّد المواجهل القديمة¹⁹². ويعود الفضل في إنشائه الى الأمير أبا العباس محمد بن الأغلب، "على يد خادمه خلف الفتى المنسوب اليه منار القصبة" (حوالي سنة 240 هـ / 854 م)¹⁹³. ويتوسّط هذا القصر سهل خصيب يمتاز بتشتت سكنه¹⁹⁴ ويراقب الجادة الرابطة بين سوسة وجنوب الساحل، ومن هنا نفهم دور الإسطبلات التي ذكرها ابن ناجي¹⁹⁵، لأن قصر الطوب - مثل باقي الرباطات¹⁹⁶ - كان أيضا محطة للبريد الرسمي وخانا يأوي إليه المسافرين (من تجار وحجيج)¹⁹⁷. وربما كان - مثل رباطات المنستير - يتمتّع بعائدات الضرائب الموظفة على الصيد البحري بهذه المنطقة¹⁹⁸. أمّا دوره العسكري فيتمثل - إلى جانب مراقبة الجادة - خاصة في حراسة قرية الساحلين المجاورة وملاحتها.¹⁹⁹

(190) التيجاني، ص. 40

(191) التيجاني ص. 30 "إستولى عليها الخراب"؛ الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، II، ص. 83-84 "وفي خارج المدينة ممتلكات عديدة مغروسة بشجر الزيتون الذي تستخرج منه كمية وافرة من الزيت، وبشجر التين. وهنالك أيضا أرض صالحة لزراعة الشعير، لكن يتعدّر إستغلالها بسبب ثقل الأتوات التي يفرضها الأعراب. . . . لكن سوسة المسكنة خلت الآن من السّكان بسبب جور الملوك وقمعهم، فلم يبق مسكونا فيها سوى خمس ديارها. كما لم يبق لها أكثر من خمسة أو ستة دكاكين لبقالين أو بائعي الجبن والخضر وغيرها من البضاعة التافهة".

(192) E.Babelon, R.Cagnat et S.Reinach, Atlas archéologique de Tunisie, (48), f. Sousse

(193) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 88

(194) المالكي، I، ص. 446

(195) ابن ناجي، II، ص. 19

(196) N.Djelloul, Les installations militaires, II, p. 150

(197) المالكي، II، ص. 286، 378

(198) المالكي، II، ص. 124 و 217 "حوت ليس عليه قبالة".

(199) المالكي، I، ص. 446؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 93. كان الأمير محمد الثاني (250-261 هـ / 875 م) يتعاطى بهذه القرية صيد الغرائيق التي تلقّب بها (محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 290).

ويتّضح من نصّ المالكي أن قصر الطّوب كان في أوّل أمره مجرد إستحكام صغير، على غرار "رباط" سوسة الحالي. وكان بابه الذي يحرسه ليلاً نهاراً بوابون من المرابطين لا يفتح قبل طلوع الشمس، فإذا أريد إدخال أحد بصفة إستثنائية "ربطت له الحبال".²⁰⁰ لكن يفهم أيضاً من بعض التراجم المتأخّرة أنّ هذا الحصن تحوّل فيما بعد إلى تجمّع عمراني، بضمّ - على غرار الرباط الكبير بالمنستير - عدّة قصور متفرّقة.²⁰¹ وتمتدّ خارج سورهِ مقبرة دفن بها العديد من عبّاد سوسة وأعيانها، مثل عبد الحميد بن الصّائغ (ت 486 هـ / 1093م) الذي أعطى إسمه للقرية الحالية²⁰². ويصف حسن حسني عبد الوهاب أحد مباني قصر الطّوب "بأنّه" عبارة عن رباط صغير به جملة من الغرف كانت معدّة لنزول العبّاد، وكان به مسجد للصّلاة، وبرج مرتفع²⁰³ يكشف على البحر - وقد سقط في الزّمان الحاضر - وفي وسط الصحن أو قريباً منه ماجل لخزن ماء المطر".²⁰⁴ هذه البناية التي تحمل الطابع الأغلب مازالت بعض أطلالها بارزة إلى اليوم، وهي بدون شك أحد حصون القصر التي كانت تشكّل النواة الأساسيّة لنسيجه العمراني. وتوجد إلى جانبها عدّة ضياع فلاحيّة تسمى "هناشر سوسة"²⁰⁵، ربّما كانت هي نفسها جزءاً من أراضي حمى القصر.

ومن بين مشاهير عبّاد قصر الطّوب نجد أبا عثمان بن إسحاق الكلبي، جيلة بن حمّود الصّدفّي، أبا يونس نصير المتعبّد، أبا هارون الأندلسي، محمد بن سحنون، بن غازي، خلف السّرتي، أبا جعفر القمّودي وسهل القبرياني.

- أبو عثمان بن إسحاق الكلبي (ت. سنة 294 هـ / 906 م)²⁰⁶، مولى كلب. كان متعبّداً، سريع الدّمعة كثير الرّواية والرباط والحديث... سمع من سحنون وإبنه محمد بن رزين وأبي زكرياء الحفري بإفريقية. وبمصر من أبي الطاهر بن عمرو بن السّرح ومحمد بن عبد الحكم".²⁰⁷ كان "ساكناً بقصر الطّوب يقيم به شهوراً ثمّ يقدم إلى

(200) المالكي، II، ص. 126-127.

(201) انظر خاصّة المالكي، II، ص. 191.

(202) حول ابن الصّائغ، انظر: هادي زوجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 346.

(203) المالكي، II، ص. 126: "كان أبو يونس في برجه".

(204) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 88.

(205) E.Babelon, R.Cagnat et S.Reinach, Atlas archéologique de Tunisie, (48) f. Sousse.

(206) مصادره: الخشني، ص. 152؛ المالكي، II، ص. 12؛ عياض، VI، ص. 409 و1986، ص. 324؛

بن ناجي، II، ص. 172.

(207) المالكي، II، ص. 12.

القيروان فيقيم شهورا فيأتيه الناس فيسمعون منه. " 208 وفي رواية أخرى يسوقها لنا عياض "تخلي عن الدنيا وإعتزل بهذا القصر بعد رجوعه من مكة" وبه توفي ودفن 209. ومما ينسب إليه أن نواتية لإبراهيم بن أحمد الأغلب أرادوا النزول بقصر الطوب، وكان به في ذلك الوقت سعيد بن إسحاق وأبو يونس نصير وجبله بن حمود، فمنعواهم من ذلك وأغلقوا باب القصر في وجوههم... فبلغ ذلك الأمير [الذي قدم] إلى سوسة غاضبا فتشرف سعيد من أعلى القصر وقال له: يا إبراهيم تركنا لك الدنيا كلها وإنزونا في هذا الثغر فجئت تؤذينا والله لئن لم تمر لأهلكنك... فمضى إبراهيم هاربا على وجهه حتى جاز القصر بأمر عظيم، فقال له الذين حوله: مالك سيدنا؟ فقال لهم: لما صال عليّ سعيد بن إسحاق تلك الصولة حسبت أن الفحص يشتعل نارا عليّ فمازلت كذلك حتى وقعت في هذا الموضع" 210

- بكار المتعبّد. "كان من المحزونين الخائفين، إذا أخذ في البكاء قطع على أهل القصر الصلاة". توفي بقصر الطوب ودفن به. (211) (سنة 294 هـ / 906 م) 211.

- جبله بن حمود الصّدي. (توفي سنة 297 هـ بالقيروان ودفن بمقبرة باب أسلم) 212. من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان، أي من أهل الخطط، سمع من سحنون بإفريقية وبمصر من أبي إسحاق البرقي 213.

وكان أبوه من أفراد الحاشية الأغلبية ولكنه زهد في ميراثه وسلك حياة التكفّف، فكان "ينام على زنبيل وقطعة نطع وطوية عند رأسه فوقها وسادة... وكان قوته في الشهر ثمنين شعيرا يطحنهما ويحملهما في خلّه. فإذا رأى الشمس تغيّرت خرج إلى الفحص فأخذ ماء ورفع ما وقع على يده من بقل البرية وأتى إلى بيته وجعل القديرة على النار وجعل فيها ذلك البقل، فإذا غلت أدخل يده في القلّة وأخرج قبضة من الدقيق فألقاها فيها ثم أفطر على ذلك. فكان هذا

208 نفس المصدر، ص. 12

209 عياض، 1986، ص. 324؛ ابن ناجي، ج، ص. 172

210 المالكي، II، ص. 15؛ ابن ناجي، II، ص. 172

211 المالكي، II، ص. 10

212 مصادره: الخشني، ص. 143، عياض (طالبي)، ص. 278؛ ابن عذاري، I، ص. 161.

213 عياض، II، ص. 278؛ المالكي، II، ص. 27: "يكنّي جدّه بأبي الأشعث، من ولد المعروف بالمقطع مولى عثمان بن عقّان".

عيشه" ²¹⁴. وكان جبلة إلى جانب زهده مستجاب الدعوة ²¹⁵ ومتعصباً في محاربة الشيعة، فلما دخل عبيد الله إلى إفريقية، "ترك سكنى قصر الطوب - الذي رابط به أربعين سنة - وأتى إلى القيروان فسكنها" ²¹⁶. ونشك كثيراً في صحة هذه الروايات التي يسوقها لنا كتاب الطبقات إذ تغطي عليها المبالغة التي تميز هذا الفن المالكي. فجبلة رغم زهده لم يتخل عن ميراث والده الحنفي، مما جعله يشيّد مسجده الخاص بالقيروان، ويكثر من الصدقة. ²¹⁷ وعند لزومه الرباط بقصر الطوب كان له خادم يتولّى شؤونَه، كما أنّ طعامه لم يكن دائماً مقتصرًا على ثريد الشعير بل نجد أيضاً العديد من الفواكه المجلوبة من حمى القصر مثل البطيخ والتين الأخضر ²¹⁸.

أبو يونس نصير المتعبّد، توفي سنة 304 هـ/916م بقصر الطوب "وقبره أمام نقصر يتبرّك به" ²¹⁹. ويذكر المالكي أنه "عكف على قراءة القرآن ليلاً نهاراً فكان إذا أراد أن يتكلّم يشير بإشارات تفهم أو يكتب لمن يقرأ بما يريد" ²²⁰. ومثل جبلة بن حمّود كان أبا يونس ثرياً ولهذا نراه يكثر من الصدقة. ²²¹ كما أنّه كان "مستجاب ندعوة". ويذكر أبو القاسم تمام أنه "مضى إلى قصر الطوب في عشرة أنفس فقلت له: إكتب كتاباً إلى أمّ الأمير، فإنّ زيادة الله أخذ مائتي رجل من أهل العلم والقرآن فأرسلهم إلى العسكر رماة. فقال أبو يونس ما نعرف الأمير ولا أمّه وإنّما نعرف الله، فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلّم فيهم فقال له غدا يطلقون" ²²² وذكر أيضاً "أنّ أخاه اشتكى أرنباً كانت تفسد عليه بحيرة له بجوار قصر الطوب فدعى عليها فماتت" ²²³.

(214) المالكي، II، ص. 31. جعل زهده موسى بن عبد الرحمن القطان يقول فيه "لو أنّ جبلة في زمن بني إسرائيل لأتينا أخباره في الكتب ولو فاخرنا بنو إسرائيل بعبادهم وزهادهم لفاخرناهم به". المالكي، II، ص. 28.
(215) المالكي، II، ص. 34: "قال أبو بكر المؤدّب بن محمد بن بشر: مضى بي أبي وأنا صغير إلى المرابطين، فتركت قصر الطوب فدخلنا على جبلة... فأخذ شقفة وجعلها على النار وطبخ عصيда ثم قال لي: يا بني إشته ما ننت قال: خطر بيالي تين أخضر - ولا والله ما هو زمانه - فمدّ يده وأدخلها في القلّة فأخرج خمس تينات خضر". ومن كراماته أيضاً أنّه كان "يجتمع مع أبي العباس الحضر ويحاوره". نفس المصدر، ص. 40.
(216) عياض، 1986، ص. 282.

(217) المالكي، II، ص. 36، 38، 40: عياض (طالبي)، ص. 285.

(218) المالكي، II، ص. 38، 40: عياض (طالبي)، ص. 282.

(219) المالكي، II، ص. 122 - 124.

(220) المالكي، II، ص. 124.

(221) نفس المصدر، ص. 126.

(222) نفس المصدر، ص. 124. هؤلاء كانوا بدون شك "فقهائ إفريقية الذين أخذهم زيادة الله إلى مدينة تونس مستظهِراً بهم على أبي عبد الله الشيعي". ابن عذاري، I، ص. 137.

(223) المالكي، II، ص. 125. هذا "الأخ" هو بدون شك من إخوانه المرابطين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة في حمى قصر الطوب.

إبراهيم بن غازي، كان في أيام بني الأغلب من المنقطعين للعبادة بقصر الطوب و "بلغ من الزهد ما لم يبلغه أحد غيره".²²⁴ فلما إستولى الفاطميون على حكم إفريقية اعتنق المذهب الإسماعيلي، "وأتى الكبائر ومجن... قتله عبيد الله المهدي سنة (309 هـ/ 921 م)"²²⁵

خلف السّرتي (توفي سنة 331 هـ / 942 م) "أقام سبعين سنة بقصر الطوب، وله إجابات"²²⁶

أبو عبد الله محمد بن قطانية السّوسي. كان "مستجاب الدّعوة"، ملازما للعبادة بقصر الطوب حيث توفي سنة (311 هـ / 923 م)²²⁷

أبو عبد الله الغيمي الفخّار (توفي سنة 316 هـ / 928 م). أصله من سرت. وكان من العلماء المنقطعين للعبادة بقصر الطوب "وله ختمة في كلّ ليلة"²²⁸

أبو جعفر القمّودي (توفي سنة 324 هـ / 935 م). كان في "بدايته يعمل في الحمامات يخدم بها ويوقد فيها. فلزم الرّباط وإشتغل بعمل الحلفاء حتى هجم عليه أمر فترك ذلك فقليل له : لم تركتها ؟ فقال "هجم على قلبي شيء هدّ يدي ورجلي فما إستطعت أعمل شيئا".²²⁹ ويذكر المالكي أنه كان "زاهدا يعمل بكتابي يمن بن رزق الأندلسي... ومستجاب الدعوة".²³⁰ ورغم جذوره الاجتماعيّة المتواضعة وإنقطاعه عن العمل فقد كان لابي جعفر - بالقصر - خادمه الخاصّ، يقوم بشؤونه و "يسخّن له الماء في الأيام الباردة لوضوئه".²³¹ كما أن امتناعه عن أكل اللحم (الذي أصبح جيفة لإشتباه أغنام الناس في الحروب)، كان لا يمنعه من تناول السمك، خاصّة اللّجّي الذي لم توظّف عليه قبالة لأنّه كان يصطاد في ضواحي القصر.²³²

(224) المالكي، II، ص. 504-505

(225) عياض، 1986، ص. 284، 496، المالكي، II، ص. 505.

(226) المالكي، II، ص. 276

(227) المالكي، II، ص. 176

(228) "كان يلزم حانوتا يبيع به الفخّار بسوق الأحد بالقيروان" : المالكي، II، ص. 189

(229) المالكي، II، ص. 211-212.

(230) نفس المصدر. II، ص. 212 و221.

(231) نفس المصدر، II، ص. 214 و217

(232) نفس المصدر، II، ص. 217.

محمد بن سحنون بن سعيد (توفي سنة 256 هـ / 869 م بالسّاحل). مثل العديد من فقهاء القيروان وعلمائها²³³ كان ابن سحنون كثير الرّباط يقصّر السّاحل (خاصّة قصر حُوب)²³⁴. ومما يذكر عنه أنّه "خرج مرّة الى قصر الطّوب للعبادة والحرس على المسلمين فنزلت قطاع الرّوم فضربوا على السّاحلين وعلى تلك المنازل فتصايح النّاس ولم يكن مع محمّد بن سحنون إلّا بغل فخاف إن بعث الى سوسة في طلب فرس أن ينال الرّوم بغيتهم فتقلّد بسيف وأخذ رمحا ودرقة، وركب ذلك البغل الذي كان معه واجتمع اليه النّاس في جماعة من المرابطين ومن بقرب من القصر من أهل البوادي نفي حوله، وتمادى بمن معه الى الرّوم فوجدهم قد أشرفوا على نهب الأموال وسبي الحرّيم، فكبر عليهم هو ومن معه وقد ناشبوا القتال، فهزمهم الله على يديه، قتل منهم مقتلة عظيمة واتّبعهم بالهزيمة حتّى أدخلهم البحر هاريين وحلف محمد بعد ذلك أنّه لا يخرج إلى الحرس إلّا بفرس"²³⁵

قصر سهل

كان هذا القصر يوجد أيضا جنوب سوسة، ويعرف بالقصر الجديد تمييزا له عن قصر حُوب²³⁶. وقد حدّد الدّبّاغ موقعه "قبلة مدينة سوسة، قبالة قصر الطّوب، بينهما وبين مدينة ثلاثة أميال"²³⁷ وهذا يناسب على الأرجح موقع قرية القصيبة وريثة مدينة "كنيسية" البونية²³⁸. وهو منسوب الى الفقيه والمحدث المالكي أبو يزيد بن عبد الله بن سهل القبرياني المتعبّد بقصر الطّوب. ويذكر المالكي أنّ "موضعه كان ربوة من كبيرة كان محمد بن سحنون يجلس عليها بعد العصر مع أصحابه إذا كان بقصر

(1) منهم عمران الخشّاب، أبو عبد الله حمدون بن العسّال، عبد الملك بن مروان بن نصر بن المتعبّد، أبو جعفر أحمد بن خالد الدّبّاغ الزاهد، ابن عبدون القاضي المالكي، I، ص. 410، 443، II، ص. 44؛ عياض، ص. 19؛ ابن ناجي، II، ص. 19.
(2) كان يرباط بقصور صفاقس، قصر زياد، جمّة والمنستير.
(3) المالكي، I، ص. 447؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 89.
(4) المالكي، II، ص. 196؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ج. II، ص. 91، الهادي روجي إدريس، I، ص. 50.

(5) ابن ناجي، II، ص. 130؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 91.
(6) يذكر د. كارتون D. Carton الذي أشرف على حفريات هذا الموقع أنه عثر على عدّة لقيات يمكن تأريخها من فترة إسلامية. كما كشفت هذه التنقيبات على مبنى مربّع (42 م X 40 م) مشيد بواسطة الحجارة المصقولة والذي يمكن ان يكون أيضا من بقايا لقصر. أنظر - D. Carton, "Notice Sur les fouilles d'al-Knissia", in, Bulletin de la Société archéologique de Sousse (B.S.A.S), 1907, p. 71-72

الطوب للنظر في البحر والتفرّج عليه، فقال يوما وددت لو بني هنا قصر، فقال سهل :
أنا أبنيه، فبناه وأنفق فيه نحو ألف مثقال ²³⁹

إضافة الى موارد الحمى، كانت للقصر له عدّة عقارات محبّسة عليه مثل " ريع
حمّام الجزّارين بالقيروان " ²⁴⁰ . هذه الموارد جعلت القصر يرتقي بسرعة الى مستوى
القرية المحصّنة (القصبية)، وهو ما تبرزه بصفة جليّة ترجمة أبو القاسم عبد الوهاب بن
نصر (توفي سنة 330 هـ / 941 م) ²⁴¹ .

ومن مشاهير عبّاد قصر سهل، أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي،
صاحب كتاب "أحمية الحصون" . ألفه عندما كان مرابطا بقصر الجعد، فأذاه
المرابطون وأجبروه على الانتقال الى القصر الجديد حيث توفيّ ودفن (سنة 324 هـ /
935 م) ²⁴² . ويذكر المالكي " أنه كان يسرد الصيام طول عمره، أقام أربعين سنة ما طبخ
قدرا ولا أوقد في بيته مصباحا " . ²⁴³ و " ذكر فتحون القصرى نزلت على أبي الفضل
بقصر الطوب . . . فحملت اليه هدية عسلا وسميدا وكعكا فقال لي ثلاثون سنة ما
أكلت من هذه الطرائف، لم أسكن هذه الحصون لأكل بديني وفرّقها على الضّعفاء " ²⁴⁴

أبو القاسم عبد الوهاب بن نصر المتعبد، من زهاد القيروان ولكنه كان " كثير السياحة
والرباط " بقصر سهل، صحبة طريف الخياط. ²⁴⁵ وكان طيلة فترة المرباطة " يخدم الأرامل
والأيتام والفقراء ولا يتكلّم في ثلاثة أشهر من السنّة، رجب وشعبان ورمضان " . ²⁴⁶

(239) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 91. أمّا سهل القبرياني فيذكر عياض " أن أصله من العجم
ومن أصحاب سحنون الذي ولاه قضاء قسطلية " : المدارك (طالبي)، ص. 157-158.
(240) المالكي، II، ص. 483.

(241) المالكي، II، ص. 267-268 : " قال طريف الخياط : سألت عبد الوهاب أن يخرج معي الى سنوسة . . .
فجئنا قبل المغرب فدخلنا المحرس الذي علي باب القصر فجدد وضوئه ودخل المسجد فلم يزل يصلي الى صلاة
العشاء الآخرة . . . فعمدت الى طعام كان معي فهيّأته وأخذت كسائي الذي معي ففرشته له فامتنع عن النوم ومال
الى ركن المحرس فلم يزل يصلي حتى طلع الفجر، فسلم ونزل الى المسجد . . . ثم جلس الى القبلة يذكر الله عزّ
وجلّ حتى طلعت الشمس وركع ونام الى أن تعالى النهار فقام من نومه ثم قال لي : إخرج بنا نمشي على البحر
فإنها عزوة، فخرجنا نمشي ناحية القبلة وهو يكبر ويذكر الله حتى إنتهينا الى قرب الحمامات " .

(242) المالكي، II، ص. 234 ؛ عياض، 1986، ص. 416 ؛ ابن ناجي، III، ص. 12.
(243) المالكي، II، ص. 236 ؛ عياض (طالبي)، ص. 417 " لم يكن في بيته غير كتبه وجلد صوف وركوة ماء
ومعلقة ونعل "

(244) المالكي، II، ص. 236 وص. 237 " أشتهى تينا أخضرا فاشترى له من السّوق فرفضه لأنه لرجل كتامي
سخرّ عليه أهل المنزل حرثوه إشتي عشر سكة في أرض مغصوبة " .
(245) المالكي، II، ص. 266

أبو سعيد خلف بن جرير اليحصبي السّرتي (توفي سنة 319 هـ / 931 م بمصر). من علماء القيروان الموسرين، سمع من أبي بكر محمد بن زيّان الحضرمي ومن عبد الجبار بن خالد صاحب سحنون. كان يربط بقصر سهل كلّ شهر رمضان، صحبة المقرّي عبد الله محمد بن خيرون وإبنة سعيد. وكان أيضا "يحسن الفروسيّة، مولعا بشراء نخيل يخرج للرباط بها للحرس على المسلمين والسيّاحة على البحر" ²⁴⁷.

قصر حبشي

على طول الطريق السّاحلية الرّابطة بين سوسة وهرقلّة، حيث شيّد الأغلبية قنطرة نفصل، ²⁴⁸ لا يذكر التيجاني أي مركز سكني، ممّا يدل على أن قريتي أبي سعيد ²⁴⁹ وقصر حبشي قد إنقرضتا في بداية العصر الحفصي. وكان قصر حبشي أو قصر ابن عمر لأغلب كما يسميه البكري ²⁵⁰ أيضا من الرّباطات التي تحيط بمدينة سوسة في العصر لأغلب، و يحتلّ موقع سيدي القنطاوي حيث مازالت بعض أطلاله قائمة. ²⁵¹ هذه المنطقة عرفت بخصبها منذ العهد الرّوماني، ممّا يفسّر إزدهار مدينة تـمـتـرـالـThemetral التي إندثرت بدورها في آخر العهد البيزنطي. وبهذا تندرج إقامة قصر حبشي في نفس عملية الإحياء التي تزامنت مع إقامة الرّباطات في بداية العصر الأغلب.

ولقد بيّنا في بداية هذا البحث شيوع تملّك الارستقراطية الأغلبية، مثل ابن مسروق، لقرية أو عدّة قرى في الساحل التّونسي. وينسب قصر حبشي أيضا لإبراهيم بن حبشي بن عمر، حفيد إبراهيم بن الأغلب (توفي سنة 299 هـ / 911 م) الذي كان

(24) نفس المصدر. II، ص. 266. انظر أيضا ابن ناجي، III، ص. 16-17.

(25) المالكي، II، ص. 195-196، 336.

(26) مقامة على 16 حنية، على الشكل المعماري المعروف بصلب الحمام. انظر حول هذا المعلم: حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 80؛ G.Marçais, Architecture, p. 39.

(27) المالكي، II، 400؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 97، هادي روجي إدريس، الدولة العتباتية، II، ص. 45 "في المكان الذي يطلق عليه إسم سيدي سعيد".

(28) البكري، ص. 84؛ المالكي، II، ص. 135، حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص. 95.

(29) انظر خاصّة تعدّد رموز الخصب في فسيفساء هذه المدينة مثل اللوحة التي رسم عليها إغتصاب أوجي Viol L.Foucher, "La mosaïque dionysiaque de Themetra" in, Melanges : d'Augée de l'école française de Rome, 1957, p.151-161; A.Jelloul, Liber Pater en Afrique, thèse de doctorat Paris-Sorbonne IV, 1989, T.I p.182.

(30) زاوية سيدي القنطاوي كانت تحيط بها خرائب مدينة يبدو من هندسة بعض جدرانها أنها من مؤسسات العهد لأغلب. انظر في هذا الصدد: D. Carton, Sidi Kantaoui, in B.S.A.S, 1904, p. 214-215.

كثيراً ما يقيم به صحبة عائلته قبل أن يتولّى قضاء صقليّة. ²⁵³ ويذكر ابن الجزّار أنّه قرأ في قصر حبشي بسوسة "كلّ ما في هذا المحرس من بلاط منشور أو عمود رخام في كبسه مالطة، أتى به حبشي بن عمر، طالبا لما عند الله عزّ وجلّ وإبتغاء مرضاته" ²⁵⁴. ويفهم من هذا النصّ أنّ الأمير الأغلب الذي قاد حملة بحريّة مظفّرة ضدّ مالطة سنة 256 هـ / 870 م قام بهدم كنيسة الجزيرة وأعاد إستخدام الموادّ الثمينة من رخام وأعمدة في أحد منشآت (ربّما المسجد) محرس الرّباط. ²⁵⁵

وفي ضواحي سوسة تذكر المصادر الأغلبية بعض القرى الأخرى التي لم تكن مراكز رباط ولكنها تتّصل بها، مثل منزل صقلاب الذي يعدّ من ممتلكات سحنون بن سعيد ²⁵⁶ وأبن سهلون ²⁵⁷. وإلى جانب منزل صقلاب توجد قرية أكودة التي تنسب الذاكرة الشعبية أحداثها لعبد الله بن عبيد المهري، من أصحاب سحنون. ²⁵⁸ ولا ندري ما هو نصيب هذه الرواية من الصحة ولكن تعدّد الآثار الرومانية بهذه المنطقة يجعلنا نرجّح أنّ أكودة والقلعتين (الصغرى والكبرى) تشكّل تواسلا لمدينة Gurza الرومانية بالرغم من أن هذه المراكز لم تبرز في النصوص التاريخيّة إلّا في العصر الحفصي ²⁵⁹

هرقلّة

يؤكد مصير هرقلّة ما ذهبنا إليه سابقا، حول قيام أغلب مراكز الرّباط في مواقع عرفت تراجعاً عمرانياً واقتصادياً في آخر العهد البيزنطي. فمدينة إهريقليّة Horrea Coelia الرومانية، التي مازالت المخازن والصهاريج والقنوات والحمامات تشهد على

(253) كانت أغلب الرّباطات رغم إشراف بعض الأثرياء على إقامتها مؤسّسات حكوميّة فهل تخلى إذن ابن حبشي عن قصره لصالح الدولة المركزيّة ؟

(254) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 521.

(255) نفس المرجع، ص 521.

(256) المالكي، II، ص 366 ؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، II، ص 99. وينسب هذا القصر الى صقلاب بن زياد الهمداني (توفي سنة 193 هـ). انظر في هذا الصدد : ابن ناجي، I، ص 235.

(257) سيدي سهلون، وينسب الى حمّود بن سهلون، من مشاهير نسّاك القرن الثالث الهجري. (ورقات II، ص 98). وتوجد أيضا قرية ثانية بجهة صفاقس تنسب الى هذا الفقيه (المالكي، II، ص 261).

(258) حول عبد الله المهري انظر : ابو العرب، ص 123؛ المالكي، II، ص 142.

(259) ابن ناجي، VI، ص 108. أكودة لا يفصلها عن Gurza إلا وادليّة، وقد عثر كارتون Carton بنفس الموقع على نقائش عربيّة لم يحدّد تاريخها (انظر : (D. Carton, "Gurza", in B. S. A. S, 1906, pp. 49-61). كما أنّ بعض العمائر مثل سقيفة لطيف (القلعة الكبرى، ل 3+) يمكن أن تؤرّخ من العصور الإسلامية الأولى.

زدهارها، لم تعد في بداية الفتح الإسلامي إلا " قرية كبيرة "،²⁶⁰ تعلو سفح ربوة تشرف على البحر، وتستمد أهميتها الإستراتيجية من وجود ثلاثة مواجل رومانية تتردد عليها السفن الحربية.²⁶¹

هذه القرية - القصر حصنها الأغلبة بسور صخري انقرض بدوره في أواخر القرن ثامن عشر²⁶². وقد أقام الأغلبة أيضا بداخل القرية، حذو الجامع العتيق (الذي يعود تأسيسه الى هذه الفترة)،²⁶³ استحكما صغيرا مماثلا "لرباط سوسة". هذا المعلم الذي يرتبط بمؤسسة الرباط اندثر مؤخرا ولكننا نعرف هندسته من خلال الوصف الذي تركه لنا د. كارتون D. Carton²⁶⁴ وقد كان يشكل بناية مربعة (50X50م) مشيدة بواسطة حجارة المصقولة، ويدعم السور الخارجي أبراج نصف دائرية، باستثناء البرج المربع برز الذي يحمي المدخل الوحيد. هذا الباب يفضي بدوره الى باحة سماوية تحف بها حجرات، على غرار النظام المتبع في أغلب العمائر المماثلة التي توجد بالساحل التونسي.

ورغم أهمية قصر هرقله الإستراتيجية، فإنه لم يكن سوى رباط ثانوي، مما يؤكد مرة أخرى أن هذه المؤسسات أحدثت خاصة لأغراض مذهبية - سياسية وإقتصادية. فكتب الطبقات لم تترجم إلا لمرباط واحد إعتكف بهذا الحصن وهو أبو زكرياء جبرقي،²⁶⁵ أصيل الأندلس. ويذكر المالكي أنه كان صاحبا لسحنون لا يفارقه، فلما وى قضاء ترك مجالسته²⁶⁶ ولزم الرباط حيث إشتغل بزراعة الشعير - ربما في حمى حصن - بمعية مرباط آخر : سعدون الصواف.²⁶⁷ كما شارك مع صاحبه المرباط أبي يريم الخراساني في الحملة التي شنها الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب سنة 232هـ/846م على مدينة رومة فاستشهد الخراساني " فجعل أبو زكرياء يقول : يا رب

1- شيجني، ص. 25 ؛ الحسن الوزان، II، ص. 83

2- شيجني، ص. 25 ؛ الادريسي، ص. 125 ؛ الحميري، ص. 33 ؛ L. Peyssonnel, p.35; G. Kotovtsov, p.111-112; V. Guerin; I, p.85; ch. Tissot ; II, p. 87.

3- ما جمع سيدي بومنديل (ابن يعقوب السبعي) الذي يتوسط المدينة فهو من العهد الحفصي. وقد كانت هرقله مشهورة في العهد الحديث بإنتاج الشوامي التي كانت تصدر إلى فرنسا وألمانيا

4- D. Carton, "De Sidi Bou Ali à Hergla," B.S.A.S, 1904, p. 106-107

5- مصدره : طبقات أبي العرب، ص. 73 ؛ المالكي، I، ص. 15-18.

6- مالكي، I، ص. 415

7- عن مصدر، I، ص. 416

خرجت أنا وصاحبي في حاجة فقضيت حاجته وتركت حاجتي، فخرج عنق من الروم فدفعوا دفعة واحدة فقتلوا أبا زكرياء²⁶⁸.

وفي شمال هرقله كان يوجد قصر المدفون أو قصر المرابطين ويناسب اليوم موقع برج الحمام.²⁶⁹ ويذكر التيجاني أن "هذا الرباط المنسوب لابن الأغلب خال خرب. وضخامته تشعر بضخامة بانيه، وتسميته بالمدفون تسمية مفهومة لأنّ الشعراء حفّت به من كلّ جانب فكأنّه مدفون هنالك".²⁷⁰ ويعود خرابه إلى تدهور الطريق الساحلية التي كانت تمرّ به²⁷¹.

رباطات المنستير²⁷² (ش. 34 - 35)

مثل سوسة، كانت كلّ مدينة المنستير تعتبر محرسا ورباطا مقدّسا وضعت في شأنه العديد من الأحاديث النبويّة²⁷³ وألّف في "فضائله" أشهر علماء إفريقية في العصر الوسيط²⁷⁴. ورغم الخلاف الذي مازال يشقّ أوساط المهتمّين بالحقبة الرومانية حول

(268) نفس المصدر، I، ص. 418

(269) الإدريسي، 1983، ص. 168؛ المالكي، I، ص. 340؛ التيجاني، ص. 23-24

(270) التيجاني، ص. 23-24

(271) نفس المصدر، ص. 23-24

(272) حول تاريخ ومعالم المنستير أنظر خاصة : G.Marçais, art. "Monastir", E.I, anc.edit. T.III, 1928, p. 627-628; ID, "Notes sur les ribats en Berberie", in Melanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Alger 1957, p.25 et suiv; ID, L'Architecture musulmane d'Occident, op.cit, p.32,46, 76,324; S.M.Zbiss, "Le ribat institution militaro-religieuse des côtes africaines", in C.R.A.I, 1954, p.143-145; ID, Inscriptions de Monastir, Tunis 1960; ID, Les monuments de Monastir, Tunis 1964 ; A.Lezine, Le ribat de Sousse, op.cit, p.35-43 ; ID, "Deux ribats du Sahel tunisien", in Cahiers de Tunisie, 1956, p.280-288; A.Harzallah, "Monastir ou la renovation d'une medina", in Présent et avenir des médinas, Tours, 1982, fasc. 10, p. 31-43 ; M.Sahah Sayadi, Monastir Histoire sociale, Tunis 1979; N. Djelloul, Les installations militaires, T.II p. 490-500.

انظر أيضا : روبر بارنشفيلك، تاريخ إفريقية، I، ص. 339؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 50-52؛ عبد الله الزنّاد، الامام المازري وقصر الرباط، تونس 1967؛ إبراهيم شيوخ، "حول منارة رباط المنستير وأصولها المعمارية"، مجلة إفريقية (Africa)، 1969-1970، ص. 5-15؛ محمد صالح الصيادي، الذاتية التاريخية لمدينة المنستير، المنستير 1979

(273) المالكي، I، ص. 7-8 "عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرجمة الله ومن خرج منه فبعفو الله . . . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة . . . وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير يرفعه الي رسول الله أنّه قال : بالمنستير باب من أبواب الجنة يقال له الأنف دونه قنطرة من قناطر الأولين".

(274) انظر تأليف يحيى بن عمر : "كتاب في فضائل المنستير والرباط" وكتاب "أحمية الحصون" : محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، القاهرة، 1349هـ، ص. 73

تحديد موقع روسينا Ruspina : المدينة الحالية أو هنشير تنير²⁷⁵، فإنه ليس هنالك أي مجال للشك بأنّ المنستير الإسلامية هي نفسها وريثة المدينة العتيقة، مثلما أكد ذلك حسن الوزان ومحمد مخلوف.²⁷⁶ ويبدو أنّها ورثت عنها أيضا هذا التشتت إلى عدة وحدات عمرانية الذي ميز المدينة الرومانية²⁷⁷، لهذا كانت غالبا ما تنعت هي أيضا بقصور المنستير. التسمية الجديدة نفسها لاتينية Monasterium، إقتبسها العرب من التعريف البيزنطي الذي كان شائعا في المشرق والمغرب²⁷⁸. لتعيين الحصون التي كانت تشاد على ساحل البحر لإنفراد الرهبان. ويبدو أن أهل البلاد لمفتوحة الذين إعتادوا من قبل إطلاق هذه التسمية على الدّير النصراني لم يروا بعد بناء المؤسسة الإسلامية (من حيث نظامها) أختلافا كبيرا عن المنستير المسيحي فأطلقوا على الرباط الإسلامي نفس الاسم الذي غلب عليه بإفريقية والأندلس قبل القرن IXم²⁷⁹، مثل منستير عثمان أو منستير شرق الأندلس.²⁸⁰ وتعرض الشهاب الخفاجي إلى هذا التقارب اللفظي والوظيفي عندما ذكر أنّ "المنستير لفظ روميّ معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق ينزل فيه أبناء نسّيل وموضع بإفريقية معبد للزّهاد والمنقطعين".²⁸¹ ووظيفة إيواء المسافرين

(275) انظر في هذا الصدد : St. Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Paris 1911, T.VIII, p.76; N.Kallala, "La localisation du site de Ruspina", in Actes du 113ème congrès des Sociétés savantes, IVème colloque sur l'histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord, Stasbourg 1988, T.II, p.525-533.

(276) الحسن الوزان، II، ص. 84؛ محمد مخلوف، خاتمة، ص. 190. (277) اللّقيات الأثرية، ومن بينها أحيانا قطع من الخزف الإسلامي، شملت المواقع التالية : المدينة، هنشير تنير، ودي إسماعيل، القديمة، الغربية، سيدي الغدامسي، الكحلية. راجع : محمد صالح الصيّادي، الذاتية التاريخية، ص. 6؛ 1؛ N.Kallala, op.cit, p.531-532, fig. 1.

(278) حول دير Mandrakion المحصّن بقرطاج في العهد البيزنطي، انظر : G.Marçais, "Notes sur les ribats" p. 26.

(279) G.Marçais, "Notes sur les ribats" p.31-32; S.M.Zbiss, Inscriptions de Monastir, p.1-7 (préface de H.H.Abdulwahab), ID, Monastir, p.3; M.De Epalza, "al-Munastir d'Ifriqiyya et al-Munastir de Xarq al-Andalus", in Actes du VIIème Colloque universitaire tuniso-espagnol, Cahiers du Ceres, p. 100-101.

(280) ياقوت، ج. V، ص. 240. انظر حول هذا التقارب اللفظي أسماء مواقع مرابطة أندلسية مثل Almonacid, Almonecir, Al monaster, Monastrell.

راجع : O.Asin, "Origin arabe de rebato, arrobadá, y suo homonias", in Boletín de la Real academia española, T.XIV, 1928, p.347; L. Torres Balbas, "Rabitas hispano musulmanas" in al-Andalus T.XV, 1950, p. 475-491 ; M.De Epalza, op.cit, p. 100-101.

(281) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 189.

وأبناء السبيل إختصت بها فيما بعد الأربطة الأغلبية²⁸² والزوايا الحفصية التي ورثتها.²⁸³ ويبدو أنّها من الوظائف الأولية التي ساهمت في توطيد الوجود العربي في الأقاليم المفتوحة مثلما تؤكد رسالة عمر بن الخطاب الى واليه سليمان والتي أمره فيها حسب الطبري "بأن أعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فأقرهم يوما وليلة وتعهد دوابهم فإن كانت به علة فأقرّوه يومين وليتين، فإن كان منقطعاً به فقوّه بما يصل به الى بلده"²⁸⁴. فرباطات إفريقية، تماما مثل حصون المشرق والأندلس²⁸⁵ كانت على غرار أمصار العراق الأولى مؤسسات تهدف إلى توطين الفاتحين الجدد بتمكين جزء من قدماء المحاربين وغيرهم من أراضي يستصلحونها²⁸⁶ وينشؤون حولها قرى جديدة تشكّل القاعدة البشرية لتعريب وأسلمة البلاد المفتوحة. ولأجل هذا أيضا اعتبرت القيروان في بعض الأحيان رباطا، وهو ما جعلنا أيضا نميل الى الاعتقاد بأن المنستير كانت تشكّل تجمعا عمرانيا منذ القرن الثامن ميلادي²⁸⁷. وقد كان هذا التجمع ينعت عادة بقصور المنستير، في حين أنّ المقدسي (ق.10م) وليون (ق.16م) تحدّثا عن مدينة.²⁸⁸ على أنّ ندرة وغموض روايات الجغرافيين العرب وإقتضاب غيرها،²⁸⁹ وكذلك ندرة الدراسات الأثرية المعمّقة، لا تسمح لنا بالوقوف على حقيقة هذه الهياكل وتطورها قبل القرن الثامن عشر ميلادي، خاصّة وأنّ المنستير عرفت منذ سنة 1960 حملة "تعصير" كثيفة أفقدتها أغلب معالمها العتيقة.

(282) المالكي، II، ص. 377-382

(283) روبر برنشفيك، تاريخ إفريقية، I، ص. 30+

(284) محمد صالح الصيادي، الذاتية التاريخية، ص. 1+

(285) M.Terrasse, L'Islam, in Atlas mondial de l'archéologie, Paris 1985, p.146-160

(286) العديد من الرباطات توجد قرب السّباخ أو في موقع مدن تراجعت في بداية الفتح الإسلامي.

(287) انظر أيضا : T.Bachrouh, "Le Sahel, Essai de définition d'un espace citadin" in Cahiers de Tunisie, T.XXXIV, 1986, p.225.

(288) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص. 212؛ الوزان، II، ص. 8+

(289) بالنسبة للمصادر الأوروبية انظر خاصة :

- ق. 15 م : A. Adorne, "Voyage en Barbarie", edit:R.Brunschvig, Deux recits de Voyage, Paris 1936, p. 222 ; V.M. Van Ghistèle, "Tunizia," edit.et trad. J.Bawens et L.Verplancke, I.B.L.A, 1967, p. 159-160

- ق. 16 م : L.Marmol Carvajal, Description general de Affrica, Grenade, 1573, trad.N.Perrot ; d'Ablancourt, Paris 1967, T.II, p.391 ; L.Lanfreducci et G.Bosio, op.cit, p.512; A.DeThou, Histoire universelle, Paris 1734, T.II, p.45; A.Farocho, Les gloires chrétiennes de la France, Paris 1892, p.20

- ق. 17 - 19 م : R. Elyatt, Brève description du royaume de Tunis, edit.J. Pignon, Tunis 1967, - p. 62; R.Desfontaines.Fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, Paris 1838; p.113; C.Filippi ; Fragments sur la régence de Tunis, Paris 1929; E. Pellissier, Description de la régence de Tunis, Paris 1853, p.89-90.

المصادر الجغرافية العربية بالرغم من تعددها إعتمدت أربع روايات أساسية (ابن حوقل - البكري - الإدريسي - ياقوت)²⁹⁰ ونقلت عنها بدون إعتبار عامل الزمن . فالحميري الذي كتب في العصر الحفصي²⁹¹ ينقل لنا حرفياً مذكّره البكري في القرن الحادي عشر ميلادي ، وهذا الأخير نفسه إعتمد على مصادر مختلفة وخاصة الوراق (ق. 10م) . نفس الملاحظة يمكن أن نسوقها بالنسبة الى التيجاني ومقدّيش (ق. 13م و18م)²⁹² اللذين نقلّا عن البكري والإدريسي (ق. 12م) .

- ابن حوقل (ق. 10 م) : " بين المهديّة وسوسة رباط يسكنه أمة من الناس على مرّ الأيام والساعات يعرف بالمنستير ويقصده أهل إفريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياماً معلومة ويحضر بفاخر الأطعمة ونفيس المآكل وقيم جميعهم به مدّة ثمّ يتفرّقون إلى أوطانهم . . . وبينه وبين المهديّة أيضاً قصر رباط يعرف بشقانص وهو عندهم دونه في المنزلة وهو حصن منيع . . وهما قصران عظيمان على حافة البحر للرباط والعبادة عليهما أوقاف كثيرة بإفريقية والصدقات تأتيهما من كلّ الأرض . " ²⁹³

- البكري (ق 10 - 11 م) : " من محارس سوسة محرس المنستير الذي جاء فيه الأثر . وذكر أن الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة 180 هـ وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير . وبالمنستير بيوت الحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء ، وهو حصن عال البناء متقن العمل وفي الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه . وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر . وقال محمد بن يوسف [الوراق] هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفي وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية ، طبقات بعضها فوق بعض . وفي القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع .

(290) بالنسبة إلى المصادر الإسلامية (بعد القرن 10 م .) انظر خاصة . - بييري رايس، كتاب بحريّة، نشره Y.Senemogli (Denizcilik kitabi) ، انقر 1973 ، I ، ص . 178-179 ؛ أبو الحسن التمكروتي ، النفحة المسكية في السفيرات التركية ، الرباط ، 1926 ، ص . 26 ، محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية ، خاتمة ، ص . 189-203 ؛ أرشيف المدرسة الحربية بباردو : برنامج مدن ولايات سوسة والمنستير والمهديّة ووطنهم من الجوامع والأولياء والمعاصر والديار . مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، رقم 18869 ، ورقة 57 .

(291) الحميري ، الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت 1983 ، ص . 331 .

(292) التيجاني ، رحلة ، ص . 102 ، مقدّيش ، I ، ص . 137 .

(293) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن 1967 ، ص . 73 .

وبها جامع متقن البناء وهو آراج معقودة كلّها وأقبا لا خشب فيها. ولها حمامات كثيرة وكان أهل القيروان يتبرّعون بحمل الأموال إليهم والصدقات الجزيلة. وبقرب المنستير ملاحّة عظيمة تشحن فيها السفن الملح الى البلاد وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين²⁹⁴.

- الادريسي (ق: 12 م) "المهدية ليس لها جنّات ولا بساتين ولا نخل ولا فاكهة إلا ما يجلب اليها من قصور المنستير. والمنستير قصور ثلاثة يسكنها قوم متعبّدون"²⁹⁵.

- ياقوت الحموي (ق: 13 م) : أعاد تقريبا نصّ البكري وأضاف "بأنّ المنستير خمسة قصور يحيط بها سور"²⁹⁶

- ابن خالكان (ق: 13 م) : "المنستير بلدة بإفريقيّة بناها هرثمة بين أعين سنة 181هـ. والمنستير معبد بين المهدية وسوسة يأوي إليه الصّالحون المنقطعون للعبادة وبه قصور شبيهة بالخانقاهات وعلى تلك القصور سور واحد ذكره ياقوت في كتابه"²⁹⁷

القصور والتحصينات

لقد أفقدت الترميمات الحديثة أسوار المنستير قيمتها الأثرية والعلمية، وهذا يجعلنا نعتمد في دراستنا لتطور المدينة خاصة مخطّطات 1857 و1930. حسب هذه المخطّطات كانت المنستير تتركّب قبل حملة "التعصير" من مدينة (حومة البلد) يطوّقها سور صخري وتحميها في (الزاوية الشمالية الغربيّة) القصبة. وهذه الوحدة العمرانية العتيقة كانت تحدّها من الغرب ثلاثة أرباض، هي أيضا محصّنة بواسطة أسوار حجرية : الربض الأوسط، الربض الأقصى والربض الجديد (ش: 34)²⁹⁸.

294) البكري، ص: 36

295) الادريسي، 1983، ص: 144. انظر أيضا: مقديش، I، ص: 137، مخلوف، خاتمة، ص: 192.

296) ياقوت، V، ص: 210.

297) ابن خالكان، وفيات الأعيان، بيروت 1968، IV، ص: 68. قارن هذه الرواية بنصّ J. Van Ghistcle

(1481): "Il existe à Monastir une espèce de religieux païens, tenus pour saints dans ce pays -là et nommés morabitos. Elle a en outre un chateau- fort remarquable et solide, où habite en permanence un amiral ou alcaytus, représentant le roi de Berberie" (Tunizia, p. 159).

298) N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 498-500.

القصر الكبير (ش . 35)

يعتبر القصر الكبير من أقدم وأهم قصور المنستير، ويعود أحداثه حسب أغلب الروايات إلى فترة هرثمة بن أعين الذي أرسله هارون الرشيد سنة 179هـ / 795م لتأمين إفريقية بعد ثورة ابن الجارود²⁹⁹. ويذكر البلاذري أنّ هذا الوالي تولّى عملية إنقاذ وإعادة تنظيم موسّعة في كلّ الولايات التي مرّ بها مثل "إعادة الضياع في فلسطين إلى مزارعيها بعد أن هجروها"³⁰⁰. وتندرج عملية أحداث رباط المنستير في نفس الإطار الذي أقيمت من أجله رباطات فلسطين وأرمينية وعسقلان، أي إعادة إحياء الأراضي الفلاحية وتركيز مسلمين جدد أكثر ولاء من عناصر الجند الذين كانوا أساس ثورة ابن الجارود. هذه النسبة تؤكد أنها أيضاً النقيشة الكوفية التي كانت مثبتة في مسجد القصر³⁰¹. على أننا نعرف أيضاً أن الجيش الفرنسي "اقتلع سنة 1884 من منار المنستير نقيشة أخرى تذكر أنّ أساس القصر والطابق الأول والمنار" بناها أبو القاسم محمد الموصلي سنة 365هـ / 976م³⁰². ويبدو من روايات المالكي (المتعلّقة بتأسيس الرّباط)³⁰³ والبكري³⁰⁴ والتلمساني³⁰⁵ أنّ القائد العبّاسي اكتفى بإحاطة تجمّع عمراني سابق يعرف بالزّربية³⁰⁶ بسور جديد، وأضاف إليه (من الداخل) بعض المنشآت العسكرية والمدنية، منها القصبة (أو جزء منها)، والدور التي توجد بأركانها أعمدة، والتي يمكن تأريخ تيجانها من بداية العصور الإسلامية³⁰⁷. كما أنه ليس مستبعداً قطّ أنّ تكون هذه العملية تهدف إلى نقل العاصمة من القيروان إلى ساحل البحر (المنستير)³⁰⁸، وهي العملية التي أقدم عليها بعد الفاطميّون لما قاموا بتأسيس المهديّة وتحويل طريق الحجّ نحوها.

(299) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 92 - 93. حول تأسيس الرّباط، إبراهيم شيوخ، نفس المرجع ص. 6-5؛ A. Lezine, Le ribat de Sousse, p. 35.

(300) البلاذري، فتوح، القاهرة 1956، ص. 171؛ إبراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص. 6-5.

(301) إبراهيم شيوخ، نفس المرجع ص. 6.

(302) محمد صالح الصيادي، الدّاتية التاريخية، ص. 19؛ محمد الطاهر عقير، المنستير عبر مواقع التجدير، تونس، 1989، ص. 18.

(303) المالكي، 1، ص. 8 "سمعت البهلول بن راشد يقول لوزير هرثمة حين استشاره في بناء المنستير، فعّد له أنّ هرثمة بنى بأرمينية في غير موضع، فقال له البهلول ما ذكرت شيئاً إلّا والمنستير أفضل منه، ذلك أنّه بلغني عن النبيّ أنّه باب من أبواب الجنة".

(304) البكري، مخط. المكتبة الوطنية باريس (ق 15م)، "ويذكر أنّ الذي ينزل القصر الكبير بالمنستير هرثمة ابن أعين سنة ثمانين ومائة".

(305) "هي بلدة بساحل البحر أو حصن رباط بإفريقية له سور بناه هرثمة بن أعين". راجع مخلوف، ص. 189.

(306) مخلوف، ص. 192.

(307) G. Marçais, Architecture, p. 46, fig 20.

(308) الصيادي، الدّاتية، ص. 20.

ويتّضح ممّا ذكرناه أنه خلافا لما ذهب إليه محمد مخلوف وأ. لزين³⁰⁹ فإن القصر الكبير الذي ذكره البكري والمالكي³¹⁰ لم يكن يقتصر على القلعة المصطلح عليها حالياً "برباط المنستير" (القصبة) بل يشمل كل حومة البلد، أي المدينة العتيقة³¹¹. وهنا نفهم نعت المقدسي للمنستير بالمدينة إذ أنّ هذا الجغرافي (الذي حاول تصنيف التجمعات العمرانية الإسلامية) يعتبر الرباط "عاصمة للرستاق"³¹²، مثل قصر زياد الذي كان عاصمة لرستاق رصفة³¹³. فالقصر الكبير الذي سورّه هرثمة بسور حجري "لم يبق له أثر إلا من الجهة الشرقية"³¹⁴ يشمل القصبة والمسجد الذي تعود أقدم أجزائه إلى العصر الأغلبي³¹⁵. وإلى هذه الفترة يعود أيضا إحداث زاوية سيدي الذويب المحصنة التي كانت هي أيضا في أوّل أمرها مأوى للمرابطين. ويذكر محمد مخلوف أنّه يوجد بهذه المنطقة قصران "أحدهما يعرف بقصر السيدة وقبرها بمقصورة بمسجد يعرف بالسيدة. أما القصر فلم يبق له أثر ومحله الآن دور بعض بيوتها... ومن مشمولاته مسجد يشبه في البناء والقدم مسجد السيدة به مغارة تحت الأرض ومقصورة بها قبر ويعرف هذا القبر بسيدي عامر... ومن مشمولاته أيضا مسجد يعرف بمسجد الدز... ومن مشمولاته أيضا قبة فيها قبر أبي الحسن على السراج ويعرف الآن بسيدي السراج"³¹⁶. هذا القصر (الذي وقع الكشف عن جزء من سورهِ الخارجي)³¹⁷ بمساجده يعود إحداثه إلى العصر الصنهاجي³¹⁸، لكن يبدو أنّه أقيم على أنقاض منشآت تعود إلى الحقبة الأغلبية، خاصة الصحن الذي يحتوي على قناب عالية ينزل حولها النساء المرابطات³¹⁹. أمّا الحمامات والطواحين الفارسية التي ذكرها البكري فقد كانت توجد أيضا بهذه المدينة العتيقة، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى محرس رباط سوسة.

(309) مخلوف، ص. 192، A. Lezine, Le ribat, p. 35.

(310) البكري، ص. 36؛ المالكي، I، ص. 251، ++1، ++8، ++4.

(311) ويفهم هذا أيضا من نص المالكي (II، ص. 446) "إذا صبّ ماء المطر نخرج من المسجد لا نمشي في الطين والزلق". وكان "بشير المتعبّد يسكن نوالّة بالقصر الكبير" (المالكي، II، ص. 447).

(312) المقدسي، احسن التقاسيم، ص. 47-55، 177.

(313) نفس المصدر، ص. 212.

(314) مخلوف، ص. 192.

(315) G. Marçais, Architecture, p. 77-78. ومتصف القرن الثامن حسب توفيق البشروش (Le Sahel, p. 225).

(316) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 192.

(317) محمد طاهر عفير، نفس المرجع، ص. 36.

(318) الهادي روجي إدريس، II، ص. 52.

(319) البكري، ص. 36.

وكان المرابطون يقيمون في القصبه وزاوية سيدي ذويب وبعض الدّور الخاصّة والنوّالات³²⁰. ويبدو أنه أضيف إلى هذه المنشآت ثلاثة قصور جديدة تشبه القصبه الأولى، وبهذا نجد "القصور الخمسة المحاطة بسور" التي ذكرها ياقوت وابن خالكان. هذا السور، الذي جدّد في العصرين الصّناجي والحفصي³²¹، كان يتكوّن من جدار صخريّ تدعّمه أبراج مستطيلة (6م X 3م) وتتخلّله ثلاثة أبواب (باب السور، باب الدّرب وباب الخوخة) تدلّ عمارتها ودهاليزها المعطوفة en chicane أنّها من منشآت العصر الحفصي (ل. 34) ³²². كما أن هذه التهيئة العمرانية المتميّزة (التي تركز على مجموعة من الحصون المحاطة بسور) التي تفرّدت بها الأربطة تذكّرنا بتخطيط محارس قصر زياد ومنستير شرق الأندلس³²³.

. القصبه (ش. 36-51، ل. 36-41).

أهم منشآت القصر الكبير - المدينة، كانت بدون شك قصبته التي ورد ذكرها في العديد من تراجم المالكي³²⁴، والتي كانت مقرّ إقامة أمين القصر الكبير أو أمين المنستير³²⁵. هذه القلعة، التي تمسح نصف هكتار وتتّسع لأكثر من ألفي جندي³²⁶، تقع على ربوة قليلة الارتفاع تمكّن في آن واحد من مراقبة المدينة والبحر. وتحتوي على باحتين داخليّتين محفوفتين بمجموعة من المباني، وتفصلها الواحدة عن الأخرى وحدة معماريّة ثلاثة تشكّل كلّ ما تبقى من القصبه الأولى التي تنسب لهرثمة بن أعين (179هـ / 795م). ويتكوّن هذا المعلم من حصن صغير مربّع تقريبا أضلاعه

(320) المالكي، II، ص. 437.

(321) الهادي روجي إدريس، II، ص. 52؛ روبر برنشفيك، المرجع السابق، I، ص. 339.

(322) روبر برنشفيك، تاريخ إفريقية، I، ص. 339. حول عمارة هذه الأبواب أنظر خاصة: G. Marçais, Architecture, p. 324 ; N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 500.

(323) M. De Epalza, op.cit, p. 94 ; N. Djelloul, "A propos d'un : toponyme," passim.

(324) المالكي، II، ص. 448.

(325) المالكي، II، ص. 437. وفي ترجمة أبي علي المكفوف (نفس المؤلف، II، ص. 406) يسمّى الأمير، وهو ما يدلّ على الطابع الرّسمي لهذه الخطة. ومما يؤكد ذلك ما أورده المالكي II، ص. 453 عن "أمين لسليمان القاضي خرج ليرابط بالمنستير، فصلّى بهم إمامهم فسلم تسليمه فغضب القاضي وتوعدّهم" ولم ينج المرابطون من العقاب إلا بعد تدخّل محمد بن سحنون وأهل القيروان. راجع أيضا حول هذه الخطة، محمد مخلوف، ص. 193؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 305.

(326) A. Farocho, op.cit, p. 20. حول هذا المعلم في الفترة العثمانيّة راجع خاصة: L. Marmol, op.cit, T. II, p. 449 ; L. Lanfreducci et G. Bosio, p. 512 ; C. Filippi, op.cit, p. 270 ; E. Pellissier, op.cit, p. 90 ; V. Guerin, op.cit, T. I, p. 127.

32,80م 32,40Xم، تقوم في زواياه أبراج نصف دائرية، عدا برج الزاوية الشرقية الهرمي الذي تركز عليه منارة إسطوانية يتناقص غلظها في الارتفاع. "وللقصر مدخل وحيد بارز قائم الزوايا يقع في محور الضلع الجنوبي الشرقي ويفتح على دهليز مستقيم يؤدي إلى الصحن. ويشتمل الدور الأرضي على غرف صغيرة مقببة تصطف على أسواره الأربعة، يتقدمها رواق يفتح على الصحن، عدا مجموعة جدار المدخل القبلي فإنه يتقدمها رواقان. وعلى هذا الجانب من الدور الأول مسجد صغير، به سبعة بلاطات عليها أقبية طولية³²⁷".

خلال عمليات التوسيع اللاحقة وقع هدم كل القسم الشمالي من هذه القلعة ولم يقع الحفاظ إلا على الجناح الجنوبي الذي يحتوي على بيت الصلاة. وقد جعل تكاثر المرابطين (خلال القرن التاسع الميلادي) أمراء بني الأغلب يضيفون إلى هذه القصبه - من الناحية الجنوبية- جناحا جديدا يحتوي على قاعتين للصلاة، تدعم جدرانها أبراج نصف دائرية (في الزوايا) وأخرى مستطيلة. هذا الجناح الذي يعرف اليوم "برباط النساء" يتصل بالجامع بواسطة بوابة جدت في العصر الزييري (ش. 37)، أشغال هذه الفترة أعطيت أيضا للمعلم مساحته الحالية. في حين أن الباب الغربي يعود إلى إصلاحات السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز كما تدل على ذلك النقيشة التي تعلو العقد³²⁸. وإلى هذه الفترة يعود أيضا تهديم الجناح الشمالي من قلعة هرثمة، وتهدف هذه العملية إلى إكساب القصبه ساحة فسيحة تليق بإقامة وال يعد من أهم موظفي الإدارة الحفصية³²⁹. وكذلك تمكين السكان من فضاء هام يلجؤون إليه أبان الغزوات المسيحية³³⁰.

ويعود أحداث زاوية سيدي ذويب (ش. 52-54) أيضا إلى الفترة الأغلبية، على يد أحد أفراد العائلة الأغلبية : دؤيد مثلما تؤكد نقيشة كوفية (مؤرخة من سنة 240هـ) مازالت موجودة بسقف مسجده³³¹. ولكن رغم تأكيدنا من نسبة هذا المعلم إلى هذا الأمير الأغلب المقبور بالزاوية³³² فإن هذا لا يعني تطابقه مع قصر دؤيد³³³، إذ أن

(327) إبراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص. 7.

(328) حول هذه الإضافات وعمارتها أنظر خاصة : S. M. Zbiss, Corpus, T. II, P. 12; A. Lezine, Le ribat, p. 38-40 ; N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 502-504.

(329) A. Adorne, p. 222 ; Van Ghistle, p. 159-160

(330) التمكروتي، ص 26 ؛ De Thou, II, p. 45 ؛ روبر برنشفيك، I، ص. 339

(331) بسم الله بركة من الله ممّا (أمر) به دؤيد بن ابراهيم سنة أربعين ومائتين على يد مسرور مو(لاه).

(332) محمد مخلوف، ص. 192

(333) مخلوف، ص. 192 ؛ هادي روجي إدريس، II، ص 52.

الزاوية لم تكن إلا مجرد حصن صغير شيد داخل القصر الكبير. ويتكوّن من بناية حجرية طولية (40 X 34 م) تتخلّل سورها الخارجي أبراج نصف دائرية تدّعم الأركان ووسط الجدار. ويفضي الباب البارز الوحيد إلى باحة سماوية تحفّ بها الغرف من كلّ الجهات، في حين تتوسط بيت الصلاة التي وقع اختصار مساحتها في فترة لاحقة الجناح الجنوبي³³⁴. ويؤكد مكان النقيشة إستعمال الأقبية المتقاطعة منذ العصر الأغربي، وهو ما يجعلنا - خلافا لما ذهب إليه لزين - نقرّ التاريخ الذي يورده المالكي للإضافات الأغلبية بالجامع الكبير³³⁵ بسوسة.

ويبدو أنّ الربض الواسع الذي تحدّث عنه الوراق (ق. 10 م) احدث سنة 224 هـ/ 839 وهو ما يؤكده نصّ المالكي، رغم طابعه الأسطوري³³⁶. ويذكر صاحب الرياض أنّ "الرّوم أتوا مرّة إلى المنستير وقد أصابهم عطش شديد فاستقوا الماء فلم يسقوهم، ومنعوهم أخذ الماء، فأستقى الروم، وأسبلوا شعورهم ودعوا، فأمطروا، فنصبوا الأنطاع وتلقّوا بها الماء فشربوا حتى رووا. . فاجتمع شيوخ المنستير بجماعتهم إلى مكرم المتعبّد وصلّوا ركعتين، واجتهدوا في الدّعاء، فأرسل الله سبحانه ريحا من داخل البحر فكسرت مراكبهم ورمتهم على الشاطئ البحر. فخرج إليهم المسلمون وغنموهم، وجمعوا جميع ما حصل من ذلك وبنوا به روض القصر الكبير".³³⁷ هذا الربض الواسع، الذي يوجد داخله حصن كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية"، هو بدون شكّ الربض الأوسط الحالي الذي جددت أسواره في العصر الحفصي³³⁸.

وذكر الإدريسي أنّ للمنستير قصورا ثلاثة. منها القصر الكبير، أمّا القصر الثاني فهو بدون شكّ قصر المصري الذي نعرف إسمه من "كتاب منسوخ على الرق"، وهو كتاب الزكاة من مدوّنة سحنون رسم مالكة (من رجال القرن 11 م.)، على الورقة الأولى منه: حبّست هذا الكتاب على من يسكن حجرتي بعدي من المرابطين بقصر المصري"³³⁹. كما

N. Djelloul, op.cit, II, P. 502-504 (334)

(335) محمد صالح الصيادي، الذاتية التاريخية، ص. 21.

(336) هل يمكن بناء روض كامل بعائدات بيع بقايا سفينة ؟

(337) المالكي، I، ص. 421.

N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 500. (338)

(339) مخطوط يوجد بمتحف علي بورفوية بالمنستير. أنظر : محمد صالح الصيادي، الذاتية التاريخية، ص. 25 ؛

محمد الطاهر عثيرة، نفس المرجع، ص. 17.

أنّه ليس مستبعداً قطّ أن تكون هذه القصور هي نفسها باقي الأربضة التي حافظت على أسوارها الخاصة الى آخر عهد الحماية، وربما شمل جزءاً من الأرباض الخارجية مثل سيدي السّري، سيدي مسعود أو ربض شكل. فالمنستير التي لم تتضرّر من الغزو الهلالي (عكس أغلب مدن البلاد التونسية) حافظت على إزدهارها طيلة العهدين الصنهاجي والحفصي. ويذكر الرّحالة A. Adorne الذي زار تونس سنة 1470 أن سوسة والمنستير بلغتا نفس الحجم، وأنّ قصبة المنستير أكبر من قصبة سوسة³⁴⁰. فلا يعقل إذن أن تكون المدينة الحفصية تتركّب من "حومة البلد" فقط مثلما ذهب إليه عد. حرز الله³⁴¹، خاصة وأننا نعلم أن الربض الأوسط والأقصى جدّد بناء أسوارهما في القرن السادس عشر³⁴². كما أن بناء سور الربض الجديد سنة 1780 م³⁴³ لا يعني أن هذا الربض لم يوجد من قبل.

المرابطون

مثلما هو الشأن بالنسبة إلى سوسة كانت قصور المنستير قبلة ثلاث فصائل من المرابطين. أولاً: الموسميون من "العلماء" (مثل سحنون بن سعيد ويحيى بن عمر وعيسى بن مسكين) وعامة أفراد الشعب³⁴⁴، الذين يتوافدون عليها من القيروان والقرى الساحلية المجاورة خلال شهر رمضان وعاشوراء والعيدين. ثانياً: أهل الدّور من المرابطين في حصون الساحل أو جزيرة شريك. مثل عبد الرّحيم بن عبد ربّه وأبو عثمان الجزري³⁴⁵. ثالثاً: المنقطعون للعبادة بالقصر الكبير لمّدة طويلة مثل حمديس القّطان، سعدون الخولاني، أبو سعيد خلفون النّوفلي، أبو علي المكفوف، أبو بكر

A. Adorne, Voyage, p. 222. (340)

A. Harzallah, op.cit, p. 31-43. (341)

(342) محمد صالح الصيادي، الدّاتية التاريخية، ص. 30؛ N. Djelloul, op.cit p. 500

رحالة ومؤرّخي القرن XIVم (التيجاني، ص 102)، XVم (Van Ghistele, p.159, Adorne, p.222) و XVIم (الحسن الوزان، II، ص. 34؛ Piri Reis, T. II, p. 178؛ T. II, p. 178-؛ L. Marmol, De Thou, T.II, p.45؛ 1857 1440 منزل، في حين لا يوجد بمدينة (179) عدّوا المنستير من بين مدن إفريقية الهامة. وحسب A. Adorne والى المنستير ووالي سوسة كانا ينتميان إلى نفس الصّنف الإداري (قوّد). كما أنّنا نعلم أن سوسة كانت تعدّ سنة 1857 1440 منزل، في حين لا يوجد بمدينة المنستير وأرباضها سوى 1125 منزل (برنامج ولايات سوسة والمنستير والمهدية، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس، رقم 18869، ورقة 57)، فلا يعقل أن تقتصر المدينة الحفصية على حومة البلد التي لا تشكّل في القرن XIXم سوى ثلث مساحة المنستير، خاصة وأنّنا نعرف أنّ الساحل لم تستقرّ به (ما عدا المهدية) جاليات تركية وأندلسية هامة.

(344) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 195.

(345) المالكي، I، ص. 381، 453، 497؛ عياض، ص. 245.

بشر بن عمرو، مكرم المتعبّد وعبد المؤمن الجزيري، ويبدو أن جزءا على الأقل من هؤلاء النساك كان من قدماء المحاربين الذين وقع توطيئهم بالقصر³⁴⁶.

مكرم المتعبّد (ت. حوالي 230 هـ / 844م). "كان فاضلا ورعا. وكان سكناه بالقصر الكبير وبه قبره على ساحل البحر وبجواره قبر فيزر المتعبّد صاحبه معروف به إلى الآن بالقصر الكبير... وكان الشيوخ يذكرون عن مكرم أنّه كان يجتمع بالخضر عليه السلام، ويروون أنهم كانوا يسمعون كلامه معه. وكان يخرج له رأسه من الطاق التي في البرج والخضر خارج البرج، يشبهون حديثه معه"³⁴⁷.

- عبد المؤمن بن المستنير الجزري (ت. حوالي 238 هـ). روى عن مالك وأصحابه. "وكان رجلا صالحا كثير الرباط، كثير الرواية لغرائب الرباط"³⁴⁸.

- أبو عمرو بشير بن عمرو المتعبّد بالمنستير. من معاصري سحنون، و"كان من المتعبّدين الزهاد المنقطعين إلى الله عزّ وجلّ، وكان من رهبان الليل لا ينام منه إلا قليلا"³⁴⁹. استقرّ بالرباط بعد أن قضى مدة بحصن طرسوس، وكان "ملوك إفريقية يأتونه إلى بيته بالمنستير فلا يخرج إليهم". وربما كان هو أيضا من قدماء المحاربين، إذ كان يتمتّع بدالية بجوار القصر الكبير³⁵⁰.

- حمديس القطان (ت. 289 هـ / 901م). من أصحاب سحنون ويذكر عنه أنه "كان يكره فعل الذين يتجمعون للميعاد ويضربون صدورهم، وكان يقول لو كان لي في الأمر شيء لنفيتهم من المنستير"³⁵¹.

- أبو محمد الأوساني المتعبّد بالمنستير (ت. 335 هـ / 946م). كان مشهورا بالعبادة، "إذا صلّى بكى، وإذا تحدّث بكى، حتى عمشت عيناه... وكان صاحب

(346) نفس المصدر، I، ص. 332، 429.

(347) المالكي، I، ص. 214.

(348) المالكي، I، ص. 420 : و"كان تحت بيته بيت صغير يسكنه رجل فقير. فنزل مكرم إلى ذلك الرجل ذات يوم وسلّم عليه، فقال له خبرتني رائحة قدرك البارحة، كان فيها زيت وبصل وكمّون. فقال مكرم : وعشت أنا حتى طبخت قدرا فاحت رائحتها فشمها هذا وهذا... فما طبخ بعد ذلك قدرا ولا أكلها حتى مات". نفس المصدر، I، ص. 420.

(349) المالكي، I، ص. 291.

(350) نفس المصدر، I، ص. 418.

(351) نفس المصدر، I، ص. 419.

أقوات معلومة . يخيّر نفسه عند إفطاره في نصف المدّ فإن إختارت دقيقا أو سويقا أو زيبيا أو تمرا أو تينا، لم يطعم غيرها إلى مثلها من اللّيلة القادمة . " 352

- أبو علي الحسن بن علي الكفوف النحوى الزاهد (ت. سنة 342 هـ). "كان معروفا بالاجابة وعالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن" 353 .

- بشير المتعبد (ت . سنة 347 هـ / 958م) بالقصر الكبير وبه دفن . "كان متقلّلا في الدّنيا، وكثير عيشه بقل البريّة وكان يسكن نوّالة بالقصر، لا يدخل بابها إنسان إلا منحنيا" 354 .

- أبو سعيد خلفون النوفلى، توفي بالقصر الكبير سنة 354 هـ / 965م ودفن في قبلي القصر على سيف البحر مع أبي الحسين الكناشي في موضع واحد . و"كان لا يخرج من بيته إلاّ لصلاة أو مجلس ترجى بركته . وكان إذا سلّم عليه أحد ينظر إليه فاذا رأى لله عزّ وجلّ نيّة وديعة جلس وإنبسط" 355 .

- سعدون الخولاني (ت. سنة 324 هـ / 935م ودفن جبلي القصر الكبير). "كان شيخ الحصون، لم يكن في المنستير في وقته أسنّ منه" 356 .

ويتّضح من ترجمة سعدون الخولاني أن مؤسسة الرّباط تواصلت في المنستير في العصر الفاطمي، رغم تراجع بعض الحصون الأخرى . ويذكر المالكي "أنه كان [في عهد عبيد الله] يجتمع إليه خلق من النّاس يخرج بهم الى الدّور" 357 . وكان خلفاء بني

(352) عياض، ص . 290 ؛ محمد مخلوف، ص . 71 .

(352) المالكي، II، ص . 351 .

(353) نفس المصدر، II، ص . 447 . والنوالة كوخ مبنيّ بواسطة أغصان الأشجار والقشّ، وهو ما يؤكّد مرّة أخرى أنّ القصر الكبير لا يتطابق مع القصبة الحالية .

(354) المالكي، II، ص 461 .

(355) نفس المصدر، II، ص . 251 .

(356) نفس المصدر، II، ص . 258 .

(357) نفس المصدر، II، ص . 260 . ويذكر المالكي أيضا (II، ص . 259) أنّه "أغرى به بعض من كان يسكن بالمنستير ممّن هو متّصل بالشّيعة فرفع على سعدون أنّه يجتمع إليه العامّة مع أشياء هو بريء منها وأنّ عنده كتب الحدّثان . . . [فسيق] إلى المهدية، لكن عبيد الله أمر بتخليته ودفع إليه ثلاثمائة دينار وبعث إليه دابة . . . وقال له عبيد الله لا تقطعنا، فكان يأتيهم في الهناء والعزاء مداراة للقوم على المنستير وأهله ليكفّ أذاهم، وليبقى عليها الحال الجميل والهيبة، ولا يكون كسائر الحصون التي أخلوها أفسدوها، فكان ذلك سببا لمعافاة المنستير" .

عبيد لا يكتفون بغضّ النظر على ذلك بل كانوا "يبعثون لسعدون في الأعياد بالاكباش والضحايا فيقبلها ويفرقها على الضعفاء. ويبعث إليه بالفستق فكان يفرقه على من يأخذه" ³⁵⁸. كما أن هذا الرباط "لم يقفر في العهد الصنهاجي" ³⁵⁹، بل عرف دفعا جديدا بعد القطيعة مع القاهرة. ونعرف من خلال عدّة فتاوي أن الإمام المازري وأبو الحسن القابسي كانا يرابطان باستمرار بالقصر الكبير ³⁶⁰، كما أقام به مدّة من الزمن المهدي بن تومرت إبّان رحلته الإفريقية. ³⁶¹ نفس الشئ بالنسبة الى العصر الحفصي، حيث حافظ الرباط على نظامه الداخلي وأحباسه العديدة ³⁶².

وخلافا لمرابطي قصر الجعد الذين كانوا يعيشون بالخصوص من مداخيل الصيد البحري، كان عبّاد القصر الكبير يرتزقون خاصّة من موارد الحمى. ولا نشاطر حسن حسني عبد الوهاب الرأي "بأن الحمى كان يتكوّن من أراضي بيضاء مقطوعة الشجر" تحيط بالقصر لغايات دفاعيّة ³⁶³، بل بالعكس كان الحمى يتميز بتكاثر أشجار الزيتون والكرم، لهذا كان يطلق عليه في بعض الأحيان إسم الشعراء ³⁶⁴. هذه الأراضي كانت في الأصل ملكا للدولة المركزيّة، حبّست مثل أراضي رباطات صقليّة، ³⁶⁵ لصالح المرابطين لإحيائها، ³⁶⁶ مقابل دعمهم المذهبي للسلطة الحاكمة، التي كانت تعتمد في بعض الأحيان الى احتجاجها في حالة عدم تسليم هؤلاء لنصف إنتاجهم ³⁶⁷.

(358) الهادي روجي إدريس، نفس المصدر، II، ص. 307.

(359) الونشريسي، المعيار، I، ص. 425؛ الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305؛ عبد الله الزناد، الإمام المازري وقصر الرباط، تونس 1941، ص. 31.

(360) عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، بيروت 1983، ص. 89 "أقام بالمنستير مع جماعة من الصّالحين إستهوته حياتهم المتزّهدة من رباط المدينة الشهيرة حيث يعيشون للتعبّد ومدارسة العلم".

(361) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 194. "وفي أوائل المائة التاسعة كان شيخ القصر أبا عبد الله محمد بن أبي زيد وكان به من التلامذة مايزيد على المائة رحلوا إليه من الآفاق، وكلّ من حلّ به يجد مسكنا يأوي إليه ومعلّما يؤدّبه ويعلمه القرآن والعلوم الدّينية ويجد ما يلزم من أمر المعيشة". ومازالت زاوية سيدي أحمد بوزيد قائمة قرب "الرباط" وتحمل نقيشة تذكر أن المشرف على البناء هو "الأمين محمد بن محمد العويني أنظر: محمد حسن، وثيقة في تحبّيس هنشير ابن منصور بالمهدية على رباط المنستير سنة 825 هـ/1422"، المجلة التاريخية المغربية، 49-50، 1988، ص. 221.

(362) محمد مخلوف، نفس المصدر، ص. 194؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 305؛ محمد صالح الصيّادي، الدّاتية التاريخية، ص. 26.

(363) حسن حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، تونس 1990، ج II، ص. 624-627.

(364) المالكي، II، ص. 332 و441. أنظر أيضا التيجاني، ص. 17 و1981، ص. 24.

(365) الدّاودي، كتاب الأموال، ص. 446.

(366) الهادي روجي إدريس، II، ص. 307. وكان أبو الحسن الكاشي يمسك عن زراعة أرض الحمى لأنه يستطيع أن يستغني عن ذلك بزراعة الأرض في مناطق أخرى: نفس المؤلف، II، ص. 306.

(367) الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 306.

وكان حمى القصر الكبير يمتدّ شمال المدينة بالمنطقة المعروفة بالقرطيل³⁶⁸. كما كانت أحباسه تشمل أراضي أخرى بالسّاحل التونسي و القيروان والجريد وباجة وحتى الأندلس³⁶⁹. وقد تواصلت هذه العادة (تحسيس أوقاف على فقراء المنستير) في العصر الصنهاجي³⁷⁰ والحفصي³⁷¹. ويبدو أن جامع القرطيل كان من مشمولاته، ممّا يؤكد الصبغة الدّينية للرّباط.

قصر ابن الجعد³⁷²

قبالة قصبة المنستير، من الجهة الشرقيّة، توجد جزيرة صغيرة تسمّى جزيرة التّارة أو جزيرة سيدي الغدامسي نسبة إلى دفينها أبي الفضل عبّاس بن محمّد الصوّاف الغدامسي (ت. 349 هـ/ 960 م) المرابط بقصر الجعد الذي مازالت أطلاله قائمة بهذا الموقع. وقد أثبتت لوحات الفسيفساء التي عثر عليها مؤخّرا تحت هذه الأنقاض وكذلك القبور المحفورة، أن القصر وريث تجمّع عمراني قديم يعود الى العصر البوني، تتصل به الآثار الرّومانية العديدة التي عثر عليها بالجزيرة مثل حمّام بنت السلطان³⁷³. كما تؤكّد المصائد المحفورة في الصخر (viviers) اعتماد المنطقة على الصيد منذ العهد القديم.

وقد كشفت الحفريات التي قام بها خالد مودود³⁷⁴ على مخطط قصبة القصر التي تشكّل مثل أغلب الحصون الأغليّة بناية طولية تدعّمها أبراج نصف دائرية، في حين أنّ السّتارة الحاليّة يمكن لنا تأريخها من العصر الحفصي. ويتكوّن داخل المعلم (الذي

(368) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 193 "والقرطيل مكان بعيد عن المنستير بنحو ثلاثة أميال أراضيّه خصبه وقع الإعتناء بغراستها وزراعتها منذ عهد قديم وبها أبار كثيرة ودور اندثرت ومسجد لم يزل قائم إلى هذا الوقت". راجع أيضا : هادي روجي إدريس، II، ص 51؛ محمد صالح الصيّادي، الذاتية التاريخية، ص. 22.

(369) محمد مخلوف، خاتمة، ص. 194؛ محمد صالح الصيّادي، الذاتية التاريخية، ص. 22؛ محمد حسن، نفس المرجع، ص. 220.

(370) هادي روجي إدريس، II، ص. 305.

(371) محمد حسن، نفس المرجع، ص. 221.

(372) حول قصر ابن الجعد راجع خاصّة : هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص 50؛ روبر بارنشفيك، تاريخ إفريقيّة، I، ص 339؛ N.Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 508-509.

(373) حول هذه الآثار انظر : Ch. Tissot, op.cit, II, p. 167؛ R. Cagnat, et H. Saladin, Voyage en Tunisie, : p. 290؛ V. Guérin, Voyage archéologique, Paris 1862, II, p.123؛ D. Carton, "Excursions et promenades", in B.S.A.S, 1904, p.43؛ N. Kallala, op.cit, p.532.

(374) خالد مودود، "حفريات قصر الجعد"، الملتقى العالمي حول "الرّباط والمرابطون في العصر الوسيط" المنستير، المنستير 1997 (تحت الطّبع).

يفضي اليه بواسطة مدخل وحيد) من مجموعة من الغرف المتمحورة حول باحة سماوية، ولكن لا يوجد أي أثر للمدارج التي تؤدي الى الطابق الأول مثلما هو الشأن في باقي الحصون.

ولا تذكر كتب الطبقات شيئاً حول ابن الجعد (أحد كبار التجار بالقيروان) الذي تولى الانفاق على الرباط وبنائه. كل ما نعرفه أنه كان - إلى جانب تجارته - يملك بعض المنازل³⁷⁵، ربّما يكون أحدها قرية ابن الجعد التي كانت توجد قرب المنستير. ويذكر المالكي أنه استشار مكرم المتعبّد في مكان إقامته فأجابه الناسك "بينما أنا ذات ليلة أحرس إذ رأيت فارساً في يده حربة فقلت له من أنت وإلى أين تريد؟ فقال أريد جزيرة ابن الجعد، فمضى وأنا أنظر اليه. . . فإن كنت بانياً فابن هنالك. فبني في ذلك المكان الذي ذكره مكرم فسمي قصر ابن الجعد³⁷⁶". وقد أوكل ابن الجعد مهمّة الاشراف على البناء لأبي عبد الله محمد بن عبادة، الفقيه والنّاسك السّوسي (ت. سنة 303 هـ/ 915 م)³⁷⁷، بعد أن رصد مقدارا من المال للنّفقة عليه وأمر البنائين "أن يجعلوه قياساً في مثله ففعلوا وغلطوا بزيادة جنبتين، فلمّا كمل الدّور الثاني عمّر أيضاً وبقي تمام القصر والأبراج للطبقة الثالثة. وبقي أبواب البيوت والإصلاح بالجير وذهب الذي كان يكفي لذلك كلّ في القوسين اللذين زادوهما غلطا، فأنبرى قوم للنّفقة فيه وقال ابن الجعد. لا ينفق أحد معي فيه شيئاً حتى يتم الدّور الثاني وأبراج الدّور الثالث. فلمّا انجزت النّفقة أراد محمد بن عبادة القدوم إلى القيروان فأراد أن يدخل على قلب بانيه مسرة - وكان قد اجتمع فيه ثمانية وأربعون رجلاً كلّهم يحفظ القرآن - فسألهم ابن عبادة أن يختم كلّ واحد منهم القرآن في ليلته ففعلوا، فغدا إلى القيروان. . . [وقال لابن الجعد]: ما جئت حتى صلّي في مسجد القصر وبيوته كلّها وختم فيه القرآن البارحة ثمانية وأربعين ختمة فسرّ بذلك ابن الجعد وابتهج ثم قال له: وما وراء ذلك، قال: النّفقة انجزت وقد بقي كذا وكذا فلا تحمل على نفسك فإنه قد شرع أقوام في تمامه. . . فدخل الدّار فأقام ساعة ثم علت الأصوات في الدّار بالبكاء

(375) المالكي، II، ص. 116.

(376) نفس المصدر، I، ص. 20.

(377) "كان من الصّالحين، سمع من هشام بن عمّار وأبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري من أصحاب مالك":
نمالكي، II، ص. 116.

فصاح عليهم وكلّمهم ساعة ثم خرج بعد ذلك وكمّه مملوء فقال لاين عباده :
هات كمّك فأفرغ فيها حليّ أهله فصرّفه وتمّم به بناء ما بقى عليهم من القصر³⁷⁸.

ويفهم من نصّ المالكي أنّ ابن الجعد أقام حصنا، ربّما كان هو نفسه
"قصة قصر ابن الجعد"، التي ورد ذكرها في ترجمة محمّد بن سحنون³⁷⁹.
في حين أن كلّ القصر كان (على غرار القصر الكبير) تجمّعا عمرانيا اعتبر
مستقلاّ عن المنستير في بعض الأحيان³⁸⁰. هذه القرية³⁸¹، التي يجاز إليها
بواسطة قنطرة مشيّدة بالحجارة³⁸²، ورثت بدورها تجمّعا سكنيا رومانيا أعيد
تعميره في بداية العصر الاسلامي. ويبدو أنّ هذا القصر، الذي بقي معمورا
طيلة العصر الصنهاجي³⁸³، أصبح يلعب دورا عسكريا أساسيا في العهد
الحفصي، خاصّة بعد التعديلات التي أدخلها على تحصيناته السلطان أبو فارس
في القرن الخامس عشر الميلادي³⁸⁴.

وإلى جانب الصّدقات والهدايا³⁸⁵، كان قصر الجعد يتمتّع -مثل كلّ
الرّباطات- بأوقافه الخاصّة³⁸⁶. لكن المرابطين الذين يقيمون به كانوا يعيشون
خاصّة من مداخيل الصيد البحري "الذي كان يمثّل بالنسبة إليهم حقّا يحظى
بالأولويّة، مثل إلتقاط العشب والخشب في أحمية الحصون³⁸⁷". وقد أشارت
إحدى فتاوي القابسي إلى تجار المنستير من المرابطين الذين يشترون منهم كل

(378) المالكي، II، ص. 117.

(379) نفس المصدر، I، ص. 446.

(380) الونشريسي، المعيار، I، ص. 218.

(381) للتأكيد على أن القصر لم يكن مجرد إستحكام صغير، راجع ما كتبه المالكي في ترجمة ابن سعيد النوفلي
(II، ص. 465). إلى جانب الأمثلة التي ذكرناها سابقا حول الرّباط - المدينة أو القرية أنظر أيضا ياقوت، IV،
ص. 355 و 362 : "قصر الإفريقي وهي مدينة جامعة، ... قصر باجة، مدينة بالأندلس...، قصر جابر وأكثر ما
يسمّى مدينة جابر بين الرّي وقزوين... قصر قضاة، قرية في نواحي بغداد".

(382) الونشريسي، المعيار، II، ص. 5.

(383) الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305 "وهب أحد المرابطين أملاكه وبالأخص بستانين
لعدد من أصحابه وللفقراء والمساكين".

(384) الزركشي، تاريخ الدولتين، تونس 1966، ص. 116 ؛ روبر بارنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 339 ؛ N.
Djelloul, op.cit, T. II, p. 509.

(385) المالكي، II، ص. 447، 449.

(386) الهادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305.

(387) نفس المرجع، II، ص. 305.

سمكهم لبيعه في المدن الأخرى. وقد ألحقت هذه التجارة أضرارا جسيمة يتموين سكان رباط المنستير، وهو ما يتناقض مع الغاية التي أحدثت من أجلها هذه الحصون³⁸⁸.

ومن مشاهير عبّاد قصر الجعد، أبو الفضل يوسف (الذي هاجر فيما بعد إلى قصر الطوب، بعد أن أذاه مرابطو المنستير³⁸⁹)، أبو الفضل الغدامسي، أبو العباس الأجدابي³⁹⁰، أبو عطية بن رهبون الجزيري الجماجري³⁹¹، أبو عبد الله بن سعدون³⁹² وأبو عبد الله بن داره³⁹³. وكان يتردد عليه - في شهر رمضان خاصة - العديد من

(388) "سئل الشيخ أبو الحسن القاسبي عن الصيادين يدخل إليهم تجار المنستير إلى الجزيرة فيشترون منهم، وربما اشتروه منهم عند القنطرة قرب قصر ابن الجعد فلا يصل إلى الحصون منه شيء، لأنهم يمضون به في الأحمال إلى المدن، فيطلب منه رجل شيئا يسيرا فلا يصل إليه. وظهر لي أنه من تلقى السلع، فأخذت عليهم ألا يبيعوا إلا قرب الحصن فيدرکه المقل والمكثر، فهل يجوز لهم بهذا أم لا؟

فأجاب أنه من تلقى ما جيء به إلى مكان فقد ركب ما لا يحلّ له، ويؤخذ منه الشيء الذي تلقاه فيبيع في المكان حيث السوق الذي يجتمع إليه بما يسوى فيه ما لم يزد على الثمن الذي اشتراه به فلا يباع بزيادة، إنما يباع بما يسوى في المكان إذا يسوى مثل الثمن الذي اشتراه به أو أقل، فإذا سوى أكثر كان لأهل المكان أخذه بمثل الثمن لزيادة عليهم. قال وأما الصيادون بالطرايح وغيرها وهم من سكان الحصون لا يسكن إلا الرباط للحرس وسائر الطاعات وبحر المنستير من أخرجه حكم.

ما التصيد عندي في بحرهما إلا كالاكتشاف والاحتطاب من شعاريها لا يسع منه الانتفاع لغير من بها إلا بما لا ضرر عليهم فيه ولا منفعة لهم في تركه، إذ ليس هو شيء تناله الأيدي كما ينال ما في البر من الاكتشاف والاحتطاب، وتفسير هذا الكلام أن من يصيد في هذا البحر من سكان المنستير أنه يرد به سوقها، فمن أحب اشترى وليس له أن يبخس البائع في الثمن، ولا يسعر له ثمن، إنما يباع بالقسم الذي قسمه الله في الوقت من غلاء أو رخص. وما فضل بعد شراء من بالمنستير لأكلهم صرفه صائده حيث شاء وبيعه ممن شاء.

وإذا كان هذا الصائد إنما يرد ما اصطاد من هذا البحر إلى هذا السوق فلا يصلح لأحد أن يشتريه منه لا عند البحر ولا عند توجهه إلى السوق ويكون من التلقي، والتجار الذين يسكنون الحصون إنما هم رفق للسكان، فإذا أضروا بالسكان زال الرفق منهم وزال سكناهم عن صفة الرباط وشروطه، وصاروا إلى التكتسب كأهل الأسواق، فمنعوا من ذلك للضرر، ويجبرون ألا سكنى في الحصون لمن أضرب أهلها في وجهه من الوجوه. ومن ورد على هذا المكان من التجار يريد الصيد فيه ليذهب به إلى سائر الأمكنة غير المنستير فليس له أن يضرب بمن يصيد في المنستير. فإذا أخذ أهل المنستير حاجتهم من ذلك لم يكن أن شاء الله على أولئك بأس فيما صادوه من هذا البحر إذا سلم من ضرر أهل المكان والتضييق عليهم، لأن صيد البحر ليس هو في البر حتى يصاد، وتركه لا منفعة فيه لمن يريد الاستعداد بإبقائه في ذلك المكان فلا وجه لمنع الناس من الانتفاع بما هذه منزلته. هذا الذي ظهر لي في بحر المنستير".

الونشريسي، المعيار، II، ص. 5-6.

(389) ابن ناجي، II، ص 12؛ حسن حسنى عبد الوهاب، كتاب العمر، ج 1، ص. 624.

(390) المالكي، II، ص. 451 و464.

(391) أبو بكر عطية بن رهبون الجزيري الجماجري المتعبّد (توفي سنة 351 هـ / 962 م) "حجّ حججا كثيرة وكان مستجاب الدعوة". المالكي، II، ص. 459.

(392) المالكي، II، ص. 455.

(393) نفس المصدر، I، ص. 455.

علماء القيروان مثل محمد بن سحنون وأبو الحسن القابسي³⁹⁴ .

- أبو سودة بن الفراء (ت. 314 هـ / 926 م). لزم أغلب حياته الرباط بقصر الجعد و"كان من أهل العبادة والتبّتل والصيام، غزير الدّمة، طويل الحزن"³⁹⁵ .

- أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي (ت. سنة 344 هـ / 955 م). "لزم قصر ابن الجعد، كان حسن الصّوت بالقرآن، صحب أبا عقّال بن غلبون وأبا هارون الأندلسي، فجال بالشام : في لبنان وجبل اللّكام والأكواخ"³⁹⁶ .

- أبو حفص عمر بن عبد الله الصدفى "الامام للمتعبّد (ت. بمدينة سوسة سنة 349 هـ / 960 م). كان من رجال العلم" ثمّ اعتزل ولزم العبادة بقصر الجعد... وكانت له في كلّ ليلة ختمة ثم زاد فهمه، فكان لا يكاد يبلغ النّصف حتى ينفجر الصّبح، تأوّها وتديرا وحنينا وغزر دمة"³⁹⁷ .

- أبو الفضل العبّاس بن محمد الصوّاف الغدامسي³⁹⁸ . قدم إلى سوسة سنة 286 هـ / 899 م فأقام بها ثلاثة أشهر ثم غادرها إلى «المنستير فلزم الرباط بالقصر الكبير ثم بقصر ابن الجعد طيلة ثلاث وستين سنة. توفي سنة 349 هـ / 960 م عن سنّ تناهز الستّ والتسعين ودفن بداخل الجزيرة". ويذكر المالكي أنه "لمّا وصل إلى المنستير إستعمل نفسه في غسل الميوض"³⁹⁹ . وكان يخدم المرابطين ويأتي إلى «الشعراء بثلاثة حبال يعمل فيها حزم حطب ويشدّهم وينقلهم قليلا قليلا حتّى يأتي بالجميع إلى القصر... وكان يعجن لصالحي الموضع ويخبز لهم ويقوم في الليل في الشتاء فيسخّن الماء لمن أراد منهم غسلا أو وضوءا. وكان يقول خدمت المرابطين ثلاثين سنة وخدموني ثلاثة وثلاثين سنة فلهم عليّ الفضل... وكان أهل الحصون يجلّونه فإذا خرج من المنستير أحد يريد الحجّ يأتي إلى أبي الفضل يسأله الدّعاء"⁴⁰⁰ .

394 (394) المالكي، I، ص. 446 ؛ الونشريسي، المعيار، ج I، ص. 425 ؛ الهادي روجي إدريس، II، ص. 305.

395 (395) المالكي، II، ص. 187.

396 (396) جيلان إشتهرا بإيواء النّسّاك : ياقوت، VII، ص. 320، 321، 336. بالنسبة للترجمة : المالكي، II، ص. 414.

397 (397) المالكي، II، ص. 455 ؛ عياض، ص. 373-374.

398 (398) مصادره : المالكي، II، ص. 440-445 ؛ أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ص. 146.

399 (399) المالكي، II، ص. 441.

400 (400) نفس المصدر، II، ص. 443.

ويروى عنه أنه لم يغضب قي عمره إلا ثلاث غضبات واحدة منها في "خبر أبي سودة بن الفراء، وكان شيخا صالحا، فأوذي فغضب له أبو الفضل وانتصر له" ⁴⁰¹.

كما أنه كان يجتمع بالخضر ويتكلم على المخاطر ⁴⁰². و كان أبو الفضل مع ذلك مستجاب الدعوة، "من ذلك أن محمود المتعبد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول له : إجمع الفول الأخضر من جنانك وأحمله الى الغدامسي فإنه إشتهاه" ⁴⁰³. وسأل الله أن يكفيه مؤونة البراغيث فأجابه، فكان يجلس "والمرابطين حوله يتفلون من البراغيث وهو لا يحس شيئا" ⁴⁰⁴. وطلب منه الفقيه عبد الرحمان أن "يدعو لأهل القيروان بالغيث لأنهم تحت عطش عظيم، فأخذ في الدعاء، فدعا بدعاء عظيم فوصل الخبر من القيروان أن الوادي أتى الى الماغل في الوقت الذي دعا فيه أبو الفضل، فملا الماغل من غير مطر أصاب القيروان، إنما مطرت البوادي فأتى السيل إلى الماغل فملاها... وروى أبو محمد الجبّي أن السلطان معد جاء مرة جائزا على المنستير فنزل بها وضربت فازاته، فأرسل الى الشيخ الغدامسي يسأله في الخروج إليه يراه، فصعب ذلك على الشيخ، فأسبغ في الوضوء وركع ركعتين... فجاء رسول يخبرهم أن السلطان رحل لأن عقربا دبت عليه" ⁴⁰⁵.

وكان إلى جانب كل هذا سخيّا، كثير الصدقة والإحسان. من ذلك ما ذكره أبو محمد الجبّي بشأن المرباط الذي جاء يبشره بوصول «لوح مشحون فأهداه إياه» ⁴⁰⁶. وذكر عنه أنه «أقام يشتهي غسّانية سنين عديدة فقال للذي يخدمه : إمضي الى سوسة فأشتر لنا سميذا طيبا وعسلا وما يصلح لذلك وتأتي معك بطباخ يتولى طبخها. فقال له خادمه : إن الذي ذكرته يقوم بدار عرس ويأكل منه ثلاثمائة رجل. فقال له : يا بني قد علمت هذا الذي تقول ولكن أكل الغسّانية وحدي دون المرابطين ؟ ... فلما صنعت الغسّانية قال لخادمه : إذهب إلى كل رجل في القصر فآت بصحفة عنده نبعث

(401) "واحدة منها في خبر أبيه... والثالثة في خبر القط الذي يسمّى نسّس وذلك أن ابن أبي الربيع جلس عند الميضاة يغسل حيتانا فأخذ نسّس منها حوتا، فضربه ابن أبي الربيع ضربة منكرا". المالكي، II، ص 442.

(402) مصطلح صوفي معناه "ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة".

(403) المالكي، II، ص 443.

(404) نفس المصدر، II، ص 444.

(405) نفس المصدر، II، ص 444.

(406) المالكي، I، ص 532.

فيها إليه بسهمه. فأتى بصحاف كل من في القصر والرّبض وجعل صحفته بين
الصحاف حتّى عمّمهم وفرّقها عليهم⁴⁰⁷.

قصر دويد

خلافًا للقصور السابقة ليس لنا أي مؤشر واضح لتحديد موضع هذا القصر الذي
يبدو أنّه كان يوجد بين المنستير وقرية خنيس⁴⁰⁸ على أنّه مثل بقية الرّباطات كان
أيضا تجمعا عمرانياً مستقلاً⁴⁰⁹، له مكتبته الخاصة⁴¹⁰ وحماه⁴¹¹ وربما كان أيضا يمتّع
بجزء من عائدات القبالات الموظّفة على الصيد البحري⁴¹² وملاحة المنستير.

ومن أهمّ مرابطي قصر دويد، أبو جعفر أحمد الأطرابلسي (ت. سنة 347هـ /
958م)، أقام به مرابطاً أربعين سنة «ينام خلالها على الأرض لا حصير ولا وسادة ولا
كانون ولا سراج ولا برمة، حتّى قعدت عيناه في رأسه من الجوع... وكان إذا تاقت
نفسه الى لقمة سخنة يأخذ قبضة من دقيق الشعير بنخالها فيعجنها»⁴¹³.

- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السّبائي (ت. سنة 356 هـ / 966م). أصله أيضا من
طرابلس، وكان قبل أن يلزم الرّباط يقصّر الأبدان. ومثل ربيع القطان يعدّ السّبائي من
بين الذين «عقدوا الخروج على القائم» إبّان ثورة صاحب الحمار. وكان يشاركه فضل
الإجابة إذ كان «من الذين ينزل بدعائهم القطر وتظهر عليه البراهين والكرامات بالدعاء
والرّقّي»⁴¹⁴.

(407) نفس المصدر، II، ص. 447. حول هذه الهدايا التي ترسل للمرابطين أنظر أيضا نفس المؤلف (II، ص. 447) بشأن «الأطعمة الفاخرة من غسائيّة وقباط وفالودج وثرودة الحلوى بماء الورد» التي بعث بها الفقيه أبو بكر بن عقبة إلى الغدامسي. كذلك ص. 447: «فأخرج أبو الفضل نعلًا طائفيًا جديدًا ممّا أهدى إليه وقطائع وأشياء ممّا يساوي دنانير، فدفع جميع ذلك إلى ابن يونس وقال له: خذ هذا فبعه وابعث به إلى صبيانك ينفقونه».

(408) محمد صالح الصيادي، الذاتية التاريخية، ص. 22. أشار المالكي إلى وجود جرف قرب هذا القصر (II، ص. 425). ويوجد إلى اليوم في هذه المنطقة مقام ينعت برجال الجرف. ولكن لا نستبعد أيضا وجوده بمنطقة القرينة التي مازالت تسمى بيت العسة. (ل. 41).

(409) كان أبو جعفر يقيم بالقصر صحبة زوجته: المالكي، II، ص. 434.

(410) نفس المصدر، I، ص. 166، 212.

(411) المالكي، II، ص. 433. كان [أبو جعفر] ربّما أجر نفسه في الحصاد والخرط، وص. 435. «كان الشيخ أبو الحسن الكاشي [المتعبد بقصر دويد] ربّما انخلس فلا يوجد لا في الشعراء ولا في القصر».

(412) المالكي، I، ص. 433.

(413) المالكي، II، ص. 433 و ص. 434.

(414) المالكي، II، ص. 252، 471، 502.

قصر شقانس⁴¹⁵

كان هذا القصر يوجد بالقديم (غير بعيد عن القصر الرّئاسي)، حيث عثر على عدّة لقيات أثرية تعود الى العصر الرّوماني.⁴¹⁶ ويبدو أنّ الحديث الذي أورده المالكي بشأن القصر «الذي توجد حذوه قنطرة من قناطر الأولين»⁴¹⁷ ينسحب على هذا الرّباط الذي كان بدوره تجمّعا عمرانيّا، تواصل وجوده الى القرن الثالث عشر الهجري.⁴¹⁸ وذكر ابن حوقل أنّ «قصر شقانس حصن منيع» على غرار قصر المنستير، «وبه أمّة مقيمة على صيد البحر»⁴¹⁹ أي أنّه الى جانب الأوقاف العديدة (بإفريقية وخارجها)⁴²⁰ كان يتمتّع بعائدات الصيد البحري.

رباطات جنوب المنستير

رباط لمطة⁴²¹ (ش. 55. ب، ل. 42)

يعود تأسيس البلدة الى العهد البوني، وكانت تعرف في العصر الرّوماني بـ Lepti Minus للتفرقة بينها وبين Lepcis Magna الليبية. على أنّ المدينة التي تميّزت بنشاطها التجاري والصّناعي لم تعد في العصر البيزنطي سوى مركز عسكري يقيم به بصفة مستمرة الدوكس Dux أي قائد القوات البيزنطية بمقاطعة بوزاقية.⁴²² أمّا في العصر الإسلامي فقد إشتهرت بإنتاج الملح المعدّ للتصدير، خاصّة وأنّها حافظت على مرساها القديم الذي كانت تبحر منه السفن المتّجهة الى المشرق وصقلية⁴²³. ويبدو أنّ

(415) المالكي، II، ص. 453؛ ابن حوقل، ص. 73؛ الإدريسي، ص. 169.

(416) حسب محمد مخلوف، خاتمة، ص. 191 "مازال هنالك أثر بلدة رومانية بعضها غمره البحر".

(417) أنظر : Atlas archéologique de Tunisie, f. Monastir.. ويذكر التيجاني (ص 24) الحديث التالي "موضع بالمنستير يقال له الياقوتة باب من أبواب الجنة... بالمنستير داخل في البحر إلى جانبه سبخة وعلى تلك السبخة قنطرة من قناطر الأولين". وحصن الياقوتة عدّه أغلب المؤرخين من قصور بنزرت.

(418) روبر بارنشفيك، نفس المرجع، I، ص 339 وينسب إلى هذه القرية المقرّي أحمد بن أحمد الشقانسّي (ق 13 هـ / 19 م). أنظر : رياض النفوس، II، ص. 453.

(419) ابن حوقل، ص. 73.

(420) نفس المصدر، ص. 73.

(421) حول تاريخ لمطة أنظر خاصّة : C. Hannezo et L. Molin, "Notes archéologiques sur Lemta", in B.A.C.T.H, T. XV, 1897, p. 290-312. C. Hannezo, Ibid, p. 292

(422) C. Hannezo, Ibid, p. 292

(423) البكري، ص. 84؛ الإدريسي، ص 126؛ ابن عذاري، البيان، ج I، ص. 171؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 745؛ هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص 53؛ F. Dachraoui, Le Califat fâtimide, p. 110

هذا النشاط الذي ساهم في إعادة إحياء البلدة كان وراء تأسيس الرباط سنة 245هـ / 859م على يد أبي إبراهيم بن أحمد الأغلبى.⁴²⁴

ورابط بقصر لمطة جماعة من العلماء والزهاد، منهم سحنون بن سعيد وأبوالسري واصل الجمي.⁴²⁵ كما أقام به دهرا طويلا أبو بكر القرشى الصقلي، من أصحاب يحي بن عمر⁴²⁶، وخاصة أبوهارون الأندلسي المتعبّد (توفي سنة 291 هـ / 903 م بالمدينة). ويذكر المالكي أنّ أبا هارون كان صالحا، مجتهدا في الدّعاء والعبادة. تخلى عن الدّنيا وباين أهلها واشتغل بعبادة ربّه بقصر لمطة.⁴²⁷ . . .

يبدو أنّ أهم مورد للرباط في بداية إحداثه كانت عائدات الميلاحة والهدايا⁴²⁸، إذ لا نجد في ترجمة الأندلسي أي أثر للحمى، كما أنّ الصّيد البحري كان ثانويّا الى درجة إلتجاء سكان لمطة الى إشتراء السمك من أسواق المنستير.⁴²⁹ وكان قصر الرباط يقتصر على الحصن الذي بقي جزءا منه قائما من المنطقة الشمالية- الغربية من البلدة، فكان المرابطون يلتجئون - لطهي بعض أطعمتهم - الى إستعمال الفرن الذي يوجد بداخل القرية.⁴³⁰

ويتجلى من مخطط 1857 أنّ هذه القرية كانت محاطة بسور خاص، على غرار باقي قصور السّاحل التونسي. كما أنّ أسماء مواقع مثل بئر بروطة وسانية المرابطين، التي توجد حاليا بناحية صيّادة، تدل على أنّ حصن لمطة أضيف اليه فيما بعد حمى، كما تطوّر ليشمل مناطق صيّادة⁴³¹

(424) ابن ناجي، II، ص. 97؛ حسن حسنى عبد الوهاب، ورفات، ج II، ص. 105-106؛ محمد الطالبي، نفس المرجع، ص. 276.

(425) المالكي، I، ص. 432.

(426) المالكي، I، ص. 522، 525.

(427) نفس المصدر، I، ص. 516.

(428) نفس المصدر، I، ص. 522، 525.

(429) نفس المصدر، I، ص. 522 "قال لي الاندلسي إشهيت حوت فلّقط يعمل في المنستير فاشتره واعمله لي".

(430) المالكي، نفس المصدر، I، ص. 523: "قال أبو بكر فتشمرت وغسلت الحيتان وجعلتهم في طاجن وأدخلتهما الفرن. . . وكان الفرن خارج القصر فلما أخرجوا الخبز أخرجته فرأيته جاء غايه من الغايات. فأخذته على يدي ودخلت به القصر، فإذا في السقيفة جماعة رجال ونساء من المسافرين دخلوا يقلون من شدة الحرّ، فلما دخلت فاحت إليهم رائحته، فصاح بي رجل منهم وقال لي: يا أخي، هذه المرأة حامل وقد شمت رائحة الطاجن وأخاف أن تطرح".

(431) تنسب الذاكرة الشعبية إنشاء القرية إلى امرأة قدمت من المكنين، وتارة أخرى إلى صوفي - سيدي عمّار - قدم من المغرب في القرن XVم. ويناسب تخطيطها وأقدم بناءاتها، (ل. 45) هندسة القصور السّاحلية ونمط حياة الزهاد. في حين ترتبط قرية خنيس المحصنة (قصر خنيس: ورفات، II، ص. 93؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 53) بقصر دويد. وإلى خنيس، التي وجدت بها آثار رومانية، ينسب أيضا أبو إبراهيم إسحاق الخنيسي، من أهل اللّغة والأدب في القرن الثالث للهجرة (ورفات، II، ص. 93). نفس الشيء بالنسبة إلى قصر القوريتين (هادي روجي إدريس، II، ص. 52).

وربما قصيبة المديوني.⁴³² ومثل أغلب الحصون الأغلبية، يتكون مخطط هذا المرقب من بناية مربعة الأضلاع تقوم في زواياها أبراج نصف دائرية تصدعت وأتلفت كلها، عدا برج واحد وقع ترميمه مؤخرًا (ل. 42). وللقصر مدخل وحيد بارز يفتح على دهليز مستقيم يؤدي الى سقيفة كان المسافرون - رجالا ونساء على السواء - يلتجئون إليها في العصر الأغلبى للإستراحة.⁴³³ ويحيط بالصحن -الذي يتوسطه ماجل فسيح-⁴³⁴ مجموعة من الغرف المسقوفة بأقبية طويلة، كانت تصطف على أسواره الأربعة، ويتقدمها رواق مقبى.

رباط تبصة (الديماس) (ش. 55)

كنّا نبهنا في بداية هذه الدراسة الى وجود مراكز المراقبة قرب الأراضي الدولية، أو ضيعات الأرستقراطية الأغلبية، فقرب قصر زياد كانت توجد بليانة بنو نافذ وقرب تبصة نجد «قصيبة حميد» نسبة الى وزراء الأغالبة بنو حميد. ومن بين نساك افريقية الذين ذكرهم المالكي، نجد أبو السري واصل الصغير (ت. 294/904م) «المتعبد بقصر تبصة المراتب، وهو الحصن الذي يقال له في هذا الوقت الديماس... وقد كان رجلا صالحا، مجتهدا، صحب جماعة من النساك المنقطعين الى الله عز وجل بالمشرق والمغرب، وهو غير أبي السري واصل المتعبد بقصر جمّة». ⁴³⁵ لقد ورد هذا الاسم في نسختي الرياض مصحفا بصيغة قفصة، ونجد نفس الخطأ عند البكري (قفصة)⁴³⁶ والشماخي (قفصة الساحل)⁴³⁷، لأن الديماس يوجد اليوم قريبا من بلدة البقالطة، على الطريق الساحلية الرابطة بين المنستير والمهدية، حيث مازلت قائمة آثار حصن أغلبى - صنهاجي شيد حول جزء من مدينة تابسوس

(432) تقع هذه القرية على ربوة وينسب إليها عبد الله المديوني الذي قدم حسب الروايات الشعبية من مديونة بالمغرب مع ثلثة من المراتبين. ويرجع أصله في بعض الأحيان إلى ممس الواقعة قرب القيروان (A.N.T. reg. 189, p. 138)، وهذه القرية مذكورة منذ العصر الأغلبى (محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 7+8)، كما ذكر القصيبة ابن ناجي (VI، ص. 174) دون التأكيد على أنها القرية الحالية.

(433) المالكي، II، ص. 444-445.

(434) يتصل هذا الماجل - بواسطة مجموعة من الحنايا - بخزان يوجد على بعد 200 متر غرب البلدة. راجع: C. Hannezo, op.cit, p. 293, D. Carton, "Excursions à Lemta", in B.S.A.S, 1905, p. 28.

(435) المالكي، II، ص. 15 - 16.

(436) البكري، ص. 29 - 31.

(437) T. Lewicki, "Un document inédit sur l'immigration des Nafusa du Gabal dans le Sahel tunisien au VIII/IXe siècle" in Folia orientalia, I, 1959, p.188.

Thapsus العتيقة⁴³⁸. وأثبتت حفريات هذا الموقع (الذي يطلق عليه الأهالي اسم "القصر") وجود خزف صنهاجي وعثماني (السكة تتواصل الى القرن 19م). وتبعاً للطريقة التي ألفها العرب في نقل الأسماء اللاتينية⁴³⁹، أصبحت هذه المدينة التي إحتضنت في العهد الأغلبي أحد مراكز الرباطات الإسلامية، تعرف بإسم تبصة. ويبدو أنّ جنان البقالطة الذي ذكره مقديش لم يكن إلا الحمى المحبّس لمرافق مرابطي هذا الحصن⁴⁴⁰.

ندرة اللّقيات الأثرية البيزنطية في خرائب تبصة تدلّ بدون شك على تراجع هذه المدينة التي كانت تعدّ إحدى أهم مدن المزاق في العصر الروماني⁴⁴¹. كما أنّ إنشاء الرباط يندرج في نفس حركة التّعمير والإحياء التي عرفها الساحل في العصر الاسلامي الأوّل. ويستشفّ من ترجمة أبي السّري⁴⁴² أنّ هذا الرباط أو الحصن يتعدّى حجم الاستحكام الحالي ويشمل تجمّعا عمرانيا بأكمله، إستقرّت قربه (في القرنين الثامن والتّاسع الميلادي - حسب الشّماخي -) أعداد هامة من أباضيّ جبل نفوسة⁴⁴³. كما أنّه ليس مستبعدا قطّ أن يكون هؤلاء المهاجرون الجدد إستقروا غربيّ القصر، أي بقرية البقالطة الحالية التي يمكن تاريخ أقدم مساجدها من القرن الثاني عشر ميلادي⁴⁴⁴، بالرغم من أنّ مصادرنا المكتوبة لا تذكرها إلاّ بداية من العصر الحفصي⁴⁴⁵. وفي هذا الصدد يمكن أن يكون تأسيس الرباط مقترنا ولو جزئيا بهذه الهجرة، لأنّ المرابطين - مثلما هو الشأن بالنسبة إلى رباط سالة في المغرب الأقصى⁴⁴⁶ - ساهموا بشكل فعّال في الصّراع العربي - البربري الذي ميّز تاريخ المغرب العربي، طيلة القرنين الثامن والتّاسع، وأخذ طابعا مذهبيا، أي طابع الصّراع السّني - الخارجي⁴⁴⁷.

(438) حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات، III، ص 351؛ هادي روجي إدريس، II، ص 53. N. Djelloul, op.cit, II, p. 511.

(439) شقنبارية - Sicca-Veneria؛ ففصة - Capsa؛ تونس : Thunes؛ باجة - Vaga... (440) مقديش، II، ص 157.

(441) Plin l'Ancien, Histoire naturelle, Liv. V, 233-234 ; D. Carton, "Thapsus", B.S.A.S, 1904, p. 47-50.

(442) المالكي، II، ص 16، 19.

(443) T. Lewicki, op.cit, p. 188-189.

(444) نقيشة كانت توجد بمسجد سيدي سعيد قبل تهديمه.

(445) ابن نايجي، IV، ص 232؛ روبر بارنشفيك، نفس المرجع، I، ص 340.

(446) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 81.

(447) M. Talbi, "La conversion des Berbères au Harigisme ibado-Sufrite et la nouvelle carte politique du Maghreb au II/VIII siècle" in, Etudes, op.cit, pp. 13-79. بالنسبة لقرية البقالطة نفسها أنظر الخلافات بين العائلات "المرابطة" مثل الطواهرية وأولاد سيدي بنور وغيرها مثل عائلات أبي الطيّب ومنصور ومسعود.

تأسيس المهديّة (ق. X م)، ثمّ توالي الحملات النورمانية (ق : XI-XII م)، أدّى إلى تهميش مدينة تبصة التي لم تعد تمثّل في آخر العهد الصنهاجي إلّا مركزاً عسكرياً، يعرف بقصر الديّماس (نسبة إلى المواجهل الرومانية التي مازالت قائمة في هذا الموقع)⁴⁴⁸، مهمّته الرئيسيّة مراقبة جزيرة الأحاسي⁴⁴⁹، التي نزلت بها جيوش روجار الثاني سنة 517 هـ / 1137 قبل مهاجمة المهديّة⁴⁵⁰.

وتوجد اليوم جنوب تبصة قرية الشرف، التي يتوسّطها ضريح أبو السّري واصل (سيدي البّساري). ويمكن إعتبار هذه القرية هي نفسها قرية أشراف (8 أميال شمال المهديّة) حيث دارت الواقعة الشهيرة بين القائد الفاطمي ميسور وأبي يزيد صاحب الحمار. أمّا سوق الأحد، الذي تذكره المصادر الفاطمية⁴⁵¹ فيمكن تحديد مكانه في ضواحي قرية البغدادي الحالية. وهنا تجدر الإشارة إلى إرتباط الرّباط بهذه الأسواق، مثلما لاحظناه بالنسبة إلى حصون منطقة صفاقس⁴⁵².

قصر طبلبة (ش. 56)

مثلما هو الشأن بالنسبة للبقالطة لا تذكر النصوص الإسلامية طبلبة (Tabulbuca الرومانية) إلّا في بداية العصر الحفصي⁴⁵³، حيث استقرّ بها الوليّ الصّالح سيدي عبد العزيز عيّاش، الذي تحمل نقيشة قبره سنة 739 هـ / 1319 م⁴⁵⁴. وما من شك أن توافد عدد هامّ من رجال الصّوفيّة (الذين كانوا يوفّرون المسكن للمسافرين الجائزين بالقرية) ساهم في تطوّرها الإقتصادي والعمراني في العصر الحفصي⁴⁵⁵. ذلك أن الهياكل العمرانية الحاليّة تتحكّم في توزيعها الزوايا والحوطات، خاصّة زوايا سيدي عيّاش

(448) حسن حسنى عبد الوهاب، وركات، III، ص 350 : N. Djelloul, 47-50 : D. Carton, "Thapsus", p. 511-512. op.cit, II, p.

(449) حول هذه الجزيرة أنظر خاصّة : الحميري، ص. 14 ؛ الهادي روجي إدريس، نفس المصدر، I، ص. 394 - 395.

(450) الحميري، ص. 14 ؛ حسن حسنى عبد الوهاب، وركات، III، ص. 352 ؛ هادي روجي إدريس، نفس المصدر، I، ص. 394.

(451) N. Djelloul, Fortifications, I, p. 511.

(452) سوق الحسيني، سوق بدرنة وصفاقس التي كانت في أوّل أمرها رباطاً وسوقاً. أنظر في هذا الصدد :

N. Djelloul, "A propos d'un toponyme," passim

(453) ابن ناجي، IV، ص. 232 ؛ مناقب سيدي بن عروس، ص. 195 ؛ روبر بارنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، I، ص. 340.

(454) حول سيدي عيّاش أنظر : مختار ناصف، أضواء على تاريخ طبلبة، ص. 10 - 12.

(455) روبر بارنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 340.

وسيدي علي شيل⁴⁵⁶. على أن صمت النصوص التاريخية لا يدلّ البتّة على أن القرية لم توجد قبل هذه الفترة، فالحسن الوزان Léon l'Africain الذي زار الساحل التونسي في القرن السادس عشر الميلادي يذكر بأنّها "مدينة عتيقة بناها الرومان"⁴⁵⁷. وهذا الرأى تدعّمه اللّقىات الأثريّة، خاصّة المعبد الروماني الذي عثر عليه سنة 1974 بشطّ بوعروج⁴⁵⁸.

ويذكر الحسن الوزان أن طبلبة "بها عدد قليل من الدّور يسكنها بعض النّسّاك ولهم مسجد كبير على غرار ملجأ يأوي إليه الغرباء"⁴⁵⁹. كما وصفها لنفردوشي وبوصيو: L. Lanfreducci, G. Bosio سنة 1587 "بأنّها محاطة بسور قليل الارتفاع، بدون أبواب"⁴⁶⁰. هذا التخطيط يذكّرنا بدون شكّ بتهيئة القرى المحصّنة التي عدّها الارديسي في القرن XIIم (مثل قصور الحمّامات، اللّوزة ويونقة)⁴⁶¹ والتي كان أغلبها مراكز مرابطة في العصر الأغلبي. كما إنّ تخطيط القصر، وكذلك بعض الاشارات الواردة في رياض النفوس⁴⁶²، يمكن أن يفهم منها بأنّ طبلبة كانت مركز رباط متّصل بقصر تبصة منذ العصر الاغلبي. وربّما تندرج في هذا الإطار أيضا العداوة التّقليدية والمنازعات المسلّحة بين طبلبة العربيّة السنيّة والبقالطة ذات الأغليّة البربريّة⁴⁶³.

إنّ الآثار الرومانيّة التي أكتشفت في هذه المنطقة تجعلنا نرجّح بأنّ النّواة الأولى للقصر لم تكن القرية الحاليّة بل كانت توجد على شاطئ البحر، غير بعيد عن حصن الفاضلين الذي لا تفصله عنها اليوم إلّا مسافة كيلومتر. وربّما تزامن أيضا وجود القصرين منذ العصر الصّنهاجي، إذ أنّ تواتر الهجمات النورمانيّة أدّى -مثلما هو الشأن بالنسبة إلى قلبية-⁴⁶⁴ إلى إضمحلال التجمّع العمراني السّاحليّ بداية من العصر

(456) أنظر في هذا الصدد : M.S. Sayadi, Monastir, p. 293, T. Bachrouch, Le sahel, p. 252.

(457) الحسن الوزان، II، ص. 85.

(458) مختار ناصف، نفس المرجع، ص. 31.

(459) الحسن الوزان، II، ص. 85.

(460) L. Lanfreducci et G. Bosio, Costae e discorsi di Barbaria, p. 512.

(461) أنظر في هذا الصدد : هادي روجي إدريس، ج II، ص 45، 58، 62 : N. Djelloul, Les installations militaires, T. I, p. 439 et T. II, p. 604, 608.

(462) المالكي، II، ص. 16 وص. 19 : "قال أبو الحسن على الجزري : قصدت أزور أبا السّرى واصلا... فقل لي : قل له أنا من الجوّالين". كذلك أهميّة حبس سيدي عيّاش الذي يشمل كلّ منطقة طبلبة - البقالطة والذي يمكن أن يكون إمتدادا لأحمية تبصة - طبلبة.

(463) ابن ناجي، IV، ص. 232.

الحفصي وانتقال المرابطين والنسّاك إلى داخل الأراضي، بعيدا عن البحر ومخاطره. ونعرف من خلال عديد الأمثلة أن الكثير من المراكز الصّوفية الحفصية الكبرى لم تكن إلاّ إمتدادا لرباطات العصر الأغلبي، مثل قصور جبل المنار بتونس وقلبيّة والهوّاريّة بالوطن القبلي⁴⁶⁵ والشّابة بالسّاحل. على أنّ تطوّر القرية الدّاخلية لم يمنع أيضا قلعة الفاضلين من مواصلة دورها العسكري فيما بعد. هذا الاستحكام الذي جدّدت تحصيناته في العصر الحفصي ثم العثماني (برج الفاضلين) كانت تدعّمه إلى أواخر القرن XIXم مجموعة من الزّوايا المحصّنة التي إستعملها الاتراك لمراقبة الشريط السّاحلي⁴⁶⁶.

قصر جمّة

من بين نسّاك إفريقية الذين ترجم لهم المالكي⁴⁶⁷ وعياض⁴⁶⁸، نجد أبو السّري واصل بن عبد الله الجمّي، صاحب سحنون بن سعيد، المتعبّد بقصر جمّة. ويضيف صاحب رياض النفوس بأنّ "القصر يعرف الآن بقصر الرّباط بالمهدية"⁴⁶⁹. هذا النّاسك "كان له حانوت بجمّة يتّجر به فيما يكال ويوزن من حنطة وقطنية وزيت، ثمّ ترك ذلك ونبذ الدّنيا وسكن قصر الرّباط وتجرّد لقيام اللّيل وصيام النّهار... وسبب ملازمته للرّباط أنّه قبل أن يتعبّد أتمته إمراة فساومته في شئ ممّا بين يديه، فجرى بينهما منازعة فقالت له : كفى بك ما أنت فيه من مكيال وميزان. فقال لها : صدقتني يا أمة الله... وترك البيع والشّراء ومضى كما هو إلى قصر جمّة فأقام فيه ملازما للقبلة لا يفتر من صلاة وصيام ليلا ونهارا. فلما رآه أهل القصر على تلك الصّورة، تبيّنوا فيه الضعف من

N. Djelloul, Les installations militaires, T., p. 428. (464)

N. Djelloul, Ibid T.I, p. 282, 430, 449-450. (465)

Service géographique de l'armée française, Reconnaissance générale de la Tunisie, f. (El-Djem) (466)
12 ; V. Guérin, voyage, T. I, p. 129.

(467) المالكي، I، ص. 431-441.

(468) عياض، ص. 360، 408.

(469) المالكي، I، ص. 431. حول جمّة أنظر أيضا الحميري، ص. 172 "جمّة موضع المهدية من البلاد الإفريقية، ولما بنيت المهدية غلب عليها هذا الاسم... ولا بن بشير المهدوي كتاب "الروضة الموشية في شعراء المهدية"، ذكر منهم ابن العبان وأنشد له :

بين المصلّى وكثير الحمي أجرت دم الأسد لحاظ الدمى
يا حبّذا جمّة من منزل وحبّذا عيشى بها كيف ما

ومن متأخري أهلها عثمان بن عتيق المعروف بابن عربيّة، له يذكر المهدية ويتشوّق إليها.
أقول لركب قافل عن معرّس بجمّة تردى بالحمول مساحجه.

كثرة العمل وعدم الغذاء، فكانوا يأتونه بعد المغرب بإفطاره، بشئ من خبز الشعير وبقل البرية⁴⁷⁰. وقد أقام واصل على هذه الحالة أربعين سنة، "يقيم الأيام العديدة لا يطعم شيئاً، فإذا جهد خرج إلى الحمى فيجمع شيئاً من بقول الأرض يقات به، ثم يعود إلى مصلاه"⁴⁷¹. وكانت وفاته سنة 250هـ / 864 "وقبره بين يدي حوانيت الخياطين الذين يقرب القصر"⁴⁷².

ويتّضح من خلال هذه الترجمة أن هذا القصر كان هو نفسه تجمّعا عمرانيا محصّنا تحميه قصبة وأسوار تغلق أبوابها ليلاً⁴⁷³. وبه مسجد-جامع ومتاجر وحوانيت خياطين وحمى أي أراضي محبّسة لصالح المرابطين⁴⁷⁴. ويتّصل بهذه القرية إستحكام صغير، له مأذنة مستديرة (على غرار قصور سوسة والمنستير) يطلق عليه خطأ إسم برج حنبعل tour Hannibal⁴⁷⁵. هذه القرية هي بدون شك وريثة مدينة فمّي Gummi الرومانية، التي خلّدت ذكرها لوحة من الفسيفساء عثر عليها في أسطيا Ostie، نقش عليها "ملاحو سلّقة، قرية وفمّي"⁴⁷⁶، أي جمّة إذا أخذنا بعين الاعتبار طريقة العرب في نقل الأسماء اللاتينية. كما يدعم هذا الاتجاه ما عثر عليه من مقابر تعود إلى العهد البوني⁴⁷⁷، وكذلك بعض التيجان القديمة التي أعيد إستعمالها في معالم زويلة الإسلامية (ل. 44).

ومع تراجع وظيفة الرّباط، في العصر الفاطمي أصبح، الحمى وجمّة مجرد أرباض لمدينة المهدي الجديدة⁴⁷⁸. ويبدو أن هذا القصر عاد إلى تاديّة وظيفته الأصلية في العهد الصنهاجي⁴⁷⁹، كما حافظ على أسواره إلى بداية الحكم الحفصي⁴⁸⁰. ويتّصل

(470) المالكي، I، ص 432.

(471) نفس المصدر، I، ص. 433.

(472) نفس المصدر، I، ص. 441.

(473) نفس المصدر، ج I، ص. 433.

(474) نفس المصدر، II، ص. 436-439.

(475) حول هذا المعلم أنظر : N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 531.

(476) عزّ الدين باش شاوش، أعمال الملتقى الأول للقاضي النعمان، تونس 1977، ص 117 ؛ A. Lezine, Mah-diyya, p. 15-17

(477) A. Lezine, Mahdiyya, p. 15-17

(478) البكري، ص. 29-30 ؛ الداعي إدريس، ص. 169، 307-308 ؛ التيجاني، ص. 377 ؛ هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 57.

(479) المالكي، I، ص. 431 ؛ مقدّش، I، ص. 114،

(480) الحميري، ص. 172. بداية من العصر الصنهاجي نلاحظ أيضا نوعا من التّغافل على التسمية الفاطمية وسحب إسم جمّة على المهديّة وأرباضها.

بجمّة قرى قاساس (التي إستولى الفاطميون على أراضيها).⁴⁸¹، ميانش، بكّة أو بقّة وهيون⁴⁸².

قصر سلقطة⁴⁸³

لا يوجد لدينا نص واضح يؤكّد وجود مركز للمرابطة بهذا القصر، على أنّ المالكي ذكر أنّ أبا يحيى حشيش بن محمد بن حشيش⁴⁸⁴ كانت له آبار مسبّلة لوجه الله عزّ وجلّ بسلقطة على ساحل البحر⁴⁸⁵. كما أنّ تطوّر أحد مراكز التصوّف الهامّة في قصور السّاف⁴⁸⁶ المجاورة يجعلنا نميل إلى إفتراض وجود تواصل بين تقاليد العصر الأغلبي والحفصي، مثلما هو الشأن بالنسبة لطبلبة والشابة.

ويعتبر قصر سلقطة وريث مدينة Sullectum الذي يعود تأسيسها إلى العصر البوني. وقد أحدث بها الرّومان ميناء إصطناعياً حافظ على دوره العسكري والتجاري إلى بداية الفتح الاسلامي، رغم تراجع المدينة في العهد البيزنطي. وأسّس العرب حول هذا المرسى القرية (القصر)، الجديدة التي كانت تحميها قلعة مربّعة الشكل (50م X 50م) مشيّدة بواسطة الحجارة المتوسّطة الحجم⁴⁸⁷، أي بواسطة نفس التّقنيات التي نجدها في أغلب العمائر الأغلبية⁴⁸⁸. هذا الحصن كان بدون شك مركزاً للمرابطة فقد وظيفته في العصر الفاطمي،

(481) الونشريسي، المعيار، XI، ص. 568 (وربّما لأجل ذلك كان سكانها يمنعون من إرتياد رباط المنستير) ؛ هادي روجي إدريس، II، ص. 57. حول الأصل اللاتيني لقاساس (Casas ?) أنظر : T. Lewicki, "une langue : romane de l'Afrique du Nord", in Roznik orientalistyczny, T. XVIII, 1951-1952, p. 59.

(482) البكري، ص 29-30 ؛ الدّاعي إدريس، ص. 308-309 ؛ الهادي روجي إدريس، ج II، ص 57 ؛ M. Solignac, "Recherches sur les installations hydrauliques de kairouan", in "A.I.E.O, 1952, p. 259-262.

من جهة ثانية، ميانش، التي توجد إلى قرب قاساس، كان جزء من أراضيها ملك لعائلات منستيرية مثل عائلة جعفرورة أو لرباط المنستير مثل هنشير الزاوية. أنظر محمد حسن، "وثيقة في تحبّيس هنشير ابن منصور"، المجلة التاريخية المغربية، 1988، ص. 231-234.

(483) حول تاريخ سلقطة أنظر خاصّة C. Hannezo, "Notes sur Sullectum", in, B.C.T.H, T.VIII, 1890, pp. 445-448.

(484) مصادره : عياض، IV، ص. 236 ؛ المالكي، II، ص. 320-323.

(485) المالكي، II، ص. 320.

(486) حول تاريخ قصور السّاف أنظر خاصّة : محمد حسن، القبائل والأرياف التّونسيّة في العصر الوسيط، تونس 1985، ص. 188-218 ؛ محمود عبد المولى، قصور السّاف وعلقطة، تونس، 1984.

(487) البكري، ص. 31، 81 ؛ الإدريسي، ص 126 ؛ هادي روجي إدريس، الدّولة الصّنهاجيّة، II، ص 53 ؛ C. Hannzeo, Notes, p. 446-447 ؛ N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 541.

(488) أنظر في هذا الصدد : N. Djelloul, op.cit, T. I, pp. 153-155.

ممّا أدّى الى تحويل حماه إلى منتزهات لأثرياء العبيدين ثم الصنهاجيين⁴⁸⁹. وهذا بدوره سينجر عنه إنقراض القصر في العصر الحفصي، أمّا القلعة فقد أصبحت مجرد إستحكام عاديّ تواصل إستعماله حتى منتصف القرن الثامن عشر⁴⁹⁰.

وسؤديّ إنقراض قصر سلقطة، وكذلك قصر العالية⁴⁹¹، إلى بروز قصور السّاف التي انتقل إليها المرابطون منذ العصر الحفصي، وعوّضت في هذا الدّور الحصن السّاحلي. ويبدو أنّ النّواة الأولى للقرية شكّلت حول قلعة رومانية⁴⁹² وأخذت طابع القصور السّاحلية، أي أصبحت تكون تجمّعا عمرانيا صغيرا يطوّقه سور صخري. هذا السّور الذي يتخلّله بابان (باب القصر وباب الجديد) وقع إصلاحه في القرن الرابع عشر ميلادي، وبهذه المناسبة أضيف له باب ثالث : باب الزّاوية⁴⁹³. وهذا التجديد سبّبه بدون شك تطوّر رقعة القرية نتيجة لتوافد المرابطين مثل علي المحجوب الذي إستشهد بالمهدية سنة 957هـ / 1550م⁴⁹⁴.

قصر قبّوذية (ش. 58-63) (ل. 50)

خلافًا لما ذكره حسن حسني عبد الوهاب وهادي روجي إدريس⁴⁹⁵، لا يناسب موقع قبّوذية مدينة رصفة Ruspea الرومانية التي مازالت اثارها قائمة في منطقة كدية رصفة، شرق جبنيانة، غير بعيد عن خرائب قصر زياد⁴⁹⁶. أمّا قصر قبّوذية فهو بدون منازع وريث مدينة رومانية كبرى، Caput vada، عرفت نفس مراحل التّدهور التي مرّت بها أغلب مدن الساحل في العصر البيزنطي، مثلما يدلّ على ذلك السّور الجديد الذي أقامه الامبراطور جوستينيان Justinien في القرن السّادس الميلادي⁴⁹⁷. هذا السّور هو نفسه سور القصر الاسلامي⁴⁹⁸ الذي كان يربط به أبو يحيى

(489) محمود عبد المولى، نفس المرجع، ص. 23.

(490) J. Peyssonnel, Voyage, p. 109 ; C. Hannezo, op.cit, p. 446-447.

(491) حول قصر العالية أنظر خاصّة : الإدريسي، ص. 126 ؛ هادي روجي إدريس، الدولة الصّنهاجية، II، ص. 53 ؛ J. Despois, La Tunisie orientale, p. 156 ; N. Djelloul ; op.cit, T. II, p. 541.

(492) محمود عبد المولى، نفس المرجع، ص. 7 ؛ N. Djelloul, op.cit, p. 542. II, p. 541.

(493) محمود عبد المولى، نفس المرجع، ص. 7 ؛ محمد حسن، القبائل والأرياف، ص 201-202.

(494) محمد حسن، نفس المرجع، ص. 211-212.

(495) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص. 77 ؛ هادي روجي إدريس، II، ص 5+ ؛ أنظر أيضا : Ch. Bouyahya, La vie littéraire en Ifriqiyya sous les zirides, Tunis 1972, p. 228.

(496) N. Djelloul, "A propos d'un toponyme de la région de Sfax", Passim.

(497) C. Hannezo, "Notes historiques sur Chebba", Bulletin de la société archéologique de Sousse, 1906, p. 135-40 ; D. Pringle, The defences of byzantin Africa from Justinian to the Arab Conquest, T. I, p. 192 ; N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 542.

(498) حول قصر قبّوذية أنظر خاصّة : البكري، ص. 31 ؛ الإدريسي، ص. 126 ؛ المالكي، ج II، ص. 330. N. Djelloul, op.cit, T. II, p. 542

حشيش الذي سبّل عدة آبار بسلقطه⁴⁹⁹، ممّا يدلّ على تماسك وتداخل هذه المؤسسات السّاحليّة. هذه القرية المحصّنة سوف تندثر بدورها في آخر العهد الحفصي وتعوّضها - في دور الرّباط - قرية الشّابة⁵⁰⁰. التي أنجبت أحمد بن مخلوف الشّابي مؤسس الطريقة الشّابّيّة التي لعبت⁵⁰¹ دورا رياديّا إبّان الصّراع الاسباني - العثماني (ق XVI م).

بداية من العصر الحفصي، أي بعد إنقراض قصر قبوذية، لا تذكر المصادر التاريخيّة، إلّا برج خديجة الذي استعمل كبرج مراقبة إلى حدود القرن التّاسع عشر الميلادي⁵⁰². ويتكوّن هذا المعلم من برج مربّع الأضلاع (9,5 م X 9 م) يبلغ إرتفاعه 17,5 م، تدعّمه من الجهة الغربيّة منارة دائريّة. أمّا في الدّاخل فنجد ثلاث حجرات دفاعيّة تتصل الواحدة بالأخرى بواسطة مدارج مهيبّة داخل المنار الدّائري. هذا المنار هو كلّ ما تبقى إستحكام مربّع الشكل (67 م X 67 م) تدعّمه أبراج نصف دائريّة، على غرار رباطات المنستير وسوسة (ش. 58)، يعود إحداثه إلى العصر الأغلبي⁵⁰³. أمّا البرج المربّع فهو بدون شكّ من إضافات العصر الحفصي، ويتنزّل في إطار تطوّر عامّ عرفته العمارة العسكريّة التّونسيّة، والذي مازالت بعض نماذجه قائمة إلى اليوم ببرج مسعودي بطبرقة⁵⁰⁴.

(499) المالكي، II، ص. 320.

(500) حول تاريخ ومعالم الشّابة أنظر خاصّة : C. Hannezo, "Notes historiques sur chebba", passim ; محمد الزاهي، الشّابة فصول من التّاريخ، تونس 1989 (راجع خاصّة ص. 76-77 بشأن العائلات التي تحمل لقب المرابط).

(501) حول هذه الطريقة، راجع خاصّة : Ch. Monchicourt, Kairouan et la Chabbia, Tunis 1932 ; علي الشّابي، أحمد بن مخلوف الشّابي وفلسفته الصّوفيّة، تونس 1979 ; عرفة الشّابي، تونس 1982.

(502) المدرسة الحربيّة بباردو، مسح جغرافي وعمراني لجنوب الايالة التّونسيّة (1857)، نشر محمود عبد المولى، المدرسة الحربيّة بباردو، تونس 1975، ص. 84 ; J. Peysonnel, Voyage, p. 110, V. Guerin, op.cit, T. I, p. 149 ; Servonnet et Laffite, Le golfe de Gabès, Paris 1888, p. 5 ; E. Pellissier, op.cit, p. 99 ; P. Zacccone, op.cit, p. 184.

(503) حول عمارة برج خديجة أنظر خاصّة : D. Carton, "Le Bordj-Khadidja", in Bulletin de la Société archéologique de Sousse, 1906, p. 125-134 ; N. Djelloul, Les installations militaires, T. II, p. 542-543.

(504) N. Djelloul, op.cit, T.I, p. 411 et T II, p. 542-543.

الرّباطات الدّاخلية

وكانت تدعّم هذه الرّباطات البحريّة مجموعة من القصور الدّاخلية . ولكن بإستثناء بعض المواقع ، مثل جبنيانة ،⁵⁰⁵ لا تتعرّض كتب الطبقات لهذه الحصون .⁵⁰⁶ كما يذكر الدّاودي من بين رباطات صقلية " قلعة بينها وبين البحر ثلاثة أميال " .⁵⁰⁷ ومن جهة أخرى نعرف أنّ قصور الرّباط كانت أيضا معدّة لاستقبال وإيواء سعاة البريد الرّسمي ودوآبهم⁵⁰⁸ ، ممّا يحتم وجود رباطات على طول الطريق الممتدّة بين القيروان وسوسة ، وخاصة الجادة الشماليّة - الجنوبيّة الرّابطة بين سوسة وصفاقس . كلّ هذه المعطيات تجعلنا نعتبر قرى المنارة⁵⁰⁹ ، منزل كامل⁵¹⁰ ، زرمدين⁵¹¹ ، البرجين⁵¹² ، الكنائس⁵¹³ ، الوردانين وجمال مراكز مرابطة ، خاصّة وأن كلمة المنزل التي أطلقت على بعض هذه القرى في العصر الاغربي⁵¹³ يمكن أن تعني أيضا

(505) المالكي ، II ، ص . 261 أنظر أيضا ابن ناجي (ج . I ، ص . 7) حول تأسيس القيروان .

(506) مقديش ، II ، ص . 255 ، 296 ، 507) الداودي ، كتاب الأموال ، ص 446 .

(508) N. Djelloul, Les installations militaires, T. I, p. 150

(509) الصيادي ، الدّاتية التاريخية ، ص 24 . ويرتبط هذا الموقع بقرية مسجد عيسى التي تنسب لعيسى بن مسكين القاضي الأغربي ؛ راجع حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات ، II ، ص . 102 .

(510) البكري ، ص . 29 ؛ التيجاني ، ص . 40 " نزلنا بمنزلة بين زرمدين وجمال " . البناية العتيقة التي يطلق عليها اسم الصّباط يمكن أيضا تأريخ أقدم اجزائها من العصر الاغربي (ل . 45) .

(511) التيجاني ، ص . 40 : " زرمدين حصن حصين اسفله حجارة وأعلاه طين يأوي إليه السكّان عند الشدّة وبخارجها مقبرة الشيخ أبي محمّد عبد السيد الزرمديني من أهلها . . . واكتنفنا في أثناء هذه الرحلة من اليمين والشمال قصور متفرقة وقرى كثيرة قد أخلتها العرب وأجلت أناسها " . وبجانب هذه البلدة يوجد وادي تورش وهنشير تورش . والكلمة مشتقة من Turris اللاتينية وتعني الحصن وقد أطلقت في العهد الاغربي على العديد من القرى المحصّنة مثل طرس أسباط حذو جبنيانة ، كما ذكر المالكي وجود طرس أخرى بهذه المنطقة (II ، ص . 262) . وعدا قصر زرمدين انقرضت كلّ هذه القصور في العصر الحفصي . وبهنشير تورش يوجد اليوم مقام سيدي التماجر ، نسبة الى تماجر الواقعة بين منزل كامل وقصور الساف ، وهي مدينة هامة " بها جامع وأسواق وفنادق وغدير ماء " (البكري ص . 29) . انظر أيضا : المالكي ، II ، ص . 954 ؛ هادي روجي ادريس ، II ، ص . 49 .

(512) وإليها ينسب أحمد البرجيني ، أحد مهندسي جامع الزيتونة ، والفقيه أبو محمد عبد السلام ، من تلاميذ المازري : المازري ، المعلم بفوائد مسلم ، تونس 1987 ، I ، ص 38 ؛ زيس ، نقاش تونس ، ص . 33 ، هادي روجي ادريس ، II ، ص . 49 وإلى جانبها يوجد قصر بني كلثوم .

(513) ابن ناجي ، II ، ص 271 ؛ ابن عذارى ، I ، ص 166 ؛ هادي روجي إدريس ، II ، ص . 49 . ويوجد إلى اليوم بقايا قصر الكنائس (ل . 46) وفسقية أغلبية بهنشير الصغير ومقام ابي يوسف الدهماني الصوفي (من رجال العصر الحفصي) . وبجوار الكنائس يقع قصر (أو قرية) الموردين (مالكي ، II ، ص . 400) وفسقيتها الأغلبية . وكذلك بقلوط التي دارت بها المعركة الشهيرة بين أبي يزيد والقائد الفاطمي ميسور ، وقد قاسها الخليفة الفاطمي القائم لمّا أزمع نقل العاصمة من المهديّة . أنظر : الداعي ادريس ، ص . 296 ،

المنزلة أو المرحلة⁵¹⁴ على طريق البريد الرسمي. كما أن البعض الآخر - مثل جمال - كان من أهم مراكز التصوف بالساحل التونسي.

وكانت قصور الوردانين أيضا تتركب من مجموعة من الحصون. ويوجد إلى اليوم بغابتها قصر أغلبي تشبه عمارته عمارة قصبة المنستير⁵¹⁵. وينسب إليها أبو يونس بن محمد الورداني، أحد أصحاب سحنون بن سعيد⁵¹⁶. غير بعيد عن هذه القرية توجد مدينة جمال التي لا تذكرها النصوص صراحة إلا منذ بداية العصر الحفصي⁵¹⁷، وربما كانت هي نفسها جميلة أو خربة جميل التي دارت بها إحدى المعارك بين جيوش أبي

514) يمكن أن نعدّ منزل حرب ومنزل خير من بين القرى الساحلية الأغلبية. نفس الشيء بالنسبة للمصدر (توجد تيجان عتيقة أعيد إستعمالها في ضريح سيدي المايل "L. 46")، زاوية قنطش، وطوزة وإليها ينسب أبو بكر الطوزي من رجال العهد الحفصي. أنظر: ابن ناجي، II، ص. 199 ومحمد حسن، المجلة التاريخية المغربية، 1988، ص. 224.

515) التيجاني، ص. 40.

516) الصيادي، الذاتية التاريخية، ص. 23.

517) المالكي، II، ص. 45-46؛ التيجاني، ص. 41 "قصور الوردانين وهي قرية أزمع أهلها على قتل الشيخ العالم أبي يوسف الدهماني أيام سكناه بمسجد غانم على قرب منه". بقرب الوردانين توجد عدّة تجمّعات سكنية أهمّها مساكن التي لا تذكرها النصوص إلا في العهد التركي ولكن يمكن أن تكون هذه المدينة إحدى "القصور المتفرقة والقرى الكثيرة التي أخلتها العرب" حسب التيجاني وأعيد إعمارها فيما بعد. وربما تكون هي نفسها مسجد غانم. والخارطة الأثرية تدلّنا على وجود 25 نقطة أثرية رومانية في دائرة مساكن، منها قبر الخادم ووادي صريش ووادي المالح والولجة حيث كانت توجد مدينة VZA الرومانية (Bulletin archéologique, 1938, P 71-). كما أن بعض أهالي البلدة يذكرون أن الموضع كان مزارع للسلطان تميم الصنهاجي بني به مجموعة من الأشراف سنة 1110 خمسة قصور عرفت بقصور الاشراف، حوّلهم إياها السلطان الحفصي سنة 1318م. ومثل المنستير كانت هذه القصور الخمسة يحيط بها سور ويتوسطها الجامع الأوسط الذي كانت توجد به أعمدة وتيجان رومانية قبل ترميمه سنة 1975. راجع أيضا T. Bachrouh, op.cit, p. 252.

517) التيجاني، ص. 40؛ روبر بارنشنيك، نفس المرجع، I، ص. 340. على الطريق الرابطة بين المهدية والقيروان نجد أيضا مكنة (المكنين حاليا) التي كانت هي أيضا محاطة بسور، ربما أضيف إليه في العصر الحفصي فصيل مثلما تدلّ على ذلك تسمية باب الفصيل. وإلى هذه الفترة يعود أيضا تأسيس جامع سيدي بوعبّانة (L. 45). حول المكنين أنظر: عياض، III، ص. 248؛ هادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 53؛ حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، ص. 77. إلى ما قبل العصر الحفصي يرجع أيضا بدون شك تأسيس قصر هلال التي كانت تعدّ سنة 1840م 15٪ من العائلات المرابطة (T. Bachrouh, op.cit, p. 252-253). أمّا على الطريق الدّاخلية التي تمرّ بجمال فنجد خاصّة "قرية ملّول (سيدي بنور حاليا) وعروة المتجاورتان والمتنافستان. وقد فرّ سكانهما في العصر الحفصي من اضطهاد البدو واستقرّوا بصفافس وسوسة (روبار برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 341). في نفس المنطقة توجد الجم أو لجم، "بالقرب من مسرحها العتيق الذي مازال قائم الذات. وقد كانت في بداية العصر الحفصي مركزا سكنيا هاما يقطن به بعض البربر الطرابلسيين الذين أجلتهم غزوة الأعراب. "وأشاد التيجاني بجمال مسجدّها وإزدهار زراعتها" (التيجاني، ص. 40؛ روبر بارنشفيك، I، ص. 341). بين لجم والمهدية كانت توجد باجة الزيت (واد باجة حاليا) التي تراجعت في العصر الحفصي (هادي روجي إدريس، II، ص. 49). في حين أنّنا نجد في إتجاه صفافس مدن برزليس وزبنة وينونش (ياقوت، IV، ص. 375، هادي روجي إدريس، نفس المرجع، II، ص. 49).

يزيد صاحب الحمار والقائد الفاطمي ميسور⁵¹⁸، وربما نزل بها أيضا سنة 1160م عبد المؤمن بن علي، إذ أن أحد أتباعه الحافظ عبد الحق الكومي قد دفن بجمّال. هذه القرية المحصنة (قصر جمّال)⁵¹⁹ كان يتوسطها جامع القصر (جامع المراكشيّة الحالي) الذي تدلّ أسواره العالية وشرافاته (ل. 48) أنّه كان يلعب دورا عسكريا⁵²⁰. أمّا في العهد الحفصي، فقد صار هذا القصر إحدى القواعد الأساسيّة لحركة الشايّة الصّوفية التي لعبت دورا هامّا في الصّراع المسلح العثماني-الاسباني. ويرجع الفضل في تأسيس الجامع الكبير إلى أحد زعمائها (أحمد بن عرفة) كما تدلّ على ذلك نقيشة مؤرّخة من سنة 925هـ / 1519 مثبتة بإحدى أعمدة الجامع (ل. 48).

518) الداعي إدريس، ص. 276-277؛ التيجاني، ص. 125. من المواضع التي ذكرتها النصوص الفاطمية في هذه المنطقة نجد أيضا بنو سليم (10 أميال جنوب سوسة : داعي، ص. 353) والجزيرة التي قاسها القائم قصد نقل العاصمة إليها (القاضي النعمان، مجالس، ص. 324).

519) هذا السور المبنى بواسطة الطّاية إندر في منتصف القرن 18م (عقد حبس خاص لأولاد عليّة كان محفوظا سابقا بجامع الرّمانة). راجع أيضا : T. Bachrouh, op.cit, p. 252-253

520) يوجد اليوم بجمّال ضريح سيدي إبراهيم اللّوزي، واللّوزة إسم أطلق في العصر الأغلبي على رباطين يوجد أحدها بقرية اللّوزة جنوب المهديّة والأخر بالوطن القبلي، قرب منزل تميم (المالكي، II، ص. 355. N. Djel- loul, Les installations militaires, T. II, p 604). كما أن عائلات الفراجيّة والميلي التي تمثّل حوالي 12٪ من سكّان جمّال في القرن التاسع عشر كانت تعتبر من المرابطين. راجع أيضا : T. Bachrouh, op.cit, p. 252-253

الفصل الرَّابِع

الرِّبَاطَاتُ الْجَنُوبِيَّةُ

رباطات ساحل صفاقس

كانت هذه المنطقة (الواقعة بين قبّودية شمالا ومقدماس جنوبا) تعتبر في العصر الوسيط جزءا من كورة الساحل¹، ولهذا كانت تمتاز كغيرها من مناطق مزاق بكثرة الزياتين وبكثافة سكانية عالية، وبوفرة المدن والقرى المفتوحة او المحصنة (قصور). على أن أغلبها انقرض بعد الغزو الهلالي نتيجة لتراجع الفلاحة وانخراط الأمن²، مما أدى الى هجرة أهاليها الى المدينة الكبرى، حيث أحدثوا أحياء مازالت تحمل ذكرى أوطانهم القديمة.³ وقد أدى ذلك الى تدعيم مكانة صفاقس التي أصبحت في العهد الحفصي أهم مدينة جنوب المهدية، وكذلك أهم قاعدة عسكرية.

وكانت منطقة صفاقس، مثل غيرها من مناطق الساحل، تمتاز في العصر الوسيط الأول بأهمية الملكية القيروانية.⁴ وكانت أيضا تأوي العديد من مراكز المراقبة التي يتردد عليها أهالي «العاصمة» الأغلبية والقرى المجاورة، (مثل صفاقس، قصر زياد، اللوزة، المحرس، انشلة، يونقة وسيدي منصور)، التي تدعمها سلسلة من الحصون المنعزلة وأبراج المراقبة. وكان أبو اسحاق الجبنياني (ق. 4 هـ / 10 م) يقول لقد أدركت هذا الساحل وما منه قرية إلا بها رجل صالح من أهل العلم أو من أهل القرآن، أو رجل صالح يزار... وعن عيسى بن ثابت قال: يقول أبو إسحاق: انصب شبكتك على هذا البحر فلا بد أن يقع في يدك طائر فاره، يريد أن يقول يقع في يدك رجل ينتفع به لكثرة من كان يرد على الحصون من الصالحين⁵.

قصر صفاقس⁶

تقع صفاقس على ساحل البحر عند خليج قابس شمالا، أمام جزر قرقنة، على بعد 270 كلم من الجنوب شرقي تونس العاصمة، في أرض منبسطة تربط بين الساحل

(1) المالكي، I، ص. 243؛ التيجاني، ص. 65.

(2) التيجاني، ص. 65 « وأرتحلنا عن الجبل يوم الأربعاء ففارقنا بمفارقتة أرض حكيم وطرود ودخلنا في أرض إخوانهم حصن، وكان مسيرنا منذ فارقنا الجبل في الزيتون القديم المعروف بزيتون الساحل، وقد أذهب افساد الأعراب أكثره وغير بعد الإستواء أسطره، فكأنه مغروسا على حالة معلومة وأسطر متناسقة منظومة، فأبطل الإفساد أكثر ذلك». انظر أيضا: ر. برنشفيك، I، ص. 342؛ محمد حسن، القبائل والأرياف، ص. 86.

(3) مثل احياء الرقة وقرقور وملول. انظر ايضا التيجاني، ص. 127.

(4) المالكي، I، ص. 243، 423؛ عياض (طالبي)، ص. 163.

(5) مقديش، II، ص. 251.

(6) حول تاريخ صفاقس ومعالمها. انظر خاصة: مقديش، (الخاتمة)؛ عبد الكافي، تاريخ صفاقس، صفاقس، N. Mahfoudh, *La ville de Sfax, recherches d'archéologie monumentale et evolution urbaine*, 1980. Thèse, Paris-Sorbonne, 1988; N.Djelloul, *Fortifications I*, p.283-295

والجنوب . وهذا الموقع من الأسباب التي أهّلت هذه المدينة للعمل التجاري وجعلتها متجهة نحو افريقيا السوداء والحوّض الشرقي للمتوسط⁷، كما يفسّر الدور التجاري الذي لعبته رباطات المنطقة في العصر الوسيط. فطريق القوافل الساحلية كانت تمرّ بصفاقس ورباطاتها في اتجاهها نحو الشرق وافريقيا السوداء، أمّا طريق القوافل التي كانت تربط بين مدن المغرب ومصر مروراً بالواحات التونسية وطرابلس، فهي لا تترك هذه المنطقة على هامشها.⁸ وتتوسط صفاقس جونا عرضه حوالي 15 كلم محميّ من الرياح الشرقية والغربية،⁹ كما أنّ «قصير» خليج قابس الذي يمنع السفن الكبيرة من الإقتراب من سواحلها يدعم تحصيناتها الطبيعية، بدون إعاقة حركة المساحلة التي تطوّرت في العصر الوسيط لإرتباطها بتصدير الزيوت.

وتشكّل مدينة صفاقس مربّعا مستطيلا طوله ستمائة متر وعرضه أربعمائة متر، حسب مثال مستقيم متعامد المسالك قلّما يوجد مثله في المدن الإسلامية الأخرى. و«تعامد المسالك مع بعضها جعل بعض المؤرخين يعتبرون أنّ مدينة صفاقس الإسلامية قد أُرست قواعدها على أسس مدينة تبرورة Thaparura الرومانية فأنشأت على تخطيط روماني وينسون أنّ تخطيط المدينة استغلّ طبوغرافية الأرض. فهذه المدينة قد شيّدت فوق ربوة عالية الطرفين منبسطة الجوانح يشقّها في الوسط خطّ منخفض يمتدّ من الشمال الى الجنوب (نهج الجامع الكبير) اعتبروه الكاردو البرّوماني.¹⁰»

ويشبه تخطيط مدينة صفاقس أيضا تخطيط مدينة - حصن إسلامية أخرى: عين الجبرّ التي أنشئت بدورها في العصر الأموي (ش. 70)¹¹. كما أنّ الحفريات التي وقعت داخل مدينة صفاقس الإسلامية لم تبرز أي أثر غير إسلامي. ومن المرجّح أن يكون موقع تبرورة قريبا من صفاقس الإسلامية، في منطقة هنشير المزغني، نظرا للبقايا الرومانية التي وقع اكتشافها فيها.¹²

(7) علي الزواري، صفاقس، ص. 10

(8) نفس المرجع، ص. 10 « ولمّا تعطلت القوافل المغربية الكبيرة عن السير نهائيا استمرّت صفاقس في استغلال المسالك التي تربطها مع الواحات للتجارة معها. ولم تندثر هذه المسالك وبقيت تحمل نفس الأسماء التي كانت تعرف بها في الماضي وهي ثنية الدائر، ثنية تونس، ثنية تنيور... »

(9) Ch. Lallemand, La Tunisie, p. 55;

(10) علي الزواري، صفاقس، ص. 11

(11) حول عين الجبرّ انظر : A. Papadopulo, *l'Islam et l'art musulman*, p.200

(12) علي الزواري، نفس المرجع، ص. 11. حول هذه الآثار انظر : M. Fendri, *Decouvertes archéologiques* : dans la région de Sfax, Tunis 1963, pl. 1

ويبدو أنّ المدينة الرومانية قد اندثرت في آخر العهد القديم، وكانت قبل ذلك نقطة مراقبة وحراسة على الطريق الرابطة بين الشمال والجنوب. وسوف تواصل صفاقس التي أحدثها العرب في بداية الفتوحات هذا الدور، وربما تفسّر هذه الخطة تخطيطها الذي يشبه تخطيط المدن العسكرية الرومانية مثل لمبايزيس Lambaesis¹³. كما يملك هذا التخطيط قواسم مشتركة مع عمران قصر رباط الحمامات الذي يعود إحداثه الى الفترة الإسلامية الأولى. وما زال الحيّ المجاور للقصبة، وهو من أقدم أحياء المدينة، يحمل إسم القصر. ومما يؤكد ما ذهبنا إليه حول نعت «قصر صفاقس» الذي يطلقه الإدريسي وبعض مؤلفي الطبقات على المدينة الأولى¹⁴. وذكر التيجاني، أنّ للمدينة «سورين يمشي الرّاكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما»¹⁵. والسور الثاني لم يكن في الحقيقة إلاّ الجدران العمياء للمنازل المتلاصقة، وهي هندسة كانت أيضا شائعة في القرى - القصور، مثل قصر قليبية¹⁶. وذكر عياض، على لسان محمد بن عبد الله الرّعيني قال: «لما سرت الى الغزو إلى صفاقس مع سحنون فتح لنا مطمورة شعير لعلف دوابنا، فما كنّا نأخذ منها بكيل سماحة منه في ذات الله. قال غيره: وفدي سحنون يومئذ أسارى المسلمين وظنّ أنّ الأمير يعطيه مافداهم به. وأخذ سحنون الأموال التي فداهم بها سلفا، فلما قدم على الأمير أبي ان يعطيه الفداء، فألزم سحنون الأسرى ما فدوا به، وقال لهم: قد كنتم عبيدا للعدو، ولا تملكون من أموالكم شيئا، ولا تأمنون الفتنة على دينكم. فمن أعطى تركته ومن أبى حبسته»¹⁷. ويعتبر فدي الأسرى عادة من وظائف الرّباطات الإسلامية¹⁸. وذكر مقديش في نزهة الأنظار أنّ صفاقس «كانت في ابتداء أمرها محرسا من المحارس، برجا في موضع قصبتها الآن، وهو البرج الأحمر المحاذي لسيدى جبلة. وكان أناس يقال لهم الأعشاش وآخرون يقال لهم النواولة، ساكنون في أخصاص لا كسب لهم إلا صيد السمك. وكان حوالي ذلك المكان بسواحل البحر وما قاربه من الأراضي قرى كثيرة متصلة ومتقاربة، ولهم في ذلك الموضع في كلّ يوم جمعة سوق يجتمع فيه أهالي تلك القرى، فاتّخذوا لهم

(13) حول مدينة لمبايزيس انظر: (لميس العربية) أنظر: المالكي، I، ص 35؛

(14) الإدريسي ص. 106؛ عياض (طالبي)، ص. 192؛ مقديش، II، ص. 138، 171.

(15) التيجاني، ص. 68.

(16) انظر: N.Djelloul, Fortifications I, p. 204.

(17) عياض (طالبي) ص. 129-130. وفي نصوص أخرى يتعلّق الأمر بمركز سحنون، في ضواحي صفاقس.

انظر: M. Talbi, L'émirat aghlabite, Tunis 1962.

(18) المقدسي، ص. 177.

فنادق لحفظ دواب الواردين وامتعتهم وأحدث هنالك مرسى للقادمين من البحر كأهل قابس وجربة وطرابلس وقرقنة وغير ذلك. فابتنى الناس لهم مساكن وكثرت الناس، فلما كان زمن أبي ابراهيم احمد بن الأغلب، وكان له اعتناء بأفعال الخيرات وإنشاء الحصون والمحارس أمر ببناء سور من الطواب على ما اجتمع من المساكن والفنادق والسوق على يد علي بن سلم البكري جدّ أبي اسحاق¹⁹. وقد كتب مقديش خاتمة في القرن التاسع عشر، في فترة اصبحت كلمة رباط تطلق على معلم معين، في حين أنّ قصر - رباط صفاقس كان في العصر الوسيط يشمل المدينة الحالية مثلما تؤكد نصوص الإدريسي و الونشريسي، وهو ما يفسّر أيضا تواصل نعت أبراج المدينة بالرباط والمحرس. أمّا البرج الأحمر فيجب إلحاقه بقصر - رباط جبلة الذي خلّد ذكره سيدي جبلة، وهو من قصور صفاقس²⁰. وتضع بعض الفتاوي الزيرية هذا القصر²¹ على قدم المساواة مع رباط المنستير²².

وذكر الليدي أنّ عليّا بن سلم البكري، صاحب جبنانة (وولد سحنون من الرضاع) الذي تولى قضاء صفاقس وسائر الساحل "كان بنى جامع صفاقس وسورها بالطوب زمن الأمير احمد بن الأغلب (242-249 هـ / 856-863 م)²³. ويهدف إحداث السور الى تحصين تجمّع عمراني متكامل (عدد سكّانه حوالي ثلاثة آلاف نسمة)²⁴ حسب مثال معين وليس لتحديد تجمّع عمراني عفوي مثلما ذهب الي ذلك مقديش. وليس مستبعدا أن تكون القصبة الحالية الواقعة في الركن الجنوبي - الغربي من السور هي ذاتها قصبة القصر الأغلب، فقد أبرزت الترميمات التي جرت فيها معالم مسجد من طراز الجوامع التي نجدها داخل الرباطات الإفريقية الأخرى.²⁵ وكان قصر رباط - صفاقس - مثلما ذكره مقديش - مركز لحراسة السواحل، وذكر ابن حوقل أنّ به «محارس مبنية للرباط»²⁶، وقد خلّدت أبراج سوره ذكرى بعض المرابطين الى فترة متأخرة، مثل رباط

(19) مقديش، II، ص. 138.

(20) الإدريسي، ص. 126.

(21) ورد أيضا ذكره في مؤلفات شعراء العصر الزيري مثل ابن حمديس وعلي بن حبيب التنوخي. عبد الكافي، I، ص. 34.

(22) الونشريسي، I، ص. 218.

(23) مقديش، II، ص. 138.

(24) A. Lezine, Deux villes, p.33.

(25) N. Djelloul, Fortifications, I, p.

(26) ابن حوقل، ص. 70.

سيدي خنفير ورباط مسعودة. كما كان القصر سوقا لأهالي القرى المجاورة، وكان نساكه وأهاليه يشتغلون بالفلاحة والصيد البحري والنسيج،²⁷ وهي نشاطات كانت بدورها موجودة في حصون سوسة والمنستير. على أن قصر صفاقس - مثل قصر زياد الواقع في نفس المنطقة - يتميز عن رباطات ساحل سوسة بالدور النشط الذي لعبه في التجارة الخارجية، وقد تدّعم دور صفاقس في هذا المجال بعد تراجع قصر زياد. وكان "يقصدها التجار من الآفاق بالآموال الجزيلة لابتياح المتاع والزيت" و"أسواقها عامرة" و"من زيتها يمتار اهل مصر وصقلية والروم"²⁸

وتنسب الزحف الهلالي وما تلاه من تصدّع للوحدة الزيرية في ظهور عدّة دويلات مستقلة بإفريقية منها دولة حمّو بن مليل البرغواطي الذي استقلّ بصفاقس (465-493 هـ / 1063-1099 م) وأنجرّ عن ذلك عدّة حروب مع المهدية وتدخل مستمرّ للأعراب في شؤون المدينة. وفي سنة 543 هـ / 1149 م احتلّ النورمان صفاقس، وثار أهاليها بقيادة عمر الفرياني سنة 551 هـ / 1156 م الذي توصلّ الى تخليص "وطنه" من الغاصب المسيحيّ، قبل ان يحتله من جديد الموحدون (555 هـ / 1160 م). وتؤكد رحلة ابن حوقل ان صفاقس قد الحقت منذ انشاء سورها في منتصف القرن التاسع بالمدن (وهو نفس التطور الذي عرفته سوسة) ولكنها واصلت دورها كمركز للمرابطة.²⁹ وقد تدّعم هذا الدور في العصر الحفصي³⁰، نتيجة لضعف المؤسسات الحفصية، حيث أصبح الأهالي والمرابطون يتحملون عبء الدفاع عن المدينة ضدّ القرصنة المسيحية. كما شهدت المدينة الحفصية تنامي الحملات

(27) البكري، ص. 20-21؛ ابن حوقل، ص. 70 «جلّ غلاها الزيتون والزيت وبها منه ما ليس بغيرها مثله وكان سعره عندهم فيما سلف من الزمان بحال غيرته الفتن في وقتنا هذا. وربما بلغ من ستين قفيزا بدينار الى مائة قفيز بدينار على حسب السنة وريعتها، وزيت مصر في وقتنا هذا فمن ناحيتها يجلب لقلته بالشام. . . وأسواقها عامرة، وهي قليلة الكروم وفاكهتها من قابس تشدّ حاجة أهلها. . . . ولهم من صيود السمك ما يكثر ويعظم تصاد بحظائر قد زربت وعملت في الماء فتأخذ بأيسر سعي». انظر أيضا: علي الزواري، صفاقس، ص. 10.

(28) البكري، ص. 20-21؛ الإدريسي، ص. 106 "مدينة عامرة بها أسواق كثيرة وتجارها شاملة. . . وهي الآن معمورة وليس مثل ما كانت عليه من العمارة والأسواق والمتاجر في الزمن القديم"

(29) الإدريسي، ص. 106 "على أسوارها محارس نفيسة للرباط"

(30) ياقوت، V، ص. 87 «وفيهّا حمّامات وفنادق وقرى كثيرة وقصور جمّة ورباطات على البحر»؛ البكري، ص. 20-21 "ولها أسواق كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر وطوب، ولها حمّامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمّة وحصون ورباطات على البحر، منها محرس بطرية ومحرّس جبلة ومحرّس أبي الغصن ومقدمان ومحرّس اللوزة ومحرّس الرّيحانة"

الدّاخليّة، مثل غزوات بنو غانية (757 هـ / 1356 م). وقد أدّى توالي المحن وانتشار الأعراب في نواحيها الى تراجع اقتصادها، ممّا جعلها تبدو في بداية العهد العثماني فقيرة ومنزوية داخل أسوارها.³¹

التحصينات (ل. 51-53)

يحيط بالمدينة سور مرتفع احدث في القرن التاسع الميلادي ولكنّه جدّد على فترات متعدّدة آخرها في القرن التاسع عشر، دون أن يفقد الكثير من تصميمه وهيكله الوسيطى. وبما أنه أقيم على مشارف الرّبوّة الطّبيعيّة فإنّ ارتفاعه يتراوح بين 10 و12 م في الخارج ولكنّه لا يتعدّى في بعض الأحيان المتر الواحد في الدّاخل. ويبتدئ الجدار في الأسفل عريضا (حوالي 3 م) ويتصاعد مسندا ويقلّ عرضه حتي ينتهي في عرض خمسين صنتمرا. وقد استعملت في بنائه الحجارة العاديّة المرصوفة (الغشيم)، في حين أفردت الحجارة المصقولة للزّوايا والرّبط وقواعد الابراج (ل. 52-53). وممّا يلاحظ أيضا استعمال خشب الشجر المعروف بالعيّاري للرّبط الأفقي، ونجد هذه التقنية خاصّة في السّور الجنوبي. وعند تفحصنا للسور الشمالي نلمح وجود ثلاثة جدران متتالية، على أنّ الجدار الخارجى مشيد بواسطة ملاط رقيق يشبه ملاط اقدم اجزاء الجامع الأعظم التي تعود بدورها الى القرن التاسع الميلادي³²، ممّا يؤكّد أنّ سور صفاقس وقع ترميمه عن طريق تدعيمه من الدّاخل، وهو إجراء حتمته طبوغرافية الرّبوّة.

كما أنّه زيد في ارتفاعه عدّة مرّات، إذ ظهر بالجهة الشرقية منه أثناء الترميم شرفات مصطفّة في وسط الجدار (ل. 52). ويدعم السّور الشمالي برج مثنّى (برج مسعود) وأربعة عشر برجاً طولياً، تسعة منها بارزة (على مستوى الجدار) بنحو مترين، في حين لا يتعدّى عرضها أربعة أمتار. أمّا الأبراج الأخرى فيتراوح عرضها بين ستّة وخمسة أمتار. ويحصّن السور الغربى (الذي يحميه في الشمال برج القصر) أيضا مجموعة من

(31) الوزان، II، ص. 87 « كانت في القديم كثيرة السكّان، لكنّها اليوم لم يبق فيها سوى ثلاثمائة الى أربعمائة كانون، أمّا دكاكينها فعددها ضئيل لأنّ الأعراب وملك تونس يثقلونها بالضرائب. ومعظم الصّفاقسيون نسّاجون وبخّارون وصيّادون يصطادون كمية وافرة من السمك يدعي سبارس، يأكلون خبز الشعير والبازين كغيرهم ممّن ذكرناهم أنفا. لباسهم ردئ، يذهب بعضهم بسفنهم ليتجرّوا في مصر وتركيا. »؛ مارمول، II، ص. 528 "يتعاطى جلّ الصّفاقسيّون الملاحة والصيد البحري... منهم من يتعاطى الحياكة وليس فيهم من هو ثري رغم تكبرهم. وطعامهم العادي أساسه خبز الشعير وأكلات من دقيقة. »

G. Marçais, Architecture, p. 25 (32)

الأبراج الطولية (يتراوح عرضها بين أربعة وستة أمتار)، بارزة بنحو مترين، وبرجان سداسيًا الأضلاع وبرج - دعامة اسطوانية. ويحمي السور الشرقي برج النار وعدة متاريس للمدفعية أحدثت في العصر العثماني، ذلك أن هذه الواجهة المعرضة باستمرار للهجمات البحرية توالى عليها الترميمات. ويوجد بها رباط سيدي خنفيّر (ل. 52) وهو برج حفصي (ق. 15م) سداسي الأضلاع (21م)، يتعدى ارتفاعه 14م، مشيد بواسطة الحجارة المصقولة. ويتكوّن من حجرتين يتوسّط احدهما (السفلي) قبر المرابط: الشيخ سعيد خنفيّر، في حين كانت الغرفة العليا تستعمل لمراقبة السفن القادمة من البحر. ويشكّل رباط مسعودة السمرّاء (ل. 53) (الزاوية الشمالية الشرقية) برجا مثمّنًا (أضلاعه 5، 5م) مشيدًا بواسطة الحجارة المنقوشة. ويغطّي غرفته السفلية (زاوية ومسجد مسعودة) قبو متقاطع محمول بواسطة أعمدة تيجانها من الطراز الزيري. ورغم التحويرات التي عرفتها الغرفة العليا، فإنّ هذا البرج الذي تشبه هندسته هندسة تحصينات المهدية الفاطمية، (خاصّة برج العريف وأبراج السور الغربي)،³³ حافظ على تصميمه وهيكله الأوّل (ق. 11-12م).

وعرف السور الجنوبي أيضا تحويرات هامة في العهد العثماني، تمثلت خاصة في إحداث عدّة متاريس معدّة للمدفعيّة (برج دريرة، برج البقرة، برج الرصاص...). ولكن البعض منها أقيم مكان إستحكامات وسيطيّة مثل رباط الشيخ منصور (مسجد التوبة) ورباط الشيخ مفتاح (الذي يوجد به مسجد وضريح المرابط). ويحمي هذا السور في الجنوب الغربي برج النار، الذي كان يستعمل الى حدود القرن التاسع عشر الميلادي لإرسال الإشارات الضوئية، ويعود احداث هذا الإستحكام الى العصر العثماني، لكن استعملت في بنائه أربعة أبراج طولية من العصر الوسيط مثل رباط سيدي المغبي (ال. 51).

وكان لسور صفاقس أحباس كثيرة يشرف عليها ناظر يسمى مقدّم السور أو وكيل أحباس السور، يختار من أهل العلم والورع،³⁴ توكل إليه مهمّة السهر على إصلاح تحصينات المدينة. وينجرّ عن عدم تدخّل السلطة المركزيّة في هذه العملية نشوء تقاليد معماريّة محليّة لا تنخرط بصفة آليّة في التيارات الفنية العامّة التي عرفتها البلاد، وهو ما

(33) حول تحصينات المهدية انظر : N.Djelloul, Fortifications, I, p. 264-270

(34) نفس المرجع، I، ص. 285

يجعل عملية تأريخ أسوار صفاقس عسيرة. على أن تقنيات البناء (الأبراج المثلثة، الربط بواسطة الحجارة المصقولة، النتوء المدرج في أسفل الجدار، الشرفات الهرمية) تدل على أن أقدم اجزاء المعلم الحالي تعود الى الفترة الفاطمية - الزيرية، أي العصر الذي جدّد فيه بناء السور الأوّل الذي شيّده على بن سلم البكري بواسطة الطّوب في القرن التاسع الميلادي.³⁵

وتتصل مدينة صفاقس منذ تأسيسها بالخارج بواسطة بايين : باب الجبلي في الشّمال وباب البحر (باب الديوان) في الجنوب.³⁶ وتؤكد قلّة الفتحات مرّة أخرى الطّبيعة الخاصّة لهذا التجمّع العمراني الذي كان ملحقا بالقصور. ولباب الجبلي مدخل وحيد بارز يقع في محور برج طوليّ (عرضه 5،8 م) ويفتح على دهليز مستقيم يؤدي الى داخل المدينة، وهو مدخل يشبه الى حدّ ما سقيفة باب الفتوح بالمهدية،³⁷ ممّا يؤكد أن عمليات الترميم المتأخّرة (في 823هـ / 1420 م و 1224 هـ 1809 م) لم تغيّر تصميمه القديم. في حين أفقدت تحويرات العهدين الحفصي والعثماني باب الديوان مظهره القديم. ويتكوّن المعلم الحالي من ثلاثة مداخل تدلّ بقيشة مثبتة في داخل الباب أن أقدمها يعود الى سنة 706هـ / 1306 م. وبمناسبة هذه الأشغال وقع تحويل المدخل المستقيم القديم الى مدخل متعرّج يشبه مداخل الأبواب الموحّدية والبحفصية.³⁸

وتحمي قصبة صفاقس، التي يعود أحداثها الى العصر الأغلبي،³⁹ المشارف الجنوبية - الغربية للمدينة. وتتكوّن من ثلاثة مباني مستقلّ الواحد عن الآخر. وتدلّ الأسوار التي اجريت داخل المعلم أنه أخذ شكله الحالي في العهد الزيري. وإلى هذه الفترة يعود بناء المنار والأبراج الطّولية التي تدعّم السور الخارجي. (39).

قصر تنيور

إضافة الى قصر - رباط جبلة كان يوجد على مشارف مدينة صفاقس (الغربية) قصر آخر مازالت أطلاله قائمة في منطقة تنيور (ل. 55-58)⁴⁰. وذكر مقديش أنه "مركز

(35) N. Djelloul, Fortifications, I, p. 284.

(36) حول ابواب صفاقس انظر : N. Djelloul, Fortifications, I, p. 291

(37) نفس المرجع، I، ص. 291

(38) نفس المرجع، I، ص. 292

(39) نفس المرجع، I، ص. 294

(40) F. Mahfoudh, op.cit, I, p. 162

علم" ،⁴¹ وهو تعريف ينطبق أيضا على الرباطات . كما يدلّ بقاء تسمية " ثنية تنيور " على أنّه كان أيضا مرتبطا بالتجارة .⁴¹ ويشكّل الحصن الحالي بناية مربّعة (أضلاعها 40م) تدعّمها في الزوايا والوسط أبراج نصف دائريّة . كما نجد في الشرق بقايا برج (منار؟) نصف دائري يصل إرتفاعه الحالي إلى ثمانية أمتار . وكان هذا المرقب يحمي قرية محصّنة (قصر) مازالت أطلالها قائمة ، و كانت عامرة في عهد الشيخ أبي الحسن الوحيشي نزيل قرية قلوس (وطن صفاقس الشرقي) .⁴³

وتدلّ هندسة المرقب التي تشبه هندسة رباط تيط بالمغرب⁴⁴ أنّه أقيم في العصر الزيّري ، مكان معلم يعود على الأرجح الى الفترة الأغلبية .

رباطات منطقة رصفة

تشمل هذه المنطقة ، الممتدّة بين رأس قبّودية وصفاقس ، خاصّة رباطات رستاق (كورة) رصفة⁴⁵ السّاحلية (قصر زياد ، اللّوزة ، بطرية) وحصون أنشلة وقزل ، وبعض المراكز البعيدة عن البحر مثل جبنانة وليدة ، وكانت هذه المنطقة تعدّ قبل الغزو الهلالي كثيرا من المدن (صدف ، رصفة . . .) وخاصّة العديد من القرى المحصّنة والأبراج المنعزلة . وذكر الإدريسي أنّه كان يوجد (من الشمال الى الجنوب) : " قصر قبّودية ومنه الى قصر مليان ثمانية أميال ، ومن قصر مليان الى قصر الرّيحانة أربعة أميال ، الى قصر قناطة أربعة أميال . وكان يعمل بقصر قناطة فخّار كثير ساذج من الدّهن ويتجهزّ به الى المهدية وغيرها وطينه أحمر . ثمّ الى قصر اللّوزة أربعة أميال ، الى قصر زياد ستة أميال ، ومن قصر زياد إلى قصر مجدونس ثمانية أميال ، ومن قصر مجدونس الى قصر قاساس ثمانية أميال ، ومن قصر قاساس الى قصر قزل ميلان . فمن قصر قزل الى قصر جبلة ميلان وهوفي جون ، ومنه الى قصر صفاقس من الجون خمسة أميال " .⁴⁶

(41) مقدّش ، II ، ص . 349 .

(42) على الزواري ، صفاقس ، ص . 10 .

(43) مقدّش ، II ، ص . 349 " تزوّج بأمرأة من قصر تنيور إسمها خديجة التنيوريّة " .

(44) N.Djelloul, Fortifications, I, p. 310 .

(45) المالكي ، II ، ص . 262 ؛ المقدسي ، ص . 211 ؛ هـ . ر . إدريس ، II ، ص . 59 .

(46) الإدريسي ، ص . 126 ؛ مقدّش ، II ، ص . 138 .

قصر زياد⁴⁷ (ل. 59)

يعتبر قصر زياد (او قصور زياد المرابط) من أهمّ رباطات افريقية في العصر الوسيط. وكان "يسمى دار مالك" لكثرة المرابطين الذين يترددون عليه.⁴⁸ ولكن رغم هذه الأهمية فإنّ موقعه غير معروف بدقّة، فالأطلس الأثري لتونس لا يذكر إلاّ «قصر بن زياد» الذي يوجد جنوب بليانة، على بعد 10 كلم عن الساحل.⁴⁹ في حين أنّ كلّ المصادر العربيّة تؤكّد أنّ الرّباط (الذي كان يحاذي بالفعل بليانة، او بليانة نافذ: سيدي أحمد بن نافذ حاليا) كان يوجد على ضفاف البحر،⁵⁰ لكن في موقع آخر غير شمال اللّوزة كما ذهب الي ذلك خطأ حسن حسني عبد الوهاب.⁵¹ وهو رأي يفنّده ما ورد في نزهة المشتاق (ق. 6هـ / 12 م)⁵²، وفيما بعد رحلات فكتور جيران V. Guerin وسرفوني - لافيت. Servonnet et Laffite. ذكر جيران، الذي زار المنطقة سنة 1862، أنّه "بعد ساعة من السير انطلاقا من بليانة نزلنا بخرائب بلدة عتيقة تمتدّ على ضفاف البحر حيث كان يوجد ميناء صغير. وشاهدنا بهذه البلدة بقايا خمسة قصور تسمى قصور زياد أو سيدي مسرة لأنّها توجد بجوار وليّ يحمل هذا الاسم. ويتّخذ القصر الذين يحاذي الميناء شكلا دائريّا، ويبدو - مثل باقي القصور - أنّه يعود الي الفترة البيزنطية أو الرومانيّة. . . . وبعد فترة مررنا بهضبة محصّنة تسمّى كدية رصفة".⁵³ ويؤكّد ما ذهب إليه جيران رحلة سرفوني - لافيت (1888 م) الذان ذكرا بأنّ "خرائب هذه البلدة العتيقة تمتدّ الي ضفاف البحر وتتصل بخرائب كدية رصفة. وتوجد بها آثار ماجلين دائرين يشبهان فسقيات الأغالبة بالقيروان"⁵⁴

وتؤكّد رحلة جيران بدون أدنى شكّ أنّ موقع قصر زياد يناسب خرائب سيدي مسرة التي توجد حاليا على ضفاف خليج صغير (على بعد 4،5 كلم جنوب اللّوزة)، حذو

(47) حول قصر زياد انظر : A. Zouari et N. Djelloul, "A propos d'un toponyme de la région de Sfax in A. Zouari et F. Mahfoudh, La dynamique économique à Sfax, Sfax 1993, pp. 9-39.

(48) اللّبيدي، ص. 10؛ المالكي I، ص. 422-423؛ عياض (طالبي)، ص. 294؛ مقديش، II، ص. 251.

(49) E. Babelon, R. Cagnat, S. Reinach, Atlas archéologique de la Tunisie, Paris 1892 (f Djebeniana).

(50) اللّبيدي، ص. 26، 28-33؛ المالكي I، ص. 430؛ عياض، I، ص. 99 وطالبي، ص. 160، 293؛ التيجاني، ص. 41؛ ابن الأثير، ص. 473؛ العمري، ص. 6؛ ابن ناجي، III، ص. 275؛ مقديش، II، ص. 293.

(51) ح. حسني عبد الوهاب، خلاصة، ص. 77.

(52) الادريسي، ص. 126.

(53) V. Guerin, Voyage archéologique dans la régence de Tunis, Paris 1862, I, p. 161.

قبة مسرة بن مسلم الحضرمي صاحب ابي إسحاق الجبنياني . وتذكر كتب الطبقات ان هذا الفقيه والمتعبّد دفن عند وفاته سنة 373 هـ / 1002 م " على سيف البحر شرقي القصر " ،⁵⁵ وهو موقع يناسب المكان الذي يحتله الضريح الحالي .⁵⁶ وتمتاز هذه المنطقة بكثافة الآبار القديمة⁵⁷ وقباب الأولياء الذين ينتمون غالبا الى أوساط مرابطي قصر زياد، مثل سيدي يوسف (أبو يوسف مسلم الحضرمي) وسيدي مجاهد (حمدون بن مجاهد الكلبي) . وقد انقرضت اليوم أغلب معالم القرية والميناء ولم تبق (جنوب سيدي مسرة) إلا أسس قصر محصّن طوليّ (تتجاوز أضلاعه خمسين مترا) تدعم أركانه أبراج دائرية . ويمتاز المعلم بوجود كلّ تقنيات البناء التي استعملت في «الرباطات» الأغلبية الأخرى (مثل الابراج الاسطوانية ونواة الغشيم والملاط المخلوط ببقايا الخزف ورماد الخشب) .⁵⁸ كما يوجد خارج القصر خزان طوليّ من الطراز الفاطميّ،⁵⁹ ويحاذي القبة، التي يعود احداثها الى العصر الحفصي، مقبرة عتيقة يبدو على الظنّ أنّها نفس الجبّانة التي دفن بها عبد الرّحيم الزّاهد سنة 247 هـ / 861 م .⁶⁰ وتوجد غربها خرائب مدينة روسبيا Ruspae التي أصبحت تدعى رصفة في العهد الإسلامي (كدية رصفة حاليا)⁶¹، وهو ما يؤكد مرّة أخرى دقّة أخبار جيران وسرفوني - لافيت .

ويعود الفضل في تأسيس قصر زياد حسب أغلب كتب الطبقات الى عبد الرّحيم الزّاهد (سنة 212 هـ / 827 م)⁶² . ويذكر المالكي أنّ اسد بن الفرات " لما أراد الغزو

(54) Servonnet et Laffite, Le golfe de Gabès, p.9-10.

(55) حول مسرة بن مسلم انظر : اللبيدي، ص. 27-29؛ المالكي، I، ص. 422؛ عياض، III، ص. 533-535 وطالبي ص. 396، 420، 517؛ مقديش، II، ص. 256؛ مخلوف، I، ص. 97.

(56) علي ساحل قرية حرق الحالية . ويذكر مسح المدرسة الحربية بباردو (1857 م) أنّ القرية بها " جامع خطبة ومقامان وإحدى عشر منزلا ومعصرتان . "

(57) M. Jedidi, Djebeniana et sa région, Tunis 1975, p.21,51; J. Despois, La Tunisie orientale, p. 288

(58) انظر في هذا الصدد : G.Marçais, Architecture, p.41

(59) نفس المرجع ، ص. 37.

(60) المالكي ، I، ص. 430 " وكانت وفاته سنة سبع وأربعين ومائتين، ودفن علي سيف البحر من ناحية شرقيّ القصر " ؛ عبد الكافي، I، ص. 205؛

(61) حول رصفة التي يضعها ح. حسني عبد الوهاب خطأ مكان الشابة (خلاصة، ص. 77) انظر : اليعقوبي، IV، ص. 259؛ ابن رشيق، الأنموذج، ص. 123-139؛ مقديش، I، ص. 212؛ هـ. ر. إدريس ، II، ص. 58.

Ch. Bouyahya, La vie littéraire en Ifriqiya sous les zirides, Tunis 1972, p.26.

(62) المالكي، I، ص. 422 " وهو الذي تولّى بناءه " ؛ عياض (طالبي)، ص. ؛ هـ. ر. إدريس، II، ص. 58.

الى صقلية أراد عبد الرحيم الخروج معه فشاور في ذلك سحنونا فكسر عليه وقال له : لا تفعل . ثم قال له : كنت ذكرت لي أنك تحبّ ببناء قصر زياد وأنّ عندك اخبارا توجب الخوف من البرّ والبحر . وبنائك لهذا القصر يكون حرسا للمسلمين وغوثا لهم يلجؤون إليه ويرابطون فيه ، أفضل من مسيرك الي صقلية . فمضى عبد الرحيم إلى أسد فأخبره بما قال سحنون فقال : الذي أشار عليك به هو الصّواب . ثم دخل على زيادة الله بن الأغلب الأمير فخرج ومعه سجلان : سجلّ منهما بولايته على صقلية أميرا وقاضيا ، وسجلّ آخر لعبد الرحيم في الإذن له في بناء قصر زياد⁶³ . وينتمي عبد الرحيم (مثل علي بن سلم صاحب جبنيانة) إلى ربيعة . وكان قبل اعتكافه بالقصر بزّازا بالقيروان ، لكنّه كان - مثل سحنون - يملك بهذه المنطقة ضيعة بها 17000 شجرة زيتون⁶⁴ . أمّا البناء فهو عبد الله بن مالك ، من قرية بني عمروس (حاليا سواني بنو عمروس قرب بلدة حرق)⁶⁵ ، وربّما أتت من هنا تسمية "دار مالك" . على أنّنا نشكّ في هذه الرواية إذ أن الموقع كان يسمّى قبل مجيئ عبد الرحيم "قصور زياد المرسى أو المرابط" حسب رواية اللّبيدي⁶⁶ . وبما أنّ لفظ «بناء» يعني عادة الإصلاح والترميم ، فإنّنا نرى أن عبد الرحيم إكتفى بتوسيع مرّكب عمراني سابق يحتوي على ميناء ومجموعة من القصور ، وهو ما تؤكّده الرواية الثانية للمالكي نفسه الذي ذكر "بأن عبد الرحيم تولّى بناءه وإصلاحه وأنفق فيه اثني عشر ألف دينار ، ستّة آلاف من عنده وستّة آلاف من عند اخوانه" .⁶⁷ إنّ السّمة الرّئيسيّة لكتب الطبقات هي طابعها "الأسطوري" ، وما ينجرّ عن ذلك من مبالغة في ابراز "كرامات المرابطين" . ولكن حتّى وإن سلّمنا بذلك فإنّ هذه المبالغ الهامة لا يمكن ان تنفق في بناء المعلم الحالي الذي لا تتجاوز مساحته مساحة "قصر - الرّباط بسوسة" ،⁶⁸ ممّا يجرّنا الي التأكيد بأنّها انفقت في بناء منشآت أخرى كانت تعتبر جزءا من القصر . ويذكر المالكي عن مسرة بن مسلم أنه "قال لأصحابه يوما وهم يسمعون عليه تحت صومعة قصر زياد :

(63) المالكي ، I ، ص . 423 .

M. Tlbi, Etudes, p. 195 (64)

(65) المالكي ، I ، ص . 423 .

(66) اللّبيدي ص . 42 ؛ عياض (طالبي) ، ص . 294 : المرسى (من مرسية في الأندلس) . وتؤكد تراجم المالكي أهمية الوجود الأندلسي بهذه المنطقة .

(67) المالكي ، I ، ص . 422 .

(68) تبلغ تكاليف بناء منزل عادي بالقيروان في هذه الفترة 200 دينار . انظر : المالكي ، II ، ص . 100 . M.Talbi, Etudes, p. 195

أتدرون كم أعطي عبد الرحيم بن عبد ربّه الزاهد لبناء هذه الصّومعة لمّا فرغ من بنائها، قالوا : لا، قال : وهب اثني عشر جملاً بمحملة بالأموال والهدايا. . . وكان بقرية البرج التي بقصر زياد شيخ فقيه اسمه مسعود رأي في المنام كأنه وزن مع عبد الله بن مالك، فرجع عليه عبد الله، فقال له مسعود : بماذا رجحت عليّ وأنا أطلب العلم وسمعت وصحبت العلماء؛ فقال له عبد الله : رجحت عليك ببنيان هذه الصومعة وأشار الى صومعة قصر زياد. ⁶⁹ "إنّ هذه الصومعة التي كان "يجتمع خلفها عبد الرحيم ومسرّة بن مسلم بالخضر" ⁷⁰ ليست إلا مأذنة المسجد الجامع الذي كان يتوسّط قرية الرّباط أو "قرية البرج" كما يسمّيها المالكي. ⁷¹ وقد كان هذا المسجد يحتوي على مكتبة ضخمة حبّس عليها حمدون بن مجاهد خمسمائة مخطوط "كتبها بيده". ⁷² وترتبط هذه التسمية "برج عبد الرحيم" ⁷³ أي قصبة القصر المعدة لسكنى أمين الرّباط: عبد الرحيم الزاهد. وكان هذا القصر المحصّن - الذي يسكنه عبد الرحيم رفقة جواريه- ⁷⁴ يتركّب من طابقين، ⁷⁵ ويحتوي على سقيفه (لإستقبال الضيوف وللحرس) ومسجد وماجل. ⁷⁶ أمّا المرابطون العاديون، مثل أحمد بن عيشون، فقد كانوا يقطنون - صحبة زوجاتهم وأبنائهم - بالقصور الأخرى. ⁷⁷

إنّ ما ورد في كتب الطبقات ومؤلفات الرّحالة الأوروبيين يؤكّد بصفة قطعية بأنّ قصر زياد لم يكن معلماً منعزلاً بل تجمّعاً عمرانياً متكاملًا (قرية البرج) ⁷⁸ يحتوي على ميناء ومسجد جامع وعدّة مساجد ⁷⁹ وقصور محصّنة أهمّها القصبة. هذه القرية، التي

(69) المالكي، I، ص. 422-423.

(70) المالكي، I، ص. 422-423، 9، 42؛ اللّبيدي، ص. 44؛ عياض، IV، ص. 106 وطالبي، ص. 160-161.

(71) المالكي، I، ص. 423.

(72) عياض (طالبي) ص. 420؛ مقديش، II، ص. 262؛ المالكي، I، ص. 421 «سمع عبد الرحيم من سحنون ومن أسد، وطلب العلم وعني به وحبّس كتباً كثيرة بخطّه وضبطه بقصر زياد».

(73) المالكي، I، ص. 428.

(74) نفس المصدر، I، ص. 423 «وكانت عنده وصيفتان مولّدتان لهما جمال تقومان به وتخدمانه، ف قيل له : لم لا تتخذ أحدهما سرية لك فإنهما تصلحان لذلك، فحلف أنه لا يعرف صفة وجهيهما لشغله بالعبادة»

(75) المالكي، I، ص. 427.

(76) نفس المصدر، ص. 427، 429.

(77) اللّبيدي، ص. 42-44؛ مقديش، II، ص. 254، 259، 261.

(78) حول هذا المصطلح الغامض انظر : ح. حسني عبد الوهاب، ورقات، III، ص. 345. H. Jaidi, Les sites antiques de l'Ifriqiya et les géographes arabes, C.A.R, F. Lettres de Tunis, 1977, p. 25

(79) مقديش، II، ص. 259-260.

كان يحميها سور خاص، كانت - مثل سوسة الأولى -⁸⁰ ملجأ لسكان القرى المجاورة عند مدهمة النصارى لهم.⁸¹ لكنّها لم تكن - تماما مثل رباط سالة -⁸² إلا ربضا بحرياً ومحرسا ورباطا لرصفة عاصمة الرّستاق التي امتازت بحركيّتها الإقتصادية والفكرية في العصر الوسيط الأول.⁸³ ويبدو أن التسمية الثانية (قصر زياد) عوضت تدريجياً التسمية القديمة (رصفة).

وتؤكد مصادر العصر الوسيط والآثار الحالية أنّ قصر زياد تحوّل منذ القرن الرابع للهجرة (10م) الى مدينة بحريّة هامة، ممّا دفع بعبد الله المهدي الي تجهيزها بدار صناعة (لصناعة السفن).⁸⁴ ويبدو هذا الاختيار مثيرا في أوّل الأمر لأنّ اللّوزة المجاورة تعتبر أحسن مرافئ الجهة. هذا التوجه حتمه وجود القصور التي يمكن استعمالها لخزن المؤونة والعتاد البحري، وكذلك لإيواء الصناع والعملة. وتمثّل هذه القصور النّواة المعماريّة «لقرية» الرّباط، ممّا يعطيها تخطيطا يشبه تخطيط برشانة والمنستير وغردمار Gardamar del Segura في الأندلس، وهي مدينة تتكوّن أيضا من مجموعة من القصور. ومثلما هو الشأن بالنسبة لتخطيطها فإن هذه القرية - الرّباط تتميز عن التجمّعات العمرانية العادية بطبيعة سكّانها الذين ينتمي أغلبهم الى صفّ النّسّاك الخاضعين لسلطة أمين القصر عبد الرّحيم الزّاهد. وقد أطنب المالكي في الحديث عن حياة التقشّف التي كان يحياها هؤلاء العبّاد الذين لا يتعدّى قوتهم اليومي حسب زعمه دقيق الشعير والزّيت والجراد.⁸⁵ ويذكر صاحب الرّياض أنّ عبد الرّحيم الزّاهد " خرج سنة من السنين الى المنستير فنزل بالقصر الكبير، فلّما كان العشي سمع حسّ المهاريس فقال : ما هذا؟ فقليل له : المرابطون يدقّون التّوابل لقدورهم فأسترجع عند ذلك وقال : ما هكذا أعرف حالة المنستير، قديما عند سكّانها شيء من دقيق الشعير في القلّة وشيء من الزّيت، فإذا كان إفطارهم لتّوا ذلك الدّقيق بشيء من الزّيت فأكلوه، لله لا أبيت في شيء من المنستير. فخرج منها ذلك الوقت فغابت له الشمس عند قصر لمطة ولم يعد

(80) المالكي، I، ص. 422.

(81) نفس المصدر، I، ص. 422.

(82) L.Golvin, Notes, p.96.

(83) المقدسي، ص. 211؛ ياقوت، IV، ص. 1042؛ ه.ر. إدريس، II، ص. 453. وإلى هذه المدينة تنسب خدوج الرصفية التي ارتبط إسمها ببرج خديجة بقبودة

(84) اللبيدي، ص. 43-44؛ المالكي، II، ص. 222؛ ه.ر. إدريس، II، ص. 689؛ A.Lezine, Deux Villes, p.91; N. Djelloul, Fortifications, I, p. 305

(85) المالكي، II، ص. 211، 217.

الى المنستير بعد ذلك. ⁸⁶ على أن حياة البذخ التي أشار إليها الكاتب يبدو أنها أيضا مسّت سكّان قصر زياد إذ نجد في كتب الطبقات ذاتها إشارات كثيرة الى "فاخر الطعام" (تمور أجداوية، غلال، لحوم، حلويات...) ⁸⁷، كما أشار عياض الى جماعة، يبدو أنها من سكان القصر، كانت تعاقر الخمرة. ⁸⁸

ومثلما هو الشأن بالنسبة لأغلب الرّباطات فإن المؤرخين المعاصرين سقطوا في فخّ "ايدولوجية الجهاد" فأطنبوا في التأكيد على الدور العسكري الذي لعبه مرابطو قصر زياد، في حين أنّه لا يتعدّى مراقبة سفن الرّوم وتوفير ملجأ حصين للأهالي إبان الغزوات المسيحيّة. فعبد الرحيم نفسه كان "يروي أخبارا توجب الخوف في البرّ والبحر". أمّا التيجاني فقد اكتفى بذكر حصانة القصر وشجاعة أهله عامة، ⁸⁹ وهي رواية تخصّ العهد الحفصي أي العصر الذي أصبح فيه للرّباط دورا عسكريا فعّالا بعد تراجع البحرية الإفريقية. فالمرابطون بحكم طبيعة تكوينهم لم يكونوا محاربين مختصّين. وكانوا في كثير من الأحيان عاجزين على الدّفاع عن ممتلكاتهم، مثل عيشون البكاء الذي أهانه لصوص جاؤوا لسرقة ودائع القصر. ⁹⁰ وذكر المالكي أنّه كان "بقرب قصر زياد رجل من بني نافذ وكان له ناحية من السلطان. وكان له فرس يطلقه في زرع المرابطين فخطب في ذلك فلم يقبل ولا سأل عن كلام من خاطبه، فأتي الناس الى عبد الرّحيم فذكروا له ذلك فرفع عينيه الي السّماء وقال: اللّهم اجعله آية للعالمين وآكف المسلمين شرّه، فطارت عينا الفرس جميعا و بقي أعمى لا يبصر وكفى الله المسلمين شرّه". ⁹¹

ويفسّر سلوك هذا الرّجل بأنتمائه الى فرقة المعتزلة التي كانت تعادي أهل الحديث ومن بينهم نسّاك القصور. أمّا زرع المرابطين فكان يوجد في حمي

(86) نفس المصدر، I، ص. 429-430.

(87) نفس المصدر، I، ص. 428.

(88) عياض (طالبي) ص. 420، ترجمة حمدون بن مجاهد «صليّ بنا التّراويح، فتاب تلك اللّيلة ممّن يشرب المسكر وغيرهم على يديه نحو سبعين رجلا»؛ المالكي، II، ص. 204.

(89) التيجاني، ص. 67 "حاذانا على ساحل البحر القصر المعروف بقصر زياد وهو قصر حصين وفي أهله نجدة موصوفة وشجاعة معروفة."

(90) اللّبيدي، ص. 42-43؛ مقديش، II، ص. 261.

(91) المالكي، I، ص. 428؛ عياض (طالبي) ص. 160.

القصر.⁹² وهي أراضي شاسعة حبّست منذ العهد العباسي على الحصون. ويبدو أن هذا الحمي كان يوافق حبس "سيدي ابي إسحاق"⁹³ نظرا لقدم التقسيم العقاري بهذه المنطقة.⁹⁴ ويبدو أن طريقة استغلال هذه الأراضي كانت مشابهة للطريقة المستعملة في المنستير : الاستغلال المباشر والكراء.⁹⁵ وكانت تقوم - مثلما هو الشأن في العصر الروماني -⁹⁶ على زراعة الحبوب والبقول والزيتون وتربية الماشية. وكان المرابطون يملكون مراعي خاصة بهم لتربية البقر.⁹⁷ كما كانوا يتعاطون الصيد البحري.⁹⁸ ويؤكد نصّ المالكي أن أراضي الحمي كانت لا تشمل ضيعة عبد الرّحيم،⁹⁹ ولهذا اضطرّ الى طلب "ترخيص" من زيادة الله لضمّ جزء من أراضي الدولة للحمي، مقابل الخدمات "السياسية" التي كان يقدمها المرابطون للسلطة الأغلبية.

وكان قصر زياد يتوسط في العهد الأغلبي شبكة من الطرق تصله بأهم مدن الساحل والسيّاسب، وخاصة الجادّتين الرومانيّتين : بطرية Acholla - سوسة Hadrumetum - قرطاج Carthago، والطريق الذي سلكها التيجاني في القرن الثالث عشر : لجم Thysdrus - برزليس Bararus. وقد كانت فروعها تلتقي في إنشلة Usilla.¹⁰⁰

وقد كانت هذه الشبكة مصدر ثراء لجم الرومانية التي كانت تحت حماية (Genius Coloniae) ربّ التجارة مركوريوس Mercure. وقد كانت مركزا لتجميع حبوب وزيت السباسب¹⁰¹. وكان يدعم هذه المسالك طريق بحري (المساحلة) تشكّل

(92) المالكي، I، ص. « وصل رسول احمد بن الأغلب الي قصر زياد في طلب سحنون ورفع فخرج عبد الرّحيم مع سحنون يشيّه. فلما انتهى الى آخر الحمي استقبل القبله ووقف سحنون قبالته يوادعه ».

(93) يؤكد ما ذهبنا إليه أن حبس عزيزة عثمانة الذي يسمح أغلب أراضي هذه الجهة لا يشمل هذا الحبس.

(94) انظر في هذا الصدد : P. Troussset, "Nouvelles observations sur la centuriation romaine à l'Est d'El Djem", in Antiquités africaines, II, 1977, p. 175-207.

(95) المالكي، I، ص. 428؛ مقديش، II، ص. 254.

(96) H. Slim, " Nouveaux témoignages sur la vie économique à Thysdrus", in B.AC, 1985, pp. 62-64.

(97) المالكي، I، ص. 296؛ اللّبيدي، ص. 42-43، 45؛ مقديش، II، ص. 260-261.

(98) المالكي، II، ص. 296؛ مقديش، II، ص. 264؛ هـ. ر. إدريس، II، ص. 689.

(99) المالكي، I، ص. 423 " كان لعبد الرّحيم أخ يقال له هاشم من أهل الفضل والعبادة، أتاه يوما بسبعين ديناراً من ضيعته فأقامت عنده مدّة يسيرة، ثم أتاه أخوه فقال له عبد الرّحيم : جئتنا بشيء ؛ فقال له : أين السبعون ديناراً التي دفعت إليك وجرّ بيده على الحصر فقال له عبد الرّحيم : قليلا لا تعقر يدك الحصر فعلم أنّه تصدّق بها " .

(100) P. Salama, Les voies romaines de l'Afrique du Nord, Alger 1951, p.41.

(101) H. Slim, op.cit , p.63-64

القصور محطات لها. وتبرز رحلة ابن بطوطة أهمية هذه الطريق وتواصلها في العصر الحفصي رغم تراجع تجارة إفريقية.¹⁰² وإلى جانب إيواء التجار والمسافرين كانت هذه القصور منازل للبريد الرسمي ومراكز لإفتداء الأسري.¹⁰³ كما كان لقصر زياد سوقه الخاصة،¹⁰⁴ وتذكر الوثائق الإسبانية وجود مخازن للبضائع في العصر الحفصي.¹⁰⁵ كما كانت سوق الحسيني (جنوب الجهم) وسوق البدارنة (قرب شريانة) الموجودة بهذه المنطقة مرتبطة بقصر زياد منذ العصر الأغلبي.¹⁰⁶

لقد ورث قصر زياد والرباطات المجاورة له تجارة لجهم Thysdrus (قبل أن يستحوذ عليها من جديد قصر واحد : قصر صفاقس). ويرتبط هذا التحول بتراجع لجهم نفسها وكذلك بتطور المساحلة في العصر الأغلبي، نتيجة لاستتباب الأمن من جديد في المتوسط والتحول الذي عرفه الإنتاج الفلاحي. إذ أن تطور غراسة الزيتون في آخر العهد القديم وفي بداية العقود الإسلامية أدى إلى تراجع إنتاج الحبوب، مما جعل من الزيت أهم صادرات المنطقة،¹⁰⁷ وهي بضاعة يسهل نقلها عن طريق البحر. ويؤكد المذبح الجنائزي الروماني الذي عثر عليه في بصتري Bostra (وهو تجار لجهم Thysdrus لمركوريوس إله التجارة) عراقة المبادلات التجارية بين هذه المنطقة والشرق الأوسط.¹⁰⁸ وهي علاقات عمقتها فيما بعد تجارة صفاقس¹⁰⁹. وتفسر هذه العلاقات (وما ينجر عنها من وجود بحارة لهم دراية بهذه المنطقة)¹¹⁰ أحداث دار الصناعة في

(102) ابن بطوطة، رحلة، بيروت 1964، ص. 655 نزل بليانة ومنها استقل سفينة : "وسرت حتى نزلت بجزيرة وسافر المركب المذكور إلى تونس فأستولى العدو عليه ثم سافرت في مركب صغير إلى قابس ثم ركب البحر إلى صفاقس ثم توجهت في البحر إلى بليانة ومنها سرت في البر فوصلت بعد مشقات طويلة إلى تونس والعرب محاصرون لها."

(103) عياض (طالبي) ص. 129-130.

(104) اللبيدي، ص. 43؛ عياض، III، ص. 535.

(105) M. Alacon y Santon et R. Garcin De Linares, Los documentos arabes diplomaticas del archivo de la corona de Aragon, Madrid 1940, p. 259, trad.p.264.

(106) البكري، ص. 20-21؛ اللبيدي، ص. 36؛ مقديش، II، ص. 257؛ ر. برنشفيك، I، ص. 341؛ ه.ر. إدريس، II، ص. 59.

(107) ابن حوقل، ص. 70؛ 29، I، F. Mahfoudh, op.cit,

(108) R. Mousterde, "Africains et Daces à Bostra", in Melanges de l'université de st. Joseph, 1942, p. 43-50

(109) مثلما تؤكد وثائق الجنيّة. انظر : F.Mahfoudh, I, p.292-30; Zouari, Les relations commerciales entre Sfax et le Levant, Tunis 1990, pp. 23-24, 82

(110) اللبيدي، ص. 33.

عهد عبد الله المهدي الذي اهتمّ باكرا بشؤون مصر¹¹¹ . ذلك أن هذه القاعدة (مثل كل دور الصناعة) لم تكن فقط ورشة لصناعة السفن بل كذلك مركزا للعيون والجواسيس¹¹² الذين يمكن لهم إستيقاء الأخبار بسهولة من هذا الميناء الذي يؤمّه التجّار المشاركة بأعداد وافرة. ويؤكد ما ذهبنا إليه نفي الأمير أبي الفتوح (صحبة زوجته بلارة) في عهد يحيى بن تميم (1108-1110 م) بقصر زياد قبل انتقاله الى الإسكندرية¹¹³.

ويذكر المالكي أن المهدي "أطرد كلّ المرابطين من قصر زياد" وحول قصوره الى مخازن ومساكن لعمال دار الصناعة، ولكنه أبقى على أبي جعفر القمودي خوفا منه. على أن هذا الأخير لم يتفطن إلى إخلاء القصر إلا بعد مدة طويلة لكثرة انشغاله بالعبادة.¹¹⁴ وتؤكد صيغة هذا الخبر أن الخليفة العبيدي لم يطرد كلّ المرابطين وأن عددا هاما منهم واصل الاعتكاف بقصر زياد¹¹⁵ الذي أصبح أهم قاعدة عسكرية جنوب المهدية. وعدّ العمرى (ق 14م) قصر زياد ضمن مدن افريقية الهامة¹¹⁶ ولكننا نشك كثيرا في صحة هذا الخبر. فقصر زياد - رصفة التي كانت بالفعل من أهم حواضر افريقية في العصر الفاطمي تحولت الى قرية صغيرة في العصر الحفصي¹¹⁷ نتيجة لتراجع الفلاحة والتجارة وكذلك انهيار البحرية (التجارية والعسكرية) ومؤسسة البريد¹¹⁸. وبعد أن كانت قاعدة بحرية تنطلق منها الأساطيل الفاطمية الغازية أصبحت في عهد بني حفص عرضة لحملات القراصنة الاسبان،¹¹⁹ لتتقرض بصفة نهائية في القرن السادس عشر الميلادي¹²⁰.

F.Dachraoui, op.cit., 140-142,147 (111

N.Djelloul, Fortifications I, p. 305 (112

(113) ابن الأثير، ص. 473؛ ابن خالكان، VI، ص. 215؛ ه.ر. إدريس، I، ص. 367

(114) المالكي، II، ص. 222.

(115) مقديش، II، ص. 296.

(116) العمرى، ص. 6.

(117) التيجاني، ص. 41؛ مقديش، II، ص. 296؛ ر.برنشفيك، I، ص. 341

(118) العمرى، ص. 27؛ القلقشندي، صبح الاعشي، القاهرة. 1913، V، ص. 148؛ N.Djelloul, Fortifica-

tions, I, p. 172

(119) مثل حملة الاميرال الأرجوني Berenger Fallona سنة 1303 الذي احرق مخازنها: انظر N.Djelloul, op.cit I, p.172 .

(120) Djelloul, op.cit, I, p.172

المرباطون

تذكر كتب الطبقات أنه "رابط بقصر زياد أربعة عشر من أصحاب سحنون"¹²¹، أشهرهم أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربّه الربيعي الزاهد (ت. 247 هـ / 861 م)¹²² الذي يعتبر من أكبر الفقهاء والمترسلين بالقيروان في القرن الثالث للهجرة. حفظ القرآن في حداثة سنه ثم سمع الفقه والحديث من أسد بن الفرات وسحنون. وكانت له مكاتبات اخوانية لم يبق منها سوى واحدة توجه بها إلى صديقه سحنون عند توليه القضاء.¹²³ وكان سحنون يزوره، باستمرار ويتبرك بدعائه ويلجأ إليه في المهمات من الأمور ويذكر عنه أنه كان رغم ثرائه "أزهد أهل زمانه". وكان "حصورا (لا يأتي النساء)" كثير الصدقة والمعروف، لم يكن للدنيا عنده قدر.¹²⁴ وكان إذا "جنّ الليل" قام إلى محرابه، فهو راكع وساجد إلى أن ينادي بالفجر. وكان السهر قد غيره حتى كأنه مبهور من طول القيام وسرد الصيام. وكان ممن لا يتوسد القرآن. فكان يهجع هجعة لطيفة ثم يشب كأنه قد ظل شيء فهو يطلبه.¹²⁵ وذكر أبو إسحاق السبائي أنه "بلغه عن سحنون أنه قال: ذكر لي عن عبد الرحيم أنه أقام ستة أشهر لم يشرب ماء، فأنكرت ذلك وهالني، فمضيت إلى قصر زياد فأجتمعت به وقلت له: اتصل بنا عنك وانتشر أنك اقامت ستة أشهر لم تشرب ماء، فقال: فلما أصبح الصبح سلّمت عليه وانصرفت، فلما نزلت على الدّرج من البرج صيح بي، فرجعت إليه فقال لي: سألتني عن شيء وكتمته عنك، فلما انصرفت حاسبت نفسي لك وقلت: لا أدعه ينصرف على غير صحيح فالذي قيل لك عني هو صحيح: لي ستة أشهر لم أشرب ماء وذلك أني كنت قائما أصلي، فأصابني عطش شديد، فلما سلّمت من الصلاة مددت يدي لأخذ القسط فأنقلب وذهب كل ما فيه من الماء، وكانت ليلة كثيرة الرّيح والبرد، والمأجل أسفل القصر. فكبر علي النزول في طلب الماء، فقلت: ياربّ إنّ هذا الماء شغلني عن حزبي فأحمل عني المؤونة. فأجابني صوت من زاوية البيت - ولم أر أحدا- وهو يقول: أصلحك الله، أنا من مؤمني الجنّ أصلي بصلاتك مدة من الدهر،

(12) عياض (طالبي) ص. 294؛ اللبيدي، ص. 9-10؛ مقديش، II، ص. 251.
 (122) مراجعه: ابن عذاري، I، ص. 113؛ عياض، III، ص. 95-99. وطالبي، ص. 158؛ أبو العرب، ص. 197؛ مختار العبيدي، ص. 35.
 (123) مختار العبيدي، نفس المرجع، ص. 35.
 (124) المالكي، I، ص. 423، 426.
 (125) نفس المصدر، I، ص. 423، 424.

فمرّ بنا في تلك اللّيلة شيطان مارد من شياطين الجنّ - وهم أضّرّ علينا ممّا هو عليكم نهرب بأدياننا منهم - فحسدك علي ما أعطاك الله عزّ وجلّ من طاعة، فرمي لك شيئاً من القسط، ولو شربته لعرض لك في جسمك شيء ليس لك به طاقة، فلما مددت يدك الى القسط سبقتك إليه فهرقته. قال عبد الرّحيم فأخلصت لله عزّ وجلّ فسألته فحمل عني مؤونة العطش. فنزل سحنون متقلّدا بسيفه ليركب دابّته فنظر اليه النّاس فقال لهم: وما تستعظمون من هذا؟ عبد سأل مولاه حاجة فقضاها له. ¹²⁶ وكان سحنون بن سعيد - الذي يملك بهذه المنطقة 12000 زيتونة - كثير التردّد علي قصر زياد. وإليه إلّجأ أبان "محنة الاعتزال" (القول بخلق القرآن). ¹²⁷ ورابط بقصر زياد أيضا ابنه محمد ¹²⁸ وجبله بن حمّود الصّدي ¹²⁹ وحاتم الجبنياني ¹³⁰ الذي رثي عبد الرّحيم بقصيدة "رائية" مطوّلة، خصّص قسمها الأوّل "لتمجيد خصال الميت التي منها الزهد والتقوى والإستقامة، وقسمها الثاني دعا فيه النّاس الى الإعتبار والإتعاظ والإعراض عن الدّنيا والرّغبة في الآخرة". ¹³¹ ويتّمي الى هذه الطبقة أبو الحسن بن الخلف، محمد بن علي بن عبد ربّه (من عائلة عبد الرّحيم)، أحمد بن أبي حبيب البلياني وأبو جعفر القمّودي. ¹³² ومن أصحاب سحنون أيضا محمد بن الأنباري

(126) المالكي، I، ص. 428. ومن أجابة دعوته أيضا "أنه نزل به فقير من الفقراء فلم يجد ما يقدّمه إلا قرصا من الشعير أعدّها لإفطاره، فأثر بها الفقير على نفسه فأثى بالقرص وقدّمه إليه وبقي هو بلا شيء، فقيل له: أصلحك الله، وما يكون منك، وأنت لا تقبل لأحد شيئا، وإنّما تأكل من حلالك الذي تعرفه؟ فقال لهم: إنّ الله تعالى لا يتركني بالجوع. فلما كان بعد ساعة مرّ رجل من سكّان المنستير ببرج عبد الرّحيم فسمع فيه كلاما فدخل على عبد الرّحيم فلم يجد عنده أحد ووجد بين يديه قرصا وتمرا، فقال له: تقدّم فكل، فقال له: سألتك بالله أصلحك الله من أين أتاك هذا؟ فلما أقسم عليه قال: أتاني به الخضر وقال: هذا التمر أتيتك به من أحداية. ويذكر عنه أنه "رأى ليلة من الليالي في منامه قائلا يقول له: كلّ من بات في هذا القصر مغفور له إلا صاحب التّليس. وقد بات في قصبة القصر تلك اللّيلة خلق كثير، فلما صلي عبد الرّحيم الصبح خرج وكان من شأن النّاس أن يودّعوه وهو في بيته. فنزل ذلك اليوم الى سقيفة القصبة فودّعه النّاس وسألوه الدّعاء، فتقدم إليه صاحب التّليس ليودّعه وقد خفّ الناس عنه، فقال له سرا... ما الذي صنعت؟ فقال أنا عبد مملوك أبقت من سيّدي، فقال له: يا بنيّ ارجع الى سيّدك وتب الي الله تعالى من ذنبك وأنصرف عنه. فرجع العبد الي سيّده: "المالكي، I، ص. 429.

(127) المالكي، I، ص. 426؛ عياض، IV، ص. 70-71 وطالبي، ص. 163؛ مقديش، II، ص. 251 "وصام بقصر زياد سحنون خمسة عشر رمضانا"؛ M.Talbi, Etudes, p. 192

(128) اللّبيدي، ص. 10؛ مقديش، II، ص. 263.

(129) عياض (طالبي)، ص. 164

(130) مراجعه: عياض (طالبي) ص. 163؛ المالكي، I، ص. 430

(131) مختار العبيدي، نفس المرجع، ص. 99-100.

(132) المالكي، I، ص. 222، 429؛ عياض (طالبي) ص. 395؛ مقديش، II، ص. 245، 247.

(الذي "نشر مصحافا ليقراً فيه فمات من خشبة الله" ¹³³، وثابت بن سليمان (ت. 289 هـ / 901 م)، ناسك وفقه سوسي، وهو من أساتذة محمد بن سحنون. ويذكر مقديش أنه يقال "إذا رأيت محمد بن سحنون يقول حدثني الثقة عن سحنون فهو ثابت بن سليمان" ¹³⁴. وكذلك يحيى بن زكرياء الأموي، ¹³⁵ صاحب أبي مصعب، ¹³⁶ الذي ينسب إليه تأليف في "فضل المنستير والرباط". وينتمي بدوره إلى عائلته أرستقراطية (سفياني) من قرطبة. ¹³⁷ وينحدر أيضاً من هذه الأوساط الأرستقراطية أبو العباس أحمد بن نافذ الوزير، صاحب بليانة. ¹³⁸ وكذلك الليث بن صفوان بن الحارث، من فقهاء سوسة، ¹³⁹ و"كان منقطعاً في الزهادة والإنزواء عن الناس فإذا كثروا عليه هرب". ¹⁴⁰ وكان الفقيه حمدون بن مجاهد الكلبي، أصيل قرية أولمش (ت. 321 هـ / 93 م) ¹⁴¹ يشتغل بالوراقة ¹⁴²، رغم كثرة تأليفه المتداولة في المشرق والمغرب. وكان "إذا انصرف من المحراب وجد موضع سجوده مبللاً بدموعه" ¹⁴³.

ومن قضاة إفريقية الذين كانوا يترددون باستمرار على قصر زياد نجد عيسى بن مسكين الإفريقي (ت. 295 هـ / 907 م) ¹⁴⁴. وكانت له قرية مازالت تحمل اسمه (سيدي عيسى) في هذه الناحية. ¹⁴⁵ ومن جلّه أصحاب ابن مسكين، أبو حفص عمر بن المثني، ¹⁴⁶ "مات وتركه صغيراً فرباه الشيخ الفاضل أبو الحارث ليث بن صفوان" ¹⁴⁷.

-
- (133) الليدي، ص. 55؛ مقديش، II، ص. 251.
(134) عياض (طالبي)، ص. 294؛ الليدي، ص. 9-10؛ مخلوف، ص. 73؛ مقديش، II، ص. 251.
(135) الليدي، ص. 10؛ المالكي، I، ص. 493؛ مخلوف، ص. 73؛ مقديش، II، ص. 251.
(136) أحمد بن أبي بكر بن زرار بن مصعب بن عبد الرحمن الزهدي، توفي بالمدينة سنة 242 هـ. ابن فرحون، الدياج، II، ص. 66.
(137) كان جدّ يحيى بن عمر الأندلسي عبداً لجدّه: المالكي، I، ص. 493؛ الليدي، ص. 9-10؛ عياض (طالبي)، ص. 232؛ مقديش، II، ص. 251؛ مخلوف، ص. 73.
(138) الليدي، ص. 55؛ مقديش، II، ص. 256.
(139) عياض، III، ص. 183 وطالبي، ص. 232-236؛ الليدي، ص. 9-10؛ مقديش، II، ص. 251.
(140) مقديش، II، ص. 262.
(141) المالكي، II، ص. 204؛ الليدي، ص. 46؛ عياض، V، ص. 147 وطالبي، ص. 420؛ مقديش، II، ص. 251.
(142) المالكي، II، ص. 203 «قال أبو بكر بن مسرة بن مسلم: قال لي حمدون: كتبت بيدي ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة كتاب ولعلّ الكتاب الذي أدخل به الجنة لم أكتبه بعد»
(143) المالكي، II، ص. 203؛ الليدي، ص. 46.
(144) المالكي، ؛ اليافعي، مرآة الجنان، II، ص. 244؛ أبو العرب، ص. 193-195؛ عياض (طالبي)، ص. 292؛ مقديش، II، ص. 244. 246.
(145) علي بعد 20 ميل شمال صفاقس: مقديش، II، ص. 246.
(146) مدارك، IV، ص. 627؛ مقديش، II، ص. 262.
(147) مقديش، II، ص. 262.

وكان أيضا من مرابطي قصر زياد. وكان ابن المثنى من "العلماء بالقرآن، يجيد قراءة ورش وكان مقداما في الإعراب ومعرفة النسخ والمنسوخ والخاصّ والعام والأحكام والتفسير والعربية والحساب والفرائض والفقه وكان منقطعا في العبادة، وكان أبو محمد الصدفي يقول : ما رأيت في إفريقية أعلم منه. لزم بعد وفاة مسرة بن مسلم سكن قصر زياد يؤمّ فيه ويطلب الناس عليه".¹⁴⁸ ورابط به من أصحابه مروان بن حبيب بن نصر أصيل شريانة ومحمد بن تميم.¹⁴⁹

وتتكوّن الفئة الثالثة من المرابطين من أصحاب أبي إسحاق الجبنياني الذي كان بدوره كثير الاعتكاف بهذا القصر. ومن أهمّ أصحابه الذين رابطوا ودفنوا بقصر زياد مسرة بن مسلم.¹⁵⁰ وكانت لزوجته قرية قرب القصر¹⁵¹، وكان يقيم به أيضا اخوته الأربعة (أبو يوسف، محمد، أحمد ويزيد) وكلّهم نسّاك وفقهاء. وكانوا - مثل الجبنياني - تلاميذ ابن عاصم الطرسى، وهو من نسّاك القصر.¹⁵² ومن أصحاب أبي إسحاق عيسى بن ثابت، وقال عنه الليبي "بت ليلة عنده فسمعتة قد طلع الى فراشه وهو يبكي وزوجته تعذله وتقول له : تبكي تصلي، وتبكي تمشي، وتبكي في فراشك أيضا. فقال لها : ولما لا أبكي واللّه ما بكى أحد علي ذنوبي غيري أبدا ثم غلبته العبرة فترك النوم وأحي ليلته. وكان مجاب الدعوة... واجتمع بالشيخ أبي محمد بن ابي زيد [القيرواني] وبأبي الحسن القاسبي فتذاكرا وبكيا حتي سقط كل واحد منهما علي ظهره. وكان الشيخ عيسى كثير قيام الليل ولا ينام إلا قليلا، وربّما غلبته الخشية فسقط على الأرض على وجهه من قيامه للصلاة فبخدش وجهه".¹⁵³ ومن أصحابه أيضا ابن المزيدي الذي اعتكف فيما بعد بقصر اللوزة¹⁵⁴، وأبو الحسن علي بن محمد المعافري وينسب إليه تأليف في "فضل الرّباط".¹⁵⁵ ومن جلة أصحاب أبي إسحاق أبو موسى المعلم، "سكن بقصر زياد في آخر عمره وبه مات. وكان كتب أسماء اخوانه ليخصّهم بالدعاء عنده غدوة وعشيّة ثم يدعو لسائر المسلمين. وكان إذا سمع بإمرأة

(148) نفس المصدر، II، ص. 262.

(149) نفس المصدر، II، ص. 257.

(150) الليبي، ص. 29؛ مقديش، II، ص. 256؛ عياض (طالبي)، ص. 396، 399، 420، 517.

(151) الليبي، ص. 29؛ مقديش، II، ص. 256.

(152) عياض، III، ص. 533؛ مقديش، II، ص. 248.

(153) مقديش، II، ص. 259.

(154) مخلوف، ص. 73؛ مقديش، II، ص. 259.

(155) عياض، IV، ص. 616.

فقيرة أرمل لا مال لها ولا جمال ولها أطفال فقراء تزوّجها ليربي أطفالها فإذا زوّجهم وقاموا بأنفسهم طلق أمّه".¹⁵⁶ وعيشون بن يزيد البكاء، و"كان كثير التلاوة والخشية وإطعام الطعام وإحياء الليل، مجاب الدّعوة... وكان يبكي حتي ذهبت أشفار عينيه وأتخذ الدّمع في خديّه أخذودا. وكان كثيرا ما يسكن بقصر زياد فيسكن في بيت في جوف المسجد، فيغلق باب المسجد وباب البيت إرادة ألا يسمع قراءته أحد. وكان حزين القراءة إذا قرأ ترك أهل الأحزاب احزابهم وبكوا لبكائه حتّي تصير كأنّها مناحة... وقال اللّبيدي دخلت علي الشيخ عيشون قبل موته بأيام يسيرة وهو مريض وحبل معلق من السقف عند رأسه فسألت ابنه ابراهيم عن الحبل فقال: يتعلّق به بالليل ويصلي. قالت زوجته ما نام معي على فراش قطّ، فإذا كان منه ما يكون من الرّجال مع نسائهم اغتسل وأحي ليلته".¹⁵⁷

وكان يتردّد على قصر زياد كبار فقهاء العصر الزيّري مثل ابن أبي زيد القيرواني¹⁵⁸ وأبو الحسن القابسي.¹⁵⁹ ومن أشهر مرابطي القصر في العهد الحفصي المرابطة أمّ يحيى مريم أصيلة قرية المنية¹⁶⁰ وصاحبة القطب أبي يوسف الدّهماني. ومن كراماتها ما ذكره مقديش: "قال: كنا ليلة عند المرابطة في البيت فضربت بيديها فبقينا ننظر فقالت: محمد البرزلي أتى من قصر زياد والأسد بالجابية أخشى أن يروّعه وإلاّ فما يرى منه بأسا ثم سكنت ساعة وقالت: قوموا افتحوا له الباب، فقمنا فوجدناه قرب الباب آتيا ونظرنا الأسد بالموضع الذي ذكرت لم يتحرّك".¹⁶¹

قصر - رباط جبنيانة

تقع بلدة جبنيانة علي بعد 37 كلم شمال - شرق صفاقس. وكانت تعتبر - رغم بعدها النسبي عن البحر - مركز مرابطة (قصر جبنيانة)¹⁶² مرتبطا ارتباطا وثيقا بقصر زياد.¹⁶³ ويبدو أنّ هذا التجمّع العمراني كان بدوره يتكوّن من مجموعة من الحصون لم يبق منها اليوم إلاّ منار مراقبة إسطواني مشيد بواسطة الحجارة المصقولة (ل. 59)

(156) اللّبيدي، ص. 53؛ مقديش، II، ص. 256.

(157) اللّبيدي، ص. 40-42؛ مقديش، II، ص. 245، 260.

(158) مقديش، II، ص. 259.

(159) نفس المصدر، ص. 259.

(160) في ضواحي جبنيانة وتسمّى حاليا السيدة، وربّما كانت هي أيضا مركز مرابطة.

(161) مقديش، II، ص. 293.

(162) المالكي، II، ص. 261.

(163) بجبنيانة قبور محمد بن يزيد وابن عاصم وهما من نساك قصر زياد.

يعود إلى العصر الأغلبي . وكان يتّصل في ذلك العهد بمنار قصر زياد الذي وصف آثاره جيران سنة 1862 (الحصن الإسطواني)¹⁶⁴ . ومثلما هو الشأن بالنسبة لأغلب مدن وقرى هذه الناحية، عرفت تراجعا كبيرا بعد الغزو الهلالي¹⁶⁵ إذا أن مصادر العصر الحفصي لم تشر إليها إلا بمناسبة الزيارات التي كانت تؤدي آنذاك الى مقام الولي الصالح أبي إسحاق الجبنياني (ت. 369 هـ)¹⁶⁶ . وترتبط بجبنيانة عدّة قصور أخرى مثل قصر النخيل¹⁶⁷، قصر شنقل،¹⁶⁸ طرس أسباط (أوطرش)، قرية ابن عاصم معلّم الجبنياني، بليانة¹⁶⁹ وقصر لييدة . ويبدو أن طرس أسباط كانت بدورها مركز مرابطة.¹⁷⁰

ويرتبط تاريخ جبنيانة ارتباطا وثيقا بعائلة الجبنياني، إذ كانت في العصر الأغلبي - مثل حسّانة وعدّة قرى مجاورة لها - ملكا لعلي بن سلم البكري¹⁷¹، وهو ما يجرّنا الى التساؤل حول وجود رباطات خاصة . وكان علي بن سلم - جدّ أبي إسحاق - ابنا لسحنون من الرضاع، فولاه قضاء صفاقس وسائر السّاحل . فلمّا مات ولي ابنه احمد خراج إفريقية، "ثم صار وزيرا، وكانت له بصفاقس ما ينيف عن الاربعين دارا،¹⁷² ولكن صادره - مثل بني نافذ - الفاطميون لمّا استولوا على عرش رقادة سنة 909 م . وعكس آبائه اشتهر أبو اسحاق بالنسك والعبادة، فلزم سكنى الرّباط (بجبنيانة) إلى أن توفي، ودفن شرقيّ القرية حيث يوجد ضريحه الذي اعيد بناؤه في العصر الحفصي . وقد خصّ اللّبيدي أبا إسحاق بترجمة تعتبر من أقدم مصنّفات المناقب في إفريقية¹⁷³ .

V.Guerin, op.cit, I, p.161 (164)

(165) ورد في "المسح الجغرافي لسواحل جنوب أيلة تونس" (مخط. المكتبة الوطنية بتونس، رقم 261) الذي قام به تلاميذ المدرسة الحربية بباردو سنة 1857 أن جبنيانة تعدّ "جامع خطبة، 11 زاوية ومقام، 70 منزل و8 معاصر زيتون" .

(166) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 342

(167) عبد الكافي، نفس المرجع، I، ص. 210 .

(168) شمال - غرب قصر النخيل، و«كان به مسجد للصلاة ومن شيوخه الحاج نصر بن ابراهيم حملة القادم من المغرب» . عبد الكافي، نفس المرجع، I، ص. 240 .

(169) ورثت هذه القرية المحصّنة مدينة رومانية نجهل اسمها (V.Guerin, I,p.161) وتسمّى حاليا سيدي احمد بن نافذ الذي تتوسط قبّته القرية، وهو من مرابطي قصر زياد في العصر الأغلبي . ونجهل إن كانت مركز مرابطة، ولكنها كانت مرتبطة بقصور الجهة وتواصل دورها كمحطة للمساحلة في العصر الحفصي، وهو ما يفسّر نزول ابن بطوطة بها في القرن الرابع عشر الميلادي . حول بليانة انظر: ابن عذاري، I، ص. 140، 141؛ المالكي، I، ص. 427؛ اللّبيدي، ص. 55؛ مقديش، II، ص. 266؛ ابن بطوطة، ص. 655؛ هـ. ر. إدريس، II، ص. 59 .

(170) مقديش، II، ص. 248 "طرس أسباط وينسب إليها ابن عاصم . . . وهو شيخ شهر بالعبادة والبكاء وإجابة الدّعاء . " كما ينتسب إليها أيضا أبي عبد الله محمد بن مالك الطرشي الذي سمّاه عياض ضمن شيوخ اللّبيدي . انظر: اللّبيدي، ص. 56؛ المقدسي، ص. 217، 56 .

(171) عياض (طالبي)، ص. 320؛ التيجاني، ص. 49؛ مقديش، II، ص. 266

أخذ أبو إسحاق عن عيسي بن مسكين الإجازة، وكانت أكثر دراسته بالسّاحل. على أبي عبد الله محمد بن سهلون الفقيه والزّاهد عبد الرحيم بن عبد ربّه¹⁷⁴. وكان رغم ثرائه "يلبس الصّوف من موضع يعرف أهله فلمّا تغيّرت الأمور صار يلبس من خرق المزابل ويأكل البقل البرّي والجراد إذا وجده... وقال أبو حفص عمر بن المثني : كلّ من أدركت بهذا السّاحل من عالم أو عابد كان يستتر وينزوي بدينه من بني عبيد إلّا أبا إسحاق فإنّه بائن... ويقول الشيخ أبو محمد بن أبي زيد : طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في هذا الوقت، وكان يعظّمه كثيرا ويقول : لم يكن أمر أو يس القرنى صحيحا فالجبنياني أويس هذه الأمة. وكان أيضا يقول : لو فاخرنا بنو إسرائيل بعبّادهم لفاخرناهم بالجبنياني".¹⁷⁵ وكان أبو إسحاق من أهل السنّة المتعصّبين "الذين مشوا في فتنة أبي يزيد"، كما كان يرفض تعليم القراءة لأبناء الرّافضة.¹⁷⁶ لكنّهم كانوا "يخافونه... ويروى أنه صلّى على ابنة مروان بن نصر، فرفع الأمر إلى السلطان معد. فأرتحل شيخ من كتامة مع سبعة في زيّ النّسّاك ليحبسوا اخوانه، فنزلوا في زيّ زوّار عند الشيخ عيشون بن زيد. فأختفى الشيخ الكتامي في المسجد خلف حصير كانت في مؤخره فلمّا جاء الشيخ أبو إسحاق أذن للمغرب وأقام وصلّى فخرج الكتامي من وراء الحصير فقال للشيخ : يا منافق على مولاي ألا تؤذّن حيّ على خير العمل ولا تقرّ باسم الله الرّحمان الرّحيم ولا تسلّم على النّاحيتين، ما لمولاي عدوّ مثلك... فدعا عليه الشيخ وقال : اللهم اجعله آية للعالمين، فطارت عيناه".¹⁷⁷ وكان قد رابط بجنبانية قبل أبي إسحاق شيخه أبو عبد الله محمد بن سهلون الفقيه¹⁷⁸ الذي عدّه أبي الفضل الممسي ضمن كبار علماء افريقية.¹⁷⁹ وتنسب إليه قرية ابن سهلون (معتمدية عقارب)¹⁸⁰. ويروى عنه أنّه "كان لا يخرج من بيته إلّا وقت الصّلاة ولو ضرب عليه الباب من شاء وكان يرى أهله وولده في السنّة مرّة واحدة، ثم يخرج عنهم

(172) التيجاني، ص. 80. ولنا أن نتساءل هنا عن معنى "الدّار" هل هي منزل عادي أو قرية

(173) انظر أيضا المالكي، II، ص. 471، 258، 261؛ مقديش، II، ص. 248-251.

(174) مقديش، II، ص. 248.

(175) مقديش، II، 253، 263.

(176) اللبيدي، ص. ؛ مقديش، II، ص. 269.

(177) اللبيدي، ص. 36؛ مقديش، II، ص. 257.

(178) المالكي، II، ص. 261. حول ابن سهلون انظر أيضا: اللبيدي، ص. 8، 31؛ البهلي النبال، الحقيقة

التاريخية، ص. 173-179.

(179) المالكي، II، ص. 261.

(180) تنسب إليه أيضا قرية سيدي سهلون (سهلول) الواقعة قرب سوسة.

لسياحته" .¹⁸¹ وروى أبو إسحاق السبائي قال "جئت مرة مع ابن سهلون من الساحل الي القيروان ليشتري لابنته ما يجهزها للدخول على زوجها . فأشترى لها ما تحتاج إليه من ذلك ثم خرج وخرجت معه ، فبينما نحن على الطريق التفت إليه فرأيته يشهق ويبكي ، فقلت له : مابالك ، فقال : تفكرت في بعد عهدي بالمصائب فخفت أن يكون ذلك استدراجا من الله عز وجل . قال أحمد : فما مشينا إلا يسيرا . حتى طلعت سحابة عظيمة فأمطرت مطرا وابلا وأفست جميع ما إشتري لابنته من جهازها ، فأقبل وهو يبتسم ويضحك ، وزال عن قلبه ما كان فيه من الشغل" .¹⁸²

قصر لييدة

تقع لييدة شمال صفاقس وكانت على غرار جبنيانة المرتبطة بها رباطا داخليا ، تحول بدوره إلى مركز تصوف في العصر الحفصي .¹⁸³ وقد رابط بها في العصر الفاطمي محمد بن يزيد (من أصحاب الجبنياني) صاحب القبة الظاهرة بها الآن¹⁸⁴ . ويذكر مقديش أنه حضر جنازته "قوم برؤيا رآها رجل صالح نام بعد صلاة الفجر يوم موته . قال : رأيت سليم بن عزوز ، وكان رجلا استشهد بقتله ظلما وكأنه راكب فرس ، فقلت له اين تريد ؟ قال لي : نحن جماعة الشهداء مع عمر بن عبد العزيز أذن لنا في حضور جنازة الرجل الصالح محمد بن يزيد" .¹⁸⁵ ويتسب إلى لييدة أيضا الفقيه والناسك أبي القاسم عبد الرحمان الحضرمي اللبيدي (ت. 440 هـ) مؤلف مناقب أبي إسحاق الجبنياني .¹⁸⁶

قصر برشانة

توجد أطلال برشانة قرب لييدة . وتذكر بعض حجج العهد العثماني قصر برشانة وشريفات برشانة ، مما يؤكد مرة أخرى الدور الديني الذي اضطلعت به الرباطات .¹⁸⁷

(181) المالكي ، II ، ص . 262 .

(182) نفس المصدر ، II ، ص . 263 .

(183) التيجاني ، ص . 83 ؛ مقديش ، II ، ص . 156 ، 261 ، 271 ؛ اللبيدي ، ص . 27-45 .

(184) مقديش ؛ II ، ص . 261 ؛ عبد الكافي ، نفس المرجع ، I ، ص . 205 .

(185) مقديش ، II ، ص . 261 .

(186) مقديش ، II ، ص . 271 « وله تأليف مسمى بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة (اختصار المدونة) . سمع عن الشيخ أبو الحسن القاسي وأبي محمد بن أبي زيد ، وسمع منه أبو عبد الله محمد بن سعدون وغيره من القرويين والأندلسيين ، ووجهه أبو الحسن القاسي لتفيقه أهل المهدية ، وأمتد عمره بعد أقرانه فحاز رئاسة العلم بالقيروان . وكان فاضلا فقيها ذكيا له اعتقاد في الصالحين يزورهم في الساحل ويبحث عن مناقبهم وأحوالهم" .

ووصفها التيجاني (في العصر الحفصي) بأنها "قرية صغيرة ذات قصور متفرقة" ¹⁸⁸.
ويذكرنا هذا البرنامج العمراني بتخطيط رباطات المنستير وقصر زياد وغردمار Gardamar
del Segura بالأندلس. ويبدو أن التسمية ذاتها قديمة ولها محتوى عسكري- ديني، إذ
يوجد أيضا بالأندلس حصن (قرية) برشانة (اقليم بجاية) ¹⁸⁹.

قصر الرقة (برزليس)

تقع أطلال الرقة (سيدي حامد) على بعد 50 كلم شمال- شرق صفاقس. وكانت
تدعي في العصر الأغلي برزليس لأنها وريثة مدينة Bararus الرومانية ¹⁹⁰. وكانت
بدورها رباطا متصلا بقصر زياد وجبنيانة وبرشانة. ومثل أغلب قرى الرباط، كانت
"منزلة" ¹⁹¹ للبريد الرسمي والمسافرين والتجار ترتبط بها سوقا نشيطة تعرف بسوق
الحسيني ¹⁹². وكانت توجد في هذه المنطقة الداخلية عدة قرى محصنة مثل بنطاي،
منزل مروان العابد وقصر الريح الذي كان محطة للبريد والمسافرين ¹⁹³. ويبدو أن حصن
برزليس قد انقرض في العهد الحفصي، ولم يبق قائما به إلا قصرا سماه التيجاني أم
الأصابع. وذكر بأنه "شيّد في سالف الزمن بنيانه وأحكم تأسيسه وإتقانه وجعلت أبراجا
مستديرة أركانه، إلا أن طول الزمن المتباعد قوّض أحد تلك الأركان من القواعد فتداركه
أربابها الآن ببناء لا مناسبة بينه وبين ماكان. وبتلك الأبراج المستديرة قبة تسمى أم
الأصابع لأنها بقيت لارتفاعها عما اتصل بها من البنيان كأنها أصابع قائمة" ¹⁹⁴ وتعتبر
الأبراج المستديرة من ميزات العهد الأغلي، ممّا يدفعنا الى تأريخ المعلم من هذه
الفترة رغم وجود هذه التقنية في العمائر الرومانية.

قصر بطرية

تعتبر بطرية (Acholla) من أهمّ مدن بوزاقية في العصر الروماني ¹⁹⁵. وتحوّلت في
بداية العصور الإسلامية إلى قرية محصنة (قصر) اندثرت بدورها في العهد الحفصي.

(188) التيجاني، ص. 67

(189) الإدريسي، ص. 106؛ مقديش، I، ص. 162.

(190) البكري، ص. حول حفريات Bararus انظر : R. Guery et H. Slim, Recherches archéologiques à Rougga, Paris 1980.

(191) التيجاني، ص. 66

(192) البكري، ص. 20-21؛ ه. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 59

(193) المالكي، II، ص. 262؛ البكري، ص. 20-21؛ ه. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 686

(194) التيجاني، ص. 66

(195) حول Acholla انظر : S. Gozlan, La maison de Neptune à Acholla, Paris 1990

وكانت قبل ذلك مركز مرابطة وهو حسب البكري " أشرف رباطات صفاقس ، وفيه منار مفرط الارتفاع يرقى إليه في مائة وستون درجة " . و يبدو أن هذا البرج الذي كان يستعمل في إرسال الإشارات الضوئية سابق لفتح إفريقية .¹⁹⁶ وتتصل ببطرية ينونش (ملولش الحالية) التي أصبحت عاصمة لرصفه في العهد الفاطمي ،¹⁹⁷ وهي نفسها قصر مليان الذي جعله الإدريسي على بعد أربعة أميال جنوب قبّودية .¹⁹⁸ ويؤكد طابعها المحصّن أطلال القلعة البيزنطيّة التي مازالت قائمة قرب البحر ،¹⁹⁹ أمّا قصر قناطة²⁰⁰ فيبدو أنّها تسمية جديدة أصبحت تطلق على بطرية في العصر الزيّري .

قصر - رباط اللّوزة

خلافًا لأغلب قصور المنطقة حافظت اللّوزة علي مكانتها العسكريّة في العهدين الحفصي والعثماني نظرا لجودة مرساها .²⁰¹ وكانت منذ العصر الوسيط الأوّل مركزا للرباط يحميه سور وقصبة ،²⁰² ولكن لم يبق من هذه الإستحكامات عند زيادة جيران لها (1862) إلّا برج مراقبة .²⁰³ ورابط بقصر اللّوزة أبو زكرياء يحيى بن المزيدي ، صاحب أبي إسحاق الجبنياني .²⁰⁴ وكان قبل اعتكافه بها " كتب في جملة البحريّين فرفع إلي المهديّة فوجّه الى الشيخ أبي إسحاق وعرفه أنّ الوقت وقت إستعانة فدعا له ، فكّ أسره من دار الصّناعة . فقال له الجبنياني : قد أجيببت دعوتك ولكن اعرف كيف

(196) البكري ، ص . 20 ، انظر أيضا : ياقوت ، V ، ص 87 ؛ الحميري ، ص . 366 ؛ هـ . ر . إدريس ، II ، ص . 59 ، 686 ؛ R. Cagnat, "Botria", in B.A.C, XL,VI, 1928-1929, p. 181 Ch. Tissot, *Geographie*, II, p. 86-88

(197) المالكي ، II ، ص . 257 ؛ ابن رشيق ، *الانموذج* ، ص . 123 ، 139 ؛ المقدسي ، ص . 20-21 ؛ مقديش ، II ، 553 .

(198) الإدريسي ، ص . 126 .

(199) N.Djelloul, *Fortifications*, I, p.308 ورد في مسح 1857 أن بها "مسجد خارب ومقام لسيدى مبارك البهلول ومقام لسيدى احمد الملوّشي ، وتسعة ديار ومعصرتان " .

(200) الإدريسي ، ص . 126 .

(201) حول اللّوزة انظر : S.R.A.F, "Le Village de Louza" Service Historique de l'armée de terre française, S.H.A.T, cart. MR 1323, D.31.

وفي مسح 1857 "بها جامع خطبة وحوطة لسدي احمد الشريف وسيدى الخافي وسيدى التركي وسيدى خليفة وسيدى عثمان وسيدى سعد ، وعشرة منازل ومعصرة ."

(202) الإدريسي ، ص . 126 ؛ البكري ، ص 20-21 ؛ حـ . حسني عبد الوهاب ، خلاصة ، ص . 77 ؛ ر . برنشفيك ، نفس المرجع ، I ، ص . 342 ؛ H.R. Idris, L. Lanfreducci et G. Bosio, *Costa ediscorsi*, p. 508 ; op.cit, II, p. 686; N. Djelloul *Fortifications*, I, p. 307

V.Guerin, op.cit, I, p. 145 (203

تستقبل نعمة ربك، فأعزل أبو زكرياء ولزم العبادة بمرسي اللوزة. وكان يسرد الصوم ويصيد بيده من البحر لقوته ويتصدق منه".²⁰⁵ ومما يذكر عنه "أن سلافة نزلوا عليه بمرسي اللوزة بشماع ففتحوا الباب، ثم قسموا بيوت المرابطين فأنتهبوا ما كان فيها حتى أتوا إلى بيت أبي زكرياء فوجدوه قائما في صلاته، فقطعوا صلاته وقالوا له: هات ما عندك من الودائع وإلا عذّبناك. فقال: اتقوا الله ولا يغرنكم حلمه فيكم ولا تتبعوا الشيطان، فقال بعضهم لبعض: هذا لا يجيئكم منه شيء إلا بالعذاب، قال: فجاءوا إليّ بخيط قنب ورفعوا مئزري ليلقوه في أنثاي.²⁰⁶ فلما رأيت البلاء قد نزل رفعت عينيّ إلى السماء وأنا أبكي وأتضرّع فقلت: إلهي ما هذا ظنّي بك، اعبدك ولا أشرك بك احدا تسعين سنة فتهتك ستري وتفضحني في آخر عمري، لا وعزّك ما هذا ظنّي بك. قال: فسقط الخيط من أيديهم وولّوا هاربين ما أخذوا من البيت شيئا. فقلت: اللهم لا تبق على الأرض منهم أحدا، فما أتى عليهم ثلاثون يوما حتى قتلوا كلّهم".²⁰⁷

قصر - رباط شريانة

توجد شريانة شمال شرق صفاقس، وكانت هذه القرية - الرّباط تتّصل إتّصالا وثيقا بسوق بدرنة (أو البدرانة).²⁰⁸ وقد رابط بها في العصر الفاطمي جماعة من اصحاب الجبنياني، مثل الناسك مروان بن نصر بن حبيب (سيدي مروان) وعيشون بن يزيد ومحمد بن يزيد.²⁰⁹ ورابط بها في العصر الحفصي مخلوف الشرياني المغربي، صاحب الشيخ عيّا ش الطّلبلي "قبل أن يستقرّ بأنشلة"²¹⁰. ويذكر مقديش أنه من "أكابر العلماء الصّالحين العاملين، له تخميس عظيم على بردة المديح".²¹¹ ولمخلوف الشّرياني أيضا مقام بخريبة خالد (العامرة حاليا)، وهي جزء من منطقة شريانة في العصر الوسيط.²¹²

(205) مقديش، II، ص. 263.

(206) انظر، تاج العروس، I، ص. 600.

(207) مقديش، II، ص. 264.

(208) اللّبيدي، ص. 36؛ مقديش، II، ص. 25-70؛ ه. ر. إدريس، II، ص. 45+.

(209) اللّبيدي، ص. 36؛ مقديش، II، ص. 257.

(210) مقديش، II، ص. 343؛ عبد الكافي، نفس المرجع، I، ص. 205.

(211) مقديش، II، ص. 343.

(212) جاء في مسح 1857 "بها جامع خطبة ومقام لسيدي أحمد الحزبي ومعصرتان و 23 منزلا".

قصر - رباط أنشلة (سيدي مخلوف)

تقع قرية انشلة (Usilla) الرومانية (على بعد 20 كلم شمال صفاقس . وكانت منذ القديم تتوسط شبكة هامة من الطرقات تصلها بأهم مدن المنطقة،²¹³ وهو ما جعلها تصبح مركزا للرباط (محصنا بسور خاص) منذ العصر الوسيط الأول.²¹⁴ ويذكر مقديش أنه «كان بمرسي انشلة شيخ يختلف الي المنستير في كل عام، فإذا رجع مرّ بأبي إسحاق الجبنياني فيقول له : أخوك أبو الحسين الكاشي [المرباط بقصر دويد بالمنستير]²¹⁵ يقرئك السلام فيقول له أبو إسحاق : أنت في ثغر فأولى بك سدّ ثغرك فلا تدعه وتمشي إلى المنستير. قال : فأتاه مرة فقال له مثل ذلك، فقال له الرجل : قد عرف بما قلت لي أبا الحسين، فقال : قل لأبي إسحاق : أتنهاني عن ذلك وأنت تعرف أن المنستير باب من أبواب الجنة؟ فقال أبو إسحاق : قل له يا أبا الحسن قد جاء في الخبر أن ما بين مصراعي الجنة كما بين المشرق والمغرب،²¹⁶ فنحن إن شاء الله تعالى بين مصراعي الباب، ليس المنستير وحدها مخصوصة بذلك".²¹⁷ وقد حافظت أنشلة على دورها الديني في العصر الحفصي، خاصة بعد أن انتقل إليها مخلوف الشرياني الذي أصبحت تحمل اسمه.²¹⁸ ويبدو أن زاوية هذا الولي تحتل مكان مرقب أغلبي ولكن لا يوجد أي أثر للأبراج التي ذكرها جيران سنة 1862²¹⁹.

قصر قزل (سيدي منصور)

توجد قرية سيدي منصور على بعد 11 كلم شمال صفاقس . وقد عثر بهذا الموقع على مجموعة من المنشآت المسيحية، خاصة آثار بازيليك مزودة بحوض

(213) P. Salama, op.cit, p. 41

(214) الإدريسي، ص. 126؛ ه.ر. إدريس، II، ص. N.Djelloul, Fortifications, I,p.

(215) المالكي، I، 451، 455؛ II، ص. 225، 434-435، 461

(216) جاء في الحديث "إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة : ذكره السيوطي في الجامع الصغير : انظر : المناوي، فيض القدير، II، ص. 519

(217) مقديش، II، ص. 257

(218) مقديش، II، ص. 343؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، ص. 342.

(219) R. Cagnat, "Bautia", p.88; V. Guerin, op.cit, I,p. 153. في حين حافظت الزاوية على أعمدتها المجلوبة من عمائر رومانية. وجاء في مسح 1857، ص. 72 « قبله الخريبة جامع يسمى جامع انشلة كان في الزمان القديم جامع خطبة. وإلى الآن مازال بأركانه الأربعة، وله تسمع عشر سارية من الرخام. والسوّاري التي بالركن الشرقي والقبلي والجوفي، كل يوم جمعة ترشح بالماء. وبازائه سيدي مخلوف ومقام لسدي عبد الله، والفاصل خربة قلوس. »

تعميد.²²⁰ وجاء في نزهة الأنظار أن قصر قزل الذي ذكره الإدريسي.²²¹ "هو المسمّى بقصر عمّار إسم رجل كان يحرسه واليوم صار مشهورا بسيدي منصور الغلام لأن ضريحه تحت القصر المذكور"²²². وخلافا لما ذهب إليه مؤرخ صفاقس يتّضح من كلام الإدريسي أن هذا القصر - الرّباط كان بدوره قرية محصّنة ، تماما مثل قصور مقدمان (مجدونس) ومحارس أبي الغصن والريحانة التي كانت توجد في هذه المنطقة.²²³ وإثر انقراض القرية قام الحفصيّون بترميم أحد الأبراج القديمة وحوّلوه الى قلعة صغيرة (برج كرك أو برج سيدي منصور). وتسمّى هذه القلعة أيضا الناظور لأنها كانت في العصر العثماني "كالمنازة يعسّ بها على البحر كمنازة سيدي عبد الله بالشّابة".²²⁴ ويعود احداث البرج الأوّل إلى الفترة الفاطميّة - الزيّريّة، وهو معلم يبلغ محيطه 26،90 م (في حين لا يتعدّى ارتفاعه الحالي 7 م) مشيّد بواسطة الغشيم الذي تغطيه الحجارة المصقولة (ل. 59). وبجواره توجد زاوية سيدي منصور الغلام التي تحتلّ مكان حصن رابط به هذا الناسك في العصر الحفصي.²²⁵

الشريط الساحلي من صفاقس إلى مقدماس

رغم تكاثر السّباح بهذه المنطقة فإنّها كانت في العصر الوسيط الأوّل تمتاز بأزدهار فلاحتها وتعدّد القرى المحصّنة (قصور)، التي كانت بدورها محميّة بواسطة مجموعة من المحارس المنعزلة والمراصد. وذكر الإدريسي أنه كان يوجد (من الشمال الى الجنوب) : قصر صفاقس ، "ومنه الى طرف الرّملة أربعة أميال، الى قصر بلقة عشرة أميال ، الى قصر تنيدة ثمانية أميال، إلى قصر الرّوم أربعون ميلا، الى قابس خمسة وسبعون ميلا".²²⁶ وذكر

(220) انظر : Massigli, in Melanges de l'Ecole française de Rome, 1912, p. 3

(221) الإدريسي، ص. 126

(222) مقديش، II، ص. 138

(223) الإدريسي، ص. 126؛ البكري، ص. 20

(224) مقديش، II، ص. 333 انظر أيضا : V.Guerin, op.cit : I,p.146

(225) مقديش، II، ص. 333، 341، 347 "الوليّ سيدي منصور الغلام ذو الكرامات المشهورة والفضائل المأثورة". وفي ترجمة على الكراي (معاصر لأحمد بن عروس : ق 15م)، ص. 333 "أراد الشيخ الزّواج وجمع مقدار صداقه، فلمّا مرّ بضريح سيدي منصور ببرج قزل سمع صوتا خلفه يناديه فألقت فرأى شخصا يسوق شياها فإذا به الشيخ منصور الغلام"

(226) الإدريسي، ص. 127، مقديش، II، ص. 138 "ومن صفاقس إلى حدّ الرّملة أربعة أميال، ومن طرف الرّملة راجعا من جهة الجنوب وهو أوّل الجون الى قصر المجوس (وهو الكبلّة) أربعة أميال، ومنها الى قصر ينقة الى قصر تليدة ثمانية أميال ومنه الى قصور الرّوم أربعة أميال، ومن قصور الرّوم الى قابس أربعة وسبعون ميلا"

البكري : " من قابس الى عين الزيتونة، وهي عين جارية علي بحر ميّت، عليها مرصد لجابي إفريقيّة، ومن عين الزيتونة الى تاورقي وهو منزل عامر في طرف ساحل الزيتون . ومن هناك الى غافق وهو بلد معمور، ومنه الى صفاقس " . وأضاف الى هذه القائمة طينة ومقدماس وقصر الرّيح.²²⁷ ومن قرى صفاقس أيضا: النّاصريّة، قرقور وفريانة²²⁸. أمّا التيجاني (ت. 14م) فإنه لم يشر إلّا الى قصور طينة، نقطة، المحرس ومحطة المباركة.²²⁹

قصر - رباط نقطة

تقع قرية نقطة علي بعد 10 كلم جنوب صفاقس. ويدلّ الأطلس الأثري أن هذا الموقع (تماما مثل قرقور المجاورة)²³⁰ كان معمورا منذ العصر الروماني.²³¹ كما تؤكّد كثافة الأضرحة²³² الدّور الدّيني الهام الذي لعبه الرّباط الذي بعث خلال العصر الوسيط الأوّل. وذكر التيجاني أنّ "نقطة قصر عامر، ويقال أنّ جماعة من أصحاب الصّوفي معروف بن فيروز الكرخي (ت. ببغداد سنة 200 هـ) رابطوا فيه وماتوا فقبورهم هنالك"²³³. كما أشار العبدري (ق. 13م) إلى وجود "أناس صالحون يعوفون بأولاد رقيق"،²³⁴ ومنهم النّاسك محمد الرّقيق أبو عكّازين،²³⁵ دفين المسعودة.²³⁶

وتوجد في نفس المنطقة أطلال مدينة طينه Thinae السّاحلية (علي بعد 11 كلم من صفاقس). وهي مدينة قديمة بقيت إلى اليوم أسس سورها الممتدّ على طول ألفين

(227) البكري، ص.

(228) هـ.ر. إدريس، نفس المرجع، ص. ؛ N. Djelloul, Fortifications, I, p.

(229) التيجاني، ص. 84

(230) اخلت قرقور من سكّانها في القرن الخامس عشر الميلادي لفائدة مدينة صفاقس (مقديش، II، ص.

142-144؛ برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 342.

A.A.T, feuille Nakta (231

(232) ورد في مسح 1857 (ص. 68). "بها جامع خطبة يسمي جامع سيدي يعقوب، وبها سبعة مقامات (سيدي فرج، سيدي عبد الله غريب...) وزاوية لسيدي محمد بوعكازين وتسعة ديار"

(233) التيجاني، ص. 84.

(234) العبدري، رحلة، ص. 207؛ برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 393.

(235) من رجال القرن السابع للهجرة (14م). مقديش، II، ص. 344 "أخذ الطريقة عن أبي يحيى القرقوري، وكان خطيبا، فلما جاء العيد سأله أهل المحرس أن يخطب لهم و يصلي بهم العيد فأبى أهل قريته"

(236) تقع شمال نقطة. وعلي بعد عشرين كيلومتر من الناحية الغربية من صفاقس انبعث في القرن الرابع عشر الميلادي مركز صوفي آخر تحت رعاية أبي إسحاق ابراهيم بن فضل بن سباع الدّوادي (من أولاد صولة) المشهور بصيد عقارب. ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 343.

وخمسة مئة متر. ويتميز بأبراج نصف دائرية موزعة على مسافات متساوية.²³⁷ وعرف التيجاني طينة "بأنها قصر عامر"²³⁸ ولكن لا يبدو أنها كانت مركزا للمرابطة.

رباط المحرس

تقع بلدة المحرس على بعد 35 كلم جنوب - غرب صفاقس (طريق قابس). ونشك كثيرا في رواية مقديش الذي ذكر أن المحرس هي ذاتها محرس علي الذي أحدثه علي بن سلم البكري في العهد الأغلبي²³⁹. وخلافا لهذا الحصن الذي أصبح يعرف فيما بعد بالمحرس الجديد،²⁴⁰ يبدو أن المحرس الحالية كانت في أول أمرها مجرد قلعة معدة لايواء مجموعة صغيرة من المرابطين، قبل أن تتحول الي قرية - رباط محصنة²⁴¹. وقد وصف التيجاني (في العصر الحفصي) المحرس بأنها "قصر قديم البناء سام للسماء ينسب بناؤه الى ابن الأغلب. وإلى هذا الحصن يلجأ جملة أهل تلك القصور إذا وصل إليهم عدو واضطروا إلى قتال، ويقال ان الميورقي [ابن غانية] اجتاز عليه وأراد محاصرته ففتح أهله باب الحصن ووقفوا دونه يقاتلون فعلم أنه لا مطمع له فيه فتجاوزه الي غيره ولم يعرض له. وأهله قوم من هوارة كانوا ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بني خيار فأجلتهم العرب منها فأنقلوا إلى هذا الحصن، وكان مسجدا خاليا للعبادة والرباط فإبتنوا ديارا إلى جانبه وجعلوا علي الجميع سدا. وقد اجتزت علي القصور المذكورة المعروفة ببني خيار فرأيتها خالية خربة وهي في جبال مسلاته من شرقي طرابلس".²⁴²

ويؤكد الإدريسي ما ذهب إليه التيجاني،²⁴³ مما يجعلنا نؤرخ لإحداث القرية المحصنة بسور من الطوب (سد) بداية من القرن السادس للهجرة (12 م). وكانت طيلة

(237) حول سور طينة انظر : N. Djelloul, op.cit, I, p. 310

(238) التيجاني ، ص. 84 ؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 343،

(239) مقديش، II، ص. 346؛ عبد الكافي؛ نفس المرجع، I، ص. 210؛ ه. ر. إدريس، II، ص.

(240) اللبيدي، مناقب، ص؛ عياض (طالبي)، ص. 320؛ ه. ر. إدريس، II، ص. 62

(241) ورد في مسح 1857 (ص. 70) "بها جامع خطبة ومسجد و 13 مقام وزاوية (سيدي البساكري، سيدي مغيث، سيدي محمد الحشاني، سيدي سهلول) و 60 دارا. *

(242) التيجاني، ص. 85

(243) الإدريسي، ص. 127 انظر أيضا : العبدري، ص. 126؛ البكري، ص. 20؛ عبد الكافي، نفس المرجع،

I، ص. 210؛ ه. ر. إدريس، II، ص. 456؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 342؛ N. Djelloul, For-tifications, I, p.

العصر الحفصي من أهم القواعد العسكرية الموجودة جنوب صفاقس، فمارمول كرافجال (ق 16 م) يذكر بأنها "مدينة حصينة وحارسة صفاقس" ²⁴⁴ كما أثني دوفال P.Duval (1646م) علي "جودة سورها ومناعة قصبتها" ²⁴⁵. أمّا الحسن الوزان فقد كتب بأن "قصر المحرس قصر بناه الأفارقة في عهدنا هذا عند مدخل خليج قابس وكأنه شيد لحراسة هذا الخليج من هجمات سفن العدو. يقع على نحو خمسين ميلا من جزيرة جربة ويحميها من هجمات سفن العدو. وينسج سكّانه بعض الأقمشة الصّوفية وكثير منهم بحارة وصيّادون، يتّجرون مع جزيرة جربة ويتكلّمون جميعا بنفس اللهجة الإفريقية التي يتكلّم بها أهل جربة. وحيث أنهم لا يملكون أيّة أرض زراعيّة ولا أيّة ممتلكات فلاحية فإن من لا يشتغلون منهم بالنسيج لا يقتاتون جميعا إلّا من العمل في البحر" ²⁴⁶. وكانت المحرس في العصر الحفصي سوقا ومرسي للقرى المجاورة ²⁴⁷، ويعدّ ذلك تواسلا للوظيفة التي كانت تؤديها في العهد الأغلبي. كما تحوّلت - مثل أغلب الرّباطات - إلى مركز صوفيّ، وينسب إليها الشيخ منصور بن عبد الله القرقروري (من رجال القرن 11 هـ / 17 م) و"الوليّ" أبي الغور سعيد حريز (ت. 1199 هـ / 1785) ²⁴⁸. وتوجد قرب المحرس جزر الكنائس (بصيلة) المعروفة في العهد الحفصي لدي الأوروبيين بأسم جزر فريسول ²⁴⁹. وتدلّ الخارطة الأثرية (ورقة المحرس) علي كثافة الآثار الرّومانية بهذه المنطقة الإستراتيجية، ممّا دفع المسلمون الأوائل إلى إقامة قصر بطرفها (قرب وادي المالبطن) : قصر تليدة (أوتنيدة)، وذلك لتدعيم رباط المحرس ²⁵⁰. ومن آثاره النّاظور الإسطوني الأغلبي الموجود على بعد 7 كلم جنوب السخيرة ²⁵¹.

ويعتبر جورج مرسية أنّ السور الخارجي لجامع المحرس الحالي هو ذاته سور الرّباط الأغلبي، نظرا لوجود المدخل البارز والأبراج الدّفاعية ²⁵². وإذا كان محقّا في تأريخ هذا السور من القرن التاسع الميلادي، فإنّنا نشكّ كثيرا في نسبته الي المعلم الأولي. وإلى

Marmol, Description, II, p. 536 (244)

P.Duval, carte, p.53 (245)

(246) الوزان، II، ص. 92.

(247) العبدري، ص. 126؛ مقديش، II، ص. 313؛ برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 343.

(248) مقديش، II، ص. 346-454.

(249) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 343.

(250) مقديش، II، ص. 138.

(211) البرج الأحمر. انظر (N. Djelloul, Fortifications, I, p.313)

(252) G.Marçais, Architecture, p.32, S.M.Zbiss, C.R.AI., 1954, p. 145; A.Lezine, Architecture, p.102

هذه الفترة يعود أيضا أحداث الماجلان. ويوجد الأول داخل المسجد، وهو يتألف من "بلاطتان" طوليتان مسقوفه بأقبية نصف دائرية، متصلة بواسطة خمس فتحات. ويوجد الماجل الثاني علي بعد 200م، ويتركب أيضا من مجموعة من الخزانات الصغيرة. وتحمل أقبية المتقاطعة مجموعة من الدعامات الصليبية الشكل، وهي هندسة تستمد أصولها من خزان الرملة بفلسطين الذي يعود أحداثه الي سنة 789م.²⁵³

قصر - رباط يونقة

توجد آثار مدينة يونقة (أو المسعودة كما يسميها مقديش) على ساحل البحر، علي بعد 10 كلم جنوب المحرس.²⁵⁴ وتتوسط هذه الخرائب عدة معالم إسلامية مثل القلعة (البرج) وبعض فسقيات العصر الوسيط الأول التي تشبه هندستها هندسة مواجل القيروان و صفاقس والمحرس.²⁵⁵ وتؤكد آثار "مصنع" المصبرات الدور البحري والتجاري الذي لعبته في العصر الروماني.²⁵⁶ علي أنه خلافا لما ذهب إليه جورج مرسية G.Marçais ولويس بوانسو، L.Poinssot فإن يونقة لا توافق موقع مقدماس الصغري Macomades Minus²⁵⁷، وإنما تعتبر ورثة مدينة يونشي سوفيانا Iunci Sofiana الرومانية (ومنها يونقة العربية)، وهو ما تبرزه نقيشة بيزنطية (تم العثور عليها في سيدي غريب، 12 كلم غرب يونقة) تؤرخ بناء سور المدينة أيام الإمبراطور يوستنيان Justinien (ق. 6 م).²⁵⁸ وتؤكد رحلة الإدريسي، وكتب الطبقات، أن هذه المدينة المحصنة بسور (قصر - حصن يونقة) لم تنقرض إلا في بداية العصر الحفصي.²⁵⁹ كما أن وجود الميناء يؤكد تواصل النشاط التجاري والصيد البحري. وهي ذاتها رباط يونقة أو حصن يونقة الذي يعود بعثه الي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (8م)، مما يجعل منه أقدم حصون إفريقية،²⁶⁰ إذ رابط به أبو خارقة عنبسة بن خارقة الغافقي

K.A.C.Creswell, Early muslim architecture, II, p. 161-164, G. Marçais, Architecture, p.39. (253)
L. Barry, "Notes sur les ruines de Yonga," in B.A.C, III, 1885, p. : (254) حول آثار يونقة انظر خاصة :
320-325; L. Poinssot, "Macomades", in M.S.A.F., 1945, p. 133; G. Marçais, Architecture, p. 34; N. Djelloul, Fortifications, I, p. 311-313

L. Barry, op.cit, p; 323 . (255)
P.Trousset, " La pêche au Maghreb dans l'Antiquité", in La pêche cotière en Tunisie ; Cahiers (256)
du C.E.R.E.S, Tunis 1995, p.33.

L.Poinssot, op.cit, p.133; G.Marçais, Architecture, p.34. (257)

D. Pringle, Défences, I, p. 202-203 (258)

(259) الإدريسي، ص. 127؛ المالكي، I، ص. 243؛ عياض (طالبي) ص. 80.

F. Mahfoudh, op.cit, I, p. 163, 187 (260)

(124-210 هـ / 742-825 م) . ويذكر عياض أنّ هذا النساك تولّى بنفسه بناء المسجد الجامع (حوالي 161 هـ / 777 م) ، وكان " فيه نحو عشرين سارية عظاما ، فقالوا له : من يرفع هذه السّواري ؟ قال : الذي خلقها ، فأصبحت السّواري مرفوعة ورؤوسها عليها " .²⁶¹ كان أبي خارجة يقيم في منزل خاصّ يوجد خارج الأسوار ،²⁶² ممّا يؤكد مرة أخرى أن الرّباطات لم تكن كلّها قلاعا صغيرة .

وإثر انقراض المدينة اكتفى الحكام الحفصيون ، ثم الأتراك من بعدهم ، بصيانة البرج (قصة الرّباط ؟) . وقد استعمل خاصّة لإيواء حامية عهد إليها بحماية ميناء صغير (صقالة) يعود أحداثه الى العهد القديم .²⁶³ ويشكّل البرج (المرقب) بناية غير متناسقة الأضلاع (40م × 5م ، 37م) تدعّم جدرانها وأركانها مجموعة من الأبراج الدّفاعية . وتوجد البوّابة الرئيسيّة (الواجهة الشماليّة) ضمن برج طولي بارز (7م × 75م ، 4 م) ، وتؤدي ، بواسطة مدخل متعرّج ، الى باحة سماويّة يتوسّطها ماجل . كما يتخلّل الواجهة الجنوبيّة باب غدر (باب سرّي : Poterne) تحميه سقّاطة . وذكر برّي Barry أنّ آثار طابق علوي كانت بارزة للعيان سنة 1885 .²⁶⁴ ويبلغ ارتفاع الجدران عشرة أمتار ، في حين يتراوح سمكها بين متران وثلاثة أمتار ، وقد شيّدت في أغلب أجزائها بواسطة الحجارة المنقوشة ، عدا بعض التّرميمات المتأخّرة (الفترة الحفصيّة) التي وقع اللّجوء فيها الى اللّبن (الطوب) . ونلاحظ في قاعدة السّور وجود نتوء مدرّج *empattement à gradins* ، مخصّص لأرتداد النّبال ، على غرار ما نجده في إستحكامات صفاقس والمهدية الفاطميّة . أمّا الأبراج فهي مثمّنة في الشمال (قطرها : 5م ، وإسطوانية (قطرها : 5 م) في الجنوب - الشرقي . أمّا البرج الجنوبي - الغربي ، الإسطواني الشكل ، فهو يعلو قاعدة مثمّنة . وتحمل ممشي العشة حنيّات نصف دائرية تشبه الأشكال الزخرفية التي نجدها في الفنّ الفاطمي . إنّ وجود هذه الحنيّات وكذلك الأبراج المثمّنة والنتوء المدرّج يجعلنا نؤكد أنّ أغلب أجزاء هذا المعلم تعود الى الفترة الفاطميّة - الزيريّة ،

(261) عياض (طالبي) ص . 80

(262) نفس المصدر ، ص . 80 : " قال ابن مسكين : كان عندنا رجل له تابع " فقال يوما : لأخوفنّ أبا خارجة . فنهاء صاحبه ، فقال : لأفعلنّ . فلما كان في الليل ركب أبو خارجة الى منزله ، فلقية خيال ، ثم عرض له شخص ، فقصده أبو خارجة وجعل يضربه وهو يفرّ منه ويصيح حتى غاب في الزيتون ، فذهب أبو خارجة . فأتى التابع صاحبه وهو مروّع لما به ، فأخبره فقال : قد نهيتك .

(263) مقدّش ، II ، ص . 242 ; R.Brunschvig, op.cit, 242 ; L.Barry, op.cit, p.320 ; V.Guerin, op.cit; I, p. 311 ; N.Djelloul, Fortifications I, p. 311-31

L.Barry, op.cit, p. 321 (264)

ولكن هذا لا يمنعنا أن نفترض أنه عوّض استحكاما أقدم منه احدث في العصر الأغليبي.

ويستمدّ حصن يونقة شهرته من وجود الفقيه والأديب أبي خارجة عنبة بن خارجة الغافقي (الذي مازال ضريحه يوجد قرب البرج : سيدي أحمد عنبة)²⁶⁵ الذي خصّه محمود سيالة الصّفاقسي بكتاب مناقب. ²⁶⁶ ويذكر مقديش أنّه "أول من اجتمع بمالك من أهل إفريقية" ²⁶⁷، وعدّه المالكي من رجال الطبقة الثالثة (مع عبد الله بن غانم وعلي بن زياد العبسي والبهلول بن راشد). وكان قد تتلمذ في المشرق على سفيان الثوري وسفيان بن عينة والليث بن سعد واليسع بن حميد وآبن وهب ورشدين بن سعد والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي. وسمع منه في المغرب البهلول بن راشد وسحنون بن سعيد وعيسي بن مسكين. ²⁶⁸ وكان "ينطق بالحكمة" وعالما بالعربية و«عبارة الرؤيا» ²⁶⁹ و"باختلاف العلماء وإتفاقهم، ولكن أكثر اعتماده على مذهب مالك الذي كان يروي عنه غرائب لم تكن عند غيره". ²⁷⁰ وهو ما يفسّر تحامله علي القدريّة والمرجئة. ²⁷¹

وكان أبا خارجة كثير التردّد على رباطات سوسة، ²⁷² ومّا يذكر عنه أنّه "نزل في طريق سوسة فأستلقي ثم قال لأصحابه : يأتيكم الساعة رجلان يسألان عن شيء فيسمعان ما يكرهان، ومعها طعام تأكلونه انتم ولا آكله أنا. وإذا برجلين على بغلة، فسألا عن الشيخ فقالا له : رجل له عجل

(265) مراجعه : عياض ، II ، ص . 486 وطالبي ص . 78-82 ؛ المالكي ، I ، ص . 241-247 ؛ ابن فرحون ، ص . 168 ؛ أبو العرب ، ص . 150 ؛ لسان الميزان ، IV ، ص . 381-382 ؛ مقديش ، II ، ص . 107 ؛ مخلوف ، ص . 62-63 ؛ مختار العبيدي ، ص . 78 .

(266) دار الكتب الوطنية ، مخط . رقم 19269 .

(267) مقديش ، II ، ص . 242 .

(268) المالكي ، I ، ص . 241 ؛ عياض (طالبي) ، ص . 78 .

(269) المالكي ، I ، ص . 241، 245 ؛ عياض (طالبي) ، ص . 78 ؛ مختار العبيدي ، ص . 78 .

(270) المالكي ، I ، ص . 247 .

(271) نفس المصدر ، I ، ص . 241-244 « وفي بعض ما يتّصل عنه من الإسناد، يرفعه إلي مالك عن نافع عن عمر، أنه سمع النبي (صلع) يقول : ما بعث الله نبيا قبلي فأجتمع عليه أمر أمته إلا كان فيهم قدرية ومرجئة يوسوسون أمر أمته من بعده . إلا إن الله لعن القدريّة والمرجئة علي لسان اثنين وسبعين نبيا وكان أبو خارجة كثيرا ما يقول : لا تمرّ الليالي والأيام حتي تمحي كتب ابي حنيفة من افريقية ، فكان كذلك محاها الله بسحنون " .

(272) المالكي ، I ، ص . 245 ؛ عياض (طالبي) ، ص . 79 .

رأي في المنام أنّه يخالفه الي خمير عنده يأكله، فقال أبو خارجة : له عبد خلاسي يخالفه إلى أهله. فقال أحد الرجلين للآخر : معنا شيء من زادنا، فأخرجنا خبز شعير ودجاجا وزيتونا، فأكل من حضر، ولم يأكل هو منه، إذ كانت به بعض أرواح يضرّ بها هذا الطعام".²⁷³ ويذكر عنه أيضا أنّه "صلى ليلة في مسجد إستضافه أهله، فبينما هو يصلي نظر إلى ركن المسجد إلى شيخ قائم يصلي. فلما سلّم أبو خارجة استلّ سيفه فهزّه وقصده وهو يقول: أعلي تجهر؟ فلما، رأي عزمه انقمع منه، فإذا به إبليس اللعين، أراد أن يلبس عليه صلاته ويدخل عليه الفتنة فحمّاه الله عزّ وجلّ منه".²⁷⁴ ومثل أغلب المرابطين كان أبا خارجة "مستجاب الدّعوة"،²⁷⁵ وكانت تذكر عنه أعاجيب بالانذار بالحوادث التي تحدث في آخر الزّمان، وكانت عنده في ذلك أحاديث يرويها عن شيوخه، ومن عنده أخذها عيسى بن مسكين".²⁷⁶ وروي المالكي - على لسان سليمان بن محمد الأندلسي والحسن بن نصر السوسي والنصر بن خالد - "أن سكّان صفاقس وغافق [المجاورة] أصابهم عطش وأجدبوا ونزل بهم القحط والجهد، فأتوا إلى أبي خارجة عنبة فقالوا : نزل بنا الجوع والقحط فأستق لنا : فقال لهم : تأتون غدا بيناتكم وصبيانكم وبهائمكم وتبيتون الصيام اللّيلة، فإذا كان اللّيل فقفوا بين يديه وتضرّعوا إليه واعراضوا أعمالكم عليه فإنّه يرقّ لحالكم. ففعل الناس ذلك، وأجتمعا من كلّ مكان من الغد" وخرج بهم أبو خارجة فصلي بهم صلاة الإستسقاء ثمّ خطب بهم، ثمّ جلس إلى صلاة الظهر، وأشدّ الحرّ عليهم فصاح الأطفال والبهائم من شدّة الحرّ، فقام أبو خارجة وصلي بهم

(273) عياض (طالبي)، ص. 80.

(274) المالكي، I، ص. 244.

(275) عياض (طالبي) ص. 82؛ المالكي، I، ص. 243، 243 "كان أبو خارجة يقول : اللهم أمتني قبل أن يخرج من هذا الوجه قوم ينبحون نباح الكلاب. قيل له : تريد من هذا المغرب، نحو أرض البربر؛ فقال نعم. قال : فبلغني أنّه مات قبل أن تشتجر الحرب. وكان ذلك أيام منصور الطنبذي [209 هـ]."

(276) المالكي، I، ص. 244؛ عياض (طالبي) ص. 79 "قال ابن حارث : سمعت كثيرا من الناس يحكون عن أبي خارجة عجائب من الأخبار والوصف لما لم يكن، فيكون ذلك مثل ما يحكي بالأندلس عن بقي بن مخلد إلّا أنّ الحكاية عن أبي خارجة أكثر استفاضة وأكثر عجائب. قال ابن الجزّار المتطبّب في تعريفه وذكره مثل ما ذكره ابن حارث. فبعضهم يقول : كان عنده علم الحدثان وبعضهم يقول : بل علم الزجر وبعضهم يقول بل من خدمة الجان"

الظهر ثم بسط يديه [للدعاء]. قال نصر بن خالد : فرأيت سحابة بيضاء رقيقة، ثم رأيت السماء اندفقت بالغيث، فرأيت أبا خارجة وهو يرفع ثيابه ويقول : بهذا يعرف الكريم، هذا فعلك في من قصدك فبهذا تعرف وتوصف".²⁷⁷

وقد جعلت شهرة أبي خارجة حصن يونقة مقصدا للعديد من علماء إفريقية مثل سحنون بن سعيد وعيسى بن مسكين والحسن بن نصر السوسي الفقيه والبهلول بن راشد ونصر بن خالد²⁷⁸ وأبو الربيع سليمان بن محمد الأندلسي²⁷⁹. كما كان يتردد عليه النّسّاك من خارج إفريقية، خاصة من الأندلس والمشرق العربي²⁸⁰.

ويبدو أنّ محطة القصور المباركة التي توجد جنوب يونقة كانت بدورها مركز مرابطة. وبها دارت سنة 748 هـ/1347 المعركة الحاسمة بين بين جيوش حمّو بن يحيى العسري المزيني وجيوش أبو حفص عمر الحفصي.²⁸¹ وكانت تمثل في العصر الوسيط الثاني الحدود الجنوبية لمواقع أعراب بني عوف التابعة لقبائل بنو سليم.²⁸²

رباطات الجنوب التونسي وسرت الكبرى

إذا كانت المرابطة قبل كلّ شيء مؤسسة سنّية فمن البديهيّ أن تكون الرّباطات نادرة في هذه المنطقة، التي تميّزت في العصر الوسيط الأوّل بكثافة الوجود البربري الأباضي،²⁸³ رغم تعدّد القرى المحصّنة

(277) المالكي، I، ص. 242؛ عياض (طالبي) ص. 82.

(278) المالكي، I، ص. 241-245.

(279) نفس المصدر، I، ص. 242. ترجم له ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، IV، ص. 82.

(280) المالكي، I، ص. 244.

(281) ر. برنشفيك، نفس المرجع، ص. I. ص. 343.

(282) التيجاني، ص. 85 "وآرتحلنا عن المحرس يوم السبت فأجتزنا في أوّل المرحلة على المورد المسمي بصعيب ووصلنا بعد جهد جهيد إلى القصور المباركة وهي كلّها عامرة وأهلها موصوفون بالنخل وقد شاهدت من منعهم للماء ما يصدّق ما أشتهروا به من ذلك، وفي هذا الموقع فارقنا أرض بني عوف ودخلنا في أرض أخوتهم دباب" (283) التيجاني، ص. 119 "ومن قرية الزّارات كان الإيتداء بسلوك منازل البربر المتمسّكين بمذهب الخوارج المستحلّين لدماء المسلمين وأموالهم، وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس وطرابلس وخصوصا أهل الساحل منهم". انظر أيضا : هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 66-70؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 361.

(قصور)²⁸⁴، وهو ما يؤكد مرة أخرى عدم وجود تطابق آلي بين الوظيفة العسكرية ووظيفة الرباط. على أن التيجاني أشار الى وجود مرابطين خوارج بقصر مارث (المعروف في العصر القديم باسم مرتاي) وبأجاص وكوطين²⁸⁵ ويمكن تفسير هذه الظاهرة بتأثر الأباضية المتأخرة بالمذهب المالكي، وبتصدع الدولة المركزية، وكذلك بالتحوّلات التي طرأت على مساكن أهالي هذه المنطقة نتيجة للهجرات التي تلت الغزو الهلالي.

قصور قابس

توجد مدينة قابس (Tacapae القديمة) في مؤخرة خليج سرت، في أعلي مصبّ واد (يحمل نفس الاسم) يروي

(284) الإدريسي، ص 128-129 "قابس - قصر ابن عيشون على الساحل (8 أميال) - قصر زوجونة (8 أميال) - قصر بني مأمون (أو يامون) (20 ميل) - قصر أمروود (11 ميل) - قصر الجرف [برأس الجرف، قبالة جربة] (18 ميل) ... وعدّ كذلك المحطّات الموجودة بعد قصور الزّارات : ص. 128-129 "قصور الزّارات - قصر ذكومين (25 ميل) - قصر الهرا (6 ميل) - قصر جرجيس (6 ميل) - قصر بني خطّاب (25 ميل)، وهو على آخر سباح الكلاب من جهة الغرب، ويقابله في البحر إسقالة جزيرة زيزو، قصر بني الخطّاب - قصر شمّاخ (25 ميل)، وبينهما جون صغير يسمي جون صلب الحمار [بحيرة البيان] - قصر صالح (10 ميل) - قصر كوطين (20 ميل) - قصر بني ولول (20 ميل) - قصر مركيا (20 ميل) - قصر عفسلات (20 ميل) - قصر سريّة (20 ميل) - قصر سنان (2 ميل) - قصر البنداري (3 ميل) - قصر غرغرة (10 ميل) - قصر صياد (6 ميل) - طرابلس (20 ميل). وعدّ اليقوبي (ص. 247) خمس مراحل من قابس الى طرابلس، وأشار كلّ من المقدسي (ص. 64-65) والإدريسي (ص. 121) الى القرى التالية الموجودة على الطريق الرّابطة بين قابس وطرابلس وهي : الفوّارة، آبار دخت، قصر الدرق وبئر الجمّالين. وكانت جميع هذه المحطّات حسب مؤلف نزهة المشاق خالية من السكان لا يقيم بها سوى قبائل مرداس ورياح الذين عاثوا فيها فسادا.

أمّا قائمة مقديش (II، ص. 144) فهي تقريبا نفس القائمة التي ذكرها الإدريسي : "من قابس الى قصر ابن عيشون ثمانية أميال، الى قصر جزونة ثمانية أميال. ومن قصر جزونة الى قصر بني مأمون عشرون ميلا، ومن قصر بني مأمون الى أمروود أحد عشر ميلا ومنه الى قصر الجرف ثمانية عشر ميلا. ومن قصور الزّارات الى قصر بني ذكومين خمسة وعشرون ميلا ومن ذكومين الى قصر الهراء ستة أميال ومنه الى قصر جرجيس ستة أميال، ومنه الى قصر بني خطّاب خمسة وعشرون ميلا. وقصر بني خطّاب علي آخر سباح الكلاب من جهة المغرب ويقابل قصر بني خطّاب في البحر إسقالة زيزو وطولها أربعون ميلا وعرضها نحو نصف ميلا وبعضها معمور. ومن قصر بني خطّاب الى قصر شمّاخ خمسة وعشرون ميلا وبينهما جون صغير يسمي جون صلب الحمار. ومن قصر شمّاخ الى قصر صالح عشرة أميال وقصر صالح علي قرطيل يأخذ من المشرق الى المغرب طوله خمسة أميال يسمي رأس المخبز ومنه الى قصر كوطين عشرون ميلا. ومن قصر مركيا الى قصر عفسلات عشرون ميلا. ومن قصر عفسلات الى قصر سريّة أربعة أميال ومنه الى قصر سنان ميلان ومنه الى قصر البنداري ثلاثة أميال، ثم الى قصر غرغرة عشرة أميال ومنه الى قصر صياد ستة أميال ثم الى مدينة طرابلس عشرون ميلا. ومن مدينة طرابلس الى قصر رأس قاليوشا أربعة عشر ميلا ومنه الى قصر الكتاب ثمانية أميال ومنه الى قصر بني غسان اثنا عشر ميلا. ومنه الى طرف رأس الشعراء أربعة عشر ميلا ومنه الى قصر شريكس أربعة عشر ميلا، الى قرتيل المسن أربعة أميال ومنه الى لبدة وبها قصران عامران، ولها على نحو البحر قصر عامر...."

(285) التيجاني، ص. 94.

واحتها.²⁸⁶ وهي مدينة بحرية وصحراوية تتحكم في المجاز الضيق الواقع بين منطقة الشطوط والبحر، والرابط عن طريق البر بين البلاد الطرابلسية ومصر وتونس والمغرب. وكانت المراكب في العصر الوسيط تصل الى غاية ميناء قابس "الذي كان يعتبر نقطة الوصل الملائمة بين التجارة البرية والبحرية والتجارة الصحراوية"²⁸⁷. وكانت المدينة (قبل أن تتصدع إلى عدة وحدات عمرانية: جارة ومنزل خاصة) محاطة بسور مبني من الحجارة (تخلله ثلاثة أبواب) يدعمه خندق يملأ بالماء عند مداهمة العدو لها. وتمتد الأرباض التي تستقطب جل النشاط التجاري خارج هذا الإستهكام. وداخل المدينة توجد عين سلام الشهيرة، وقربها مسجد يعرف بأسم مسجد سيدي أبي لبابة الأنصاري. وفي قلب المدينة شيد بومكي (ق.14م)، وسط ساحة البطحاء قصرهم المجاور للجامع الكبير. وبالقرب منه كانت تنتصب القصب (القلعة) التي يحتل قسمها الرئيسي قصر العروسين الذي شيدته أسرة بني جامع الهلالية في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي.²⁸⁸

وأشارت مصادر القرن الثالث عشر إلى وجود "رباط البحر" أو مسجد الصهرج على ضفاف البحر.²⁸⁹ لكننا لا نعرف بالضبط موقع هذا "الإستهكام" الذي يعود علي الظاهر الي الفترة الأغلبية. ومن المؤكد أنه كان يتصل - مثلما هو الشأن في الإسكندرية وبطرية - "بمنار" المنارة الذي كان قائما شرقي المدينة، والذي لم يبق منه في عصر التيجاني إلا إسم مكان يدعي المنارة، مازال يطلق اليوم علي واحة صغيرة.²⁹⁰ وعلى بعد 15 كلم شمال قابس يوجد قصر وذرف.²⁹¹ وفي جنوبها قصور كتانة²⁹² وقصور الزارات (الثلاثة)

(286) حول تاريخ قابس ومعالمها انظر خاصة: ابن حوقل، ص. 73 المقدسي، ص. 12-13؛ ياقوت، VIII، ص. 24؛ البكري، ص. 25-26؛ الإدريسي، ص. 128؛ الحميري، ص. 200، 50+، التيجاني، ص. 87-93؛ هـ.ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 63؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 344؛ محمد المرزوقي، تاريخ قابس، تونس 1960، C.Monlezun, "Les ruines de Tacapae" in B.A.C, LV, 1885، p.126-131; M.Talbi, "Kabis", E.I, IV, 1986; N.Djelloul, Fortifications, I, p.315.

(287) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 344.

(288) التيجاني، ص. 94؛ ر. برنشفيك، I، ص. 344؛ هـ.ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 63.

(289) ر. برنشفيك، I، ص. 344.

(290) التيجاني، ص. 94 "منار مرتفع يظهر للآتي من جهة المشرق قبل وصوله الي البلد بمسافة بعيدة... وذكر البكري أن الحداة يحدون عند قد ومهم من مصر الي إفريقية فيقولون:

لا نوم لا نوم ولا قرار حتى أري قابس والمنارا".

(291) التيجاني، ص. 85.

(292) نفس المصدر، ص. 119 "وهي قرية صغيرة ملتقة الشجر حسنة المنظر... ولأهلها قصر كبير يأوون إليه."

المحصنة،²⁹³ وكذلك قصور سجة²⁹⁴ وتبلو،²⁹⁵ لكنها لم تكن على ما يبدو مراكز مرابطة. وذكر التيجاني موضعاً بين كتانة وجربة يسمي سواني خلف الله، "وهي منسوبة الى رجل من مرابطي العرب احمدي، وهو من تلاميذ الشيخ أبي عيسى العموري كان ابني هناك مسجدا رسمه الي الآن باق وأحيي بمقبرته أرضاً مواتاً فمنعه عما أراد من عمارة تلك الأرض كثرة فساد حواشي العربان".²⁹⁶ ويؤكد هذا الخبر ما أشرنا إليه سابقاً حول ارتباط المرابطة بعملية احياء أراضي افريقية منذ العصر الأغلبي، ويبدو أن بنو حفص اعادوا تنشيط هذه المؤسسة بعد التراجع الفلاحي الذي عرفته البلاد إثر الغزو الهلالي.

قصر أجاص

كانت قرية أجاص الكبيرة التي لا نعرف موقعها بالضبط توجد جنوب مارث و"يبدو أنها كانت في العصر الحفصي تقوم بدور المركز الجهوي الموكل الآن الى مدنين"²⁹⁷. ذكر التيجاني أنها "ذات مباني كثيرة ولها غابة متسعة. ورأيت بها مسجدا يذكر أهلها أن له فضلا مشهورا عندهم وأن الدعاء مستجاب عنده وقد أظهر بعض زهادهم به الإغتيال فلزم به الرباط، وإن كان هذا المرابط وجميع أهل هذه البلدة على المذهب السيئ المنسوب للخوارج".²⁹⁸

قصور العكارة والمهابل

تقع شبه جزيرة العكارة (جرجيس) بأقصى الجنوب الشرقي التونسي،²⁹⁹ يحدها البحر من الشمال والشرق وخليج بوغرارة من الغرب. وتتكون من سهل ساحلي ينتمي الى الجفارة، يمتد من رأس مرمور (زيطا في القديم) شمالا الى وادي فسي جنوبا. كما

(293) الإدريسي، ص. 128.

(294) نفس المصدر، ص. 106 "ولقابس واد يأتيها من غدير كبير، وعلى هذا الوادي قصر سجة وبينه وبين قابس ثلاثة أميال، وهو مدينة صغيرة متحضرة بها من ناحية البحر أيضا سوق."

(295) لم تشر المصادر الى منزل تبلو قبل العصر الحفصي ولكن التسمية قديمة. ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 344؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 66.

(296) التيجاني، ص. 132 "لما يزرع بها فإن العرب كثيرا ما يقصدونها بمواشيهم لأنهم يقولون أمراً باقل ترعي الايل به في تلك الأرض وأمرعه، وحد هذا الباقل عندهم من هذه السواني الي البحر". أي تقريبا المنطقة التي حبست في عهد هارون الرشيد على الحصون

(297) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

(298) التيجاني، "وإلى جانبها يوجد وادي الزركين" و"به سواني لبعض المرابطين"، ص. 320.

(299) حول تاريخ ومعال هذه المنطقة : انظر: علي درين، شبه جزيرة جرجيس، تونس، 1995.

تتخلّل هذا السهل هضبة هنشير زيان، وتغطّيه من السّاحل الجنوبي بحيرة البيبان (جون صلب الحمار في السابق)³⁰⁰، التي يفصلها عن البحر تلّ مستطيل يسمّى الصلب. وعكارة نسبة الى الشيخ الصياح العكاري (أصيل المغرب؟) الذي رابط بحصونها في آخر العهد الحفصي، ممّا يؤكّد أن بعض القصور التي عدّها الإدريسي كانت بدورها مراكز مرابطة، وواصلت القيام بهذا الدور في العصر الحفصي رغم سكوت التّيجاني عن ذلك. وكانت هذه المنطقة تدعي في القديم سرتيكا Syrtica وسمّاها تيت ليف Tite-Live الأمبوريا، بمعنى الأسواق. وربّما يرتبط تواصل هذا النشاط أيضا بوجود الرّباطات. أمّا زيزو التي ذكرها مؤلّفو العصر الوسيط³⁰¹ فهي مدينة زيطا الرّومانية التي توجد آثارها على مرتفعات هنشير زيان قرب جرجيس. وكانت تتّصل بالسّاحل عن طريق ميناء سيدي بوتفاح (مرسي التفّاح في القديم) ومرسى هنشير الصّقال (صقالة زيزو في العصر الوسيط).³⁰²

كما وقع الكشف في هذه المنطقة عن تجمّعات سكنيّة رومانية بهنشير الكلخ التي كانت تسعمل في القديم كمركز للحمام الزّاجل، وهي وظيفة تواصلت مع الرّباطات الإسلامية. كما كانت توجد في منطقة البيبان نفسها مدينة زوخاريس Zeucharis، حيث تقع أطلال برج البيبان العثماني، وهو حصن يحتلّ بدوره موقع استحكام قديم.³⁰³ وفي هذه المنطقة أشار الإدريسي الى قصر جرجيس الموجود منذ العهد القديم (Gergis)³⁰⁴. ومن الملفت للنظر حقّا أنّنا وجدنا به أيضا آثارا رومانيّة تتّصل بالصّيد البحري وتصبير السمك، وهي وظيفة أكّدنا فيما قبل على ارتباطها بالرّباطات.³⁰⁵ وكان قصر جرجيس محصّنا في السّابق بواسطة سور وقصبة انقرضت

(300) الإدريسي، ص 128-129، أمّا سباخ الكلاب فهي تناسب مجموعة السّباخ التي تشكّلها سبخة المالح الحالية.

(301) البكري، ص 24-25؛ الإدريسي، ص 128.

(302) البكري، ص 24-25؛ مقدّش، I، ص.؛ ه.ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص.؛ N.Djelloul, Fortifications, I, p. 315

(303) علي درين، نفس المرجع، ص. 28. كما وقع العثور على مواقع رومانية أخرى بالناعورة (Putea). وحول هذا البرج انظر: N. Djelloul, Fortifications, I, p. 33. ويوجد بنفس المنطقة موقع مدّينة الأثري (أوزو خيس في القديم) التي اشتهرت حسب سترابون بمصانع الملح. كما عثر أيضا بهذا الموقع على آثار احواض لتصبير السمك (P.Trousset, op.cit p. 93) ونقائش بيزنطية.

(304) الإدريسي، ص. 128-129؛ علي درين، نفس المرجع، ص 30. وكشفت أيضا الحفريات على وجود حصون رومانية لحماية سرت بقصر غيلان وسيدي محمد بن عيسى ورمادة.

(305) P.Trousset, op.cit, p. 93; N.Djelloul, "La pêche en Ifriqiya au Moyen âge", in La pêche côtière en Tunisie, Tunis 1995, p. 51.

معالمهما في العصر العثماني.³⁰⁶ وكان قصر بني الخطّاب يوجد على "تخوم سباح الكلاب"، وتفصله من الجهة الشرقية عن قصر شمّاخ بحيرة الببيان.³⁰⁷ ويناسب هذا القصر الذي ينسب إليه الشّمّاخي، صاحب كتاب السير،³⁰⁸ قرية شمّاخ الحالية. وقد شيّدت على أنقاض مدينة رومانيّة.³⁰⁹ ويؤكد إسم المكان الحالي: قصر الزاوية (جنوب رأس مرمور) وسيدي شمّاخ تواصل وظيفة الرّباط في العصر الحفصي. أمّا في منطقة بوغرارة التي اشتهرت بأرصفتها فإن مصادر العصر الحفصي أكّدت على خراب مدينة جيكتيس Gightis (تجغت)، لكن مصادر وسيطيّة أقدم تذكر قصر الجرف،³¹⁰ الذي يرتبط به ناظور المرسى.³¹¹ كما أشار التيجاني الى أن تجغت كان بها "محارس متفرقة على ساحل البحر ليس فيها متّسع إلا لجلوس رجل واحد".³¹² وبالقرب منها ذكر وادي مجسر (الطواحين) حيث يوجد بعض المرابطين الذين يتعاطون الفلاحة،³¹³

قصور رأس المخبز وزاورة

كان قصر صالح متّصلا بلسان أرض معروف بالإسم الوسيطيّ والحديث في آن واحد: رأس المخبز، وكان يمثل مرفأ ممتازا يقع بالقرب من ملاحّة ترد عليها مراكب النصارى.³¹⁴ ولم يبق غرب طرابلس في العصر الحديث إلا قلعة (قصر بوكماش) التي كانت تستعمل كمركز حدودي.³¹⁵ وفي الجهة الشرقية تقع بلدة زوارة المنقسمة الى زوارة الكبرى المعروفة سابقا باسم قصر كوطين³¹⁶ وزوارة الصغرى. وذكر التيجاني أنّ هذه الأخيرة تعرف أيضا بأسم "وطن المرابطين"، وهي قرية ذات نخل كثير... وقد

N. Djelloul, Fortifications, I, p.318 (306)

(307) الإدريسي، ص. 128.

(308) الشّمّاخي، كتاب السير، تح. محمد حسن، تونس 1995. وهو من رجال القرن السادس عشر الميلادي.

(309) علي درين، نفس المرجع، ص. 28.

(310) الإدريسي، ص. 106؛ مقديش، I، ص. 141.

A.A.T, Feuille Agim (311)

(312) التيجاني، ص. 132.

(313) التيجاني، ص. 133 "وتضاف إليها ويقال ويقال طواحين مجسر... ووجدنا بعض المرابطين قد زرع على أحد جانبيه زراعا بلغ في ذلك الزمن أن يكون للبهائم مرعي. وقد قام عليه ليمنعه من الجيش مدّلا برباطه فثارت دهماء الأجناد وعي الزرع على زرعه، وانجلي الأمر عن ابطال كدح المرابط وسعيه"

(314) الإدريسي، ص. 106-124؛ التيجاني، ص. 207؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351؛ هـ.ر. إدريس، II، ص. 66.

(315) الطاهر الزاوي، معجم البلدان اللّبية، طرابلس 1968، ص. 263؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

(316) الإدريسي، ص. 128-129؛ التيجاني، ص. 110؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

آستولى الآن الخراب عليها فليس العامر منها إلا بعض الغامر³¹⁷، ممّا يرجّح أنّها مركز مرابطة قديم.³¹⁸ و"أمام هذه القرية قصر يسمّى وزدر قد محي رسمه، وكوطين قرية أضخم من الأولي وأكبر غابة، وفي أهلها شجاعة موصوفة وعزة نفس"،³¹⁹ وهو وصف إستعمله التيجاني أيضا عند حديثه عن سكان قصر زياد، ممّا يرجّح أيضا أننا إزاء مركز مرابطة. ومن كلّ القصور التي عدّها الإدريسي شرق كوطين، لا يذكر التيجاني إلا قصر بني ولول الذي انقرض بدوره، تماما مثل قرية وطن المجاورة.³²⁰ ولكنّه ذكر قصر تلّيل المشرف على البحر.³²¹ وعلى بعد مسافة قليلة يوجد مركز زواغة الهامّ الذي عوّض سبراته القديمة الواقعة بالقرب منه وقد أصبحت خرابا.³²² وفي الأثناء انقرضت أيضا كلّ من قرية تلّيل وقرية زواغة وعوّضتهما في العصر التركي قرية العقلات الواقعة شيئا ما نحو الجنوب³²³. ومن هنالك حتّى طرابلس كانت منذالعصر الوسيط الأول تتعاقب الواحات الواحدة قرب الأخرى وتحمل أسماء مازالت مستعملة الى الآن، وهي : صرمان، العابريّة³²⁴، الزاوية، قرقوزة، الماية وزنزور. وكانت الزاوية والماية وزنزور وصرمان مراكز مرابطة.

وحسب التيجاني كانت صرمان قرية محصنة تحيط "بها غابة زيتون ممتدة وبها قصر كبير يأوي إليه أهلها وقد حفّت به حفير متّسع وابتنت في أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن إلا في وقت الأمن فإذا خافوا دخلوا الحصن".³²⁵ ويميّز التيجاني بين زاويتين : الغربية أو زاوية أولاد سهيل، وهي "رابطة حصينة حفّت بها شجر كثير من التين والرمّان والخوخ وغير ذلك... وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبي عيسى

(317) التيجاني، ص 110 "وأهلها قوم من الخوارج غلاة في مذهبهم موصوفون بتصميم دينهم وأمانة فيما يودع عندهم مكثّرين بمواقعة الذّنوب ورأيت منهم أقواما قد نحلت من العبادة أبدانهم وأصفرّت ألوانهم".

(318) على أنّ الحسن الوزان لم يشر في القرن السادس عشر إلا الى قرية واحدة، وكانت "مدينة صغيرة تحيط بها أسوار قبيحة متلاشية، ويسكنها قوم بؤساء لا يعيشون إلا من صنع الجير ومن نقلهما الي طرابلس. ليس لهم أرض للزراعة، وهم دائما في خوف من هجوم القراصنة النصاري عليهم". وصف إفريقيا، II، ص. 96.

(319) التيجاني، ص. 110.

(320) نفس المصدر، ص 210.

(321) نفس المصدر، ص. 211 "وهو حصن في رأس تلّ مشرف على البحر وتحفّ بالقصر في سند التلّ دور كثيرة معمورة، وما تحت التلّ سواني ومزارع"

(322) الإدريسي، ص. 129؛ التيجاني، ص. 212؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

(323) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351 "لكن اسم القرية الأولى مازال يطلق على قبيلة التلالة المقيمة في ضواحي تلك المنطقة، كما يطلق إسم القرية الثانية على مركز صيد التّن المعروف بأسم مرسى زواغة"

(324) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

(325) التيجاني، ص. 319.

يذكر عنه صلاح واعتناء بإضافة كل من كان يرد عليه وتوفي عام ثلاثة وسبعين وستمائة، وخلفه في إقامة رسم هذه الزاوية أبنائه وهم أناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فإنهم يرفدونهم بما يحتاجون إليه من زاد وغيره، ويرجعون إليهم ما استلبهم العرب والدبائون يراعون لهم حق رباطهم.³²⁶ والرابطة هي أيضا إحدى تسميات الرباط، وكانت شائعة خاصة في الأندلس،³²⁷ مما يؤكد مرة أخرى القواسم المشتركة بين الرباط والزاوية. أما الزاوية الشرقية (المطابقة للزاوية الحالية)³²⁸، فقد كانت تعرف بزاوية أولاد سنان (قصر سنان). وهي "أضخم حالا وأكثر رجالا، وبها مبان كثيرة، ولها أرض متسعة".³²⁹ وكانت تستعمل كسوق للقبائل المجاورة.³³⁰ ويشبه تخطيط الماية تخطيط قصور-رباط المنستير وبرشانة، فقد كانت تتركب من "قصور متفرقة"³³¹ ويذكرنا الوضع العقاري بزنجور بالعلاقات التي كانت سائدة بين الساحل والقيروان في العهد الأغربي، فقد كانت حسب التيجاني "من أملاك أهل طرابلس، فلما وقعت فتنة الميؤرقي زهدوا فيها فباعوها".³³² ويحيط بالمدينة (التي يصل طولها الى خمسة أميال وعرضها نصف ذلك) غابة من الزيتون "أكثره من الغرس القديم على نحو زيتون الساحل". وهي "كثيرة القصور، وبها جامع خطبة أحدثه عمرو بن العاص تحول في العصر الحفصي الى مقبرة. وبجواره قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم، يقال أنه أول قصر بني بزنجو، ولم يبق منه إلا سور المحيط به وهم يعظمون أمره، يوقولون أن فناء ما بقي منه يؤذن بخراب البلد وفناء أهلها، وإلى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم، وهي سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الأقطار المتنائية في كل جمعة".³³³ وعلى ساحل البحر كان يوجد في عصر التيجاني قبر أبي محمد عبد الجليل الحكيمي "ببيت يجاور مسجده الذي انفرد فيه بنفسه، وتخلي عن أبناء جنسه، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة وأما أضيف إليه لسكانه به، وبنائه الى جانبه. . . . وعلى مسافة يسيرة منه،

(326) نفس المصدر، ص. 213

(327) انظر : Rabita, E.I ; G. Marçais, Note 27.

(328) علي بعد 45 كلم غرب طرابلس.

(329) نفس المصدر، ص. 214

(330) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 351.

(331) التيجاني، ص 314 "وبمقربة منها قرقوزة وبها آثار قديمة"

(332) نفس المصدر، ص. 215

(333) التيجاني، ص. 216

من جهة غربيّة على الساحل أيضا مسجد يعرف بسيقطة وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة، وهي مساكن للصالحين قديما وحديثا شهيرة، والنّاس يزورونها ويتبرّكون بها وإنّها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربّه والسّاكن بها يجمع بين الاحتراس ومجانبة الناس، وأكثرها من مباني ابن الأغلب مبتني المحارس من الإسكندريّة الى مجاز سبتة³³⁴

قصور طرابلس

تمثّل طرابلس (Oea القديمة) آخر مدينة كبرى في إفريقيّة الشرقيّة.³³⁵ وكانت في نفس الوقت مرحلة للمسافرين عن طريق البرّ ومحطّة لتوقّف السفن التي كانت تقطع المسافة الطويلة الفاصلة بين المشرق والمغرب الإسلاميّين. وقد احتفظت بتخطيطها الشّطرنجي الذي يرجع عهده الى العصور القديمة، رغم التّحويلات الكبيرة التي أدخلها عليها المسلمون.³³⁶ كما حافظ الأسياد الجدد على قوس النّصر المقام على شرف الإمبراطور مارك أورال Marc Aurèle سنة 163م. وقد كان يعلوه في عصر التيجاني مسجد إسلامي صغير يرمي الى إنقاذه من العابثين، وربّما أيضا من بعض رجال الدّين.³³⁷ ويحيط بالمدينة سور يسهر على ترميمه الأهالي، وهو ما يفسّر جودة إستحكاماته.³³⁸ وقد جدّد بناؤه (بعد أن هدمه عمرو بن العاص أبان الفتوحات) عبد الرحمان بن حبيب سنة 132 هـ / 751م. وبني سورها البحري هرثمة بن أعين، علي يد زكرياء بن قادم (سنة 180 هـ /) الذي ينسب إليه بناء رباط المنستير.³³⁹ كما تمّ ترميمه سنة 345 هـ / 956 م، ودعمّ بواسطة ستارة تحمي الواجهة الجنوبية في العهد الموحدّي (سنة 614 هـ / 1217 م). ويتخلّل السّتارة باب عبد الله، وبإزائه يوجد باب

(334) نفس المصدر، ص. 219-220.

(335) حول تاريخ ومعالم طرابلس، أنظر: الإصطخري، ص. 38؛ ابن حوقل، ص. 72، المقدسي، ص. 12-13؛ البكري، تح. أ. فاليفن وأ. فيري، تونس 1992، ص. 650-653؛ التيجاني، ص. 237-250، هـ.ر. إدريس، نفس المرجع، I، ص. 67-68؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 424؛ الزاوي، نفس المرجع، ص. 313.

(336) التيجاني، ص. 238. "رأيت شوارعها فلم أرى أكثر نظافة ولا أحسن اتساعا واستقامة، وذلك أنّ أكثرها يخترق المدينة طولا وعرضا من أولّها الى آخرها على هيئة شطرنجيّة".

(337) ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 425.

(338) التيجاني، ص. 238. "رأيت بسورها من الاعتناء ما لم أراه بمدينة سواها وسبب ذلك أنّ لأهلها حظًا من مجباها يصرفونه في ردم سورها ويحتاج إليه من مهمّ أمورها. فهم لا يزالون أبدا يجدّدون البناء فيه ويتداركون تلاشيّه بتلافيه".

(339) التيجاني، ص. 239-240.

هوارة. وقد أشارت المصادر الى باب البحر في الشمال الشرقي المفضي الي الميناء، والباب الأخضر في الجهة الغربية. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية توجد القصبه، مقر إقامة الوالي، وهي فسيحة الأرجاء وتمحور حول ساحتين. وبالقرب منها - داخل المدينة - توجد رياض كانت مخصصة للوالي.³⁴⁰

وأشاد ابن حوقل والبكري والتيجاني برباطات طرابلس القائمة على ساحل البحر، خارج المدينة.³⁴¹ وأثنى البكري خاصة على مسجد الشعاب³⁴² "وذكر أنه أعمرها وأشهرها"، ولكنه خرب في عهد التيجاني³⁴³، وهذا الرباط منسوب لأبي محمد عبد الله الطرابلسي (ت 243 هـ / 857م). وذكر التيجاني "أنه كان نجارا ونسب المسجد المذكور إليه لأنه هو الذي أتم بناءه ولزم السكنى به، وكان بعض الناس قبله قد ابتدأ بنائه ثم وقف عنه."³⁴⁴ ومثلما هو الشأن بالنسبة لأغلب المرابطين يذكر عن الشعاب "أن الأخضر عليه السلام كان يزوره ويحادثه وأنهما رثيا مجتمعين في المسجد المذكور. وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أن لها ولدا أسره عدو الدين وسألته الدعاء بخلاصه فدعا له وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت الى بيتها فأصبح ولدها في السك يسأل عن دار أمه فسئل فأخبر بفراره من البحر وسلامته.³⁴⁵

ورابط بمسجد الشعاب أيضا يونس بن أبي النجم المؤدب الأطرابلسي المتعبد.³⁴⁶ (ت. 305 هـ) و"كان من المجابين للدعاء"³⁴⁷. وذكر عنه أنه كان "يوما مع الشعاب في غرفة الشعاب بمسجده"³⁴⁸ يوم جمعة. فدخل عليه رجل مبيض يسطع مسكا. فقال

(340) التيجاني، ص. 239-240؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع II، ص. 67-68؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 426.

(341) ابن حوقل. ص. 69؛ البكري، ص. 653؛ التيجاني، ص. 248 "وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزورة للبركة"

(342) البكري، ص. 653 "وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب"

(343) أقام العثمانيون مكانه برج الشعاب. الزاوي، نفس المرجع، ص. 313.

(344) التيجاني، ص. 247 "فحضرت الشعاب نية في إتمامه فرمي الآلة من يده وتوجه الى قاضي طرابلس فقال له اني عزمت على بناء ذلك المسجد وأحب أن تستدعي فلانا الذي ابتدأ بناءه فتستفهمه هل يتمادي على بنائه او يرفع يده عنه فأتته وأسكن به. فاستحضره القاضي وسأله عن ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به"

(345) التيجاني، ص. 248، 251 "ورابطت به في العصر الزيري سمدونه الصالحة."

(346) المالكي، I، ص. 133.

(347) نفس المصدر، I، ص. 133.

(348) يمكن أن نفهم من هذه الرواية ان المسجد كان حصنا

له : لا تصلي معنا الجمعة ، فقال له بقرطبة أصلي ، ثم خرج من عنده فقال لي الشعاب : يا يونس قم ، فقامت الي السترة التي في جبلي مسجده فقال لي : انظرإليه يخوض البحاربقدميه ويثور الغبار بين يديه . فنظرت إليه كالنقع . قال : يمكن ان يكون الخضر عليه السلام أو من مؤمني الجن³⁴⁹ .

ومن رباطات طرابلس أيضا مسجد خطاب ، وهو كذلك " بخارج المدينة من جهة شرقيها على البحر " . وينسب للشيخ خطاب البرقي ، وكان ذا كرامات " وخصوصا في باب المرائي ظهرت له في ذلك عجائب ، وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل كونه " .³⁵⁰ ورابط به أيضا مفرج بن بياضة . و " كان رجلا صالحا من أهل جزيرة تونس المعروفة بياشو [الوطن القبلي] " .³⁵¹ وكذلك مسجد الجدة " لأنّ احدي جدّات بني الأغلب بنته . وهكذا كان يعرف في القديم ، ثم عرف بمسجد البارزي لسكني أبي الحسن البارزي به ، وهو بخارج طرابلس من جهة جوفيها مشرف على المقابر " . ورابط به أيضا أبو عثمان بن خلفون الحسّاني " المعروف بالمستجاب³⁵² وأصله من قرية حسّان من قرى طرابلس . كان زاهدا فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب " .³⁵³

وكان الزاهد أبو الحسن على بن أحمد بن الخصيب قد أقام أربعين سنة في رباط - مسجد المجاز . و " كان فقيها صالحا عالما زاهدا وله في الفقه والفرائض والشروط تأليف مفيدة . وأقام أربعين سنة لم يضحك " .³⁵⁴ ومن القصور التابعة لطرابلس ذكر التيجاني قصر فارة وقصور الورايز . وتحدّث ابن حوقل عن قصر ابن كهو ولكنها لم تكن مراكز

(349) المالكي ، I ، ص . 134 .

(350) نفس المصدر ، ص . 248 .

(351) التيجاني ، ص . 249 .

(352) نفس المصدر ، ص . 249 .

(353) التيجاني ، ص . 249-250 " وأنفقت له في المسجد المذكور قضية مشهورة : كان ذات يوم جالسا فيه على عادته فسمع تحته دويّا عظيما اهتزّ له المسجد فخرج بعض من كان معه لأختبار ذلك فوجد شخصا يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهاء عن ذلك فلم يته فرجع الى الشيخ فأخبره فتزل الشيخ إليه وقال له : اتق الله ، فإنك تزلزل المسجد بهذا الذي تصنع فقال : ارجع أيها الشيخ الى مسجديك فإنّ الوالي أمرني بهذا . فقال له : لو أمرك الوالي بهدم المسجد كنت تهدمه فقال نعم . فرجع الشيخ الي مسجده وهو يقول : اللهم احصد عمره ، فعند استقرار الشيخ في المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرّجل فقتله . "

ولمّا رجع المودب محرز بن خلف من الحجّ قيل له : من رأيت في طريقك من الصّالحاء ؛ قال : رأيت بطرابلس رجلا وامرأة ، أمّا الرّجل فأبو عثمان الحسّاني وأمّا المرأة فسمدونة "

(354) التيجاني ، ص . 251 .

مرابطة.³⁵⁵ وتؤكد ندرة الرباطات بمناطق وادي الرمل والساحل، الممتدة شرقي طرابلس، مرة أخرى مذهبنا إليه حول غموض الوظيفة العسكرية لهذه المؤسسة. فرغم كثرة المراسي والقصور³⁵⁶ لا تتحدث المصادر إلا على مراكز مرابطة ثانوية بسويقة ابن مذكود³⁵⁷ ومصراته (قصر حمد)³⁵⁸ وسرت³⁵⁹. يوجد الى اليوم داخل الأراضي - بجبل نفوسة غربي غريان - اسم موقع يسمى الرابطة.³⁶⁰

(355) ابن حوقل، ص. 68؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 69-70.
 (356) الإدريسي، ص. 128-129 "قصر الكتاب - غسان - شريكس". كما توجد في هذه المنطقة لبدة Lepcis (Magna القديمة) التي أفسدتها قبائل بنو هلال ولم يبق منها في عصر الإدريسي إلا "قصران كبيران وعمارتهم قوم من هؤارة البربر، ولها على نحو البحر قصر كبير عامر به صناعات وسوق عامرة". ويوجد بعد ذلك قصر بني حسن. أما مدينة برقة التي احتلها بنو هلال فقد فقدت ازدهارها ولكنها بقيت مركزاً تجارياً هاماً في البر والبحر. وكانت أجدابية في العصر الفاطمي مدينة تجارية هامة، تحولت بعد الغزو الهلالي إلى قصرين. وتحدث مصادر العهد الحفصي عن تاجورة المحصنة، حوالي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، من قبل الزعيم الهواري. وبلدة سلمى المحصنة، وقصر بني خيار وزليطن وقصور حسان. انظر: هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 69-70؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 353.

(357) الإدريسي، ص. 179-180 "وبها سوق مشهورة مشهودة، وهي قصور كثيرة"

(358) الزاوي، نفس المرجع، ص. 272 "بها مغارة يتعبد بها الصالحون"

(359) رباط قصر برصيص العابد. الزاوي، نفس المرجع، ص. 272.

(360) نفس المرجع، ص. 140.

خاتمة

الرّباط والمرابطة بإفريقية في العصر الوسيط

ظهور وتطور المرابطة بإفريقية

تؤكد التراجم التي أفردناها لنسّاك إفريقية أنّ العهد الأغلبي شكّل بدون منازع العصر الذهبي للرّباط. ويروي عن أبي ابراهيم أحمد (242 - 249 هـ / 856 - 863 م) أنّه بني "نحوا عن عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد"¹. على أنّ بروز المؤسسة يعود إلى بداية الفتح الاسلامي، فقد تحدّث البكري عن "قوم متعبّدون تخلّوا عن الدّنيا وسكنوا [جبل آدار] مع الوحوش، لباسهم البردي، وعيشهم من نبات الأرض، ومن صيد البحر، والدّعوة من أكثرهم مستجابة. وهذا الجبل معروف بالتزام هؤلاء فيه منذ فتحت افريقية"².

وتذكر أغلب المصادر العربيّة أنّ بناء دار الصّناعة في تونس، في آخر القرن السّابع الميلادي، كان نتيجة لإغارة الرّوم على رباط رادس (الذي يسب لأبي المهاجر دينار، حوالي 55 هـ.) في عهد عبد الملك بن مروان. كما أنّ رباطات سوسة والمنستير وبنقّة أحدثت قبل مجيئ الأغلبة إلى الحكم سنة 800م، وقبل هذه الفترة بقليل أيضا حبّس قاضي هارون الرّشيد ابن غانم (ت. 190 هـ. / 805م) أراضي أحمية الحصون "لمرافق المرابطين"³، ممّا يدلّ على استقرار المؤسسة منذ العهد العبّاسي الأول. ويؤكد هذا التطور المبكر، وكذلك الطقوس الدّينيّة الخاصّة بهذه المؤسسة، أنّ الأربطة الاسلاميّة، رغم خصوصيّتها، واصلت بشكل أو بآخر، تقاليد "الدير المحصّن المسيحي" مثل دير مندراكيون Mandrakion بقرطاجة⁴. وهو أيضا ما تبرزه تسمية المنستير التي أطلقت على أقدم حصون إفريقية مثل منستير السّاحل ومنستير عثمان⁵ ومنستير صطفورة (غار

(1) ابن الأثير، الكامل، V، ص. 263؛ ابن خلدون، العبر، IV، ص. 104.

(2) البكري، ص. 83.

(3) عياض (طالبي) ص. 13.

(4) G. Marçais, Architecture, p. 34

(5) البكري، ص. 718 "وهي قرية كبيرة أهلة بها جامع وفنادق كثيرة وأوراق وحمّامات وقصر للأول من الصخر.

وأرباب المنستير قوم من قريش".

الملح). كما ذكر المالكي أنه كان يوجد برباط سوسة "قوم من الجزيرين يكبرون في أيام العشر ويرفعون أصواتهم بالتكبير، وكان يحي بن عمر يجوز عليهم إذا مضى إلى الجامع ويسمع تكبيرهم، فنهاهم عن ذلك وقال لهم: هذه بدعة"⁶. وهؤلاء الجزيريين هم بدون شك مرابطون من أصل مسيحي -مثل أبي الغصن نفيس السوسي (ت. 309هـ / 921م)⁷ - أدخلوا للرباط الإفريقي كثيرا من طقوس الرهبنة المسيحية. (النصرانيات)، وهو ما يفسر تطور "الغنوص" والأفلاطونية المحدثة في هذه الأوساط. كما أدى ازدهار المراقبة إلى غلبة أغراض النسك والزهد على الأدب الأغلبي⁸، وسهل كذلك عملية إدماج سكان البلاد من النصارى وكذلك من المناويين في الدين الجديد، وبالتالي التراجع المبكر للمسيحية وديانة ماني في ربوع إفريقية.

وكانت أهمّ الرّباطات الأغلبية توجد على ساحل البحر، وهو ما يفسر ما ذكره ابن ناجي حول اختلاف فقهاء إفريقية عن "حصول الرباط لمن خرج عن أهله وسكن بالسواحل أو من استوطن بها"⁹. لكن بعض الحصون الأخرى، مثل جبنيانة، لبيدة، المنارة، الوردانين ومنستير عثمان، كانت تقع داخل الأراضي. كما أن القيروان ذاتها اعتبرت في بعض الأحيان رباطا¹⁰، وكان "جبل زغوان مأوى للصالحين"¹¹. وهذا الوضع يذكرنا بما كان يوجد في صقلية، حيث ذكر الداودي بعض الرّباطات البعيدة عن البحر¹². على أن كثافة هذه المنشآت على السواحل لا ترتبط فقط بالغارات المسيحية، بل، وربما أكثر، بالوضع العقاري الذي خلفه رحيل الروم. ذلك أن ساحل سوسة - صفاقس والوطن القبلي، أي مناطق المراقبة التقليدية، كانت أيضا آخر مناطق الصمود المسيحي في إفريقية. وهذا يؤكد -علي غرار الوضع في صقلية-¹³ وجود قاسم مشترك بين المؤسسة الإسلامية وعملية توطين الفاتحين الجدد في أراضي استولت عليها الدولة الجديدة وأقطعتها إما لرجالها أو حبستها لصالح المرابطين مقابل خدمات معينة، وهو ما يفسر أيضا

(6) المالكي، I، ص. 497.

(7) نفس المصدر، II، ص. 162-165.

(8) انظر في هذا الصدد: مختار العبيدي، الحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة، تونس 1994.

(9) ابن ناجي، I، ص. 7.

(10) المالكي، I، ص. 11 "فإن كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير فأهلها مرابطون". كما ذكر مقديش (II، ص. 307) أن القيروان توجد بها "حومة المرابطين".

(11) البكري، ص. 705.

(12) الداودي، كتاب الأموال، ص. 446.

(13) نفس المصدر، ص. 446.

انتشار الملكية القيروانية في الساحل ومقولة عقبة بن النافع بأنّ من كان على ساحل البحر حرس لأهل القيروان، "وهم عسكر معقود لآخر الدهر"¹⁴. وقد وضّح هذه العلاقة أبو الفضل يوسف بن مسرور في كتابه "أحمية الحصون"¹⁵، عندما قال "إنّي نظرت في هذه الأحمية التي على ساحل البحر، فوجدت أهل العلم لم يثبت عندهم كيف فتحت إفريقية : عنوة أو صلحا. فرأينا أنّ أحسن الأمور لمن سكنها أن يسكنها ومعه ما ينفق فيها على نفسه، ومن تلزمه نفقته، ويكون ذلك من حلال، فإنّ مسّته فاقة فرأيت له : إن كان ذا صنعة أن يعمل صنعته ويأتي بما يصيب من عمل يده، فينفق منه على نفسه فيكون له بذلك ثواب الرباط ويسلم من متشابهاة الحرام، وإن لم تكن له قوّة بدن ولا صحّة فليخرج وليحرث ما يكفيه عند الإخوان، فهذا أحبّ إليّ من الحرث في الحمي لما فيه من الشبهة"¹⁶. ويذكر المالكي أنّ "سكّان الحصون كانوا يبغضونه ويؤذونه" نتيجة لهذا الموقف الصّارم¹⁷. وكان سحنون بن سعيد، رغم انتمائه إلى الأرسطراطية الأغلبية التي تمتّعت بجزء من أراضي السّاحل، يشارك أبا الفضل هذا الاحتراز، ممّا جعله "يتصرّف" كالمساق في زيتونه، فكان يكسب منه بمقدار ما يستحقّه من العمل والخدمة"¹⁸.

وتؤكد المنوغرافيات التي أفردناها لرباطات إفريقية أنّ ما ذكره مؤلفوا كتب الطبقات حول "اخلاء الحصون" في العهد الفاطمي فيه كثير من المبالغة"¹⁹. إذ أنّه رغم تراجع بعضها، مثل قصر زياد، فقد تواصلت المراقبة أيام خلفاء المهديّة الذين حاولوا بدورهم -خاصّة في عهد المنصور- توظيف المؤسّسة لصالحهم، وهو ما يفسّر "تشرّق ابن غازي" المرابط بقصر الطّوب²⁰. ويذكر المالكي وجود مرابطين بالمنستير "متصلين بشيعة بنو عبيد"²¹، وكان "خلفاء المهديّة يبعثون بسعدون الخولاني [المرابط بالمنستير] في الأعياد بالأكبّاش والضّحايا فيقبلها ويفرقها على الضّعفاء"²². كما عرفت

(14) المالكي، I، ص. 11.

(15) حول هذا المصنّف انظر : ح. حسني عبد الوهاب، كتاب العمر، تونس 1990، I، ص. 624 - 627.

(16) المالكي، II، ص. 205.

(17) نفس المصدر، II، ص. 235.

(18) الونشريسي، المعيار المغرب، تح. محمد حجي، بيروت 1981، VII، ص. 177 - 180.

(19) ابن ناجي، II، ص. 199 "عبيد الله المهدي أخذ أموال الأقباس والحصون وأخذ السلاح الذي في الحصون التي على ساحل البحر".

(20) المالكي، I، ص. ؛ ابن ناجي، I، ص. 24 ؛ الدّاعي إدريس، ص. 32.

(21) المالكي، II، ص. 259.

(22) نفس المصدر، II، ص. 260.

هذه المؤسسة دفعا جديدا في العصر الزيري، حيث حافظت على نظامها وأحباسها. وقد تحولت أغلب الرباطات، مثل حصون جبل المنار (بقرطاجة) وقلبية والمنستير وجبنيانة إلى زوايا في العصر الحفصي، وهو ما يؤكد التواصل الوظيفي بين هذه المراكز الصوفية ورباطات العصر الوسيط الأول.

عمارة الرباط

لا يوجد -على الأقل في العهد الأغلبي- معلم محدد يسمّى رباط، ولهذا فنحن نشك في أن هذه التسمية كانت تطلق في بداية العصور الإسلامية على "رباطات" سوسة والمنستير، رغم اعتبارها نموذجا لهذه المنشآت²³. وتؤكد عدة تراجم أفرادها المالكي لنسّاك سوسة أن القرية الأولى ذاتها كانت تعتبر رباطا مقدّسا. ونظرا لهذه الوظيفة فقد اعتبرت، مثل عسقلان والمصيصة وطرسوس، ثغرا، لا يمكن بيع دوره المحبّسة لمرافق المرابطين. وكانت، ككلّ الثغور، تغلق أبوابها ليلا، ولا تفتح قبل طلوع الشمس²⁴، كما كان النسّاك (الذين خصّصت لرفاتهم مقبرة الشهداء) يمنعون بها الخمر والموسيقى، وجميع ضروب اللّهو²⁵. وكانت رباطات المنستير وقصر زياد وجمة وتبصة و صفاقس والحمّامات أيضا تجمّعات عمرانية محصّنة بسور خاص، ويتمحور عمرانها غالبا حول مجموعة من المحارس (المنستير، قصر زياد، وبرشانة). ولم يكن هذا النموذج خاصا بإفريقيّة، فرباطات الرّملة وعسقلان وطرسوس والاسكندرية وأسوان (في المشرق) وتيت وكوز (في المغرب) كانت بدورها تجمّعات عمرانية. ويمكن أن يكون الرباط أيضا محرسا صغيرا (لمطة، المحرس)، أو برج مراقبة، كما كانت محارس سوسة و صفاقس، وكذلك أبراج أسوارها تعتبر رباطات²⁶. ومثلما هو الشأن بالنسبة لخانقاهات وخانات الشرق²⁷، بعض الرباطات الصغيرة لم تكن بعض الرباطات معالم محصّنة، مثل مسجد الشّعاب

(23) إلى حدود القرن التاسع عشر كان "رباط سوسة" ينعت "بقصر الاغلبة" في الوثائق التونسية. انظر: برنامج وطن سوسة، مخط. المكتبة الوطنية بتونس، 18669، ورقة 2.

(24) المالكي، I، ص. 486، II، ص. 6، 230-414؛ عياض (طالبي)، ص. 156.

(25) نفس المصدر، I، ص. 486.

(26) المالكي، II، ص. 267 "المحرس الذي على باب القصر".

(27) B. O'Kane, Timurid architecture, p. 287-97 ; L. Ibrahim et M. Amin, 'Architectura' terms in Mamluk documents, Caire 1990, p. 52.

بطرابلس. وقد أطلقت هذه التسمية في بعض الأحيان على المقابر المحصنة (رباط السيدة في المنستير) والفنادق²⁸.

وكانت السلطة تشرف عادة على إقامة الحصون، رغم إقدام بعض الموسرين على إنشاء بعضها، بعد موافقة الأمير لأن الأراضي التي تقام عليها صوافي حكومية أقطعت للمرابطين مقابل دعمهم للدولة المركزية²⁹. ويعود الفصل في إنشاء محرس علي وجبنيانة إلى علي بن سلم البكري، وشيّد قصور زياد وحبشي عبد الرحيم الزاهد وحبشي بن عمر، كما أنفق أبو يزيد بن عبد الله بن سهل القبرياني على بناء قصر سهل ألف دينار. ورفض ابن الجعد مساعدة الآخرين لإتمام بناء قصر الجعد بالمنستير، مما اضطره إلى بيع مصوغ أهله.

ورغم عدم وجود مخطط معين "للرباطات"، فإن أغلب الدور المعدة لإقامة المرابطين (في المدن وخارجها) في إفريقية أقيمت على نسق "رباطي" سوسة والمنستير. ويتكوّن مخطط مرقب سوسة، وهو أقدم معالم إفريقية، من بناية مربعة (39 X 39م) تحميها أبراج نصف دائرية، باستثناء الزاوية الجنوبية الشرقية التي يعلوها منار إسطواني الشكل. وللقصر مدخل وحيد يفتح في برج مربع متقدّم يفضي إلى دهليز مستقيم تحفّ بها حجرات الحرس، حيث توجد بعض الحنيات المعدة لرصف الكتب. ويؤدي هذا الدهليز إلى صحن مكشوف يتوسطه ماجل. ويشتمل الدور الأرضي على مخازن (للمؤونة والسلاح)³⁰ مقببة تصطف على أسواره الأربعة، يتقدّمها رواق يفتح على الصحن، عدا مجموعة جدار المدخل القبليّة فإنّه يتقدّمها رواقان. وينتصب في الطابق الثاني مسجد (مسقوف بواسطة أقبية نصف دائرية محمولة على أكتاف حجرية) يحتلّ كلّ الجناح الجنوبيّ. وتنسب المصادر التاريخية لهرثمة بن أعين بناءه "للرباط" الأوّل بالمنستير سنة 180 هـ / 796م، وهو ما تؤكّده الكتابة التاريخية التي كانت مثبته في مسجده. ويتكوّن مخطط هذا المرقب أيضا من حصن صغير مربع (أضلاعه 32,80 X 32,40م) تقوم في زواياه أبراج دائرية، عدا برج الزاوية الشرقية فهو مربع وترتكز عليه ابتداء من مستوى السطح منارة إسطوانية. وخلافا لمنار "رباط" سوسة الإسطواني، فإنّ منارة المنستير يتناقص غلظها في الارتفاع (قطرها عند القاعدة 37,6م

(28) المالكي، I، ص. 363.

(29) المالكي، I، ص. 422.

وارتفاعها 35, 16م)، وقد قسم سطحها الخارجي بثلاثة أفاريز بارزة. ويصعد إليها من مدخل يفتح علي سطح المسجد، يؤدي إلى سلم دائري يشمل على 89 مرقاة. وقد اعتمد هذا المخطط في بناء "رباطات" قبوذية وهرقلة ولمطة وسيدي ذويب بالمنستير. وقد أقيمت هذه الحصون على نسق القصور والحصون الأموية في الشام والخانات العباسية، مثل خان عطشان³¹. وقد حافظت أيضا قصور قبوذية والمنارة وجبنيانة والسخيرة على مناراتها (وكانت تستعمل أيضا لإرسال الإشارات النارية)³²، التي أبرز إبراهيم شيوخ علاقتها بالمنائر "الحربية" العباسية في الرقة³³ ومصر³⁴.

حياة الرباط

كان يؤم رباطات إفريقية نوعان من العباد : الموسميون من العلماء أو من عامة أفراد الشعب (من سكان المدن والقرى المجاورة) يقصدونها خلال شهر رمضان وأيام الجمعة والعيدين وعاشوراء³⁵. أما الفئة الثانية فتتكون من المرابطين المنقطعين لمدة طويلة بهذه الحصون، والذين يدفنون غالبا إلى جوارها. وذكر المالكي -على لسان أبي

(30) ذكر ابن عذاري (I، ص. 202 - 206) أن زيادة الله الثالث كثر برباط سوسة ككل أمواله إثر سقوط رقادة سنة 909م.

(31) G. Marçais, Architecture, p. 34

(32) إبراهيم شيوخ، "حول منارة قصر الرباط"، ص. 16 : "و من المهم أن نسجل هنا- اعتمادا على نص موثق متأخر نسبيا - أن الإشارات من فوق هذه المنائر بالنار أو الدخان كانت محكمة بحيث تمثل رموزا مصطلحا عليها، يمكن بها تبليغ التفاصيل عن عدد جيش العدو وعدته. ويتولى رصد هذه الاشارات والاخبار بها "درياب" و"نظارة" مرتبون لذلك... وكان في منارة الاسكندرية قوم مرتبون، يوقدون النار كله في الحزام الأول، فيؤم أهل السفن سمت تلك النار من جميع البلاد، ويوقد صاحب السفينة النار في سفينته، فإذا رأى المحترسون النار في البحر زادوا في وقود النار، وأوقدوها من جهة المدينة، فإذا رأى ذلك محترسو المدينة ضربوا البوقات والأجراس حذرا من العدو". انظر أيضا : ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة 1312هـ، ص. 199؛ كتاب الاستبصار، الاسكندرية 1956، ص. 98.

(33) اتخذ المنصور، والرشد من بعده، الرقة مركزا لتجميع الجيوش وقاعدة خلفية للحدود الاسلامية، وهو ما يفسر تخطيطها الدائري، وشكل منارتها الاسطوانية. وفي هذه المنطقة نجد أيضا منارات دائرية اخرى، مثل منارة قلعة جعبر ومنارة أبي هريرة (قرب الرقة). إبراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص. 9.

(34) خاصة منارات أسوان (المشهد البحري، المشهد القبلي، الطابية) وأبي الحجاج بالأقصر وجامع إسنا وبرج العرب (قرب الإسكندرية) (ل. 1-3). إبراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص. 13-14.

(35) البكري، ص. 36؛ ابن حوقل، ص. 73؛ المالكي، I، ص. 332، 381، 497، II، ص. 192. انظر أيضا ابن ناجي (II، ص. 33) حول العلاقة بين المراقبة والمجاورة : "قال سحنون : كنا نرباط بالمنستير فكان موسى بن معاوية الصمادحي أطولنا صلاة، فإذا كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان طبقها من أولها إلى آخرها، فإذا أصبح قال : توجّهوا بنا إلى القيروان فنقول له : أقم بنا حتى نتعبها هنا، فيقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل من حج أو عمرة فأشرف على المدينة أوضع على راحلته وقال : إسراعوا بنا إلى بنات الأقوام". وحسب دوزي (I، ص. 502) كان أبناء الحامية التركية بالمدينة يسمون أيضا مرابطون.

علي المكفوف، المتعبّد بالمنستير - أنّ أحد طلبة سحنون بن سعيد الأندلسيين أراد سكني المنستير، "فقال له لا تفعل، فإنّ الذي أنت فيه أولي. ثم قال سحنون : إن سكتته فأجتنّت أربعاً : لا تجلس في السّقيفة، ولا تأخذ مزرعة ولا جنا، ولا تأخذ صدقة، ولا تكن لهم إماماً. ثم فسّر لها أبو علي فقال : أمّا السّقيفة فهي سوق الخسارة، ومن أخذ جنا أو مزرعة لزمه أن يذبّ عنهما في كلّ أمر من لوازم الحصون، وأمّا الصدقة فهي أوساخ الدّنيا، وأمّا الإمام فإنّما يعنى المتوليّ لأموارهم كالأمير وشبهه"³⁶. وأورد المالكي أيضاً أنّ "الأعرج - وكان أميناً على المنستير - ذبح يوماً شاة، فقال لخلفون التونسيّ : إمضى بربع هذا الشّاة إلى بشير المتعبّد، فقال خلفون : فمضيت إليه فوجدته قائماً على باب نوّالته، فلمّا رأيته وضع يده على أنفه وقال لي : إليك يا خلفون الجيفة معك"³⁷ إذهب عني، فمضيت بالربع في يده ولم يقبله"³⁸. وتؤكد هذه الأخبار الاحتراز الذي كانت تبديه بعض الأوساط الدّينية إزاء حياة الرّباط، أو على الأقلّ بعض مظاهرها، وهو ما يتنافى مع "القدسيّة" التي حاول البعض إسباغها على رواد الحصون.

وكان الأمين، أو الامام، يشرف على شؤون الرّباط ويتصرّف في أحباسه، ويسمّي أيضاً أمين الفقراء وشيخ الفقراء³⁹. ويعود الفضل في إحداث هذه الخطّة إلى سحنون بن سعيد⁴⁰. ويذكر مؤلف الرّياض أنّ أبا الفضل الغدامسي كان في أوّل أمره يغسل الميضم (بقصر الجعد) ويخدم المرابطين "ويحتطب لهم ويعجن لهم الخبز ويسخن لهم الماء". وقد انتقل "من حال إلى حال إلى أن بلغ الدّرجة التي مات عليها" (شيخ للفقراء)⁴¹.

(36) المالكي، II، ص. 407.

(37) ويقصد هنا الرّزق الحرام أو المشتبه في مصدره. انظر المالكي (II، ص. 217، ترجمة الفمّودي). وكان هذا التّاسك "لا يأكل اللّحم حين كان لحماً، فكيف حين صار جيفة - يعني لمّا أشتبهت أغنام النّاس وأختلطت في الحروب".

(38) المالكي، II، ص. 437. ولهذا الغرض أيضاً أقام أبو جعفر أحمد الإطرابلسي أربعين سنة بقصر دويد "لم يشرب من صهريج ماء القصر ولا دخل لهم مرحاضاً... ولا يأكل من لحم صيد بحر المنستير طريّاً ولا مالحاً" (المالكي، II، ص. 433). وأهداه المرابطون "سفنجة بعسل، فصاح بأعلى صوته : يا صاحب القلادة خذ قلادتك (نفس المصدر، II، ص. 434). كما أن الحسن بن نصر المتعبّد بسوسة "رفض قبول أكلة فاخرة أهداه إياها متوليّ أحباس سوسة لأنّها من الدّواخل" (المالكي، II، ص. 396).

(39) المالكي، II، ص. 407، 437، 464؛ مقدّش، II، ص. 321؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305.

(40) عياض (طالبي) ص. 104.

(41) المالكي، II، ص. 441.

وهذا يعني أنّ المرابط، مثل المريد في الطرق الصّوفيّة، يتدرّج من خطّة إلى خطّة إلى أن يصبح شيخا. وقد تواصل العمل بهذا النظام في العهد الحفصي، مثلما تؤكد وثيقة (مؤرخة في سنة 825هـ / 1422م) تتعلق برسم "حبس لهنشير ابن منصور بالمهدية قام به أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله التّميمي، صاحب الزاوية برباط المنستير لفائدة ابنه وفقراء القصر الكبير، والواردين عليه من طلبة"⁴². ويذكر ابن ناجي أنّ "خديم قصر المنستير إبراهيم الهوّاري تولّى جمع غلّة الأحباس من بلاد الجريد نقدا، من العملة الفضيّة التي أوصلها إلى شيخ الفقراء بالقصر أبو عبد الله الرّياحي"⁴³. وتؤكد هذه الأخبار أنّ الفوارق بين الرّباط والزاوية كانت محدودة جدّا وأنّ المرابطة حضّرت الأرضيّة التنظيميّة والعقدية لزوايا العصر الحفصي.

وخلافا لأهل الموسم كان أهل الدّور يكثرون من التّنقل بين الحصون للرّباط والحرس⁴⁴. لكن هذا الحرس لم يكن ذو طابع عسكري، إذ يذكر ابن ناجي أنّ "أبا القاسم عبد الوهاب بن عبد الله كان كثير السّياحة والرّباط، لا يمرّ بشرف أو بقبر أو روضة حسنة إلا وركع فيها". فهذا الدور كان "سياحة" من قبيل "الزيارة" الصّوفية التي تطوّرت في العصر الحفصي⁴⁵. ويمكن أن نقول أنّ المثل الأعلى لحياة الرّباط هو ما ذكر عن أبو الأحوص المتعبّد بسوسة الذي كان ينشد :

أبو أن يرقدوا الليل فهم لله قوّام
أبو أن يفطروا الدّهر فهم لله صوّام
أبو أن يخدموا الدّنيا فهم لله خدّام⁴⁶.

ومن أجل هذا كان المرابطون يقضّون أغلب لياليهم في القراءة والصّلاة والبكاء (وكان الكثير منهم ينعت بالبكاء). ويذكر المالكي "أنّ أبا حفص عمر بن عبد الله الصّدفي كان قد سكن قصر الجعد فكان في ركن منه، وأبو عبد الله بن دارة في الرّكن الثّاني، وأبو الفضل الغدامسي في الرّكن الثّالث، وأبو عبد الله بن سعدون في الرّكن

(42) محمد حسن، المجلّة التّاريخية المغربيّة، 1988، ص. 221.

(43) نفس المرجع، ص. 229.

(44) المالكي، II، ص. 241، 257 - 258.

(45) انظر : J.S. Trimingham, The sufi orders in Islam, Oxford 1971, p. 166-186.

(46) المالكي، II، ص. 483 ؛ مختار العبيدي، الحياة الأدبيّة بالقيروان في عهد الأغالبة، تونس 1994، ص. 130 - 132.

الرابع، فكانت أركان القصر تدوي بالقراءة الليل كله، وبالبكاء تارة، وبالنياحة تارة، وهم من أركان القصر يتجاوبون⁴⁷. كما كان العديد منهم يسرد الصيام السنة كلها، أو يعكف عن الكلام طيلة ثلاثة أشهر⁴⁸.

ويرتبط الرباط في سوسة بمساجد الدمنة (مسجدي السبت والخميس، أو الخضر)، حيث كان النساء يعقدون حلقات صوفية تقرأ خلالها الرقائق⁴⁹. وحرّم المازري بعض الاستعراضات الليلية التي كانت تنظم في سوسة والمنستير، إذ كان المرابطون "خلالها يتجمعون إثر صلاة العشاء الأخيرة ويتوجهون إلى الأسوار على ضوء السرج، على غرار الجنود، مرددين بصوت واحد سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". ثم يجتاز الموكب المدينة بنفس الطريقة إلى أن يصل مرة ثانية إلى السور⁵⁰. وقد اعتبر المازري هذه الطقوس (التي واصلتها خرجة أبي سعيد الباجي) بدعة، شهر بها قبله سحنون⁵¹، وحاول منعها يحيى بن عمر⁵². وقد تواصلت هذه الطقوس أيضا في القصور الحفصية، خاصة جبل المنار وقلبية التي كانت تعقد بها الحلقات الصوفية⁵³.

ويمكن أن نقول أن عناصر التواصل مع الموروث القديم عند الكرامية في المشرق نجدها عند مرابطي إفريقية. فقد كان بعض العباد يتشبه برهبان النصارى بإرتداء لباس خاص (زيّ النساء عند الليدي) وخاصة "الأكسية والملابس الصوفية الخشنة ذات اللون الأسود"⁵⁴، وأصبح زيّ النساء شائعا أكثر منذ القرن الرابع للهجرة⁵⁵. وكان البعض الآخر يتعفف عن التردد على النساء، ويذكر المالكي أن أبا هارون الأندلسي المتعبد بقصر لمطة "ما أغتسل من جنابة قط إذ كان حسورا لا يأتي النساء"، أمّا عبد الرحيم بن عبد ربّه "فإنّه ما تزوّج قط ولا تسري"⁵⁶.

(47) المالكي، II، ص. 445.

(48) نفس المصدر، II، ص. 126، 236، 351.

(49) المالكي، II، ص. 212.

(50) هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 307. راجع أيضا: عياض (طالبي)، ص. 290؛ محمد مخلوف، ص. 71.

(51) المدوّنة، II، ص. 42 "أرأيت الذي يكبر به هؤلاء الذين يرابطون على البحر؟ فقال: التكبير لا بأس له، ويطربون في الليل؟ فقال: التطريب أنكره".

(52) المالكي، I، ص. 495، 497.

(53) N. Djelloul, Les installations militaires, I, p. 283.

(54) هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 307؛ الليدي، ص. 177.

(55) مقديش، II، ص.

(56) المالكي، I، ص. 423، 516، I، ص. 236: "قال يونس: قال لي يوما [أبي الفضل] يا بني إنما يريد البقاء في الدنيا من كان يتلذذ بالطعام والشراب والنساء، وأنا والله عدت شهوة الثلاث".

على أنه رغم معارضة بعض النساك⁵⁷ والفقهاء⁵⁸، فإنّ العديد من المرابطين كانوا يقيمون في الحصون صحبة زوجاتهم وأبنائهم⁵⁹، خاصة وأنّ هذه المنشآت كانت غالبا تجمّعات عمرانية متكاملة. كما تذكر مصادرنا وجود نساء مرابطات⁶⁰، وهي ظاهرة ستتدعم في العصر الحفصي⁶¹. ولم يمنع وجود النساء والجواري⁶²، من وجود بعض المتعاطين للواط، وهي ظاهرة تذكّرنا بما كتبه ابن حوقل حول رباطات صقلية⁶³.

وينحدر المرابطون من كافّة الفئات الاجتماعيّة، كما كان يتردّد على حصون إفريقية العبّاد من العراق وخراسان ومصر والمغربين والسودان، وخاصة من الأندلس⁽⁶³⁾. وكان بعض الأفارقة يرابطون بالشام (خاصّة بجبل اللّكام والأكواخ وطرسوس) ومصر (بجبل المقطم والإسكندرية)⁶⁴. وإضافة إلى الحراسة والفلاحة والصيد البحري فقد كانوا يتعاطون العديد من الحرف (داخل الحصون) مثل صناعة الغرابيل والحبّال (الحلفاء) والوراقة والتعليم. وكان العديد منهم فقهاء بدين ومتطبّبون⁶⁵. وكان محمد بن حميد (المتعبّد بسوسة) وأبو البشر بن يونس يخدمان الجذماء في دمنة سوسة⁶⁶.

(57) المالكي، I، ص. 433 "كان لواصل [المتعبّد بجمة] أخت، فكان لإشتغاله بالعبادة لا يفرغ لزيارتها، وكانت لا تقدر على الوصول إليه، فلما حضره الموت مضى بعض أصحابه فأتى بها، فقال واصل : لا سبيل إلى دخولها، ولا أكون أوّل من أباح للنساء دخول الحصون. إجعلوها عند باب القصر تبكي وتنوح حتّى أسمعها".

(58) الونشريسي، VII، ص. 177 - 180. كان مالك يبيح للمرابطين إصطحاب نسائهم، في حين لا يعارض سحنون ذلك إلا بالنسبة لحصون سوسة والإسكندرية. راجع : M. Talbi, Etudes, p. 108

(59) المالكي، II، ص. 239، 393، 491. "أبو عبد الله الغيمي الفخّار : كان من العلماء المنقطعين للعبادة بقصر الطوب، وله في كلّ ليلة ختمة... ومما يذكر عنه أنّه ختم في ليلة ثلاث ختمات ووطئ أهله ثلاث مرّات عند كلّ ختمة، فلما مات قالت إمراة : رحمك الله، فقد كنت مرضيا لرّبك ولأهلك".

(60) المالكي، II، ص. 403، 415 "مرباطة من الصّالحات تجمع للمسوحى بقل الفحص المباح" ؛ البكري، ص. 36.

(61) مقديش، II، ص. 255.

(62) المالكي، I، ص. 423.

(63) المالكي، II، ص. 452-453 "خرج أبو الفضل الغدامسي من بيته ليلة من الليالي إلى المسجد [برباط ابن الجعد] فنظر إلى شابّ من جيرانه يقبل حدثا، فأوهمهما أنّه لم يرهما وتمادى إلى المسجد". وكان الحسن بن نصر "في أيام الموسم وقدوم أهل القيروان إلى الرّباط يجلس في القبة التي يودّنها فيها في جامع سوسة، وكانت تشرف على أبواب البحر، فإذا رأى رجلا معه حدث أمر بأن يؤتى به، فإن كان الصبيّ من الرّجل مثل أبيه أو قرابته تركه، وإن إستراهه منعه من التصرف به". المالكي، II، ص. 403. قارن ما كتبه ابن حوقل حول رباطات صقلية بترجمة أبي الأحوص أحمد بن عبد الله الذي تحوّل إلى مرابط بعد أن نفذت أمواله. المالكي، I، ص. 482.

(64) المالكي، I، ص. 198، II، ص. 414.

(65) المالكي، II، ص. 252، 471، 502. وكان أبو إسحاق أحمد السبائي (ت. 356 هـ/ 966م) "تظهر عليه البراهين والكرامات بالدعاء، والرقى".

(66) أصبح أبو عبد الله محمد بن أبي حميد "ضريرا لأنّه كان يخدم الجذماء" : ابن ناجي، II، ص. 170.

وقد قام بهذا الدور فيما بعد متصوفة العصر الحفصي . وكان أبو القاسم عبد الوهاب بن نصر يخدم الأراامل والأيتام والفقراء " ⁶⁷ ، أمّا واصل الجمي المتعفف عن النساء ، فقد كان مشغلا بمحاربة إبليس الذي كان يظهر له في صورة امرأة ⁶⁸ .

وقد أكدت كتب الطبقات كثيرا على حياة التقشف والبؤس التي كان يحياها هؤلاء النساك ، فقد كانوا يلبسون الخرق ولا يقتاتون إلا من بقل البرية ودقيق الشعير . و كان أبو عبد الله المسوحي " يمكث السبعة أيام لا يأكل طعاما ، ويتغذى من بقل البرية والزيت " . وأقام " أبو الفضل يوسف بن مسرور أربعين سنة ما طبخ قدرا ولا أوقد في بيته مصباحا " . وذكر فتحون القصري أنه " حمل إليه هدية عسلا وسميدا وكعكا فقال له : لي ثلاثون سنة ما أكلت هذه الطرائف ، لم أسكن هذه الحصون لآكل بديني ، وفرقتها على الفقراء " ⁶⁹ . وكانوا نظرا لهذه الحياة البائسة عرضة للبق والبراغيث والقمل ، ولهذا كثرت الفتاوي حول التفلي في المسجد ⁷⁰ . على أن العديد من المرابطين كانوا " يأكلون بدينهم " ، إذ نجد في كتب الطبقات ذاتها كثيرا من الإشارات إلى " فاخر الأطعمة ونفيس المأكّل " التي ذكرها ابن حوقل ⁷¹ . فقد غادر عبد الرحيم ابن عبد ربّه المنستير لأنّ المرابطين أصبحوا " يدقّون التّوابل لقدورهم " ⁷² . وكان لجبلّة بن حمّود (المرابط بقصر الطّوب) خادمه الخاصّ يتولّى شؤونّه . وكان الثّمودّي (قصر الطّوب) في بدايته يعمل في الحمّامات " يخدم بها ويوقد فيها فلزم الرّباط واشتغل بعمل الحلفاء ثم ترك ذلك " . ورغم انقطاعه عن العمل وجذوره الاجتماعية المتواضعة ، فقد كان له خادمه الخاصّ . وكان لأبي حفص عمر بن عبد الله (قصر الطّوب) زوجة بسوسة ، فكان يتردّد عليها ويلبس ثيابا جميلة ويتزيّا بزيّ التجار ويتصرّف مثلهم في الأسواق " ⁷³ . ونجد أيضا في كتب

(67) المالكي، II، ص. 266 .

(68) نفس المصدر، I، ص. 431 .

(69) نفس المصدر، I، ص. 415 ، II، ص. 234 .

(70) المالكي، I، ص. 436 " زار سعدون الخولاني واصلا ، فلما دخل القصر قام المرابطون وقالوا : إذا سلمت علي واصل تسأله أن يدعو لنا في زوال البقّ عنا ، فقد حلّ علينا منه أمر عظيم " . انظر أيضا : ج. II، ص. 31 ، 23 ، 236 ، 433-434 ، 444 .

(71) ابن حوقل، ص. 131 .

(72) المالكي، I، ص. 429-430 .

(73) نفس المصدر، I، ص. 437 .

الطبقات أيضا بعض الاشارات إلى اللهو والترف⁷⁴ رغم أنها ظواهر حاربها المرابطون .

وظائف الرباط

أسطورة الناسك المحارب

ذكر محمد الطالبي بأنه "لم يحصل إلا على بعض الاشارات بخصوص الغارات البيزنطية" في فترة أبي ابراهيم الأغلبي الذي تنسب إليه المصادر العربية إحداث عشرة آلاف حصن . وعلل ذلك بكونها "كانت هجمات خاطفة محدودة الأهمية، فلم يعن بها المؤرخون" . وللتأكيد على تواتر هذه الغارات ذكر تعدد الرباطات⁷⁵ . ونحن نشك كثيرا في هذا التفسير الذي يعود سببه الي الاعتقاد السائد بأن الرباطات كانت قبل كل شيء منشآت ذات طابع عسكري، وهو ناتج عن سيادة ايدولوجية الجهاد التي تحدثنا عنها من الفصل الخاص بحصون الشرق . فسكوت المصادر العربية - التي أولت عادة مكانة هامة لهذه التواريخ - عن هذه الغارات يؤكد بكل بساطة ندرتها، في فترة سيطرت فيها البحرية الأغلبية على الحوض الغربي للمتوسط⁷⁶، مما مكّنها من احتلال صقلية ومالطة وفرض الحصار على روما سنة 232 هـ / 836م) . ونجد في المصادر العربية بعض الاشارات إلى مشاركة نساك الرباطات في الدفاع عن السواحل، فقد ذكر المالكي "عن أبي جعفر أحمد الكوفي المرابط بالمنستير قال : كنّا مع بعض الخلفاء في غزوة، وكنا معه من أهل الثغور اثنتا عشر ألف فارس، وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين نكتب بهما إليه في رقعة . . . فلما بلغنا أنّ البهلول بن راشد ضرب بإفريقية تخلخل العسكر"⁷⁷ . وكان أبو جعفر الأربسي وأبي بكر بن أبي عقبة وأبي سعيد خلف السرتي "يخرجون من سوسة فيقفون صفّا واحدا كأنّ العدو بين أيديهم، ويجرون خيولهم في

(74) ويورد المالكي (II، ص. 464) حوارا معبرا بين أبي سعيد النوفلي (المرابط بالقصر الكبير) وأبي العباس الأجدابي يدعّم ما ذهبنا إليه . "قال أبو سعيد : يا أبا العباس أعندك غلام ؛ فقال نعم، فقال له : ما الذي يعمل ؟ فقال : يخدم ويقف على الباب . قال له : فهذا نحن لنا بواب على القصر بلا شراء . أعندك مرحاض يوقد به القناديل الليل كلّ ؟ فقال : لنا إنّما يوقد وقت الحاجة إليه . قال : فهذا نحن عندنا سبعة مراحيض توقد فيها القناديل الليل كلّ . فقال له : أعندك يا أبا العباس في دارك بئر يشتري لها دلو وحبل من وقت إلى وقت ؟ فقال له : نعم، فقال : فهذا نحن عندنا بئر لا نشترى لها حبلا ولا دلو ولا نهتم بشيء من هذا . . . وإذا صبّ ماء المطر نخرج إلى المسجد لا نمشي في الطين ولا في الزلق . . . إنّما يريد بها أن يذكر نعم الله على المرابطين" . حول مظاهر البذخ في الحصون أنظر أيضا: الرياض (II، ص. 126، 260، 447-449، 464) . وحول الملاهي والخمر بسوسة (II، ص. 401) .

(75) محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 271 .

(76) انظر : عبد العزيز سالم، البحرية الاسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، II، ص. 47-48 .

(77) المالكي، I، ص. 214 .

ذلك الموضع حتى تطلع الشمس⁷⁸. وكان خلف السّرتي ("من علماء القيروان الموسرين")، يرباط بقصر سهل كلّ شهر رمضان. "وكان يحسن الفروسيّة، مولعا بشراء الخيل، يخرج للرباط بها للحرس على المسلمين"⁷⁹. ويؤكد نصّ المالكي أنّ أبي جعفر الكوفي يشير إلى وضع سابق، في حين أنّه يمكن إطلاق نعت "الفلكلور العسكري" على "تمارين" السرتي والأربسي.

وذكر المالكي أنّ أبا بكر محمد بن سعدون الجزري التّميمي المتعبّد بقصر الجعد "غزا غزوات بالشّام، وكان يقوم في جموع المسلمين فيحرّضهم على الجهاد بمقامات كانت عنده، وبشعر الدّهلفي، وبما يتشوّق ويبكي، فكانت النّيّات تنبعث منه"⁸⁰. تؤكّد عدّة تراجم أخرى⁸¹ أنّ مشاركة المرابطين في الحروب كانت تتوقف على هذا النشاط التعبويّ -الدّينيّ (الذي كان رجال الكنيسة يقومون به في الطرف المقابل)، وكذلك مساعدة السلطة الأغلبية في عمليّة حشد المتطوّعين للقتال⁸²، وهو دور ورثته عنهم متصوّفة العصر الحفصي. أمّا ما ذكر حول مشاركة محمّد بن سحنون في صدّ إحدى غزوات القراصنة النّصارى قرب السّاحلين، فكلّ المؤشّرات تدلّ على أنّها كانت مجرد صدفة⁸³ لا تجعل البتّة من هؤلاء النّسّاك "رهبانا - محاربين" مثلما يحلو للبعض تسميتهم. وكانوا يقومون بهذا الدّور أيضا إبّان الحروب الدّاخلية، مثل مشاركتهم في حصار المهدية مع جيوش صاحب الحمار⁸⁴. ويبرز هذا التوجّه بوضوح عند جبلة بن حمّود الذي غادر الرّباط السّاحليّ وسكن القيروان بعد انتصار الشيعة سنة 909م⁸⁵. على أنّهم كانوا، رغم تعصّبهم المذهبي،

(78) المالكي، II، ص. 15.

(79) نفس المصدر، II، ص. 276.

(80) المالكي، II، ص. 414.

(81) المالكي، II، ص. 267 "قال أبو القاسم اخرج بنا نمشي على البحر فإنّها عزوة. فرحنا نمشي ناحية القبلة وهو يكبر ويذكر الله حتى انتهينا إلى قرب الحمامات".

(82) ابن عذاري، I، ص. 144؛ محمد الطالبي، الدّولة الأغلبية، ص. 728.

(83) المالكي، I، ص. 447.

(84) كان أبي الفضل عبّاس بن العبّاس الممسي (قتل سنة 333 هـ/ 944م بالوادي المالح إبّان حملة أبي يزيد على المهدية) يرى "أنّ الخروج مع أبي يزيد وقطع دولة بني عبيد فرض لازم لأنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام". المالكي، II، ص. 295.

(85) المالكي، II، ص. 37-38. لما ترك جبلة الرّباط "خوطب في ذلك وقيل له: أصلحك الله كنت بقصر اللطوب تحرس المسلمين وترباط فتركت الرّباط والحرس ورجعت إلى هاهنا؟ فقال: كنّا نحرس عدوّا بيننا وبينه البحر فتركناه وأقبلنا على حراسة هذا الذي حلّ بساحتنا لأنّه أشدّ علينا من الرّوم. فكان إذا أصبح وصليّ الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة ومعه قوس ونشاب وسيفه وترسه وجلس محاذيا لرقادة فيقيم نهاره في ذلك الموضع فإذا عند الغروب رجع إلى داره... وكان يحرس بالعشيّ عند الفرائق، فقليل له في ذلك فقال: أحرس عورات المسلمين من هؤلاء القوم فإذا رأيت منهم شيئا حرّكت المسلمين عليهم".

يتحاشون المشاركة الفعلية في القتال⁸⁶. وذكر المالكي أن عبد الله الغيمي المرابط بقصر الطوب "كان في تجهده فوق قتال عظيم في الحصن بصياح شديد، فقال : ما علمت به وهو لم ينم"⁸⁷. أمّا أبا جعفر القمّودي فإنه "سأل الله أن ينقص من سمعه فنقصه فهو لا يسمع إلا مرفع الصوت به كثيرا، وكان يكره فضول النظر فسأل الله عزّ وجلّ أن ينقص من بصره فنقصه منه، فهو لا يبصر إلا من كان معه في الغرفة"⁸⁸. وهذه المواقف والعاهات تتنافى مع طبيعة الحياة العسكرية، كما يتنافى ذلك مع ما أقدم عليه المرابط إسماعيل بن رباح الجزري. فقد ذكر المالكي أنه بعد عودته من الحجّ "ركب مع جماعة في البحر، فتحركّ عليهم الهواء، فقالوا له : يا أبا عبد الله ادع لنا، فقال : قد قضيتم حاجتكم فما الذي تريدون ؟ ثمّ أخذ مصحفه فجعله في عنقه، ثم غطّى رأسه بكسائه، ثم غرقت بهم الموكب"⁸⁹. وشارك سعدون الصوّاف، المرابط بهرقله، مع صاحبه ابراهيم الخراساني، في حملة أبي العباس محمد بن الأغلب على رومة سنة 836م، فأستشهد الخراساني "فجعل أبو زكرياء يقول : ياربّ خرجت أنا وصاحبي في حاجة فقضيت حاجته وتركت حاجتي، فخرج عنق من الرّوم فدفعوا دفعة واحدة فقتلوا أبا زكرياء"⁹⁰. ونتيجة "لسلبيتهم" وعدم تمرّسهم بالقتال، كان هؤلاء "الرّهبان المحاربين" عاجزين حتّى علي صدّ عمليات السرقة العديدة التي كانت تستهدف لها الحصون. ويروي عن عيشون البكاء، المرابط بقصر زياد "أنّ الأهالي كانوا يأتّمونونه، فأودعوه حليّا ومتاعا، فعمل اللّصوص علي قصره، فأتوا بالشّموع والسّلالم، وطلعوا ففتحوا باب القصر وخلصوا ما فيه. قال : فلمّا نزلوا قطعوا عليّ صلاتي وقالوا : هات ما عندك من وداعة، فقلت : ما شاء الله، لا قوة إلاّ بالله، لا يأتي الخير إلاّ الله... فنزعوا ثيابي وتركوني في مئزر، وقالوا : يخرج من كل طائفة رجل يقتلونه في مرّة، فوقف ستّة نفر ورفعوا سيوفهم ليقتلونني، فلمّا أيقنت بالهلاك رفعت رأسي تحت ظلال السيوف إلى السّماء، فقلت : ياغيث المستغيثين أغثني، فوقعوا عليّ ظهورهم وطارت سيوفهم من أيديهم، ونظرت إلى

(86) المالكي، II، ص. 124 "قال أبو القاسم بن تمام : مضينا إلى قصر الطوب في عشرة أنفس إلى أبي يونس فقلنا له : اكتب كتابا إلى أمّ الأمير فإنّ زيادة الله أخذ مائتي رجل من أهل القرآن فأرسلهم إلى العسكر رماة... فقال : قد سألت النبيّ صلى الله عليه وسلّم فيهم فقال لي أغد يطلقون".

(87) المالكي، II، ص. 191.

(88) نفس المصدر، II، ص. 216.

(89) نفس المصدر، I، ص. 341.

(90) المالكي، I، ص. 418.

نفسى قائما في أعلى القصر لا أدري والله كيف وقعت وخرجوا هاربين⁹¹. كما أن اللصوص كانوا في كثير من الأحيان لا يكتفون بنهب "الودائع" وأمتعة المرابطين، بل يعمدون أيضا إلى قتلهم وتعذيبهم وإهانتهم⁹²، كما كان بعض الأهالي يعمدون إلى إفساد زرعهم⁹³. وكان الناسك إبراهيم بن العربي من أجلاء عباد الجزيرة. ولكنه كان يتحاشى التوجه للرباط بدون مشورة أمه، "فقالوا له : في مثل السير للرباط تشاور والدتك، فقال لهم : نترك ما هو أفضل لي (طاعة الوالدة) ونخرج في ما هو أتعب وأقل أجرا"⁹⁴، مما يدل على أن جزءا من رجال الدين كان لا يري في الرباط جهادا مقدسا، لأنه كان من قبيل "المجاهدة الصوفية" ولهذا كان أهم ثغور إفريقية - طبة - خاليا من المرابطين.

وخلافا للمرابطين كانت أغلب الرباطات - مثل بعض المساجد - معالم ذات وظيفة عسكرية، إذ كان الأهالي يلجئون إليها إبان الغزوات المسيحية⁹⁵. أما المرابطون فإن دورهم العسكري كان يتوقف - إلى جانب التعبئة الدينية - المذهبية - على حراسة السواحل ليلا⁹⁶، وهي مهمة كانوا يعهدون بها في بعض الأحيان لخدمهم⁹⁷. وتفسر هذه المهمة وجود المنارات في الأربطة، ولكننا نشك في ما ذكر حول "وصول الخبر في ليلة واحدة من سبتة إلى الإسكندرية" عن طريق النيران⁹⁸، كما أن العديد من

(91) الليدي، ص. 43؛ مقديش، II، ص. 216. وذكر المالكي (D، ص. 341) أن المرابط إسماعيل بن رباح "كان في رفقة فسلبتهم السلاية وكانت في حياصته دنانير، فلما عرفت السلاية أن في المسلميين إسماعيل بن رباح ردوا على الناس جميع ما سلبوا". وفي الرياض أيضا (ج. II، ص. 255) : "كانت ضاعت لي حمارة وولدها من المرسى فأتاني فقال لي : يا أبا عثمان الذي سرق لك الحمارة وابنها مضى بهما إلى المهدية لبيعهما، فلقيته في بعض طرق المهدية وقلت له : هذه الحمارة وولدها لسعدون الخولاني [شيخ المنستير] فردهما".

(92) الليدي، ص. 234-235، 241، 242؛ مقديش، II، ص. 261؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 306.

(93) المالكي، I، ص. 42.

(94) نفس المصدر، II، ص. 353.

(95) ابن حوقل، ص. 72؛ المالكي، II، ص. 240؛ البكري، ص. 721 "وبشرقي مدينة طبرقة على مسيرة يوم وبعض آخر قلاع تسمى قلاع بنزرت، وهي قلاع يأوي إليها أهل تلك الناحية إذا خرج الروم غزاة إلى بلادهم، وهي مفزع لهم وغوث، وهي رباطات للصالحين".

(96) المالكي، II، ص. 240-241 "قال أبو الفضل : كنت بسوسة منذ أربعين سنة فجاءت مخاوف من العدو ومشت مراكبه في البحر، فأخذ الوالي أهل سوسة - أصحاب التوالا وغيرهم - بالحرص... فسمعت صبيّة تقول لأمها : يا أمّاه قد جاء المرابطون ليحرسونا، قم بنا نرقد، فأعجبني ما سمعت".

(97) المالكي، II، ص. 464. راجع أيضا نفس المؤلف (II، ص. 40، 214، 217) حول تعدد الخدم بالقصور. كما أورد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي - المتعبّد بسوسة - (II، ص. 181) أنه "اشترى وصيفا لإصلاح المصباح في حين نسخه بالليل، وكان يتخذ له القصب الحلو يقطعه قطعاً لطافاً، فإذا نعس الوصيف جعل في فيه قطعة ليزيل عنه النعاس".

(98) عبد الهادي شعيرة، "الرباطات"، ص. 20.

المناورات كانت مجرد مآذن. وإلى جانب الانذار بوصول عمائر الروم، يمكن أيضا ذكر وظيفة ثانية تتصل بالحرب، وهي فدي أسرى المسلمين، مثلما كان يحدث في رباطات فلسطين⁹⁹. وقد قام سحنون مرة بفداء أسرى المسلمين في أحد حصون صفاقس، وأجبرهم على دفع الفدية "لأن الأمير رفض اعطائه ما فداهم به"¹⁰⁰، مما يؤكد أن السلطة كانت تشرف على هذه العملية، وتتقاسم الأرباح مع المرابطين.

الرباط والفلاحة

تزامن وصول أبي ابراهيم الأغلبي (الذي ينسب إليه بناء عشرة آلاف حصن) مع الزلزال الذي ألحق أضرارا جسيمة بمدن¹⁰¹ وقرى افريقية، خاصة في منطقة الساحل¹⁰²؛ ولهذا إرتبط إنشاء الرباطات بإعادة تعمير المدن وإحياء المناطق الفلاحية. كما أن هرثمة بن أعين، الذي يعود إليه الفضل في احداث الرباط الأولي بالمنستير، إهتم من قبل بإحياء أراضي وقرى فلسطين وأرمينية، حيث أنشأ أيضا مجموعة من الرباطات¹⁰³. ومن جهة أخرى نعرف أن الدولة الأغلبية فرضت على مرابطي صقلية قطع الخشب مقابل تمتعهم بأراضي الحصون التي قاموا بإحيائها¹⁰⁴. كما نعرف أيضا أن منطقة الساحل - التي تكاثرت فيها الأربطة - عرفت تراجعاً عمرانيا وفلاحياً كبيراً في آخر العهد البيزنطي¹⁰⁵. وقد قام أبو ابراهيم أحمد - الذي سلك سياسة تقارب مع الأوساط الدينية بعد فشل ثورة الجند - بتركيز مجموعات هامة من المرابطين بالساحل، وهو ما يفسر ولاء هذه المنطقة للسلطة المركزية. ومقابل هذا الدعم المذهبي - السياسي، كانوا يتمتعون بجزء من أراضي الكورة¹⁰⁶. فعملية تركيز

(99) المقدسي، ص. 177.

(100) عياض (طالبي)، ص. 130.

(101) يفسر هذا الزلزال الأشغال الكبرى التي أمر بها هذا الأمير، مثل "بناء سور سوسة ودار الملك بسوسة، وقصر لمطة وسور صفاقس، وماجل القصر الكبير بسوسة". محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص. 276.

(102) الطبري، VII، ص. 383؛ ابن الأثير، الكامل، V، ص. 298؛ محمد الطالبي، نفس المرجع، ص. 276. وتعتبر المنستير وسوسة - من الناحية الجيولوجية - مناطق مهددة بحدوث الزلازل. انظر: Y. Kammoun,

"Apport de l'analyse morphostructurale en sismotechnique" in Actes du journées géographiques de Sousse, Sousse 1996.

(103) ابراهيم شيوخ، نفس المرجع، ص. 5-6.

(104) الداودي، ص. 446.

(105) محمد الطالبي، دراسات، ص. 126.

(106) التيجاني، ص. 33 "فأبتنت القصور علي السواحل، كقصور سوسة وغيرها، وجعل بها من عبيد أهل القيران ومن انتدب معهم قوم للرباط".

المرابطين كانت تهدف - إلى جانب الدّعاية السّياسيّة والمذهبيّة للسلطة - إلى إعادة احياء أراضي السّاحل وبقية المناطق التي تطوّرت فيها الحصون، وتبرز هذه العلاقة بوضوح كما أسلفنا في مؤلف أبي الفضل مسرور : "أحمية الحصون". وقد ساهمت هذه المؤسسة في تشكيل الطّابع الحالي للسّاحل التّونسيّ المتميّز بزراعة الزّيتون والبقول وتعدّد القرى¹⁰⁷.

وكانت رباطات إفريقيّة تتمتع بأحباس متعدّدة، أهمّها أراضي الأحمية (ج. حمي) التي أفرد لها عبّاد إفريقيّة، مثل أبي الفضل ويحي بن عمر¹⁰⁸، عدّة مؤلّفات. وكانت أراضي حمي القصر الكبير بالمنستير تشمل آلاف البساتين بالقرطيل (المنستير) والمهدية والجريد ونفزاوة والقصرين¹⁰⁹، ممّا يجعل من الرّباط - على غرار القصور الأمويّة في الشّام¹¹⁰ - مؤسّسات فلاحيّة، ومن المرابطين رهبانا - مزارعين (بدل الرّهبان - المحاربون). ويؤكد هذا النشاط مناهضة نسّاك الوطن القبلي للضريبة النقديّة الجديدة التي أحدثها الأمير عبد الله بن ابراهيم الأغلبي على المنتج الفلاحي¹¹¹. وكان الحمي يتكوّن من أراضي جماعيّة تغلب عليها الزياتين (الشعراء)¹¹² وتستعمل أيضا لزراعة الحبوب وتربية الماشية¹¹³. على أنّ المرابطون كانوا أيضا يتمتّعون بقطع خاصّة (جنان)¹¹⁴. حيث كانوا يتعاطون زراعة العنب والتين والكمثري والرّمان والبقول¹¹⁵. وكانوا في أوّل الأمر يفلحون ويحيون هذه الأجنّة بأنفسهم، وهي إحدى الوظائف الأساسيّة التي أسّس من أجلها الرّباط. فأبو عمرو بشير بن عمرو المتعبّد بالقصر الكبير، رغم أنّه

(107) المالكي، II، ص. 34، 152، 419؛ هادي ر. إدريس، الدولة الصنهاجية، II، ص. 240-241؛ ر. برنشفيك، نفس المرجع، I، ص. 338 وII، ص. 227-228، 231.

(108) المالكي، ص. 491-500؛ عياض، IV، ص. 317-364؛ V، ص. 59.

(109) محمد مخلوف، ص. 193؛ محمد حسن، "وثيقة تحبّيس هنشير بن منصور"، المجلة التاريخيّة المغربيّة، 1988، ص. 229؛ ه. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305؛ محمد صالح الصيّادي، الدّاتية التاريخيّة، ص. 26.

(110) مثل قصر الحير الغربي وقصر الحير الشرقي.

(111) المالكي، I، ص. 331؛ ابن عذاري، I، ص. 95.

(112) المالكي، I، ص. 332؛ التيجاني، ص. 23-24.

(113) المالكي، I، 416؛ اللّبيدي، ص. 62.

(114) نفس المصدر، II، ص. 443؛ رأى محمود المتعبّد بالمنستير الرّسول يقول له في المنام "اجمع الفول الأخضر من جنّاتك واحمله للغدامسي". وفي الرّياض أيضا (II، ص. 125)، "ذكر أنّ أخا [لأبي يونس المتعبّد بقصر الطّوب] اشتكى أرنا أفسدت عليه بحيرة له بجوار قصر الطّوب فدعا عليها فلم تلبث إلّا يسيرا حتّى ماتت".

(115) المالكي، II، ص. 38-40؛ عياض (طالبي)، ص. 282؛ ه. ر. إدريس، نفس المصدر، ص. 240-241.

"من رهبان الليل"، كان يخصص جزءا من وقته للإعتناء بداليته¹¹⁶. على أن مصنف أبي الفضل¹¹⁷، وخاصة الفتاوي الزيرية، تؤكد أن المرابطين أصبحوا يلجئون شيئا فشيئا إلى المساقاة - على غرار أفراد الأرستقراطية الأغلبية¹¹⁸ ورهبان الأديرة المسيحية - ويشكلون بدورهم نوعا جديدا من الأرستقراطية الدينية - الزراعية. وعكس ما ذهب إليه ه. ر. إدريس، لا تدلّ الفتاوي الصنهاجية التي تعرضت لهذه المسألة بإطناب على "انحطاط الرباط" في القرن السادس للهجرة¹¹⁹، بل تعكس حقيقة هذه المؤسسة منذ العهد العباسي الأول، وهي حقيقة حاول الفقهاء ومؤلفوا كتب الطبقات الذين تسيطر عليهم "ميتافيزيكية" الجهاد اخفاءها¹²⁰. كما أن هؤلاء المرابطين أصبحوا لا يكتفون بامتلاك منازل وبيوت بالقصور، دون الإقامة بها، (مع الحضور لأخذ نصيبهم من الصدقات)، بل استحوذوا على الأراضي التي غرسوها وأورثوها لذويهم¹²¹. ويفسر ازدهار هذه المؤسسة رخاء المنستير في العصر الزيري، إذ أكد الادريسي أن فاكهة المهدية كانت تجلب من مدينة الرباط¹²².

الرباط والصيد البحري

أكدت الدراسات الأثرية الحديثة وجود مصائد (viviers) رومانية بسيدي داود والمنستير. كما عثر على بقايا مصانع لتصبير السمك بكل من غار الملح، سيدي داود، قليبية، هرقل، المنستير، سلقطة، قبوذية، سيدي منصور ويونقة¹²³. وقد أصبحت كل هذه المواقع مراكز مرابطة في العصر الإسلامي الأول، مما يؤكد وجود روابط بين هذه المؤسسة والصيد البحري¹²⁴. وذكر البكري أن مرابطي جبل آدار كان "عيشهم من

(116) المالكي، I، ص. 419.

(117) نفس المصدر، II، ص. 250-251 "إن لم تكن له صحة فليحرق ما يكفيه عند الاخوان فهذا أحب إلي من الحرث في الحمي".

(118) الونشريسي، VII، ص. 177-178.

(119) ه. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 304.

(120) نجد في إحدى فتاوي القابسي أن أهل إحدى القرى "تولوا زراعة وإحياء أرض حلفاء محبسة على أحد الحصون، وأن العملية تمت لصالح المرابطين وبموافقتهم. وفي فتوى أخرى لأبي بكر بن عبد الرحمن، كان النساك يتقاضون أموالا (تسعية) بصفة منتظمة من أهل المهدية مقابل إستغلال الزياتين والأراضي المحبسة على القصر الكبير. الونشريسي، IX، ص. 586؛ ه. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 306-307.

(121) الونشريسي، VII، ص. 177-180؛ ه. ر. إدريس، II، ص. 306-307.

(122) الادريسي، ص. 144.

(123) P. Troussset, "La pêche au Maghreb dans l'Antiquité", in Cahiers du C.E.R.E.S, XI, 1995, p. 33.

(124) حول هذه العلاقة انظر : N. Djelloul, "La pêche en Ifriqiya au Moyen âge", in Cahiers du : C.E.R.E.S, XI, 1995, p. 51.

نبات الأرض ومن صيد البحر¹²⁵. وكان برباط شقانص "أمة مقيمة على صيد البحر" حسب ابن حوقل¹²⁶. وأكد القابسي في إحدى فتاويه "أن التصيد في بحر المنستير كالاحتشاش والإحتطاب من شعاريها، لا يسع منه الانتفاع بغير من بها إلا بما لا ضرر عليهم فيه ولا منفعة لهم في تركه"¹²⁷. كما أن امتناع أحمد الطرابلسي عن اكل "لحم صيد المنستير طرياً ولا مالحة" يؤكد تواصل مصانع التصبير الرومانية. كما أن "الصدقات" -التي ترد على الحصون تختلف عن الهدايا التي كان الموسرون - من أهل القيروان والقرى المجاورة - يرسلون بها إلى النساك. فهذا المصطلح يجب أن يفهم على أنه ضريبة موظفة على الصيد البحري وإستخراج الملح من الملاحات المتاخمة للقصور. وكان العباد يتمتعون بجزء من مداخليها، وهي تشمل أيضاً معروف "التسعية" وغلة الأحباس، من أراضي وحمّامات توجد بإفريقية وخارجها.

الرباط والتجارة

يؤكد وجود عدة رباطات على الطرق البرية والبحرية التداخل الوظيفي -مثلما هو الشأن في المشرق- بين الخان والرباط. وقد كانت موارد الرباط في إفريقية تشمل المرشد الموظفة على المسافرين والتجار الذين ينزلون بالحصون¹²⁸. كما أن بعض التجار كانوا يعهدون إلى المرابطين بأموالهم وبضائعهم، يحفظونها ويحرسونها (الودائع)¹²⁹. وتدلّ هندسة "رباط" سوسة أن غرف طابقه الأرضي التي تفتقد للإضاءة كانت مستودعات (مخصّصة للبضائع). وإلى جانب ايواء المسافرين -من تجّار وحجيج- كانت القصور أيضاً أسواقاً فلاحية هامة يساهم المرابطون في تنشيطها، وكانت تعقد خاصة إبان المواسم¹³⁰. وقد أصبح مثال المرابط الذي يتعاطى التجارة ويخزن البضائع في غرفته لبيعها في الوقت المناسب أكثر شيوعاً في العصر الزييري¹³¹. وكانت القصور -مثل الخانات والخانقاهات المشرقية- معدة أيضاً لايواء رجال البريد وخيولهم¹³². كما

(125) البكري، ص. 83.

(126) ابن حوقل، ص. 73.

(127) الونشريسي، II، ص. 5-6.

(128) المالكي، I، ص. 523، II، ص. 378-379.

(129) اللبيدي، ص. 234-235؛ هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 306.

(130) المالكي، I، ص. 332-445 "وصل لوح مشحون للغدامسي"، II، ص. 7+4؛ البكري، ص. 30؛

الونشريسي، VII، ص. 177-180؛ G. Marçais, Notes, p. 34.

(131) هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص. 305-306.

(132) P. Sourdel, art. "Barid", E.I, I, p. 1077, J. Sauvaget, La poste aux chevaux dans l'empire des

Mamlouks, Paris 1941, p. 10-15.

كانت مجبرة في بعض الأحيان على القيام " بحق الضيافة " لجند الأمير¹³³، وهي وظيفة ورثتها عنها الزوايا الحفصية، مثلما ورثت عنها الوظيفة التعليمية¹³⁴.

من الرباط إلى الزاوية

يؤكد هذا التداخل الوظيفي عنصر التواصل بين الرباط والزاوية، مثلما هو الشأن بالنسبة للخانقاه والرباط في المشرق¹³⁵. كما يفسر تحول رباطات جبل المنار (سيدي بوسعيد) وقلبية إلى مراكز صوفية. كما أن أغلب الزوايا التي مكّنت منطقة الساحل من الحفاظ على حياتها القروية (المنستير - طلبة - الشابة - قصور الساف...) وريثة رباطات يعود إحداثها إلى الفترة الإسلامية الأولى. ويمكن أن نشبه الدور الذي لعبته هذه الرباطات بالدور الذي لعبته الخانقاهات الكرامية في بلاد ما وراء النهر، إذ نجد عند مرابطي إفريقية (الذين كانوا أيضا جبرية مجسمة)¹³⁶ كثيرا من المفاهيم التي كانت متداولة لدى الكرامية، مثل منكر ونكير. ولفهم هذا التواصل يجب أيضا إعادة النظر - على الأقل - بالنسبة لإفريقية - في التمييز الذي أقامه جولد سيهر بين "مرحلة الزهد" ومرحلة التصوف"، فالتياران إرتبطا بالموروق القديم¹³⁷، خاصة وأن هيمنة الفقهاء المالكية جعلت ميلاد وتطور التصوف في المغرب مختلفين عما هو في المشرق¹³⁸. وهو ما أدى إلى انتشار المفاهيم والطقوس الصوفية بصفة مبكرة في الرباطات، في حين تأخرت مرحلة التنظيم. ويذكر عياض أن سحنون بن سعيد، الذي ينسب إليه تقنين حياة الرباط، "أرسل إلى جميع البوادي في الصوفية فأجتمع إليه منهم نحو ألف رجل" بعد أخذ أحد قواد الأغالبة لمجموعة من الحرائر، وكان "رجل من المتصوفة يحضر

(133) المالكي، I، ص: 335، II، ص: 15؛ ابن ناجي، II، ص: 172.

(134) المالكي، II، ص: 463؛ محمد حسن، نفس المرجع، ص: 229.

(135) حول تداخل وظائف الرباط - المدرسة - الخانقاه: انظر: J. Pederson, art. "Madrasa", E. I, V, p. 1125-1126.

(136) رفض عبد الله بن فروخ والبهلول وابن غانم الصلاة على جنازة ابن صخر المعتزلي: المالكي، I، ص: 186. انظر أيضا ج: I، ص: 242-246 حول كره المرابطين للقدرية.

(137) راجع أيضا: محمد عابد الجابري، تكوين، ص: 217.

(86) حول تطور التصوف في المغرب أنظر: أ. بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، بيروت 1981؛ G. Drague, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris 1951؛ E. Dermenghem, Le culte des saints dans l'Islam maghrebin, Paris 1954, J. Spencer Trimingham, The sufi orders in Islam, Oxford 1971, M. H. Hila, L'ascèse et son influence sur la société ifriqiyenne à l'époque aghlabite, Thèse, Paris-Sorbonne, 1975.

(138) عياض (طالبي)، ص: 112-284.

مجلس جبلة بن حمّود، فإذا سمع شيئاً من الرّقائق عصر عينيه¹³⁹. وكانت هذه الرّقائق تقرأ في الرّباطات¹⁴⁰ وفي مسجدي السبت والخميس. وكان سحنون، الذي تتلمذ عليه العديد من كبار المرابطين مثل عبد الرّحيم الزّاهد وجبلة بن حمّود وواصل الجمي، بدوره تلميذا لشقران الهمداني (ت. 186 هـ. / 802م) أستاذ الصّوفي الشهير ذي النّون المصري(140).

وذكر عياض أنّ حمديس القطّان، معاصر سحنون، كان "يكره الذين يجتمعون للميعاد، ويضربون على صدورهم، وكان يقول: لو كان لي في الأمر شيء لنفيتهم عن المنستير"¹⁴¹. وكان لسعدون الخولاني "كتب الحدثان"¹⁴²، كما كان العديد من المرابطين "يتكلّمون على الخاطر" و"يشيرون إلى المحبّة" و"الشوق" و"ينطقون بالحكمة"¹⁴³. وكان البهلول بن راشد، معاصر شقران، من "أوتاد المغرب"، كما كان العديد منهم أبدالاً، من أهل الشغل، مستجابي الدّعوة، وأصحاب وثائق يعملون بكتابي الصّوفي يمن بن رزق¹⁴⁴. وأدخل أبو عبد الله محمد بن بسطام الضبي من البصرة، أحد مراكز الهرمسيّة، "كتبا غريبة من كتب المالكيين، ككتب المغيرة بن عبد الرّحمان وابن كنانة"¹⁴⁵. وكان نصرون اللّوزي متّصلاً بمؤمني الجنّ، ومن كرامات عبد الرّحيم الزّاهد أنّه أقام ستّة أشهر دون أن يشرب قطرة ماء¹⁴⁶. وتؤكد المكانة التي حضي بها الحضر عند المرابطين أيضاً انتشار المفاهيم الصّوفيّة في هذه الأوساط، خاصّة وأنّ الكثير منهم كانوا يدّعون الاتّصال به¹⁴⁷. والخضر نبيّ في القرآن، لكنّه عند المتصوّفة وليّ، ولكلّ فترة خضرها، لأنّ كلّ نقيب خضر. ولا يمكن فصل شخصيات الخضر وإدريس عن

(139) عياض (طالبي)، ص. 284؛ المالكي، I، ص. 461.
(140) المالكي، I، ص. 312-321؛ الكواكب الدريّة في تراجم السّادة الصّوفيّة، مخد، ورقة 299؛ ابن ناجي، I، ص. 279-288؛ مختار العبيدي، ص. 40.
(141) عياض (طالبي)، ص. 290.
(142) المالكي، II، ص. 259.
(143) المالكي، I، ص. 313، 442، II، ص. 182. انظر أيضاً شرح ابن عربي للإصطلاحات الصّوفيّة الواردة في "الفتوحات المكيّة"، ص. 27، وكشاف إصطلاحات الفنون، I، ص. 210-213.
(144) المالكي، I، ص. 165، 197-198، 517، II، ص. 7، 201-205، 212، 259، 442، 444.
(145) عياض (طالبي) ص. 384. وكان العديد منهم يروي "غرائب الحديث"، وكانوا - مثل القصّاص والوعّاظ في المشرق ممّن ساهم في وضعه.
(146) المالكي، I، ص. 355. وكان العديد منهم مثل أبي خارجة عنيسة يجيد عبارة الرّؤيا.
(147) المالكي، I، 429؛ II، ص. 40 (انظر أيضاً فهرس رياض النفوس، ج. III).

الموروث القديم¹⁴⁸، ممّا يجعل الرباط أيضا همزة وصل بين هذا الموروث والزّاوية¹⁴⁹.

إنّ المؤسّسات الإسلاميّة يختلف وضعها القانوني حسب طبيعة الوقف المحبّس عليها¹⁵⁰. وبالنسبة إلى المسجد يعتبر الحبس وقف تحرير، في حين أنّ وقف مؤسّسات مثل الرباط (أو المدرسة) يعطي للمؤسّس حقّ تسييرها بتعيين الأمين أو المدرّس. وانطلاقا من هذا المبدأ احتجز الأمير الزّيري كروم المرابطين وأجبرهم على تسليم نصف قيمة محاصيلهم، لأنّ أراضي الحمي صوافي يستغلّها النّسّاك مقابل دعمهم السياسي¹⁵¹. على أنّه، رغم محاولة بعض الأمراء، سيصبح هذا الإجراء صعبا في العصر الحفصي، إذ أنّ تراجع الدّولة المركزيّة سيدعم نفوذ الزّوايا، وريثة الرّباطات¹⁵². كما أنّ تراجع البحريّة الحفصية سيجعلها تعوّض نسبيا السلطة المركزيّة في تنظيم حركة المقاومة الشعبيّة ضد القرصنة المسيحيّة. وقد كان لهذا الدّور "الحربي" الذي لعبته الزوايا شأن في تطوّر اسطورة النّاسك المحارب، ضمن الرّؤية المثالية للماضي التي ميّزت الكتابة التاريخيّة الإسلاميّة في عصر الموسوعات.

(148) حول الخضر وإدريس، راجع خاصّة : P. Sidersky, Les origines des légendes musulmanes, Paris 1910 ; L. Massignon, "Inventaire de la littérature hermétique arabe", in A. J. Festugière, la révélation d'Hermès Trismégiste, Paris 1950, p. 380-400 ; G. Vajda, art. "Idris", E.I, IV, p. 1056 ; A. J. Wensinck, art. al-khadir, E.I, IV, p. 935. وبصفة عامّة يمكن اعتبار مصادر القرآن الرّئيسية حول الخضر ثلاثة : ملحمة جلجامش، رواية إسكندر (أندريه الطّباخ) وأسطورة ألي Elie اليهوديّة. وكلّها تتصل بمفاهيم الخلود والخصب والمعرفة. ويعتبر المسلمون الخضر-الأخضر، خالدا (لا يموت)، لم يتزوّج، يحجّ كلّ سنة مرّة ويقتات مثل النّسّاك من بقل البريّة. كما شارك المسلمين في معركة القادسيّة، وهو كوليّ وخليفة لله عليّ البحر ينقذ النّاس عند الغرق والسّرقة، ويحميهم من الحرائق والدّوآب السّامة. والخضر فارسي الأدب ويوناني الأم (مثل الموروث القديم)، لكنّه يسكن سواحل الشام وإفريقيّة، حيث تكثر الرّباطات. ويذكر التيجاني (ص. 6) أنّ "الخضر فاروق موسي في رادس. وحسب بعض المفسّرين والمحدثين الخضر هو نفسه إدريس بن شيت، وكذلك إلياس. وكلاهما يرتبط بهرمس الحكيم الذي ابتدع الكتابة (وبالتالي المعرفة)، ومن هنا الدّور الذي لعبه لدى العرفانيّين.

(149) بالنسبة للموروث القديم، راجع أيضا ما كتبه المالكي (I، ص. 325) في ترجمة بو خالد عبد الخالق المتعبّد، من أصحاب سحنون. "قال عنه سهل بن يونس المصري : لو كان عبد الخالق في بني إسرائيل لصوروه في الكنائس. وقال عبد الرحمان بن القظان" : لو أنّ جبلة [ابن حمّود] في زمن بني إسرائيل لأتّنا أخباره في الكتب، ولو فاخرنا بنو إسرائيل بعبادهم وزهادهم لفاخرناهم به" (المالكي، II، ص. 28). وبالنسبة لهذه العلاقة بصفة عامّة : E. Doutté, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, Paris 1983.

(150) انظر : J. Pedersen, art. "Madrasa", E.I, V, p. 1125.

(151) هـ. ر. إدريس، نفس المرجع، II، ص.

(152) محمد حسن، نفس المرجع، ص. 236.

الملاحق

11 / الونشريسي، ج. VII، ص. 30. "سئل أبو الحسن القابسي عن حصن أراد بعض الناس أن يغيّر بعض مساكنه عن حالها. فأجاب بأن الحصون لا يصلح أن تغيّر عن حالها ولا تحوّل عن بنيانها من أجل إنسان بعينه لحاجة تصيبه أو ضرورة تعرض له، إنما يصلح أن يحدث فيها ما هو إصلاح لها من اتغار ماء وزيادة مرافق يتّسع فيها مريدو الرباط بقية الدهر. وهذا البيت الذي يخرج ويحدث فيه سلم يزول عن المسكن ويصير إلى النظر فلا يغيّر الحبس عن حاله إلا على ما وصفت لكم حصول الرباط والمساجد الحدث فيها لا يصلح إلا للمنافع الجامعة، وأمّا سكنى النساء فليس من شأن حصون الرباط المنفردة عن السواحل أصل الحصون تفرد لما بنيت له. وهذا من المعنى الذي قال الله تعالى : (فمن بدّله بعدما سمعه) وإنّما تصلح الزيادة في الحصون والمساجد، ولعل ذلك يغيّر بعض بنائها (من قبل) أن مراد بانيها الانتفاع بها وكثر العامين لها، وإنّما اقتصر على امكانه ما حدث مع الزيادة فيه لا يتغيّر ولا ينقص. وليس هو كغيره من الأحباس على الناس في مرافقهم لدنياهم وبالله التوفيق [الرجل أحق ببيته]

وسئل رحمه الله عن رجل من سكان المنستير خرج إلى الحج ثم رجع هل له الرجوع إلى بيته الذي كان يسكن فيه ويكون أحق به ؟
فأجاب بأن قال : هو أحق به وهذا جوابي قديما حتى تقوم الساعة إلى أن يظهر غير ذلك.

11 / الونشريسي، ج. VII، ص. 177 - 180. "سئل الإمام المازري عن مخازن بالقصر الكبير مملوءة قمحا وشعيرا لرجال مقيمين بالقصر والأخرون غيّب وعن زوار يغلقون مخازنهم ويخرجون فيقيمون شهرين ونحويهما وعمن له بيت في القصر ويأخذ من المعروف مثل من يبيت بالقصر وهو يبيت خارجا وعن قوم من المرابطين بأيديهم من الأرض أكثر ممّا بيد غيرهم. وعن قوم غرموا غرامة في أرض منستير ما الحكم فيها. فأجاب : هذه المسألة لها أصل ترد إليه سائل فروعها، وعليه كان يبني شيخنا رحمه الله وغيره جميع ما يسأل عنه من أمثال هذه المسائل على طريقة إن شاء الله تعالى، فأما المخزن ببيوت قصر المرابطين واتخاذ ذلك ليخزن فيه سلع التجارات فهذا ممنوع، لأن الموضع محبس ممن بناء على من يأتي بعده، والأحباس من أصلها أموال المحبّس فلا يحل استباحتها إلا على الصفة التي أباحوا، وبنوا ما حبسوه عليها،

ومعلوم أنهم لم يحبسوا ذلك مخازنا للتجارات ومواضع الإدارات للتجارات، فمن لم يكن له بالمكان سكنى فإنه يمنع من الخزن فيما يتجر فيه أو ما يقتاته. وأما من له بالمكان سكنى وقرار فإن بيت سكناه (كذا) فإن كان ممن تمسه الحاجة إليه ليستعين بربحه على نفقته وقوته ولا يستعين على سكنى المكان، ولا يمكنه القرار إلا بمثل هذا المقدار فإنه يباح له اختزان مثل هذا المقدار، ولو أراد أن يختزن مثل هذا المقدار في بيت غير بيته لكون بيته يضيق عن اختزان مثل هذا الذي لا بد له منه فإنه يسامح في ذلك إذا اختزن ذلك في بيت غير محتاج إليه، ولا يضر به ما يختزن فيه إذا دعت الضرورة إليه لضيق مسكنه كأنه بعض بيته وكأنه اختزن بيتا واسعا للسكنى ويختزن مثل هذا القدر إلا أن يرد من احتاج إلى ذلك البيت ولا مصرف له عنه، وتكون منفعته في القصر وحراسته لمنفعته، هذا فإن هذا القادم مقدم على حق هذا في البيت الآخر، إذا أمكن الأول القرار والسكنى مع اقتصاره على بيته. وأما من زاد على مقدار الحاجة وما يستعان به على مقدار الكفاية فيمنع من اختزانه في بيته وغير بيته جملة الساكن والزائد والحاضر والغائب لأنه لم يحبس على مثل هذا.

وأما الذين يتخذون القصر مسكنا بالنهار ويطرقونه في بعض ساعات النهار لإخراج حاجة منه إلى أهله وادعى لما فيه، وهذا هو المقصد ويبيتون خارجا عنه ويخلونه من الحراسة ليلا التي الحراسة فيه أشد من النهار فإنهم يمنعون ويسامحون في المبيت عند أهاليهم في بعض الليالي بقدر حاجة الرجل إلى أهله، وعند مرض يصيبه يحتاج فيه إلى تعليل النساء وممن جرت العادة إن لا يدخلون القصر وما سوى ذلك يمنعون منه، فإن اختار السكنى على الشروط التي حبس عليها فإن القصر ما بناه وهو الرباط فيه والحراسة، وتبقى المساكن خالية، فإن طرق المكان طارق بالليل لم يجد من العمارة ما يكفي في الدفاع عنه فلينظر في هذا كما نبهنا عليه، فإنه من المهمات فيه لا سيما في زمن يشتد فيه الخوف.

وأما السؤال الثالث فهو من أضعف ما يتكلم عليه المفتي ويقضي به على القوم، لأنهم طالت بهم الأزمان وهم فيه علي غير المنهج الذي يقتضيه الفقه، ولقد كان قديما مضيت أنا وصاحبنا أبو علي حسن رحمه الله بأمر السلطان، وقررنا مع الشيخ أبي حفص رحمه الله فيها وجه الفقه عندنا، لكنه لم يلبث إلا قليلا وقد انحل عقده والله حسيب من قدر على منكر يغيره في ذلك المكان فلم يفعل، وحسيب من استعان فيه

على الخروج من معالم الشرع التي أمر بها الأئمة، وأقرب طريق إلى الحق يسلك في هذا الزمان في هذه الجنات المحدثه التي لم تكن نعرفها في زمان أئمتنا رحمهم الله، ومشاهر العباد الذين كانوا بالمكان أن ينظر في جميع الغروس منها، فما ثبت أنه من جملة بناء القصور المحبسة أو ناحيتها إذا نما بناء الباني ما حبس على الارتفاق بها والانتفاع لمن سكن حبسه فإنه يعطى لكل سكان من المرابطين الذين سكنوا على الوجه الجائز، ويقدر الرباط بقدر ما يقيم منه أوده ويستعين به على كفايته وكفاية أهله ولا يمكن أحد من أخذ ذلك إذا سبق إليه بوجه جائز وإن لم يكن ذلك في يد أحد أعطى إلى الأفقر فالأفقر، وقدم الأنفع في المكان على من دونه، وإن استوى رجلان ورجل في هذه الصفة أقرع بينهم في ذلك، وما زاد على مقدار ما تمس الفقير الحاجة إليه فإنه لا يمكن أن يملكه وينفرد به دون سائر الناس، وكذلك حكم بيع الغرس إذا كان في يد غني لا يحتاج إليه في المعونة على سكنى، ولا يزعه عنه أخذه من يده فإنه لا يمكن من إقراره فيه. وقد شك سحنون في أرض افريقية فأداه هذا الورع إلى أن جعل نفسه كمساقى في زيتونه فكان يكسب منه بمقدار ما يستحقه من العمل والخدمة، وكان امامنا رحمه الله يقف على الجواب في أرض المنستير ومغارستها ومحرثها لأجل هذا الذي أشار إليه سحنون رحمه الله، ولأجل غير ذلك من العلل، فإذا جرى الأمر على أن يسلم للفقير بقدر كفايته على حسب ما شرطناه فيه، فإن الزائد على ما الفيئاه للفقير وكل ما بيد الغني من هذا على الوجه الذي وصفنا ينظر فيه، فإن قدر على نزعه من يده وإعطائه إلى فقير لا شيء في يده مما يقصد للرباط ويستعين بما يعطى عليه ولا يمكنه السكنى والقرار إلا بما يعطى من هذا فإنه يسلم ذلك إلى () من الفقراء الذين وصفنا يصنعونه ولا يحسنون من خدمة الغرس ما يحسنه من هو في يديه، فإنه يساقى ممن هو في يده أو من غيره إن أمكن على حسب الاجتهاد، ويصرف جزء المساقاة إلى الفقراء الذين وصفناهم، ويحل محل تسليم الغرس إليهم كما قلنا بل هو أنفع لهم، إذا كان الأوفى في الغلة أن يعمل هو في يده وهو أنفع للفقراء. وهذا إذا لم يقدر على إزالة الغرس ورده إلى ما هو أنفع للمساكين على نحو ما حبست عليه من رفقها في محرثهم ومحتطبهم، أو يكون الاجتهاد يقتضي ابقاء الغرس على ما هو عليه، وطرق الاجتهاد في هذا تتسع. وهكذا ينبغي أن يسلك في قسمة هذه الجنات بين المرابطين، فمن عمل هذا أو أعان عليه فإنه قد تندب إلى الله بقربة شريفة، وورقي في الفضل إلى درجة منيفة ومن لم يسلك مسلك الحق في هذا فالله حسيبه، وللساكن من الحرمة بآثار

من ان فرض فيه ممن استقرت كرامتهم، واتضح ولايتهم، فالجواب أن يكون الآخر في تخسير وكذلك يضاعف العذاب في انتهاك حرمة، والله يعلم المفسد من المصلح، ومن طلب رضى الناس بما يسخط الله سبحانه فإنه يسخطهم عليه، فيكون خسر الدنيا والآخرة. وإنما أشرت بهذه الكلمات لما رأيت من بقاء بعض المساكين قديما وحديثا على خرق عوائدهم الفاسدة وقد ذم الله سبحانه قوما إحتجوا بأنهم وجدوا آباءهم على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، وقد حكى شيخنا الفقيه الإمام أبو محمد عبد الحميد الصائغ رحمه الله عن الشيخ الفقيه أبي الحسن القابسي رضى الله عنه، وناهيك به إماما في الدين والعمل والعلم. وناهيك بزمانه إنه كان يهرب من الفتيا في ذلك المكان ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. إن افتينا هؤلاء القوم بموجب الفقه قالوا حكم الدار بخلاف هذا، وهذا إنما أوردته تأنيسا لمتولي المكان ليفتي بمن سلف وليحسن إليهم تغيير المنكرات، حتى يدرجهم عن الانتقال عما إلفوا فيها منها، إما غلطا منهم أو تأويلا فاسدا، ولعل هذا هو الذي يصرفهم إن شاء الله. وربما كان الفرق في هذه الأمور والتدريج على الحقائق برفق وتأيد وتطلب أمر أولى من الهجوم عليها، وربما يغلب على الظن أنه يقع في غلط ما أنكره، فالله سبحانه يعين من قصد الحق وطلب رضاه بفعله، وأما ميراث ما غرس فإنه ينظر فيه، فإن جرت عادة الغرسين أنهم يغرسون ويتملكون الأرض والغرس فهذا غلط منهم، لا يقرون عليه رأسا ويردون في حكم الأرض والغرس إلى ما قدمناه، ولكن من شح على ملكه في نفس الغرس نظر فيه كما ينظر في غرس ما غرس بوجه شبهة أو تعديا، وإذا عرف من هذا ما يملكه وما لا يملكه فإنه إذا لم يملك الغرس لم يورث عنه، وإن أوجب قطعه أو إعطاء قيمته فذلك من ورثته فما كان من حقه يورث عنه ما ثبت له من هذا أيام حياته، وما مات عنه لم يقض له به، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

11 / الونشريسي، ج. IX، ص. 568. "سئل القابسي من أهل المنستير في التسعية التي كانت في سنة خمس وتسعين في شهر ربيع الآخر. فقالوا له وجه لنا أهل المهدية دراهم فقسمنها فوجدنا بعض أهل المنستير غيبا فأبقينا إليهم سهامهم معزولة لناخذ جوابك بوجه الحكم فيهم. قال الساكن هؤلاء الغيب يأخذون بيوتا في القصور ثم يخرج الخارج منهم في منزله فيقيم فيها فإذا سمع بصدقة قدم فأخذ حصته ثم يرجع إلى منزله ثم إذا قدم شيء يقسم قدم أيضا فأخذ منه سهمه. قال له السائل وذكر لنا أن بعض الناس ذكر عنك أنك قلت له سهمك مما قسم مالم يكن رافضا للسكن".

الونشريسي، XII ، ص . 361-366 في المرابطون في الرباطات يجتمعون ليلا ويمشون بالقناديل يذكرون الله بالألحان .

وسئل المازري عن قوم يجتمعون بالليل بعد صلاة العشاء الأخيرة ومعهم قناديل يمشون فوق السور يذكرون أنهم يريدون العسكر يقولون باجتماع أصواتهم سبحانه الله العظيم بتطريب وتحنين، وينصرفون على تلك الصفة يمشون في الأزقة ويجوزون والمزابل وهم على تلك الحال من الاجتماع والتطريب، وقد نهوا عن فعل ذلك في الطريق والمزابل، ونهوا عن التطريب والاجتماع، وأمروا أن يكونوا على السور ويتركوا التطريب، وأن سنة الحرس في الرباط والتهليل . فهل ينهون عن هذا وهو بدعة ولا يذكرون الله إلا في المواضع الشريفة من غير اجتماع ولا تطريب؟

فأجاب : الاجتماع بالذكر بالتطريب والتحنين ورفع الأصوات قد نهى عنه العلماء وأنكروه وعدوه بدعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم «عَلَيْكُمْ بِسِتِّي وَسِتَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» وقد علم أن هذا الفعل لم يكن مما سبق في الزمن الأول، ولا فعله السلف الصالح من الصحابة لقوله «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ»، مع العلم بأنهم أعبد ممن يأتي بعدهم . ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدا الحزم في الزيادة من الطاعة والحمل على النفس من مقاساة القربات، حتى يخف عليهم إراقة دمائهم وقتل أولادهم وآبائهم في الجهاد في ذات الله ورسوله . فلو كان خيرا ما سبق هؤلاء إليه، فقال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وقال (تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا) الآية وقال صلى الله عليه وسلم : «لَوْ أَتَقَقَّ أَحَدُكُمْ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» . فمن عرف هذا وجب وقوفه عما وقفوا عنه، ويفعل ما فعلوه، وهم كانوا لا يفعلون هذا . ولا يعتقد عاقل أن يقول ما فعلوه تخفيفا على أنفسهم من المشقة بل هو أخف شيء عليهم لو أرادوه، وكذا من بعدهم من السلف لم يرد عليهم الأمر بهذا ولا الحضر عليه، وماذا كان إلا لا تبايعهم من مضى، ولو لم يكن فيه إلا أن العلماء سكتوا عنه ولم يفعلوه لكان من حق العاقل ألا يفعله، فكيف وهم أنكروه ونهوا عنه؟ فقال مالك فيمن يقرأ القرآن بالألحان ويعلم ذلك الجواري كالغناء، ما هكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن، فجعل حجته أنه لم يفعله من مضى بعده بدعة . وأيضا فإظهار هذه المعاني من نوافل الخير قد لا تخلص النية فيها ويقصد بها المباهاة والرياء وابتغاء عرض الدنيا،

وهو خلاف الشرع، وقد أمر الشرع بإظهار صلوات الفرض وإخفاء النوافل، لأن قواعد النوافل في النيات تطرق أكثر منها في الفرائض لاجتماع الناس عليها: وكذا تكلم العلماء في إظهار الزكاة، وهي فرض، وإخفائها، لقوله تعالى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمًا هِيَ) الآية. وفي الصحيح ما يقتضي منع رفع الصوت بمثل هذا: (إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ) الحديث، وإنما أبيح في حصون الرباط حين العيس من رفع التكبير أو غيره من الذكر لما فيه من المصلحة لإشعار مريد اغتيال الحصن أنهم حذرون مستعدون لدفاعه. وأما الاجتماع والتلحين في الأسواق والمجازر فلا مصلحة فيه ولا ضرورة تدعو إليه، مع ما فيه من استهجان ذكر الله في المواضع المحترقة الخسيسة، ولهذا نهى عن قراءة القرآن والإكثار منه في الأسواق احتراماً له. ولذلك قيل لابن القاسم في الباعة إذا أخذت على شيء صلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ليس موضع صلاة. ويكفيك بردهم الاتباع لمن سبق من الناس.

وعن الشيخ أبي بكر المالكي، وقد شاهدنا من فضله ودينه وجلالته وعلمه بالأخبار ما يحصل الثقة في أنفسنا بما يحكيه أن يحيى بن عمر كان سمع بزقاق الروم، وهو طريقه إلى الجامع، فريقاً يكبرون أيام العشر ويرفعون أصواتهم بالتكبير، فنهاهم عن ذلك وقال: هذه بدعة، فلم ينتهوا، فدعا عليهم فخرّب ذلك المكان. ودعاؤه عليهم يقتضي شدة إنكاره لما ابتدع على أمثال هذا، وكذا إنكاره حضور مجلس السبت، وألف فيه تأليفاً، فأمر من عانده في ذلك رجلاً أندلسياً حسن الصوت أن يصلي معه الظهر، فلما فرغ من صلاته رفع الأندلسي صوته فقراً: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ، فبكى يحيى بن عمر حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال: اللهم إن هذا القارئ ما أراد بقراءته رضاك ولا م عندك، وإنما أراد تنقيصي فلا تمهله بعد ثلاث. فيقال: إنه ما أتم ثلاثاً حتى مات، فينبغي، إن يقال لهؤلاء: أنتم وإن سبق إلى أنفسكم أن الازدياد من الخير مطلوب، فيجب أن تعلموا أن هذه الأمور لم تكن خيراً من جهة العقول ولا من جهة الشهوات ولا أحكام الارادات، وإنما هي إدبار من جهة الشريعة ومارسمه من آياتها عن الله ووعدده من الثواب عليها، فإذا رسمها على صنفة من الصفات وحدّ من الحدود ونهى عن مجاوزته صارت الزيادة شراً، فإن يكونوا من أهل الاجتهاد فهلموا إلى المناظرة، وإن كانوا من أهل التقليد فيسألون أهل العلم لقوله تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). وقد أخبرناك بما تقدم لمالك وأصحابه وغيرهم من العلماء، فلا ينبغي

التساهل في هذه المعاني، ولا يغفل عن تفقدها ولا عن ما وقع منها، فصغار الأمور
تجر كبارها، وربما كانت هذه حيلة. لاستمالة قلوب الأغنياء وصيد الدراهم. فإن قال
هؤلاء المستفتى فيهم لسنا نريد رلاً وجه الله، قيل لهم أصل مذهب مالك حماية
الذرائع، ففي بعض مسائل المدونة : أخاف إن صح من هؤلاء أن لا يصح من غيرهم.
وقد سئلت عن بعض لباس هؤلاء المتهمين للخز والمسوح والصوف الخشن الأسود
فأنكرت ذلك.

وسئل مالك عن اللباس الخشن من الصوف فقال : لا خير في الشهرة، وينبغي أن
يخفي الإنسان من عمله. وسئل في موضع آخر عن لباس الصوف وهو قادر على
التياب البيض، فقال : لا أحبه لما فيه من الشهرة، وينبغي أن يخفي الإنسان عمله،
فقليل له إنما يقصد بهذا التواضع، قال : قد يجد بثمانه من غليظ القطن ما يقوم
مقامه، فأنت تراه كيف أنكر هذه فكيف به لو سئل عن لباس المسوح والتياب السود من
الصوف. هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الْبَسُوا الْبَيَاضَ وَكَفِّنُوا فِيهِ مَوْتَاكُمْ فَإِنَّهُ
مِنْ أَفْضَلِ لِبَاسِكُمْ » الحديث، فهذه الصفة مخالفة للحديث ولما روي عن مالك، فإن
رأوا مخالفة من تقدم برأي وتأويل لم يتركوا لرأيهم وبين لهم فساد رأيهم. وعن عمر
رضي الله عنه أحب للقارئ أن ترى عليه الثياب البيض، وقد رأيت من الأئمة الذين
أخذت عنهم علم الشريعة وهم أئمة عصرهم استثقال هذه المعاني وينكرونها، ولو لم
يكن في هذه إلا التشبه برهبان النصارى فقد اشتهروا بهذا الزي حتى قال فيهم الشاعر :

أَصْوَاتُ رُهْبَانٍ دَيْرٍ فِي صَلَاتِهِمْ سُودِ الْمَدَارِعِ مَعَارِينَ فِي السَّحَرِ

وقد ختم القاضي ابن الطيب كتاب الهداية له بكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، فذكر من بعض فصول الأمر التشبه بزي لا يجوز التشبه به، وهذه الخيالات
يستمال بها قلوب العوام، ويريهـم الإنسان أن سواد قلبه عن الحزن كسواد لباسه، وهو
مساخر وملاعب. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ، وهو أن
يزى والجسد خاشع والقلب ليس بخاشع، وقيل في رجل أظهر من الخشوع والمسكنة
فوق ما هو عليه، أترى هذا أخشع من عمر الذي كان ينزو على الفرس من الأرض.
وهؤلاء الخلفاء الراشدون لم ينقل عنهم أن هذا المقدار هو كان لباسهم وزيهـم، فإن
ظن أحرق أن يفعل في اللباس وغيره ما هو أولى عند الله وأنه اجتهد فيما نرطوا فيه أو
عرف ما لم يعرفوه فقد خلع ربقة خلع ربقة العقل والمسكنة في هذا الدين من ربقة.

وهذا الإفراط في التقشف قد نهى عنه صلى الله عليه وسلم وأنكر على قوم من أصحابه ما أرادوه من التبتل ، وأخبرهم أنه أحشاهم لله لما طلبوا منه التبتل ، فأعلمهم أن التقرب إنما هو بين رؤوسهم والوقوف عند ما به حكم . فقال : لا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإسلام ، فينبغي أن يشنع على من ظن به جهل بما ذكرناه ولم يتعلمه أن ينفر العامة منه ، فإن من قصد بهذا غير وجه الله أو تحيل على جاه أو مال أوصيت فقد تعرض لسخط الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم : «مَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَى الْعَالَمِ أَنْ يُمِيتَ قَلْبَهُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُمِيتُ قَلْبَهُ؟ قَالَ يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ الدُّنْيَا» . وتوعد أيضاً أنه يلقي في النار حيث تنقلب أفتابه ، ويقال إنما كنت تقرأ ليقال وقد قيل ، وقال سحنون طلب الدنيا بالذِّف والمزمار أحب اليّ من طلبها بالدين . وهذه أمور قد كثر التحيل فيها على راحة النفس من طلب العيش أن يكون الإنسان عالة على غيره ، أو مسموع القول أو مبعلاً أو مكرماً . ومن صدّق بما في كتاب الله من قوله سبحانه (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) ، وقوله (يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) فلا يكون هكذا . ولسنا نشير في جوابنا هذا إلى أحد من الناس ، بل ربما أمكن أن يتخذ هذه الأمور من لا يقصد بها أمراً مذموماً مما ذكرناه ، ولكن حقه إذا نصح لله ورسوله والمسلمين أن لا يفتح باباً يجرّ غيره مما لا يقصد به وجه الله تعالى إلى ركوب ما نهى الله عنه ورسوله ، فقد كثر في هذا الزمان هجران الحقائق ، وربما اتخذت هذه المعاني حيلة أو شباكاً لتحصيل جاه أو مال أو لبس شيء نهى عن فعله على الإطلاق ولكن على التفصيل الذي ذكرناه ، ونأمر بتبجيل المنقطعين إلى الله وإكرامهم وخدمتهم ، فمن خدّم الله تعالى كان حقيقاً أن يخدم ، ولكن بعد صحّة القصد والنيات في اتباع حدود الشريعة ، ونأمر بالتنفير عمّن لجّ في ذلك واتخذة معاشاً ، كما قيل لبعض الصوفية : أتبيعي مِرْقَعَتَكَ ؟ فقال هل إزيتم صياداً يبيع شبكته فأصحاب هذه الشباك ينبغي أن يتحفظ منهم وينفّر الناس عنهم . وحسب العاقل أن يسلك مسالك من قد مضى ، ومن مضى أعلم ممن بقي كما قال مالك رضي الله عنه . قال الغزالي رحمه الله : من الذنوب ذنوب عقوبتها والعياذ بالله سوء الخاتمة ، قيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء . قيل ومما عظم ضرره في العوام دعوى الوصال مع الله تعالى ، حتى ينتهي قوم إلى دعوى المشافهة بالخطاب تشبيهاً بأبي يزيد والحلاج ، قال وهذا من أعظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوي ، قال وحق العوام أن يشتغلوا بعبادتهم

وبممعاشهم ويتركوا العلم للعلماء ، فإن العامي لوزني أو سوق كان خيراً له من أن يتكلم في العلم ، لاسيما فيما يتعلق بالله وأسمائه وكلامه .

الونشريسي ، X ، ص . 151

[يخلى المسجد الذي يجتمع فيه المبتدعون ويعمر بأهل السنة]

قال برهان الدين : واعلم أن هذين الجوابين يستفاد منهما الحكم في أمور واقعة عندنا . . . منها ما وقع في الجواب الأول أن المسجد الذي يجتمعون فيه يخلى ويعمر بأهل السنة ، ومثل هذا وقع عندنا للقاضي شرف الدين الأسيوطي الشافعي كان قد أخرجهم من الموضع المعروف بالمشهد وأسكنه أهل السنة . ثم أنهم استولوا عليه بعد وصار فقيهم الشريشي يلزم الجلوس فيه ويشغل فيه الناس ونشأ عن ذلك الاجتماع شرّ كثير . . . وأحدث فيه بركة وصار الموضع يقصد لأجلها . وكذلك أحدث هذا الشريشي بركة في رباط المعين ، وصار الرباط لأجلها مقصدا ومجمعا لهم ، وسكن فيه الغرباء ممن يشغلهم في دينهم . وحكم هذه المواضع أن تخلي ولا تهدم لأنها لم تبني لإجتماعهم . ولا ينظر لكونه رباطا أو وقفا فإن المعاصي الواقعة فيه رذا لم تنحسم رلا بهدمه جاز هدمه . وينبغي إسكان أهل السنة في المشهد وإشراك أهل السنة معهم في رباط المعين علي وجه ينحسم معه الفساد .

الونشريسي ، المعيار ، X ، ص . 449

سئل [ابن الحاج] عن أهل الصحراء من المرابطين كان يعني بعضهم علي بعض في أموالهم ، وأكثرها الإبل ، فتناثجت وتوارثها الأبناء من الأباء والأجداد وذهبت تلك الإبل وبقيت نسولها . ويريد من هي بيده ان يتحلل منها . وكيف إن أهدي من نسلها من هي بيده لأمر المسلمين ، هل له أن يقبلها ثم يثب عليها من بيت المال أم لا ؟

الونشريسي ، المعيار ، XII ، ص . 98

[قتل القملة وطرحها في المسجد]

قال الطرطوشي وكره مالك قتل القملة ورميها في المسجد ، ولا يطرحها من ثيابه في المسجد ولا يقتلها بين النعلين في المسجد . ابن الحاج ، وقد قال علماؤنا رحمهم الله في المصلي إذا أخذ قملة وهو في الصلاة : فلا يجوز له أن يلقيها في المسجد

لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا قتلتم فأحسنوا القتلة." وإذا رماها في المسجد وهي بالحياة فإما أن تموت جوعاً أو تضعف، وكلاهما عذاب لها. وليس ذلك من حسن القتلة. وشأن من وقع له ذلك أن ينقلها لمكان آخر من بدنه أو ثوبه، أو يربطها في ثوبه حتى يخرج من المسجد.

وحكى عن السيد حسن الزبيدي أنه خرج مع أصحابه إلى بستانه. فلما أن كان في أثناء الطريق رجع إلى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا إلى البستان، فسألوه عن سبب رجوعه فقال: كان علي قميص نسيت في البيت، وفيه دواب، فخفت أن يموتوا جوعاً. فرجعت إما أن أقتلهم وإما أن ألبسه.

فهرس أبجدي عام

- أ -

86	ابن كنانة	15	آل عمران
96,76	ابن سهلون	68	آل الجبنياني
69	ابن سرح	157	ابراهيم بن عيشون
181,167	ابن الأغلب	187,92,89	ابراهيم بن غازي
114,113	ابن الجعد	187	ابن غانم
158,156	ابن عاصم المرسى	95	ابراهيم بن حبشي
103	ابن الجارود	85,84,81,79,100	ابراهيم الثاني
34,21,18,157	ابن أبي زيد القيرواني	90,86,84,70	ابراهيم بن أحمد
156	ابن المزيدي	95,75,74	ابراهيم بن الأغلب
215	ابن الطيّب	32	ابراهيم المكياني
52	ابن سنجر	12	ابن بطّة
21	ابن المبارك الخراساني	13	ابن حزم الأندلسي
40	ابن أبي زرع	22,21	ابن سعد
33	ابن كرام	23	ابن عبد ربّه
22,19	ابن حنبل	66	ابن مسروق
89	ابن رزين	23	ابن بطّوطة
19,10	ابن منظور	66	ابن عربي
22	ابن قدامة	151,36	ابن قسّي
10	ابن العريف	52,10	ابن سمجور
171	ابن وهب	11	ابن الزبير
174	الأباضيّة	27	ابن مترف
48	ابو محمد بن عبد الله	74	ابن زريق
	بن أبي المهزول	66	ابن سرين

11	أبو ملال الديهوري	أبو العباس محمد الأول 78
36,35	أبو سعيد الصوفي	أبو العباس الأجدابي 196
76,44	أبو سعيد الباجي	أبي سعيد (قرية) 95
120,79,78,71	أبو براهيم أحمد	أبو بكر محمد بن 28
200,196,185,138		سعدون الجزري
132,131,123,54	أبو يزيد	أبو بكر عمرو 46
159		أبو بكر القرشي الصقلي 120
10	أبو مدين شعيب	أبو بكر بشير بن 109, 108
27	أبو محمد بن الحسن	عمروس
22	أبو نعيم الاصفهاني	أبو بكر محمد بن 116
77	أبو محرز	سعدون الجزيري
90	أبو يونس نصير	أبو عبيد الله محمد بن 84
51	أبو بكر عطية الجزري	أبي حميد
	الجماجري	أبو الفضل مسرور 77,74
51	أبو بكر بن سعدون	أبو الحسن بن تمام 47,46
	الجزري	الأجدابي
57,50	أبو عثمان الجزري	أبو الحسن الصقلي 53,51
47	أبو علي بن حمود	الجزري
	التونسي	أبو الحسن محمد بن 26
70	أبو الاحوص أحمد	الحسن ماه
	بن عبد الله	أبو الحسن السبائي 46
53	أبو علي الطنجي	أبو عيسى مروان بن عبد 28
34,33	أبو اسحاق ابراهيم	الرحمان اليحصبي
	الكزروني	أبو هارون الأندلسي 89,85
21	أبو إسحاق الفزاري	أبو ابراهيم بن العربي 56,52,50
97,88	أبو العباس محمد بن	أبو القاسم تمام 91
	الأغلب	أبو أرجونة 53
		أبو سليمان الجزري 50,53

86	ابو عبد الله محمد بن	86	ابو سعيد خلف
	بسطام بن رجاء الضبي		السرّتي
92	ابو عبد الله محمد بن	86, 81, 78	ابو جعفر احمد بن
	قطانية السوسي		سعدون الأربسي
98, 97	ابو زكرياء الهرقلي	76	ابو الحسن علي
78	ابو عقّال (الأمير)		الأنصاري
156, 145, 138, 135	ابو إسحاق الجبنياني	114, 105, 58, 44	ابو فارس عبد العزيز
166, 159, 158		32	ابو حنيفة
164, 163		28	ابو سليمان ربيع بن
116, 115	أبو الفضل العبّاس بن		عبد الله
	محمد الغداسي	85	ابو داود
126, 125, 121, 116	ابو السري واصل	82	ابو البشير محمد بن
	الجمي		احمد بن يونس
123, 122, 121	ابو السري واصل	152, 92, 89, 86	ابو جعفر القمودي
	التبصي (الصغير)	154	
160, 153, 118, 21	ابو إسحاق السبائي	85	ابو عبد الله محمد
173, 171, 170, 169	ابو عنبة خارجة		بن كريم المسوحي
	الغافقي	89	ابو طاهر بن عمرو
156, 155	ابو عمر بن المثنى		بن السرح
163, 162	ابو زكرياء يحيى بن	85	ابو الغصن نفيس
	المزيدي		السوسي
154	ابو الحسن بن الخلاف	87	ابو الفضل عبّاس
155	ابو مصعب		الممسي
155	ابو العبّاس احمد بن	196, 86	ابو بكر بن أبي عقبة
	نافذ	94, 93	ابو يزيد سهل
117	ابو محمد الجبي		القبرياني
118	ابو جعفر أحمد	87	ابو البشر محمد بن
	الطرابلسي		احمد بن يونس

173	ابو الربيع سليمان بن محمد الأندلسي	110, 108	ابو علي بن المكفوف النحوي
173	ابو حفص عمر الحفصي	115	ابو عبد الله بن دارة
176	ابو عيسى العموري	164, 110	ابو الحسن الكانسي
179	ابو عيسى (سهيل)	145	ابو يوسف مسلم الحضرمي
159	ابو حفص عمر بن المثنى	154	ابو محمد عبد الرحمان بن عبد ربه
159	ابو عبد الله محمد بن سهلون	131	ابو يونس الورداني
159	ابو محمد بن أبي زيد	129, 127	أبو يحيى حشيش
159	ابو الفضل الممسي	168	ابو الغور سعيد حريز
160	ابو القاسم عبد الرحمان الحضرمي اللبيدي	193, 120, 116	ابو هارون الاندلسي
114, 113	ابو عبد الله محمد بن عبادة	116	ابو عقال بن غلبون
		115	ابو عبد الله بن سعدون
183	ابو الحسن علي بن احمد بن الخضيب	109	ابو محمد الاوساني
183	ابو عثمان بن خلفون الحساني	198, 196, 196	ابو جعفر الأربسي
183	ابو الحسن البارزي	155	أبو الحارث ليث بن صفوان
182	ابو محمد عبد الله الطرابلسي	156	أبو محمد الصدفي
180	ابو محمد عبد الجليل الحكيمي	156	ابو عاصم الطرسي
108	ابو سعيد خلفون النوفلي	156	ابو اسحاق عيسى بن ثابت
108	ابو عثمان الجزري	157, 116, 110	ابو الحسن القابسي
143	ابو الحسن الوحيشي	156	ابو الحسن علي بن محمد المغافري

152	أبو الفتوح	95	أبو سعيد خلف بن جرير
104	أبو الحسن علي		اليحصبي
	السراج	94	أبو القاسم عبد الوهاب
103	أبو القاسم محمد		بن نصر
	الموصللي	46	إبيانة
112	أبو الفضل عباس بن	46	إبراهيم بن محمد
	محمد الصوّاف	31, 25, 20, 19, 15	الأتراك
	الغدامسي	125	
115	أبو الفضل يوسف	176	أجاص
115	أبو العباس الاجدابي	149	أجدابية
115	أبو عطية بن رهون	191	أحباس سوسة
	الجزيري الجماجري	60	أحمد بن داود الصنهاجي
116	أبو حفص بن عبد	32	أحمد بن حرب
	الله الصدفي		النيسابوري
117, 116	أبو سودة بن الفراء	156	أحمد بن مسلم
89	أبو إسحاق الكلبي	132	أحمد بن عرفة
90	أبو إسحاق البرقي	138	أحمد بن الاغلب
89	أبو زكرياء الحفري	147	أحمد بن عيشون
97	أبو إبراهيم الخراساني	154	أحمد بن أبي حبيب
92	أبو عبد الله الغيمي		البلياني
	الفخّار	28	أخنا
94	أبو الفضل يوسف بن	205	أدريس (النبي)
	مسرور	39	أدريس الاول
91, 89	أبو يونس نصير	74	الأربس
95	أبو بكر محمد بن	32	أريحا
	زيان الحفريسي	40	أرزلة
83	أبو الاحوص أحمد	29	أرسوف
	بن عبد الله	200, 103	أرمينية

168	الافارقة	29	أزدود
194	الاكواخ	25,24	اسبيجاب
45,44	الامراح (رادس)	58	اسحاق (زاوية المقاييز)
177	الامبوريا	33	الاسحاقية
161	ام الاصابع	152	الاسبان
157	ام يحيى مريم	83,77,75,68	اسد بن الفرات
36,35,34,30	الاناضول	153,115	
50	أنبلونة (سيدي احمد	73,72	اسماعيل المنصور
	بوفارس)	53,52,51,50	اسماعيل بن رباح
39,38,24,21,18	الاندلس		الجزري
148,112,99,97,83		126	اسطيا
180,173,161		83,70,52,28	الاسكندرية
195		181,175,152	
194,191	الاندلسيين	194,190,188	
45	انس بن مالك	199	
163,150,143,135	انشلة	190	أسنا
164		190,188,28	أسوان
25	اوش (فرغانة)	217	شرف الدين الاسيوطي
166	اولاد رقيق	31	الاشعري (ابو الحسن)
34,33,24	ايران	34,22,21	الاشاعرة
36,35	الايبويون	11	اصطخر
		40	الاطلسي
		140,139	أعراب
		26,18,11	اعتزال
		191	الاعرج (أمين المنستير)
		54	أغاتوكلاس
		26	الأفشين (العباسي)
		136,35	افريقيا السوداء

- ب -

138, 136	البرج الاحمر	28	بئر أبي اسحاق
147	برج عبد الرحمان	120	بئر بروطة
190	برج العرب	142, 55	باب البحر
188, 180, 148	برشانة	55	باب السوق (الحمّامات)
39	برغواطة	55	باب الهوارة
52	برقة	80	باب الجديد
130	البرجين	142	باب الفتوح
161, 150	برزليس	142	باب الديوان
191, 57, 28	بشير بن عمرو	142	باب الجبلي
86	البصرة	112	باجة
151	بصترى	25	باراب
175, 150, 143	بطرية	25	باميان
205, 199	محمد بن بسطام الضبي	28	بجّة
166, 35	بغداد	62	بجاية
123, 122, 121	البقالطة	47	البحرين
127	بقة	178, 177	بحيرة البيبان
127	بكّة	31, 30, 26, 24	بخاري
32, 31, 26	بلخ	26	بدخشان
31, 30, 27, 24, 20	بلاد ما وراء النهر	52, 39, 32, 28	البربر
38, 37, 34, 33, 32		55	برج السلوقية
24	بلاد السند	55	برج الزياي
183, 60, 50	باشو	55	برج عزوز
152	بلارة الزيرية	55	برج قلبية
158, 155, 144, 119	بليانة	126	برج حنّبل
161		129	برج مسعودي
199, 49, 48, 47	بنزرت	129	برج خديجة

112	بنت السلطان (ممشى)	بنو وجّاص	48
161	بنطاي	بنو أميّة	58,31
61	بوفيشة	بنو غانية	140
62	بونة	بنو عمروسى	146
30	البيزنطيون	بنو إسرائيل	159
87,54	بنو عبید الله	بنو سليم	173
159,111,110	بنو عبید	بنو جامع	175
40	بنو مرین	عیشون البکاء	198
105,92,81,67	بنو الاغلب	البهلول بن راشد	205,196
183		بيکند	25,24
68,65	بوزاقية	بيروت	21
166,152,81	بنو حفص	بني خيار	60
85	بنو وشتيت	بوزاقية	119
50	بنو غانية	بوغزارة	161
149,121,67,66	بنو نافذ (قرية)		
158			

- ت -

61	تازركة	تقي الدين المقریزی	28
62	تاکاتوا	تنیور	143
86	تاهرت	ابو عبد الله التميمي	191
121	تابسوس	تمترا	95
188,123,122	تبصة	التوبة (جبل)	38
136	تبرورة	تونس	75,59,47,45,44,43
176	تبلبو		185,175,135,70
190	الترك	خلفون التّونسيّ	191
27	الترمذ	تاورقي	166
19	الترمذي	تينجة	47

- ث -

ثابت بن سليمان 155

- ج -

112	جزيرة التنارة	169, 168	جامع المحرس
123	جزيرة الأحاسي	185	جبل أدار
135	جزيرة قرقة	186	جبل زغوان
168	جزر فريسول	204, 193, 188	جبل المنار
183	جزر تونس	194, 116, 53, 28	جبل اللكام
168	جزر الكنائس	194, 28	جبل المقطم
186, 71	الجزيريون	46	جبل بوقرنين
	اسماعيل بن رباح	53, 28	جبل الأكواخ
199, 198	الجزري	38	جبل طارق
68	جرجير	83	جبل المعسكر
189	ابن الجعد	184, 122	جبل نفوسة
176	الجفارة	132	جبل القصر
178	جكتيس	154, 91, 90, 89	جبل بن حمود
38	الجلالقة	138, 130, 128, 67	جبنانة
132, 131, 130	جمال	159, 158, 146, 143	
131	جميلة (خربة)	190, 189, 186	
151, 150, 68	الجم	176, 168, 138	جوبة
188, 68, 54	جمّة	33	جرجان
32, 31	الجهمية	177, 176	جرجيس
31	جهم بن صفوان	201, 191, 112	الجريد
34, 23	الجويني	37, 18	الجزيرة
33	الجوزداني	61, 58, 52, 51, 50	جزيرة شريك
128	جوستنيان	199, 71	

- ح -

161	حصن برشانة	46	حامة الجزيرة (حمام
173	حصن يونقة		الانف)
45	حلق الوادي	154	حاتم الجبنياني
88	حكيم	28	الحبش
، 135, 188, 60, 51	الحمّامات	96	حبشي بن عمر
203, 197		146	حزق
16	حمي النقيع	158	حسانة
62	حومة رابطة المتمنى	87, 85, 72	الحسن بن نصر
102	حومة البلد	90, 44, 43	حسان بن النعمان
186	حومة المرابطين (القيروان)	33	الحسيمية
155, 147, 145	حمدون بن مجاهد الكلبي	33	الحسنية
109, 108	حمديس القطان	48	حصن أبي المهزول
139	حمّو بن مليل البرغواطي	124	حصن الفاضلين
173	حمّو بن يحيى القسري	139	حصن سوسة
51	حفص بن عمر الجزيري	134	حصن المنستير
29	حيفا		

- خ -

183	خطّاب البرقي	190	خان عطشان
92, 89, 78	خلف السرتي	131	خربة جميل
118	خنيس	163	خريبة خالد
205, 199, 187	سعدون الخولاني	25, 24	الخرلوكية
122, 87, 52, 31, 17	خوارج	127, 26, 24, 19, 18	خراسان
176, 174		194, 33	
24	خوارزم	198	ابراهيم الخراساني
168, 136, 135	خليج قابس	169	خزان الرملة
174	خليج سرت	، 109, 82, 57, 36	الخضر
176	خليج بوغرة	205, 183	

- د -

36,28	دمشق	185	دار الصنّاعة (تونس)
84,82,81	دمنة (سوسة)	60	دار شعبان الفهري
38	دير الرّابطة	146,144	دار مالك
185	دير مندراكيون (قرطاج)	180	الدّبّايون
185	ابو الهاجر دينار	50	درنة
106	دويّد (الاعلبي)	88	دلاج
26	ديزيك	28	دمياط

- ر -

28	رباط شطّا	62	رأس الحمراء
28	رباط الفرما	49,48	رأس الجبل
28	رباط الورّادة	178	رأس المخبز
28	رباط العريش	47	رأس قمرة
60	رباط سيدي هلال	143	رأس قبوذية
40,39	رباط الفتح	176	رأس مرمور
39	رباط تازة	185,45	رادس
143,40	رباط تيت (طيط)	184	الرّابطة
190,40	رباط السيدة	28	رباط البرّلس
101	رباط شقانس	28	رباط رشيد
43	رباط أبي سليمان	28	رباط الاسكندرية
43	رباط بيرصة	28	رباط ذات الحمام
97,89	رباط سوسة	49	رأس تاكمرت
190,119	رباط لمطة	49	رأس سرّات
122,121	رباط تبصة	28	رباط المحرس
122	رباط سالة	28	رباط البحيرة
138	رباط صفاقس	28	رباط أخنا
191,189,185,181,138	رباط المنستير	28	رباط دميّاط

200	رباطات فلسطين	141, 139	رباط مسعودة
146	ربيعة	139	رباط سيدي خنفير
118, 53, 48	ربيع القطان	141	رباط الشيخ مفتاح
190	هارون الرشيد	141	رباط الشيخ منصور
171	رشيد بن سعد	141	رباط سيدي المغبي
117, 52, 45, 20, 18	الرسول	142	رباط جبلة
152, 148, 143, 128	رصفة	157	رباط جبنانة
162		162	رباط اللوزة
49	رغراف	167	رباط المحرس
197, 190, 158	رقادة	190, 189, 186, 185	رباط سوسة
190, 83	الرقّة	193	
145, 99	روسينا	185	رباط رادس
123	روجار الثاني	190	رباط سيدي ذويب
199, 198, 196, 97	روما	190	رباط قبوذية
68, 66, 48, 45, 29	الروم	190	رباط هرقله
139, 107, 98, 93, 74		185	رباط يونقة
149		48	رباط أبي صقر
127, 124	الرومان	10	رباط شلب
188, 165, 33, 29	الرملة	28	رباط الواحات
165	الرياحية	201	رباطات إفريقية
191	أبو عبد الله الرياحي	195	رباطات صقلية

- ز -

181	زكرياء بن قادم	179, 40	الزّاوية
35	الزنكيون	58	زاوية بوكريم
180, 179	زنزور	191	زاوية رباط سوسة
47	الزّويليون	77	زاوية الزّقاق
126	زويلة	45	زاوية سيدي بويحي
177	زوخاريس	59	زاوية سيدي بوالرباط
178	زواوة	59	زاوية سيدي الجهمي
178	زواوة الصغرى	180	زاوية أولاد سنان
179	زواغة	179	زاوية أولاد سهيل
177	زيزو (جزيرة)	105	زاوية سيدي ذويب
، 146, 91, 80, 75, 74	زيادة الله الاول	130	زرمدين
150		103, 33	الزربية (المنستير)
198, 190, 87, 72	زيادة الله الثالث	214, 191, 78	زقاق الرّوم (سوسة)
45	زيد بن ثابت	218	حسن الزبيدي

- س -

65	السباسب	، 66, 67, 53, 50, 45	الساحل
181	سبية	، 87, 75, 80, 68, 61	
68	سيطة	97, 95, 93, 88	
178	سباخ الكلاب	، 124, 122, 120, 112	الساحل
25	ستكند	، 138, 132, 131, 125	
، 89, 85, 84, 73, 71	سحنون بن سعيد	، 159, 158, 150, 144	
109, 107, 96, 95, 90		، 200, 187, 180, 160	
137, 131, 125, 120		201	
154 ، 146, 138, 138		197, 93, 88	الساحلين
173, 171		39, 11	سالة
190, 168	السخيرة	120	سانية المرابطين

39	السوس	184, 173, 92	سرت
36	السوس الايراني	177	سرتيكا
66, 65, 59, 30, 29, 19	سوسة	54	سرقوسة
، 76, 75, 74, 71, 70		197, 196	خلف السرتي
، 83, 80, 79, 78, 77		30	سرخس
، 89, 88, 87, 86, 84		79, 77	السفرة (ماجل)
102, 101, 98, 96, 93		171	سفيان بن عينة
، 116, 108, 107, 104		171	سفيان الثوري
، 130, 129, 126, 117		69	السفيرون
، 185, 155, 150, 148		111, 110, 108	سعدون الخولاني
، 193, 191, 188, 186		97	سعدون الصوّاف
203, 199, 196		141	سعيد خنفير
89	سهل القبرياني	90	سعيد بن اسحاق
36	السهروردي	203	سقانش
81	سوق الحنّاطين	30	سلطان خان
123	سوق الأحد	35	السلاجقة
151	سوق البدارنة	202, 129, 127, 126	سلقطة
163	سوق بدرنة	100	سليمان (والي عمر)
161, 151	سوق الحسيني	172	سليمان بن محمد
176	سواني خلف الله		الأندلسي
184	سويقة ابن مشکود	59, 52, 51	سليمان بن داود
75	سيدي بوراوي	160	سليم بن عزّوز
88	سيدي عبد الحميد	182	سمدونة الصّالحة
95	سيدي القنطاوي	24	السّامانيون
56	سيدي علي مجاهد	33, 31	سمرقند
57	سيدي عثمان	24	السّاسانيون
202, 59, 58	سيدي داود النوبي	194, 83	السودان
58	سيدي احمد بن داود	37, 36, 33, 27	سورية

202, 165, 164, 135	سيدي منصور	204, 54	سيدي بوسعيد
138, 137	سيدي جبلة	56	سيدي بوعلي
1+1	سيدي خنفير	55	سيدي بوحديد
1++	سيدي احمد بن نافذ	++	سيدي الظريف
1+5, 1++	سيدي مسرة	60	سيدي المحرسي
1+5	سيدي يوسف	51	سيدي هلال
1+5	سيدي مجاهد	190, 104	سيدي ذويب
150	سيدي أبي إسحاق	104	سيدي عامر
161	سيدي حامد	108	سيدي مسعود
169	سيدي غريب	123	سيد البساري
32	سيستان	123	سيدي عبد العزيز
30	سيفاس		عيّاش
		124	سيدي علي شبيل

- ش -

25	الشاش	165, 129, 127, 125	الشّابة
124	شطّ بوعروّج (طبلبة)	204	
	الشعاب (مسجد)	132	الشّايّة (فرقة)
183, 182	شقنابرية	35, 33, 28, 21, 19, 18	الشافعي
7+	الشّمّاخي	201, 194, 190, 116	الشام
178, 122, 121	شومان	156, 151	شريانة
27		160	شريفات برشانة

- ص -

68, 66, 54, 53, 37, 29	صقلية	197, 118, 87	أبو يزيد صاحب
96, 87, 81, 79, 75			الحمار
139, 130, 119, 111		36	صنوب
200, 196, 186, 146		143	صدف
	موسى بن معاوية 190		عمر بن عبد الله 191
	الصمّادحي		الصدفي
128, 46	الصنّهاجيون	27	الصدغيان
198	سعدون الصوّاف	179, 27	صرمان
191, 34	الصّوفية	185, 47	صطفورة
177	الصياح العكاري	123, 69, 67, 65, 50, 29	صفاقس
34	الصين	138, 137, 136, 135, 130	
		157, 151, 143, 142, 139	
		164, 163, 161, 160, 158	
		169, 168, 167, 166, 165	
		200, 188, 186	

- ط -

70	طرسوس المغرب (سوسة)	199, 129	طبرقة
88	طرود	204, 127, 124	طبلبة
94	طريف الخياط	33	طبرستان
39	طنجة	199	طبنة
24	طلس	178, 175, 167, 138, 136, 118	طرابلس
39	طنجة	188, 184, 183, 181, 179	
35	طوس	191	ابو جعفر الطرابلسي
188	طيّط (تيت)	33	الطرائفية (فرقة)
166, 65	طينة	158	طرس أسباط
		194, 188, 109, 29, 28, 21	طرسوس

- ع -

96	عبد الله بن عبيد	179,33	العابدية
	المهري	163	العامرة
147,146	عبد الله بن مالك	11	العباد
159,108	عبد الرحمن بن عبد	49	عبد الله السرقوسي
	ربه	109,51,50	عبد المؤمن بن
181	عبد الرحمن بن		المستنير الجزري
	حبيب	110,92,91,72,47	عبد الله المهدي
171	عبد الله بن غانم	152,148	
36	عبدان	32,21	عبد القاهر البغدادي
128	العبيديون	22	عبد الله بن المبارك
52	عثمان بن عفان		المروزي
126,122,99,45,31	العرب	51	عبد الله بن ابراهيم
180,137			الاغليبي
33,26,23,18,16	العراق	65	عبد الرحمن بن انعم
194,100			المعافري
86	العراقيون	132,39	عبد المؤمن بن علي
28	العريش	45	عبد الملك بن مروان
103,70,29,28,19	عسقلان	147,146,145,67	عبد الرحيم بن عبد
188		149,148	ربه
30	عطشان	68	عبد الله بن سعد بن
52	عطية الجماجري		أبي سرح
	العقبة	89	عبد الحميد بن
176	العكارة		الصائغ
142,138,67,66	علي بن سلم البكري	95	عبد الجبار بن خالد
167,158,146		95	عبد الله بن محمد بن
44	علي باشا		خيرون
171	علي بن زياد		

166	عين الزيتونة	100, 16	عمر بن الخطاب
+9	عين الدّمنة	139	عمر القبرياني
+9	عين المنستير	181, 180	عمر بن العاص
155, 108, 67, 66	عيسى بن مسكين	160	عمر بن عبد العزيز
173, 172, 171, 159		47, 46	عمرون الاسود
135	عيسي بن ثابت		الحامي
163, 159, 157	عيشون بن يزيد	163	عياش الطبلبي
		136	عين الجرّ

- غ -

24	الغزّ	202, 185, 49	غار الملح
25	الغزيّة	172, 166	غافق
29	غزّة	191, 35	أبو الفضل الغدامسي
35, 34, 23, 21	الغزالي	148, 38	غردمار
25	غور	74, 37, 11	الغرب الاسلامي
198	عبد الله الغيمي	184	غريان

- ف -

197	الفرانق (القيروان)	34, 29, 26	فاس
166	فريانة	40, 39	فارس
20	الفرنجة	158, 127, 103, 20	الفاطميون
33	الفسطاط	79	فتاة
200, 169, 103, 29, 20	فلسطين	94	قتحون القصري
61	فندق ريحان	65	فحص القيروان
109	قبرز		

- ق -

159	قرية ابن سهل	117	القائم بأمر الله
123	قرية البغدادي		(الفاطمي)
123	قرية أشراف	173, 165, 164, 137	قابس
183	قرية حسان	211, 208, 202, 123	أبو الحسن القابسي
179	قرية العقلات	126	قاساس
179	قرية وطن	61	القبائل الصغرى (بلاد
56	قرية الدواميس		كتامة)
165, 164, 143	قزل	85, 80, 77, 69	قبة الرمل
66	القسطنطينية	20, 189, 131	قبوذية
164	قصر رباط أنشلة	188	عبد الله بن سهل
49	قصر رباط ابي صقر	23, 22, 19, 18, 14	قدامة بن جعفر
49	قصر درنة	36, 26	القدرية
138	قصر رباط جبلة	170	القديس اغسطينوس
61	قصر الحديد	11	القديس لويس التاسع
57, 51	قصر سعد	43	القدس
158, 61	قصر النخيل	31	القديمة
61	قصر المنار	118	قراطين
56	قصر اللوزة (منزل	25	قربة
	تميم)	60, 59	قرطاج
57, 56	قصر لبنة	187, 184, 149, 43	قرطبة
58	قصر النوبة	182, 154, 83	
59	قصر جهم	111	القرطيل
59	قصر النخلة	137	قرقنة
59	قصر قربص	165	قرقور
59	قصر رأس الفرطاس	178	قرقوزة
		146	قرية البرج (قصر زياد)

129, 128	قصر قبوذية	60	قصر توّسيهان
47, 46	قصر الحمامة	195, 137, 56, 55	قصر رباط الحمامات
126, 125	قصر جمّة	56	قصر الزيت
160, 158	قصر لبدة	137, 54	قصر رباط قليبيّة
143, 139, 137, 135	قصر صفاقس	112, 111, 94, 53	قصر ابن الجعد
151		191, 189, 116, 115	
209, 201, 191, 103	القصر الكبير	39	قصر بن ترقيا
	(بالمنستير)	43	قصر الأمير
146	قصر رباط سوسة	43	قصر قومش
104	قصر السيدة	43	قصر قرطاجنة
191, 164, 118	قصر دؤيد *	43	قصر رباط قمرة
119	قصر شقانس	125, 43	قصر جبل المنار
163	قصر رباط شريانة	44	قصر رباط رادس
193, 148, 120	قصر لمطة	135, 128, 121, 67	قصر زياد
123	قصر طبلبة	145, 144, 143, 139	
124	قصر تبصة	149, 148, 147, 146	
128, 127	قصر سلقطة	153, 152, 151, 150	
128	قصر العالية	157, 156, 155, 154	
142	قصر تنيور	187, 179, 161, 158	
162, 143	قصر مليان	198, 189	
166	قصر رباط نقطة	83, 72	قصر طارق
143	قصر الريحانة	92, 91, 90, 89, 88	قصر الطوب
162, 143	قصر قناطة	197, 195, 94, 93	
143	قصر مجدونس	198	
143	قصر قاساس	197, 189, 95, 94, 93	قصر سهل
156	قصر اللوزة	189, 96, 95	قصر جبشي
158	قصر شنقل	98	قصر المدفون (برج
160	قصر برشانة		الحمام)

179	قصر تليل	161	قصر الرقة
180	القصر القديم	166, 161	قصر الرّيح
183	قصر ابن عمر	161	قصر بطريّة
183	قصر فارة	165	قصر عمّار
201	القصرين	169	قصر رباط يونقة
195	فتحون القصري	165	قصر مقدمان
201	القصور الاموية (الشام)	165	قصر بلقة
124	قصور الحمامات	165	قصر الروم
204, 128, 127	قصور السّاف	165	قصر تنيدة
174	قصور قابس	166	قصر طينة
175	قصور الزّارات	167	قصر بني خيار
176	قصور سجة	168	قصر تليدة
176	قصور العكارة	168	قصر المحرس
176	قصور المهابل	174	قصر مارث
178	قصور رأس المخبز	175	قصر العروسين
178	قصور زواوة	175	قصر وذرف
182, 181	قصور طرابلس	175	قصر كتّانة
183	قصور الورانيز	176	قصر أجاص
121	قصيبة حميد (البقالطة)	176	قصر جرجيس
121	قصيبة المديوني	177	قصر بن الخطّاب
87	قسطيلية	178	قصر شماخ
48	قفصة	178	قصر الزّاوية
59	قلعة أبي خليفة	178	قصر صالح
190	قلعة رأس الفرطاس	178	قصر بوكماش
96	قلعة جعبر	178	قصر كوطين
96	القلعة الكبرى	178	قصر الجرف
125	القلعة الصغرى	179	قصر وزدر
143	قلعة الفاضلين (طبلبة)	179	قصر بني ولول

24	القوقاز	143	قلوس
،81,76,68,65,51,47	القيروان	188,125,124,60,51	قليبيّة
،94,93,91,90,85,84		204,202,193	
113,112,103,100,95		199	قلاع بنزرت
،144,130,117,116		48	قملاريّة
،169,160,153,146		198,195,191,78	أبو جعفر القمّودي
،190,187,186,180		126	قمّي
201,197		43	قنال حلق الوادي
		27	القواديان

— ك —

197,196	ابو جعفر الكوفي	159	كتامة
205	ابن كنانة	176	كتانة
188,40	كوز	144,128	كدية رصفة
51	لبنة	34	كرازان
116,53	لبنان	34,32,31,27,19	الكرامية
186,160,143	لبيدة	204,38,35	
،144,143,124,51	اللوزة	34	الكزروني
163,162,148		89	كلب
137	لميس (لمبايزيس)	25	كنجدة
193,190,188,119	لمطة	93	الكنيسية
171,18	الليث بن سعد	130	الكنائس
171	الليث بن صفوان بن	174	كوطين
	الحارث	30	الكوفة

- م -

155, 116, 114, 93, 89	محمد بن سحنون	59	الماجوس
89	محمد بن عبد		(Megalopolis)
	الحكم	176	مارث
17	محمد بن الحسن	181	مارك أورال
	الشياني	212, 210, 193	المازري
67	محمد بن مسروق	215, 109, 85, 17	مالك بن أنس
163, 160	محمد بن يزيد	74, 72, 39, 33, 11	المالكية
156	محمد بن تميم	174, 87, 75	
156	محمد بن مسلم	96	مالطة
157	محمد البرزلي	186, 10	المانوية
137	محمد بن عبد الله	33	المانيون
	الرّعيني	179	الماية
154	محمد بن زياد	171, 31	المرجئة
154	محمد بن علي بن	169, 167, 166, 135	المحرس
	عبد ربه	188	
154	محمد بن الانباري	189	محرس علي
166	محمد الرقيق ابو	56	محرز بن خلف
	عكازين	197	المجوس
171	محمد سيالة	166	محطة المباركة
	الصفاقسي	83, 71	محمد بن رزين
32	محمد بن طاهر	83	محمد بن عبدون
25, 20	محمود الغزنوي	32	محمد بن كرام
117	محمود المتعبد		السجستاني
164, 163	مخلوف الشرياني	45	محمد بن الاغلب
78	مدام	84	محمد بن الطيب
176	مدنين	82	محمد الاول

193	مسجد الدّمنة	61	المدفون
	(سوسة)	15	المدينة
205, 193	مسجد الخميس	174	مرتاي
	(سوسة)	217	المرابطون
193	مسجد الخضر	58	المرسى (ابن عبدون)
205, 193	مسجد السّبت	59, 51	مرسى ابن رمضان
137, 103, 70, 29	المسلمون	48	مرسى الياقوتة
168, 156, 149, 146		49	مرسى الحجّامين
181		62	مرسى ابن الالبيري
19	مسلم	62	مرسى قصر تكوش
202, 149	المسيحية	62	مرسى الخروبة
125	ابو عبد الله	11	مرسية
	المسوحى	61	مرصد شريك
156, 147, 146, 145	مسرة بن مسلم	151, 150	مركوريوس
169, 166	المسعودة	163, 159, 156	مروان بن حبيب
201	ابو الفضل مسرور	38, 11	المرية
29, 23, 22, 16, 15, 11	المشرق	40	مزاغن
164, 155, 121, 119		132, 73, 68	مزاك
181, 173, 171		77	مسجد سيدي علي
30, 29	مشهد		عمار
53, 35, 33, 28, 27, 24	مصر	78, 73	مسجد بوفتاتة
95, 90, 89, 85, 83, 80		183	مسجد خطّاب
175, 152, 139, 136		183	مسجد الجدة
194, 190		183	مسجد البارزي
205	ذي النوي المصري	183	مسجد المجاز
184	مصراته	188, 183	مسجد الشعاب
188, 29, 28, 21, 19	المصيصة	141	مسجد التوبة
60, 58	المعمورة	175	مسجد ابو لبابة

المعتزلة	149,39,32,31	منزل بني صلتان	+7
معاوية بن ابي	16	المنستير	+0,38,35,28,19,11
سفيان	،188,122,83,38		87,84,69,65,59,57
	194		،100,99,98,89,88
المغرب الاقصى	86		،112,104,103,102
المغرب الاوسط	171,86		،155,150,148,131
المغيرة بن عبد	40		،189,185,164,161
الرحمان			،200,196,193,191
مقبرة شالة	188		209,205
مقبرة باب الشهداء	169,166,165,132	منستير شرق	105,99
مقدماس	53	الاندلس	
المقطم (حبل)	183	منستير صطفورة	195
مفرج بن بياضة	44	منستير عثمان	186,185,99
مكسولا		المنصور	185
مكة	90,32,18	(الفاطمي)	
مكرم المعبد	113,109	منصور بن عبد الله	168
ملطية	16	القرقوري	
ملولش	162	عبد الله المهدي	187
الممالك	20	المهدي بن	
منار خلف	83	توسرت	111
المنارة	190,186,175	المهدية	،101,72,69,65,+7
منارة الاسكندرية	190		،132,121,103,102
منارة سيدي عبد	165		،162,152,141,139
الله			،191,187,197,170
منزل عامر	166		202,201 ،199
منزل كامل	130	ميانش	127
منزل مروان العابد	161	المنية	157
		ميناء سيدي بوتفاحه	177

26	ميلة	175	ميناء قابس
29	ميماس	177	ميناء هنشير
		180, 167	الميورقي (ابن غانية)

ن

166	نقطة	60	نابل
85	نكور	46	نارو
34, 27	نهر أموداريا	148	الناصري
39	نهر السينغال	166	الناصريّة
24	نهر سيحون	165	الناظور
	(سيرداريا)	58	النجيلة
44	نهر مليان	94, 74	نجم الصيرفي
75, 50, 28	النوبة	19	النسائي
33	النونيّة	172	النصر بن خالد
139, 124, 123	النورمان	56, 50	نصرون اللوزي
196	ابو سعيد النوفلي	186, 85	ابو الغصن نفيس
30, 27	نيسابور		السوسي
		201	نفزاوة

- ه -

89	هناشير سوسة	185, 103, 39	هارون الرّشيد
177	هنشير زيان	74	هارون بن موسي
177	هنشير الكلخ	73, 68	هدريم
191	هنشير ابن منصور (المهديّة)	25	هرات
135	هنشير المزغني	103, 102, 101	هرثمة بن أعين
167	هوّارة	180, 105, 104	هرقلة
125, 58, 57, 51	الهوّاريّة	98, 97, 96, 95	شقراّن الهمذاني
191	ابراهيم الهوّاري	202, 197, 190	
127	هيون	205	هضبة هنشير زيان
		35, 34, 20, 25	الهند

- و -

136	الواحات	39	وادي ابي الرّقراق
39	واصل بن عطاء	57	وادي سيدي عثمان
131, 130	الواردانين	124	وادي الرّمل
178	وطن المرابطين	176	وادي فسّيّ
، 125, 68, 59, 54, 65	الوطن القبلي	56	وادي لبنة
186		197, 87	الوادي المالح

- ي -

74	يزيد بن حاتم المهلبّي	171	اليسع بن حميد
156	يزيد بن مسلم	29	يمني
68	يعقوب بن المضّاء	، 86, 84, 82, 71, 70	يحي بن عمر
92	يمن بن رزق الاندلسي	120, 108	
169	يوستنيان	152, 54	يحي بن تميم
183, 182	يونس بن أبي النجم	17	يحي المصمودي
	المؤدّب	155	يحي بن زكرياء
، 185, 135, 124	يونقة		الاموي
202		29	يزيد بن محمد
			الجمحي

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- ابن الأبار، الحلة السراء، تحد. حسين مؤنس، القاهرة 1963
- ابن بطوطة، رحلة، بيروت 1964
- ابن جبير، رحلة، بيروت 1964.
- ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن 1967
- ابن حنبل، المسند، تحد. أحمد شاكر، القاهرة 1313 هـ
- ابن خردذابه، المسالك والممالك، ليدن 1889
- ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت 1968.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، بيروت 1968 وتح. إحسان عباس، بيروت 1972
- ابن رشيق، أنموذج الزمان، تحد. العروسي المطوي وبشير البكوش، تونس 1963
- ابن سرين، تفسير الأحلام، بيروت 1955
- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحد. كولان وبروفنسال، بيروت 1983.
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. القاهرة 1329 هـ
- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، القاهرة، د.ت.
- ابن عربي، اصطلاحات الصّوفية الواردة في الفتوحات المكيّة، القاهرة 1977
- ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، د.ت

- ابن ماجه ، سنن ، تح. فؤاد عبد الباقي ، القاهرة د.ت
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت 1988.
- ابن ناجي (والدبّاغ) ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان. تونس 1320 هـ
- ابن النديم، الفهرست، تح. رضا تجدد، طهران 1972
- أبو العرب، طبقات علماء افريقية، تح علي الشابي ونعيم اليافي، بيروت 1968
- أبو العرب، كتاب المحن، بيروت 1985
- أبو الفداء، تقويم البلدان، تح. رينول ودوسلان، باريس 1840
- أبو نعيم الإصبهاني، حلية الأولياء، القاهرة 1351 هـ
- أبي داود السّجستاني، سنن تح. نحي الدين عبد الحميد، القاهرة. د.ت
- الباديسي، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الرّيف، تح. كولان، باريس 1926.
- البغدادي (عبد القاهر)، أصول الدّين، بيروت 1973
- البغداد (أبو منصور)، الفرق بين الفرق، بيروت 1982
- البكري، المسالك والممالك، تح. دوسلان ، الجزائر 1911 وتح. فالوفن و أ - فيري، تونس 1992.
- البلاذري، فتوح البلدان، بيروت 1978
- البلاذري، أنساب الأشراف، تح. عبد العزيز الدوري، بيروت 1978.
- بيري رايس، كتاب بحريّة، تح. سنمقرلي، أنقرة 1973.
- التّمكروتي، النفحة المسكّية في السّفيرات التركيّة، الرّباط 1926.
- الترمذي، الجامع الصّحيح، القاهرة 1384 هـ

- التيجاني، رحلة، تح. حسن حسنى عبد الوهاب،، تونس 1958.
- الحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عبّاس بيروت 1983.
- الدّارمي، سنن، تح. أحمد دهمان، دمشق، د.ت
- الدّاودي، كتاب الأموال، تح. ح.ح. عبد الوهاب وفرحات الدشراوي، ذكرى ليفي بروفنسال، باريس 1962.
- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تح. دووزي، ليدن 1864
- الرّقيق القيرواني، قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور، تح. أحمد الجندي، دمشق، د.ت.
- الأشعري، مقالات الإسلاميين، اسطنبول 1925
- الإصطخري، مسالك الممالك، ليدن 1967.
- الدّاعي إدريس، عيون الأخبار، تح. محمد اليعلاوي، بيروت 1983.
- الزّركشي، تاريخ الدّولتين الموحديّة والحفصيّة، تح. محمد ماضور، تونس 1966
- الشّافعي، كتاب الأمّ، بيروت 1980.
- الشيرزي، نهاية الرّتبة في طلب الحسبة، بيروت 1981.
- سحنون بن سعيد، المدوّنة، القاهرة 1323 هـ
- سيالة (محمود)، مناقب أبي عنبسة الغافقي، مخط. دار الكتب الوطنية (تونس)، رقم 12229
- الشهرستاني، الملل والنحل، القاهرة 1331 هـ
- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، المدينة 1968.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، د.ت.

- العمري (ابن فضل الله)، التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة 1312 هـ.
- العمري (ابن فضل الله). مسالك الأبصار، تح. حسن حسني عبد الوهاب. تونس 1957.
- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك، تح. أحمد باكير، بيروت 1967 و محمد الطالبي، تراجم أغلبية، تونس 1968.
- القلقشندي، صبح الأعشي. القاهرة 1913.
- الليدي، مناقب أبو إسحاق الجبنياني، تح. هـ. ر. إدريس، الجزائر 1959.
- مالك، الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، القاهرة، د.ت.
- المالكي، رياض النفوس، تح. بشير البكوش، بيروت 1983.
- مجهول، كتاب الاستبصار، الإسكندرية 1956.
- مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة 1349.
- المدرسة الحربية بباردو، برنامج ولايات سوسة والمنستير والمهدية، مخط. م.و. تونس رقم 18869.
- المدرسة الحربية بباردو، برنامج جنوب الأيالة التونسية، مخط. م.و. تونس، رقم 261.
- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1906.
- مقديش، نزهة الأنظار، تح. علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت 1988.
- المقرئزي، الخطط والمواضع، بولاق 1850.
- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة 1306 هـ.
- المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. مخط. م.و. تونس رقم 6432.
- الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت 1982.

- الونشريسي، المعيار المغرب، تحد. محمد حجّي بيروت 1981
- القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، تحد. فرحات الدّشراوي، الجزائر 1986.
- القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، تحد. شبوح، الفقيه واليعلاوي، تونس 1978.
- النعيمي، تنبيه الطّالب وإرشاد الدّارس، القاهرة 1948.
- اليافعي، مرآة الجنان، حيدر آباد، د.ت.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، القاهرة 1986.
- اليعقوبي، كتاب البلدان، تحد. دي خويه، ليدن 1892.

المراجع العربيّة

- أركون (محمد)، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تحد. هاشم صالح، بيروت 1986
- بل (أ) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تحد. عبد البرّحمان بدوي، بيروت 1981.
- الجابري (محمد عابد)، تكوين العقل العربي، بيروت 1989.
- جلّول (ناجي)، "طبرقة"، دائرة المعارف التّونسية، IV. 1994
- حسن (محمد)، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط، تونس 1986
- حسن (محمد)، "وثيقة في تحبّيس هنشير ابن منصور بالمهدية على رباط المنستير"، المجلة التّاريخية المغربيّة، 49-50، 1988، ص. 220-230.
- خلف الله (محمد أحمد)، "الحديث وعلومه"، موسوعة الحضارة العربيّة الإسلامية، بيروت 1986، II، ص. 43-55.
- الدّرقاش (هادي)، فقه الرّسالة، بيروت 1983.

- الدّولاتي (عبد العزيز)، "أضواء تاريخيّة على بحيرة تونس"، المجلة التاريخيّة المغربيّة، III، 1975، ص. 30-36.
- الزاهي (محمد)، تاريخ الشّابة، سوسة 1989.
- الزّاوي (أحمد)، أعلام ليبيا، طرابلس 1961.
- الزّاوي (أحمد)، معجم البلدان الليبيّة، طرابلس 1691.
- الزّواري (علي) صفاقس، تونس 1980.
- الزّناد (عبد الله)، الإمام المازري وقصر الرّباط، تونس 1967.
- سالم (عبد العزيز)، تاريخ البحريّة الإسلاميّة الإسكندرية 1981.
- السعيد (عمر)، أعمال ملّقى القاضي النعمان الأوّل، تونس 1977.
- الشّابي (علي)، أحمد بن مخلوف الشّابي وفلسفته الصّوفيّة، تونس 1979.
- الشّابي (علي)، عرفة الشّابي، تونس 1982.
- شّوّح (أبراهيم)، "حول منارة رباط المنستير وأصولها المعماريّة"، إفريقية (Africa) 1969-1970، ص. 5-15.
- شعيرة (عبد الله الهادي)، "الرّباطات السّاحليّة الليبيّة"، ليبيا في التاريخ، طرابلس 1968، ص. 10-15.
- الصيّادي (محمد صالح)، الدّاتيّة التاريخيّة لمدينة المنستير، المنستير 1979.
- عبد الكافي (محمد)، تاريخ صفاقس، صفاقس 1980.
- عبد الوهاب (حسن حسني) خلاصة تاريخ تونس، تونس 1955.
- عبد الوهاب (حسن حسني)، ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقية، تونس 1965-1966.
- عبد الوهاب (حسن حسني)، كتاب العمر، تونس 1990.
- العبيدي (مختار)، الحياة الأدبيّة بالقيروان في عهد الأغالبة، تونس 1994.

- العظم (صادق جلال)، ذهنيّة التّحريم، لندن. 1994
- عزونة (جلّول)، منزل تميم، تونس. 1983.
- عمّار (عبد اللّطيف)، صفحات من تاريخ قليبيّة، تونس. 1983.
- عمارة (محمد)، "الفـرق الإسلاميّة"، موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، بيروت 1986، II، ص. 373-398.
- عمارة (محمد)، "ثورات المرجئة"، موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، بيروت 1986، II، ص. 201-207.
- القاسمي (جمال الدّين)، تاريخ الجهميّة والمعتزلة، القاهرة 1331 هـ.
- المرزوقي (محمد)، تاريخ قابس، تونس 1960.
- ونزنك، المعجم المّفهرس لمعاني الحديث، تونس 1987.
- النّيال (البلهي)، الحقيقة التّاريخيّة للتصوّف الإسلامي، تونس 1962.

المصادر والمراجع الأجنبيّة

- Alarcon y Santon (M) et Garcia De Linares (R), *Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de Aragon*, Madrid 1940
- Asin (O), "Origin arabe de rebato, arrobadada y suo homonias," in *Boletin de la real academia espanola*, XIV, 1928, pp. 347-400.
- Babelon (E), Cagnat (R), Reinach (S), *Atlas archéologique de la Tunisie*, Paris 1892
- Bachrouch (T), "Le Sahel, essai de définition d'un espace citadin", in *Cahiers de Tunisie*, XXXIV, 1986, pp. 220-230.
- Ben lazreg (N.) et Matligly (J.), *Leptiminus*, Michigan 1992.
- Barecca (F.) et Fantar (M.) *Prospezione archéologica al capo-Bon II*, Tunis-Rome 1983

- Basset (H) et Terrasse (H.), " *Le ribat de Tit*", in *Hesperis*, VIII, 1927, pp. 117-156.
- Bonner (M.) " *Some observations concerning the early development of jihad on the arab-byzantine frontiers*", in S.I., 1992, pp. 24 et suiv.
- Bosworth (C), " *Byzantium and the arabs: War and peace between two world civilisations*", in *J.ÔA.S*, III-IV, 1991-92, pp. 30-40-02
- Bosworth (C.), " *The city of Tarus and the arabs byzantine frontiers*", in *Oriens*, XXX, 1992, pp. 208-290.
- Bouita (H), *Bizerte, les monuments islamiques*, Tunis 1992.
- Bouyahya (ch.), *La vie littéraire en Ifriqiya sous les Zirides*, Tunis 1972 .
- Brunschvig (R.) *La Berberie orientale sous les Hafsides*, Paris 1940-1947
تعريب حمّادي السّاحلي، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، بيروت 1988 .
- Brunschvig (R.), " *A propos d'un toponyme tunisien, Nuba-Nubiya*", *Revue Tunisienne*, 1935, pp. 149-165.
- Bulliet (A.), *The praticians of Nishapur*, Cambridge 1992
- Cagnat (R) et Saladin (H.) , *Voyage en Tunisie*, Paris 1890
- Cahen (cl.), *La Syrie du Nord à l'époque des croisades*, Paris 1940.
- Cahen (cl.) *Orient et Occident au temps des croisades*, Paris 1983.
- Carton (D), " *Thapsus*", in *Bulletin de la société archéologique de Sousse* (B.S.A.S), 1904, pp. 47-50.
- Carton (D), " *Sidi al-Kantaoui*," in *B.S.A.S*, 1905, pp. 214-216.
- Carton (D), " *Excursions à Lemta*", in *B.S.A.S*, 1905, pp. 26-29.
- Carton (D), " *Gurza*", in *B.S.A.S*, 1906, pp. 46-61

- Carton (D), "*Bordj Khadidja*", in *B.S.A.S*, 1906, pp. 125-134.
- Carton, "*Hergla*", in *B.S.AS*, 1927, pp. 26-29
- Chebbi (C), "*Remarques sur le développement historique des mouvements ascétiques et mystiques au khurasan*", in *S.I*, 1977, pp. 30-50.
- Chebbi (C.), "*Reflexions sur le soufisme iranien primitif*" in *J.A*, ccL XVI, 1978, pp. 60-70.
- Chebbi (C.), "*La fonction du ribat de Baghdad du VIème S. au début du VIIIème.s.*", in *Revue des études islamiques (R.E.I)*, XLII, 1974,pp.,
- Creswell (K.A.C), *Early muslim architecture*, Oxford 1932.
- Dachraoui (F.), *Le califat fâtimide au Maghreb*, Tunis 1981.
- Daoulatli (A.), *Tunis sous les Hafsides*, Tunis 1976.
- Decret (F.), *Aspects du manichéisme dans l'Afrique romaine*, Paris 1970
- Decret (F.), *L'Afrique manichéenne*, Paris 1978
- Decret (F.), Fantar(M. H.), *L'Afrique du nord dans l'Antiquité*, Paris 1981.
- De Epalza (M.), "*al-Munastir d'Ifriqiya et al-Munastir de xarqal-Andalus*", in *Actes du VIIème colloque universitaire tuniso- espagnol*, cahiers du C.E.R.E.S, 1991, pp. 80-105
- Dermengham (E.), *Le culte des saints dans l'islam maghrebin*, Paris 1949.
- Desfontaines (R.), *Fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger*, Paris 1838.
- De Thou (A.), *Histoire universelle*, Paris 1734.
- Diehel (ch.), *L'Afrique byzantine*, Paris 1885.

- Djelloul (N.) *Les installations militaires et la défense des côtes tunisiennes du XVIème au XIXème siècle*, thèse , Paris- Sorbonne 1988.
- Djelloul (N.), "A propos d'un toponyme de la région de Sfax : Qasr ziyad" in A. Zouari et F. Mahfoudh, *La dynamique économique à Sfax*, Sfax 1993, pp. 9-39
- Djelloul (N.), "Histoire topographique de Mahdia et ses environs au Moyen âge" in *cahiers de Tunisie*, 1994.
- Djelloul (N.), *Les fortifications côtières ottomanes de la régence de Tunis*, Zaghouan 1995.
- Djelloul (N.), "La pêche en Ifriqia au moyen âge" in *La pêche côtière en Tunisie, cahiers du C.E.R.E.S*, XI , 1995, pp. 40-50.
- Djelloul (N.) et Saadaoui (A.), "Ghar el-Melh", in *Africa*, XV, 1998.
- Doutté (E.), *Magie et religion dans l'Afrique du Nord*, Paris 1983.
- Drague (G.), *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951.
- Elyatt (R.), *Brève description du royaume de Tunis*, edit. J. Pignon Tunis 1967.
- *Encyclopédie de l'Islam*, art : *Abadan, Abdal, Barid, Battal, Djahmiya, Djahm ibn safwan, Djihad, Ghazi, Hima, Idris, Ishaqal-Kasruni, Iskandar, Khadir, Khankah, Khan, Kabis, Karamiya, Madrasa, Manzil, Munastir, Murdjia, Murabitun, Ribat* (G.Marçais et C. chebbi), *Ribat al-Fath, Ribat-i-sharif, Rabita, Tunis*.
- Farochon (A.), *Les gloires chrétiennes de la France*, Paris 1892.
- Filippi (C.), *Fragments sur la régence de Tunis*, Paris 1929.
- Frank (L.), *Histoire de Tunis*, Paris 1850 .

- Foucher (L.), *Hadrumetum*, Tunis 1962.
- Gharbi (M.), "La forteresse de Kelibia ", in *Africa romana* VI, 1989, pp. 187-198.
- Golvin (L.), *Essai sur l'architecture religieuse musulmane*, Paris 1944.
- Golvin (L.), "Notes sur le mot *ribat*", in *R.O.M.M*, VI 1969, pp. 95-101.
- Gsell (st.), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Paris 1911.
- Guerin (V.), *Voyage archéologique dans la régence de Tunis*, Paris 1862.
- Hannezo (C.), "Notes sur *Sullectum*", in *B.A.C*, VIII, 1890 pp. 445-448.
- Hannezo (C.) et Moulin (L), "Notes archéologiques sur *Lemta*", in *B.A.C*, XV, 1897, PP. 290-312.
- Hannezo (C.), "Observations sur le tracé du plan d'*Hadrumette* par *Daux*", in *Revue archéologique*, XXX, 1897, pp. 20-29.
- Hannezo (C.), *Sousse*, *Sousse* 1906.
- Hannezo (C.), "Notes historiques sur la *Chebba*", in *B.A.C*, 1906, pp. 135-140.
- Hila (M. H.), *L'ascèse et son influence sur la société ifriqienne jusqu'à l'époque aghlabide*, Thèse, Paris . Sorbonne 1975.
- Idris (H. R.), *La Berberie orientale sous la Zirides*, Paris 1962

تعريب حمّادي الساحلي ، الدولة الضنهابية ، بيروت 1994

- Kallala (N.), "La localisation du site de *Ruspina*", in *Actes du 113ème congrès des sociétés savantes (B.A.C)*, Stasbourg 1988, II, pp. 525-533.
- Kokovtsov, "Relation d'un voyage en *Barbarie*", in *Revue Africaine*, XCV, 1951, pp. 100-111.
- Lallemant (ch.), *La Tunisie pays du protectorat français*, Paris 1890.
- Laoust (H.), *La profession de foi d'Ibn Batta*, Damas 1958.

- Laoust (H.), *La politique de Ghazali*, Paris 1970.
- Lanfreducci (L.) et Bosio (G), *Costae e discordi di Barbaria*, Malte 1857, edit et trad. de ch. Monchicourt et P. Grandchamp, in *Revue africaine*, n° 325, 1925, pp. 415 - 483.
- Lewicki (N.), "Un document inédit sur l'immigration des Nafusa du Gabal dans le Sahel tunisien au VIIIème - IXème siècle", in *Folia Orientalia*, I, 1959, pp. 188-200.
- Lewicki (N.), "Une langue romane de l'Afrique du Nord", in *Roznik orientalistyczny*, XVIII, 1951.
- Lezine (A.) "Notes sur le ribat de Monastir", in C.R.A.I., 1954, PP. 142-143.
- Lezine (A.), "Sur la population des villes africaines", in *Antiquité africaines*, III, 1969, pp. 69-82.
- Lezine (A.), *Deux villes de l'Ifriqiya, Sousse et Tunis*, Paris 1971.
- Magnin (P.), "Les exhortations d'al-Dhrif, soufi tunisien du VII/XIVème siècle", in *I.B.L.A.*, 1950, pp.387-387.
- Marçais (G.), *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris 1955.
- Marçais (G.), "Notes sur les ribats en Berberie", in *Melanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman*, Alger 1925, pp. 395-470.
- Mahfoudh (F.), *La ville de Sfax, recherches d'archéologie monumentale et évolution urbaine*, Thèse, Paris-Sorbonne, 1988.
- Marmol carvajal (L.), *Description générale de l'Afrique*, trad. N. Perrot d'Ablancourt, Paris 1967.
- Massignon (L.), "Inventaire de la littérature hermétique arabe", in A.j. Festugière, *La révélation d'Hermès Trismégiste*, Paris 1950.

- Massignon (L.), *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Paris 1954
- Miquel (A.), *La géographie humaine du monde musulman*, Paris-Lahaye 1967-1980.
- Miquel (A.), *l'Islam et sa civilisation*, Paris 1950.
- Monchicourt (ch.), "*Etudes Kairouanaïses*", in *Revue tunisienne*, 1932, pp.45-100.
- Mouterde (R.), "*Africains et Daces à Bostra*", in *Melanges de l'université de Saint Joseph*, 1942, pp.43-50.
- Nizami (K.A.), "*Some aspects of Khanaqah life in mediæval India*", in *S.I.*, VII, 1957, pp. 51-59.
- O'Kane (B.), *Timurid architecture in Khorrasan*, Malibu 1987.
- Papadopoulo (A), *L'Islam et l'art islamique*, Paris 1976.
- Pellissier (E.), *Description de la régence de Tunis*, Paris 1853.
- Pringle (D.), *The defences of byzantine Africa from Justinian to the arab conquest*, oxford 1981.
- Salama (P.), *Les voies romaines de l'Afrique du Nord*, Alger 1951.
- Sauvaget (J.), *La poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks*, Paris 1941.
- Sayadi (M.S.), *Monastir, etude sociale*, Tunis 1979.
- Servonnet et Laffite, *Le golfe de Gabès*, Paris 1888.
- Slim (H.), "*Nouveaux témoignages sur la vie économique à Thysdrus*", in *B.A.C*, 1985, pp. 12-64.
- Sidersky (A.), *Les origines des légendes musulmanes*, Paris 1910.

- Sivan (E), *L'Islam et les croisades, idéologie et propagande dans la réaction des musulmans*, Paris 1968.
- Solignac (M.), "*Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et des steppes tunisiennes*", in *A.I.E.O*, XI, 1952, pp. 152-217.
- Spencer Trimingham (J.), *The Sufi orders in Islam*, oxford 1971.
- Talbi (M.), *L'emirat aghlabite*, Paris 1966, تعريب منجي الصيادي، الدولة الأغلبية بيروت 1983
- Talbi (M.), *Etudes d'histoire et de civilisation musulmane en Ifriqiya*, Tunis 1985.
- Terrasse (H.) *L'art hispano-mauresque*, Paris 1932.
- Terrasse (H.) et Basset (H.), *Sanctuaires et forteresses almohades*, 1932.
- Tissot (ch.), *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique*, Paris 1884.
- Torres-Balbas (L.), "*Rabitas hispano-musulmanas*", in *al-Andalus* XIII/2, 1948, pp. 475-491.
- Troussset (P.), "*Nouvelles observations sur la centuriation romaine à l'Est d'El-Djem*", in *Antiquités africaines*, II, 1977, pp. 175-207.
- Troussset (P.), "*La pêche côtière en Tunisie*", *Cahiers du C.E.R.E.S*, Tunis 1995, pp.5-40
- Van Berchem (M.), *Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicum*, Paris 1894.
- Van Ghistèle (V.M.), "*Tunizia*", edit et trad. J.Bawers et L.Verplanke, in *I.B.L.A.*, 1967, pp. 151-173.

- Villameva (C.), "*Rabitas granadinor*", in *Micelanea de estudios arabes y hebraïcas*, 1954 , III , pp. 79-86.
- Vonderheyden (M.), *La Berberie orientale sous la dynastie des Benou 'Arlab*, Paris 1927.
- Zbiss (S.M.), "*Le ribat, institution militaro-religieuse des côtes africaines*", in *C.R.A.I.*, 1954, pp. 143-145.
- Zbiss (S.M.), *Les inscriptions de Monastir*, Tunis, 1960.
- Zbiss (S.M.) *Les monuments de Monastir*, Tunis 1964.
- Zbiss (S. M.), *Sidi Bousaïd*, Tunis 1971.

فهرس الأشكال

- ش. 1 : رباطات منطقة تونس قبل العصر الحفصي .
- ش. 2 : تحصينات منطقة تونس في العصر الحفصي .
- ش. 3 : منطقة قرطاج ، الرباطات الأغلبية .
- ش. 4 : سيدي بوسعيد .
- ش. 5 : رباطات صطفورة قبل العصر الحفصي .
- ش. 6 : رباطات جزيرة شريك قبل العصر الحفصي .
- ش. 7 : برج قلبية .
- ش. 8 : مخطط برج قلبية .
- ش. 9 : برج قلبية ، الواجهات .
- ش. 10 : برج قلبية ، الواجهات .
- ش. 11 : مدينة الحمامات .
- ش. 12 : قصبة الحمامات .
- ش. 13 : بني خيار .
- ش. 14 : رباطات الساحل في العصر الأغربي .
- ش. 15 : مدينة سوسة .
- ش. 16 : سوسة ، التجهيزات البحرية .
- ش. 17 : مدينة سوسة .
- ش. 18 : رباط سوسة ، الطابق الأرضي .
- ش. 19 : رباط سوسة ، الطابق الأول .

- ش. 20 : رباط سوسة، السّطوح.
- ش. 21 : رباط سوسة، منظر عام.
- ش. 22 : رباط سوسة، الواجهة.
- ش. 23 : رباط سوسة، مقطع أ-أ.
- ش. 24 : رباط سوسة، مقطع ب-ب.
- ش. 25 : رباط سوسة، مقطع ج-ج.
- ش. 26 : رباط سوسة، مقطع د-د.
- ش. 27 : رباط سوسة، مقطع ت-ت.
- ش. 28 : رباط سوسة، مقطع ف-ف.
- ش. 29 : رباط سوسة، القبة والمدارج.
- ش. 30 : رباط سوسة، المدخل.
- ش. 31 : رباط سوسة، المدخل.
- ش. 32 : رباط سوسة، قبو المدخل.
- ش. 33 : رباط سوسة، زخارف بيزنطية.
- ش. 34 : مدينة المنستير.
- ش. 35 : مدينة المنستير (البلد).
- ش. 36 : قصبة المنستير في آخر القرن التاسع عشر.
- ش. 37 : قصبة المنستير، الطابق الأرضي.
- ش. 38 : قصبة المنستير، الطابق الأول.
- ش. 39 : قصبة المنستير، الطابق الثاني.
- ش. 40 : قصبة المنستير، منظر عام.

- ش. 41 : قصبة المنستير، (حوالي القرن 10-11م).
- ش. 42 : قصبة المنستير، الواجهة الغربية.
- ش. 43 : قصبة المنستير، الواجهة الجنوبية.
- ش. 44 : قصبة المنستير، مقطع طولي.
- ش. 45 : قصبة المنستير، مقطع أفقي.
- ش. 46 : قصبة المنستير، رباط هرثمة.
- ش. 47 : قصبة المنستير، الطابق الأول.
- ش. 48 : قصبة المنستير، مسجد قصر هرثمة.
- ش. 49 : قصبة المنستير، المدخل الحفصي.
- ش. 50 : قصبة المنستير، مسجد أغلبي.
- ش. 51 : قصبة المنستير، تطور المعلم.
- ش. 52 : المنستير، زاوية سيدي ذويب.
- ش. 53 : زاوية سيدي ذويب : القلعة الأغلبية.
- ش. 54 : زاوية سيدي ذويب، مقاطع.
- ش. 55 : تبصة.
- ش. 55 ب : لمطة.
- ش. 56 : جمّال ، طبلبة، الشّابة.
- ش. 57 : جمّال، منزل كامل، مساكن.
- ش. 58 : برج خديجة، الطابق الأرضي.
- ش. 59 : برج خديجة، الطابق الأول.
- ش. 60 : برج خديجة، الطابق الثاني.

- شـ. 61 : برج خديجة، مقطع أ-أ.
- شـ. 62 : برج خديجة (ق 19م).
- شـ. 63 : برج خديجة الحصن الأغلبى.
- شـ. 64 : رباطات منطقة صفاقس قبل العصر الحفصى.
- شـ. 65 : صفاقس.
- شـ. 66 : مدينة صفاقس.
- شـ. 67 : أبواب صفاقس.
- شـ. 68 : سور صفاقس، برج مسعودة.
- شـ. 69 : قصبة صفاقس.
- شـ. 70 : مدينة عين الجرّ.
- شـ. 71 : قصر يونقة.
- شـ. 72 : قصر يونقة.
- شـ. 73 : رباطات جنوب البلاد التونسية.
- شـ. 74 : رباطات طرابلس.
- شـ. 75 : مدينة طرابلس.
- شـ. 76 : الرباط الشريف.
- شـ. 77 : الخانات المشرقية.

فهرس اللّوحات

- لـ 1 : برج العرب .
- لـ 2 : قلعة جعبر والرقّة .
- لـ 3 : المشهد البحري بأسوان ومنارة أبي هريرة .
- لـ 4 : درنة (سيدي مشرق) .
- لـ 5 : درنة (سيدي مشرق) .
- لـ 6 : برج قليية .
- لـ 7 : برج قليية .
- لـ 8 : برج قليية .
- لـ 9 : الهوارة وقصر الزيت .
- لـ 10 : سيدي داود (نوبة) .
- لـ 11 : سيدي داود (نوبة) .
- لـ 12 : لبنة وقصر سعد .
- لـ 12 ب : قصر سعد .
- لـ 12 ت : قصر سعد .
- لـ 12 ج : القرشين .
- لـ 12 د : سليمان (قلعة الحهمي) .
- لـ 13 : قصر الحمامات .
- لـ 14 : الحمامات وسيدي هلال .
- لـ 15 : قصر المنار .

- لـ 16 : مدينة سوسة .
- لـ 17 : سوسة .
- لـ 18 : سور سوسة .
- لـ 19 : سور سوسة .
- لـ 20 : سور سوسة .
- لـ 21 : سوسة : المسجد الجامع والرباط .
- لـ 22 : رباط سوسة .
- لـ 23 : رباط سوسة .
- لـ 24 : رباط سوسة .
- لـ 25 : رباط سوسة .
- لـ 26 : رباط سوسة .
- لـ 27 : رباط سوسة .
- لـ 28 : رباط سوسة .
- لـ 29 : رباط سوسة .
- لـ 30 : رباط سوسة .
- لـ 31 : رباط سوسة .
- لـ 32 : رباط سوسة .
- لـ 33 : * سوسة : قصر الطوب .
- لـ 34 : المنستير (السّور) .
- لـ 35 : المنستير : مقبرة الرباط .
- لـ 36 : رباط المنستير .

- لـ 37 : رباط المنستير .
- لـ 38 : رباط المنستير .
- لـ 39 : رباط المنستير .
- لـ 40 : رباط المنستير .
- لـ 41 : المنستير وخنيس .
- لـ 42 : رباط لمطة .
- لـ 42 ب : رباط لمطة .
- لـ 42 ت : لمطة وقصيبة المديوني .
- لـ 43 : هرقله .
- لـ 43 ب : هرقله (الجامع الحفصي) .
- لـ 43 ت : قنطرة حلق المنجل .
- لـ 43 ج : حلق المنجل والقلعة الكبرى .
- لـ 44 : طبلبة : زاوية سيدي عياش .
- لـ 44 ب : طبلبة والمهدية .
- لـ 45 : منزل كامل ، صيّادة ، المكنين .
- لـ 46 : الكنائس والمصدور .
- لـ 47 : الكنائس ورجيش .
- لـ 48 : جمّال .
- لـ 49 : مسجد عيسي وتبصة .
- لـ 50 : الشّابة ، برج خديجة .
- لـ 51 : سور صفاقس .

- لـ 51 ب : سور صفاقس .
- لـ 52 : سور صفاقس .
- لـ 53 : سور صفاقس .
- لـ 53 ب : صفاقس ، باب الجبلي .
- لـ 54 : قصبة صفاقس .
- لـ 55 : قصر تنيور .
- لـ 56 : قصر تنيور .
- لـ 57 : قصر تنيور .
- لـ 58 : قصر تنيور .
- لـ 59 : سيدي منصور وجبناية .
- لـ 59 ب : قصر زياد . *
- لـ 60 : رباط يونقة .
- لـ 60 ب : رباط يونقة .
- لـ 61 : جزر الكنائس .

فهرس الموضوعات

توطئة : 9 - 11

الفصل الأول : الرباط والمرابطة خارج افريقية : 13 - 40

- الجهاد والرباط في المشرق الاسلامي في العصر الوسيط : 15 - 23

- الرباطات في المشرق الاسلامي : 23 - 29

- الرباط والخان في المشرق الاسلامي : 29 - 30

- الرباط والخانقاهات الكرامية : 30 - 34

- الرباط والخانقاه الصوفية : 34 - 36

- رباطات الغرب الاسلامي : 37 - 40

الفصل الثاني : رباطات شمال إفريقية : 42

✚ رباطات تونس : 43 - 47

✚ رباطات صطفورة : 47 - 49

✚ رباطات جزيرة شريك : 50 - 61

✚ رباطات وادي الرمل : 61 - 62

- رباطات بجاية - بونة : 62 - 63

الفصل الثالث : رباطات الساحل : 64

✚ ساحل القيروان : 65 - 69

✚ مدينة - رباط سوسة : 69 - 96

✚ هرقل : 96 - 98

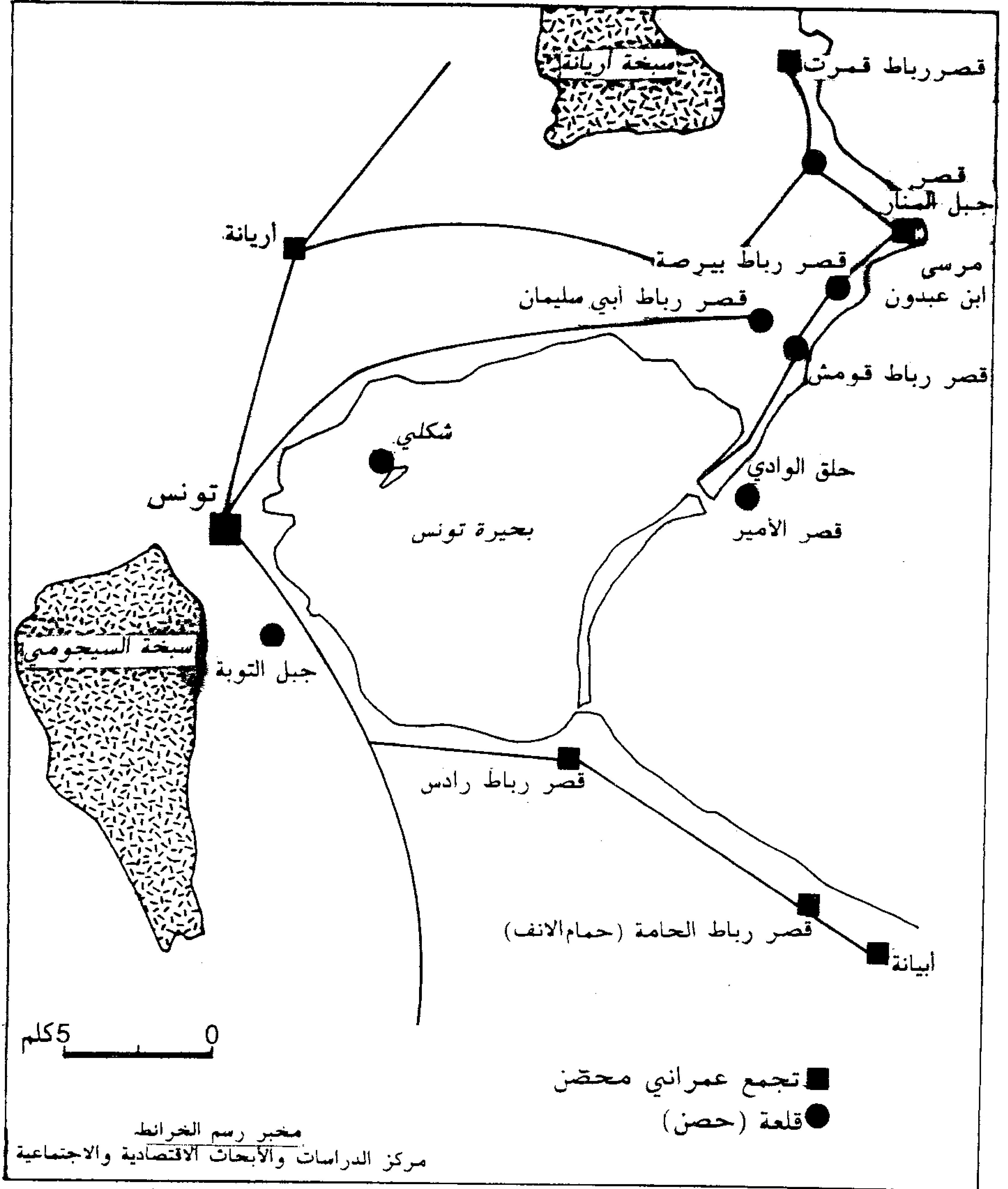
✚ رباطات المنستير : 98 - 129

- الرباطات الداخلية : 130 - 132

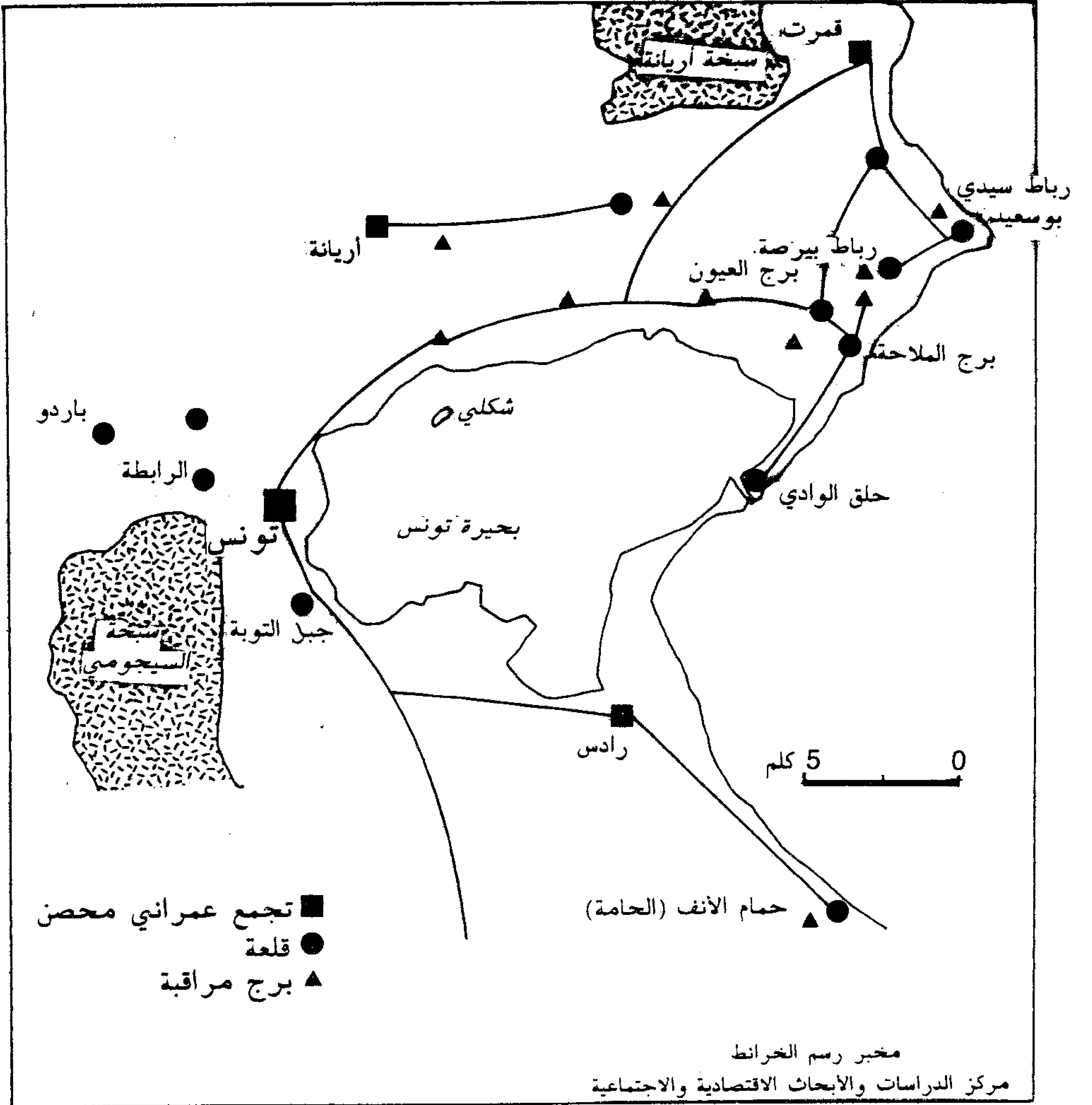
- الفصل الرابع : الرباطات الجنوبية : 133
- حرباطات ساحل صفاقس : 135
- قصر صفاقس : 135 - 143
- حرباطات منطقة رصفة : 143 - 165
- الشريط الساحلي من صفاقس إلى مقدماس : 165 - 173
- رباطات الجنوب التونسيّ وسرت الكبرى : 173 - 184
- خاتمة : الرباط والمرابطة بإفريقية في العصر الوسيط : 185 - 206
- ملاحق : 207 - 218
- الفهرس العام : 219 - 244
- المصادر والمراجع : 247 - 261
- فهرس الأشكال : 263 - 266
- فرس اللوحات : 267 - 270
- فهرس الموضوعات : 272 - 275

الأشكال

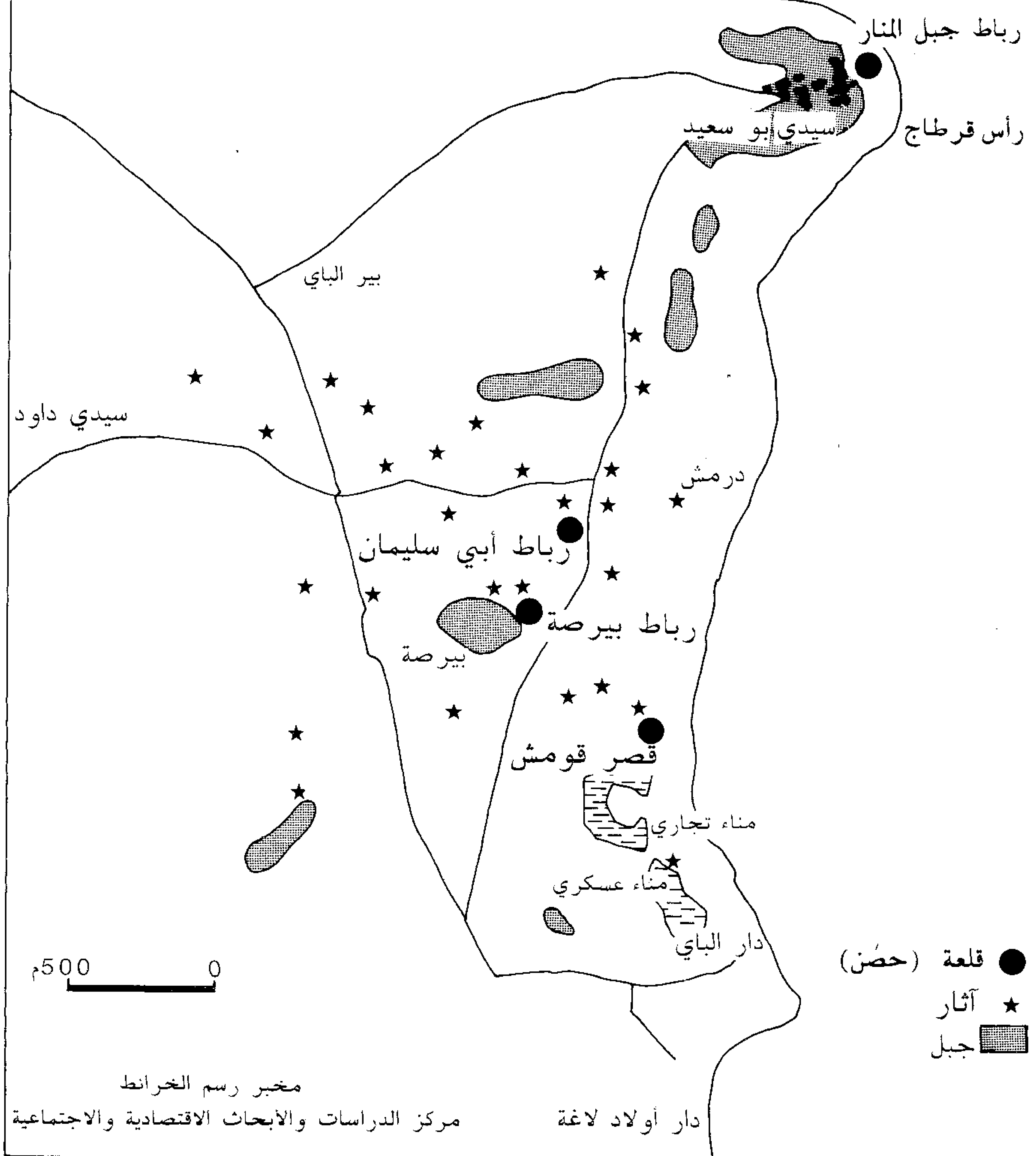
شكل 1 :رباطات منطقة تونس قبل العصر الحفصي



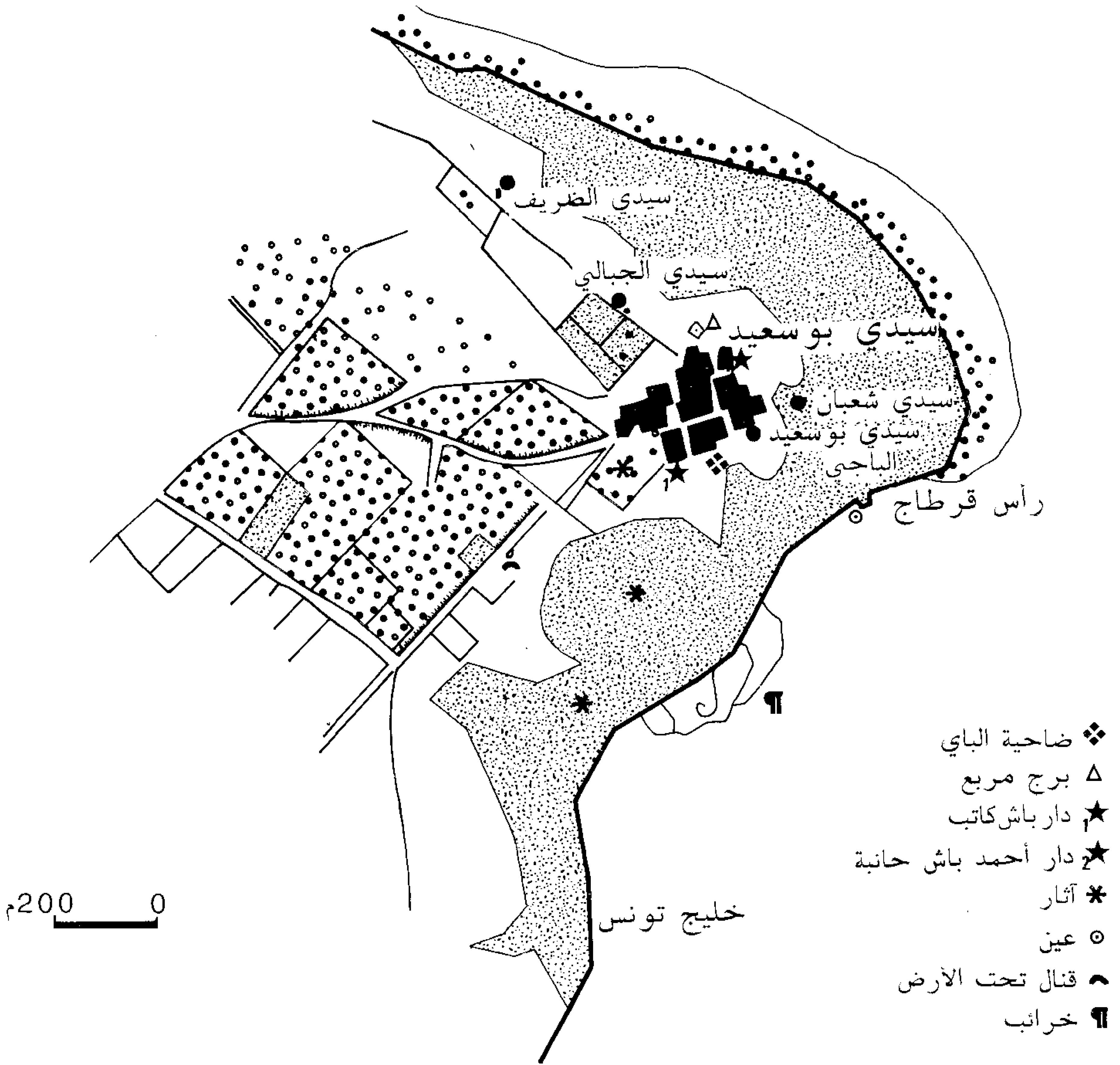
شكل 2 : تحصينات منطقة تونس في العصر الحفصي



شكل 3 : منطقة قرطاج : الرباطات الأغلبية



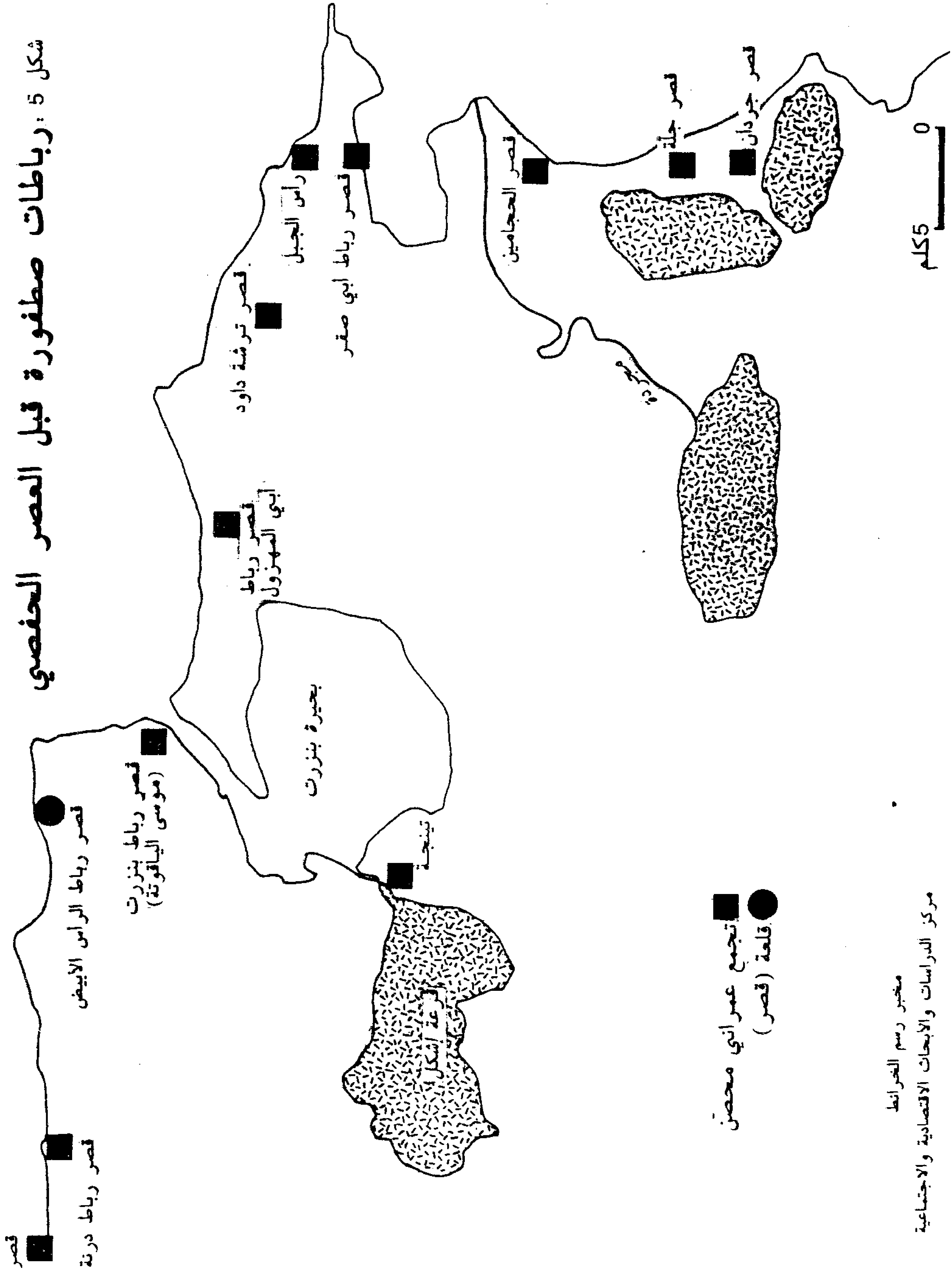
شكل 4 : سيدي بوسعيد



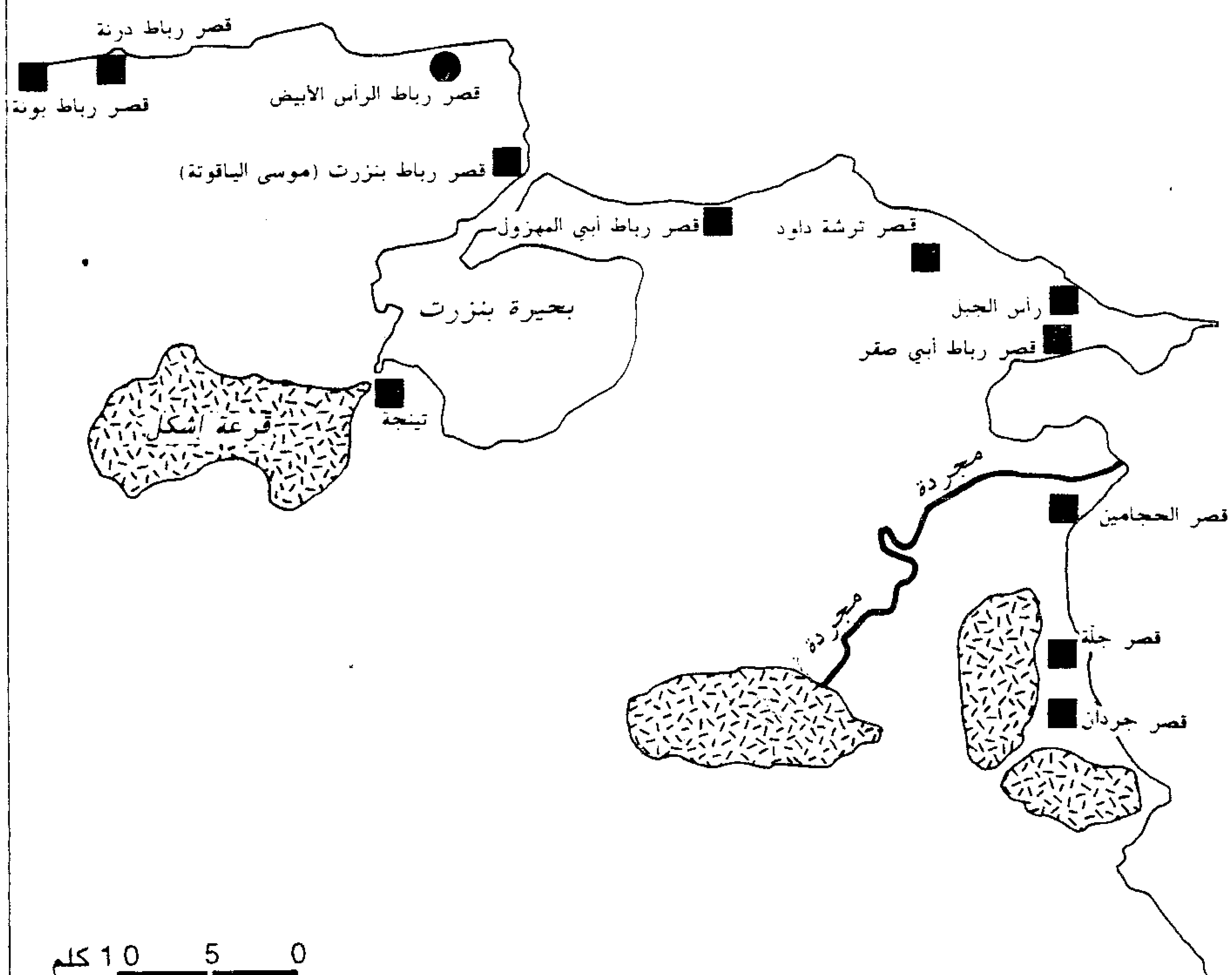
مخبر رسم الخرائط
مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية

المصدر : حسب فالب

شكل 5: رباطات صطفورة قبل العصر الحفصي



شكل 5 : رباطات صطفورة قبل العصر الحفصي



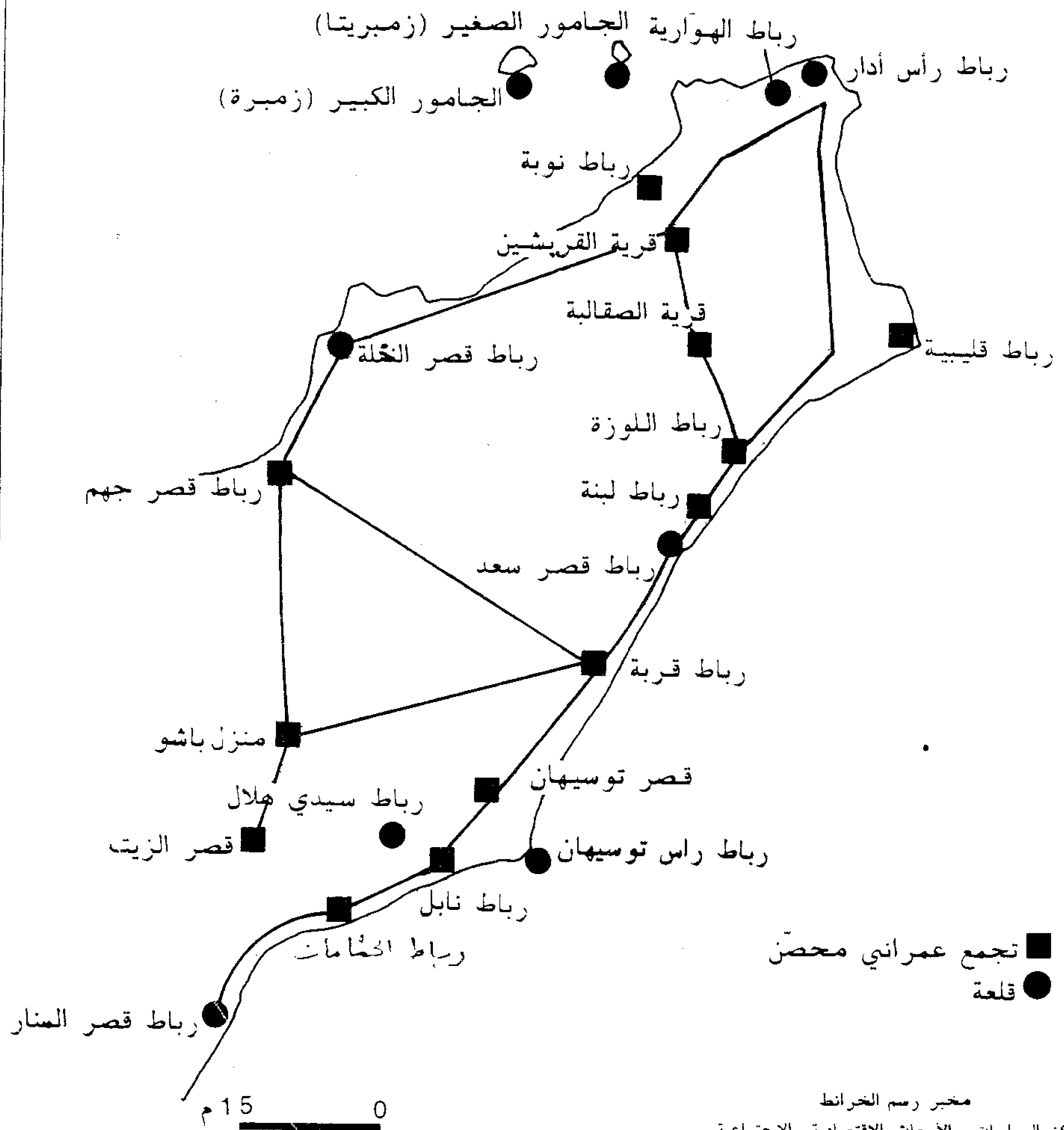
0 5 10 كلم

تجمع عمراني محصن
قلعة (حصن)

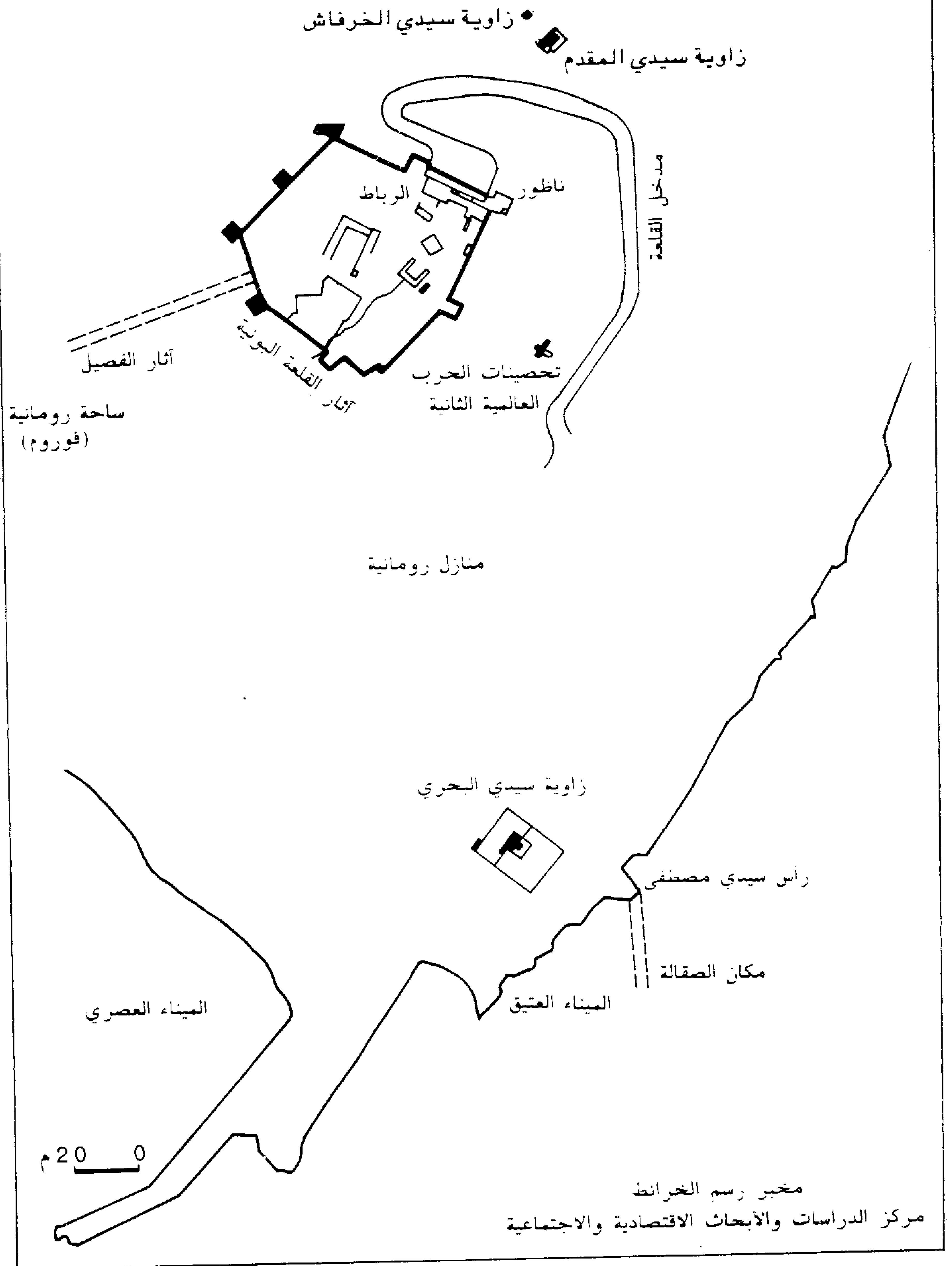
مختبر رسم الخرائط

مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية

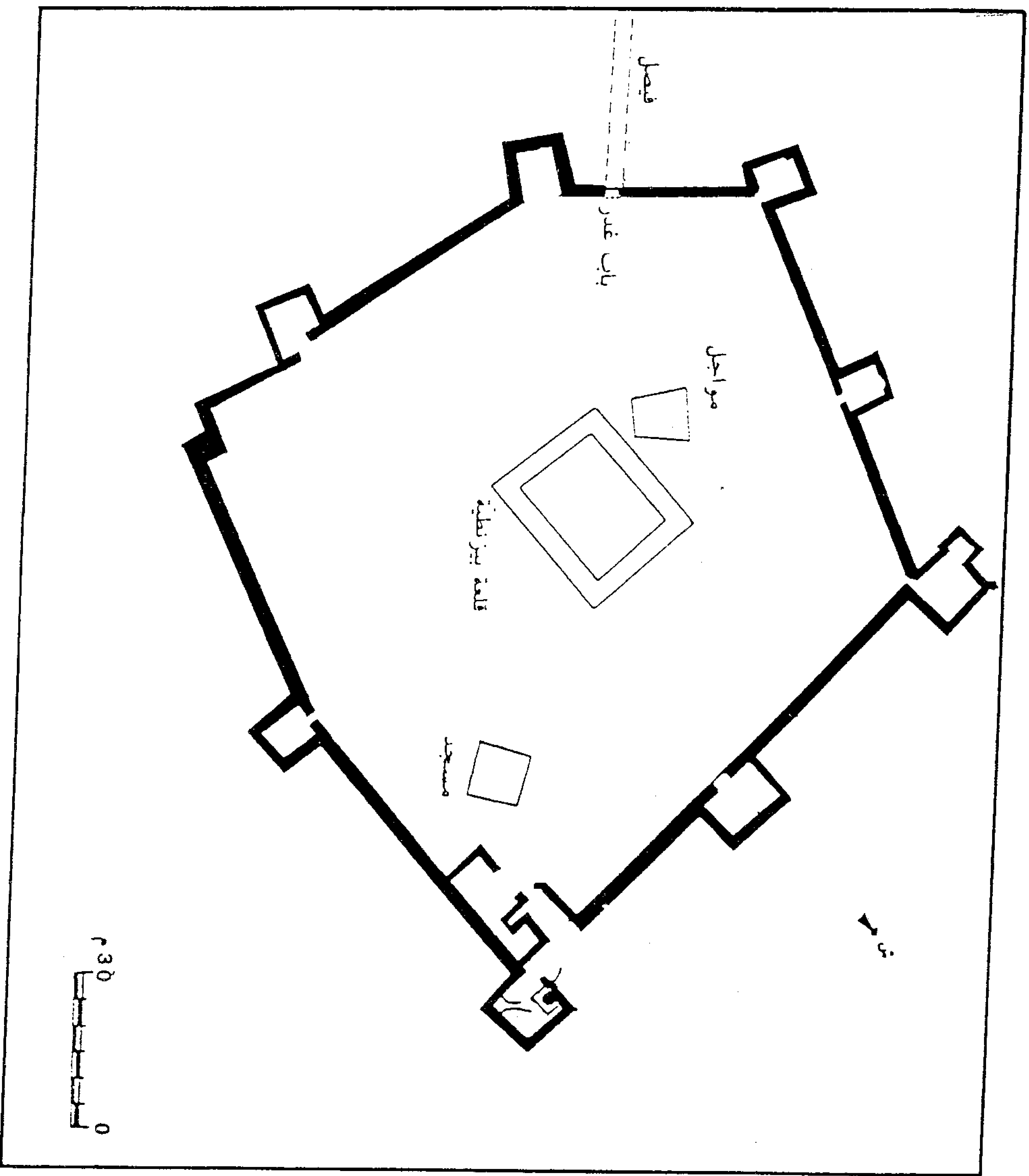
شكل 6 :رباطات جزيرة شريك قبل العصر الحفصي



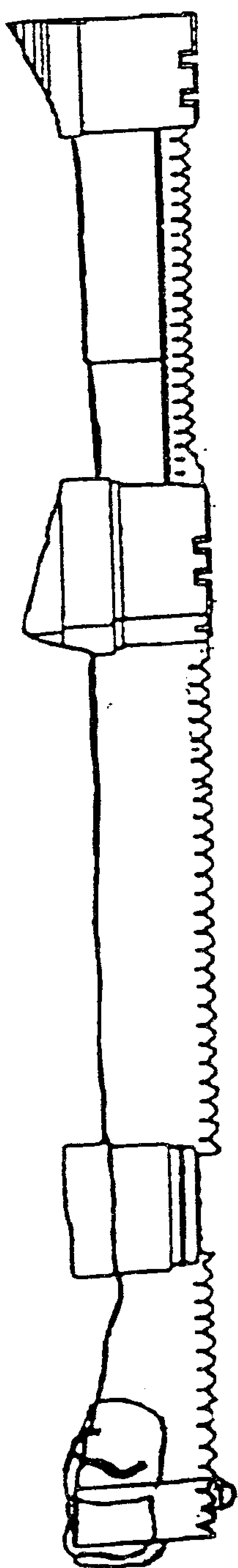
شكل 7 : برج قلبية



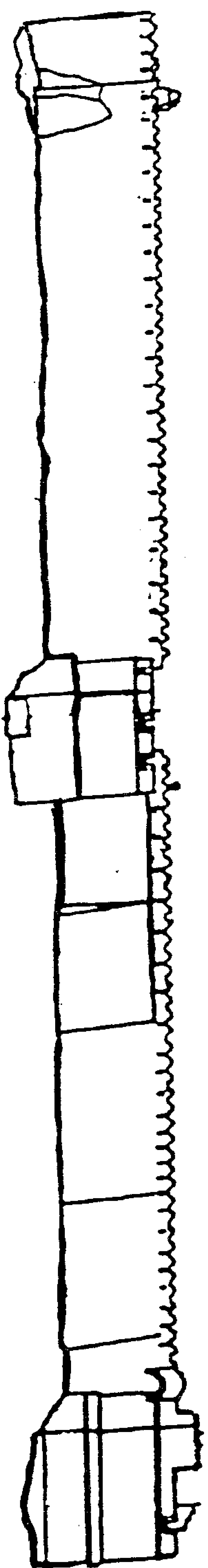
شكل 8 : مخطط برج قلبية



شكل 9: برج قلبيية

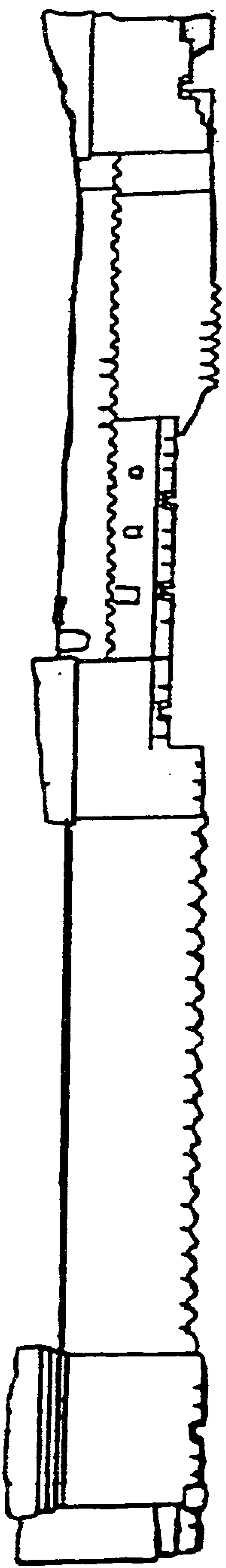


الواجهة الجنوبية - الغربية

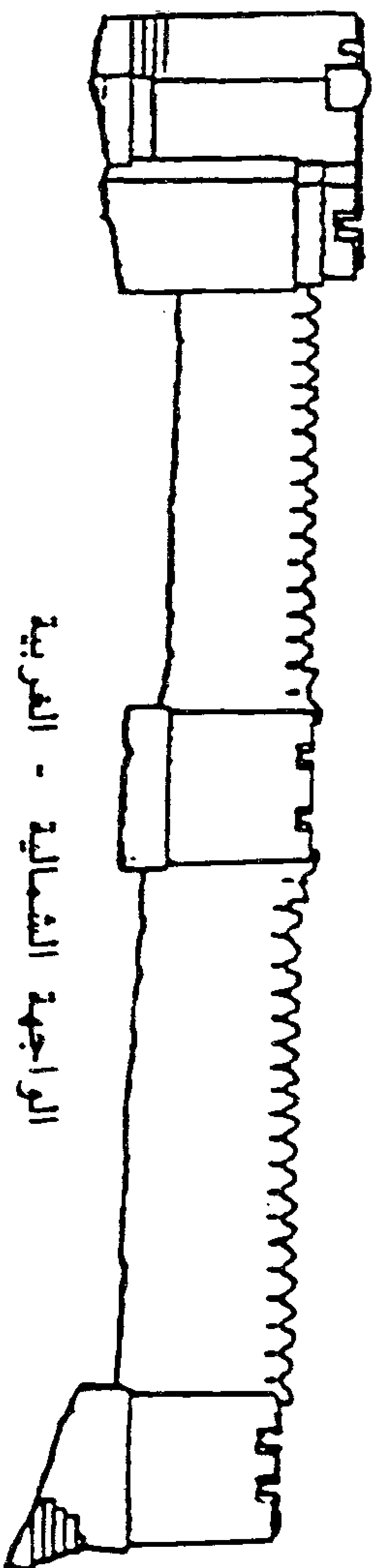


الواجهة الجنوبية - الشرقية

شكل 10 : برج قلبيية

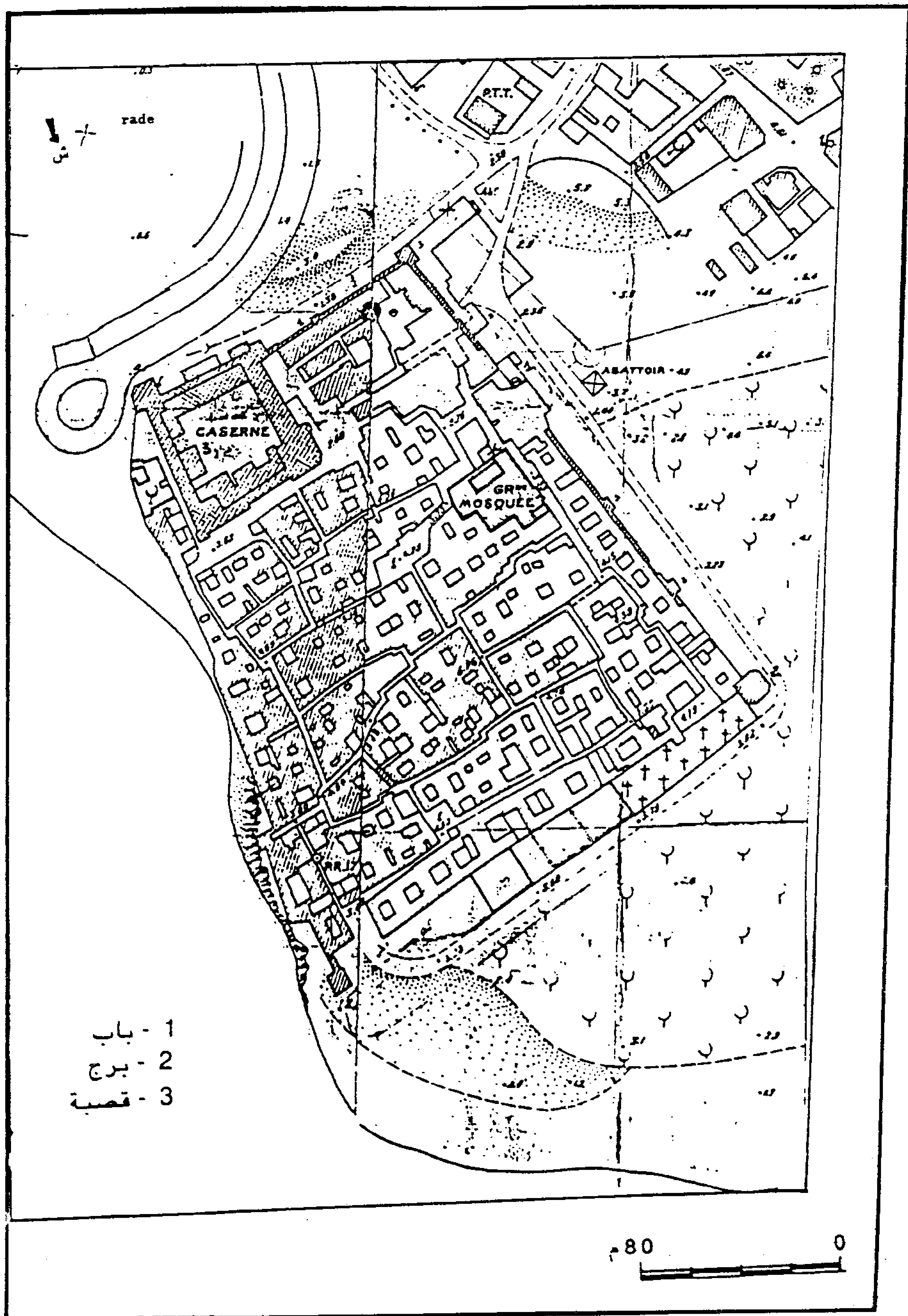


الواجهة الشمالية - الشرقية

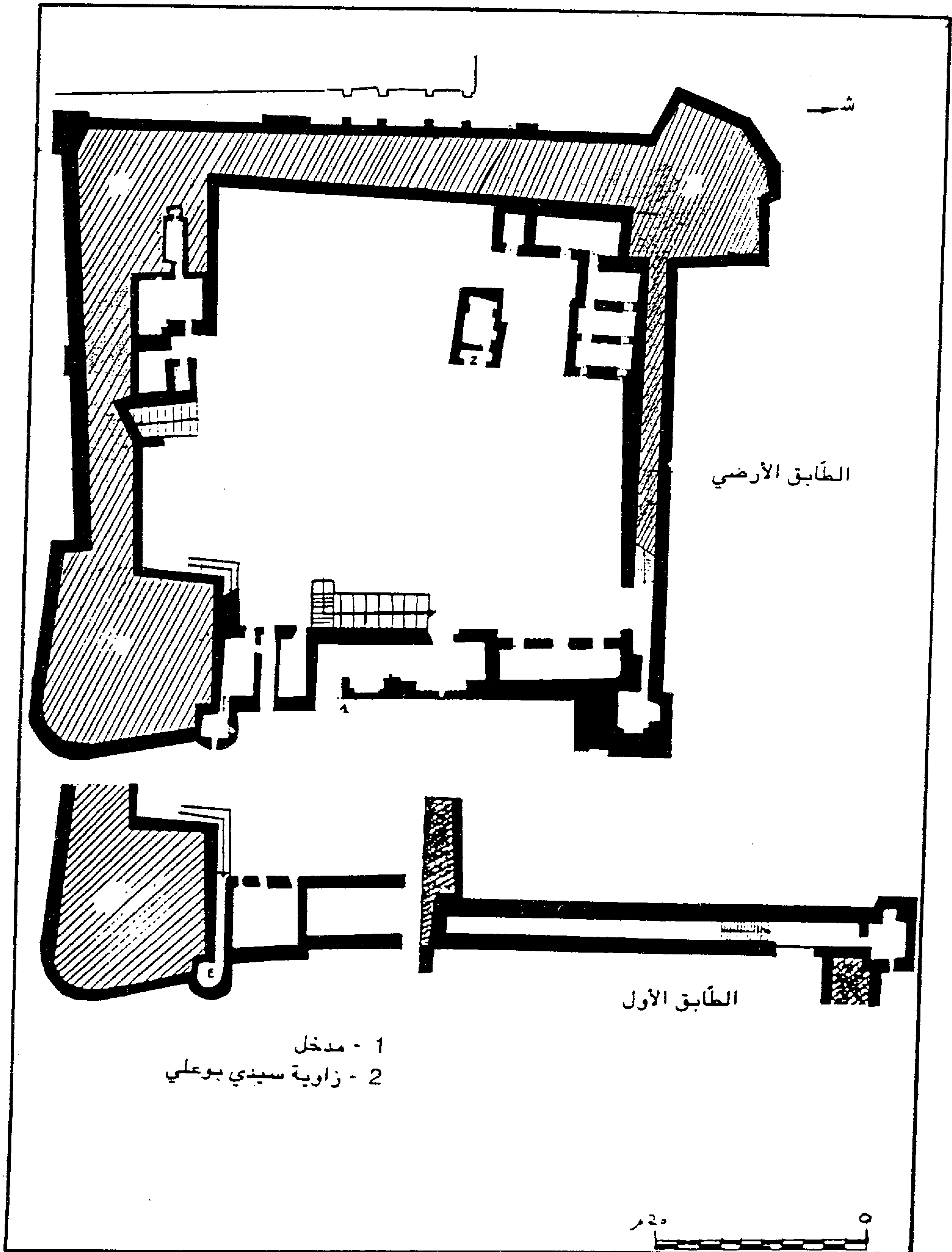


الواجهة الشمالية - الغربية

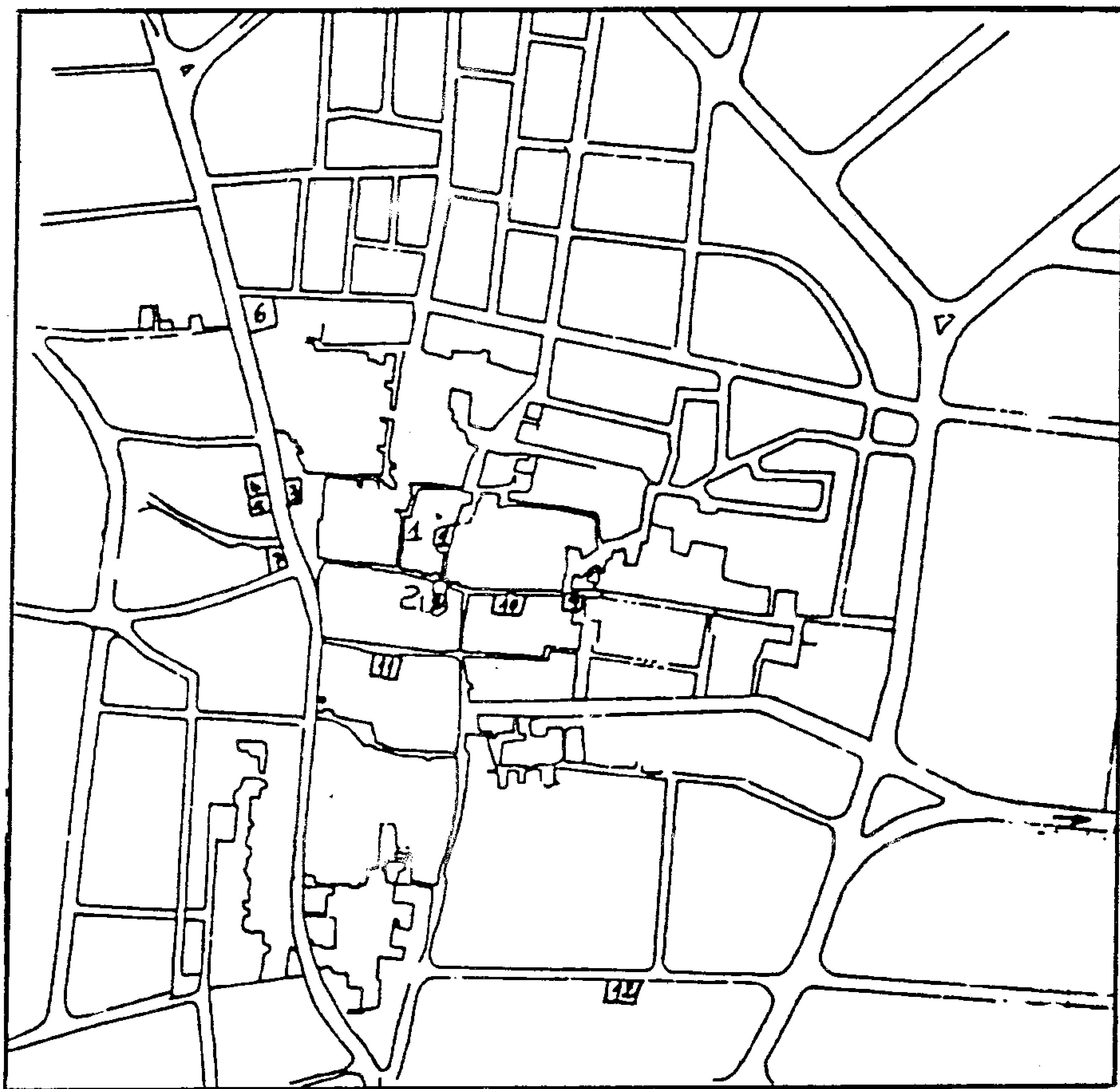
شكل 11 : مدينة الحمامات (1950)



شكل 12 : قصبة الحمامات



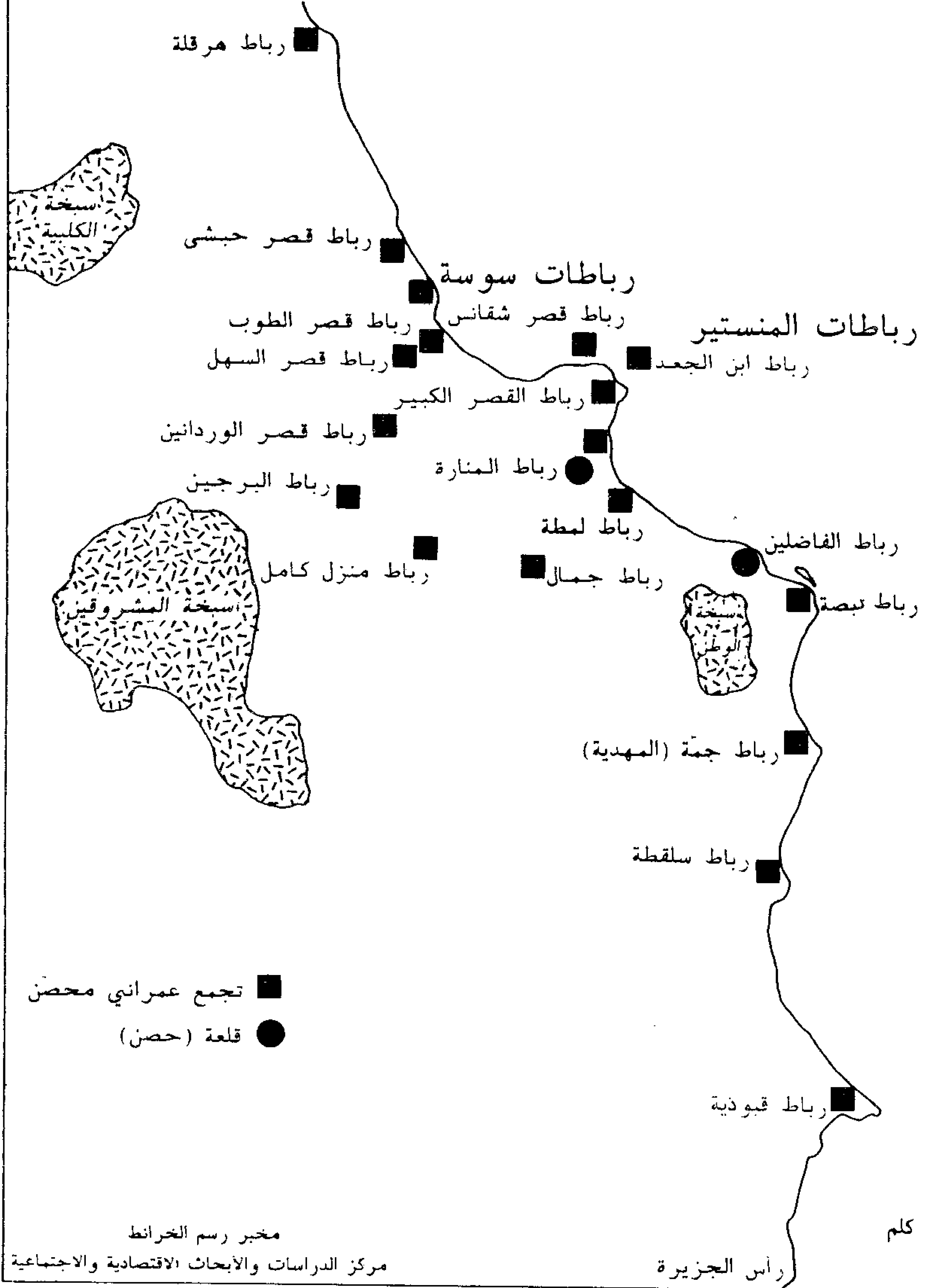
شكل 13 : بني خيار



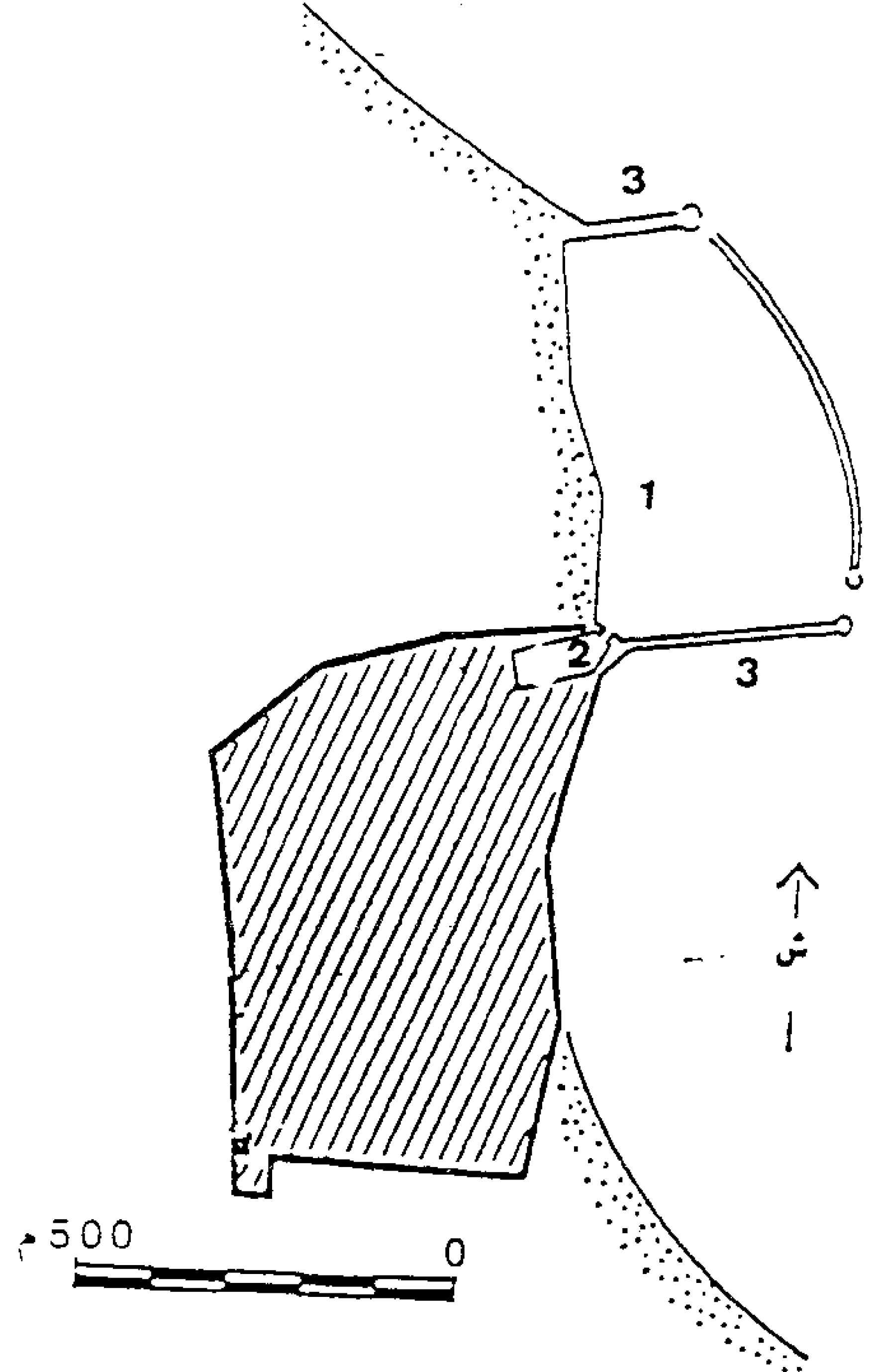
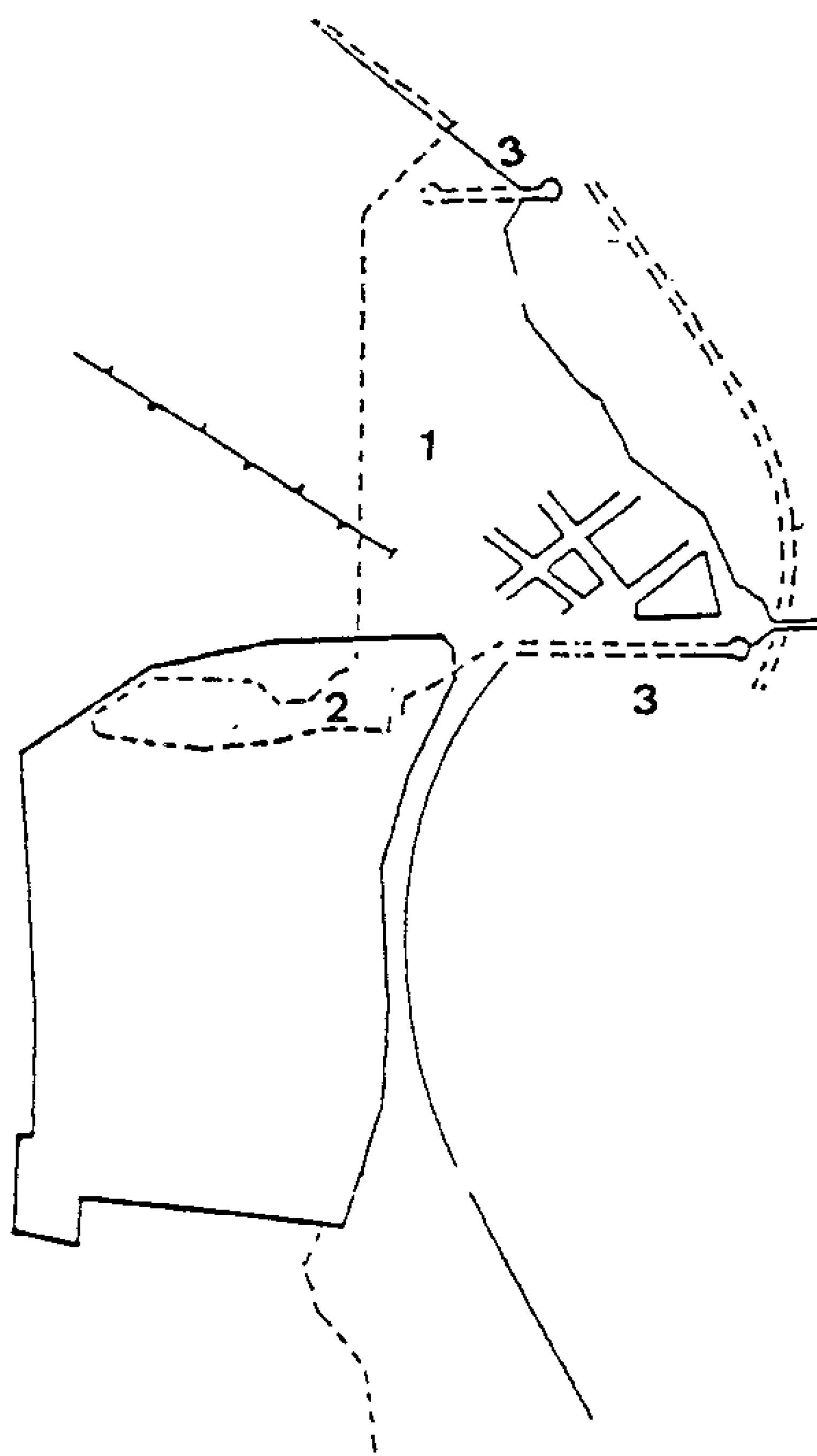
1 : بطحاء القصر

2 : جامع القصر

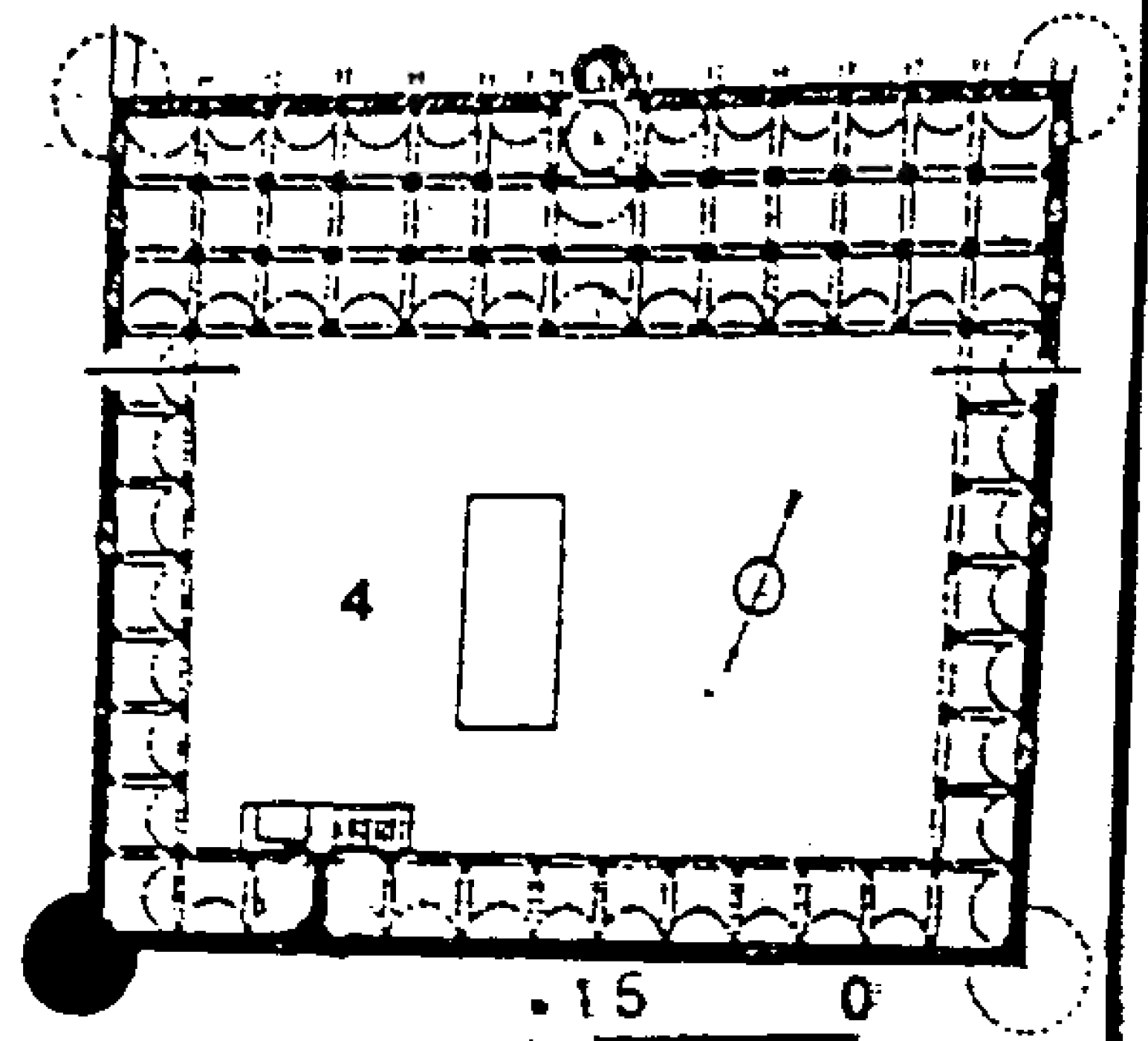
شكل 14:رباطات الساحل في العصر الاغربي



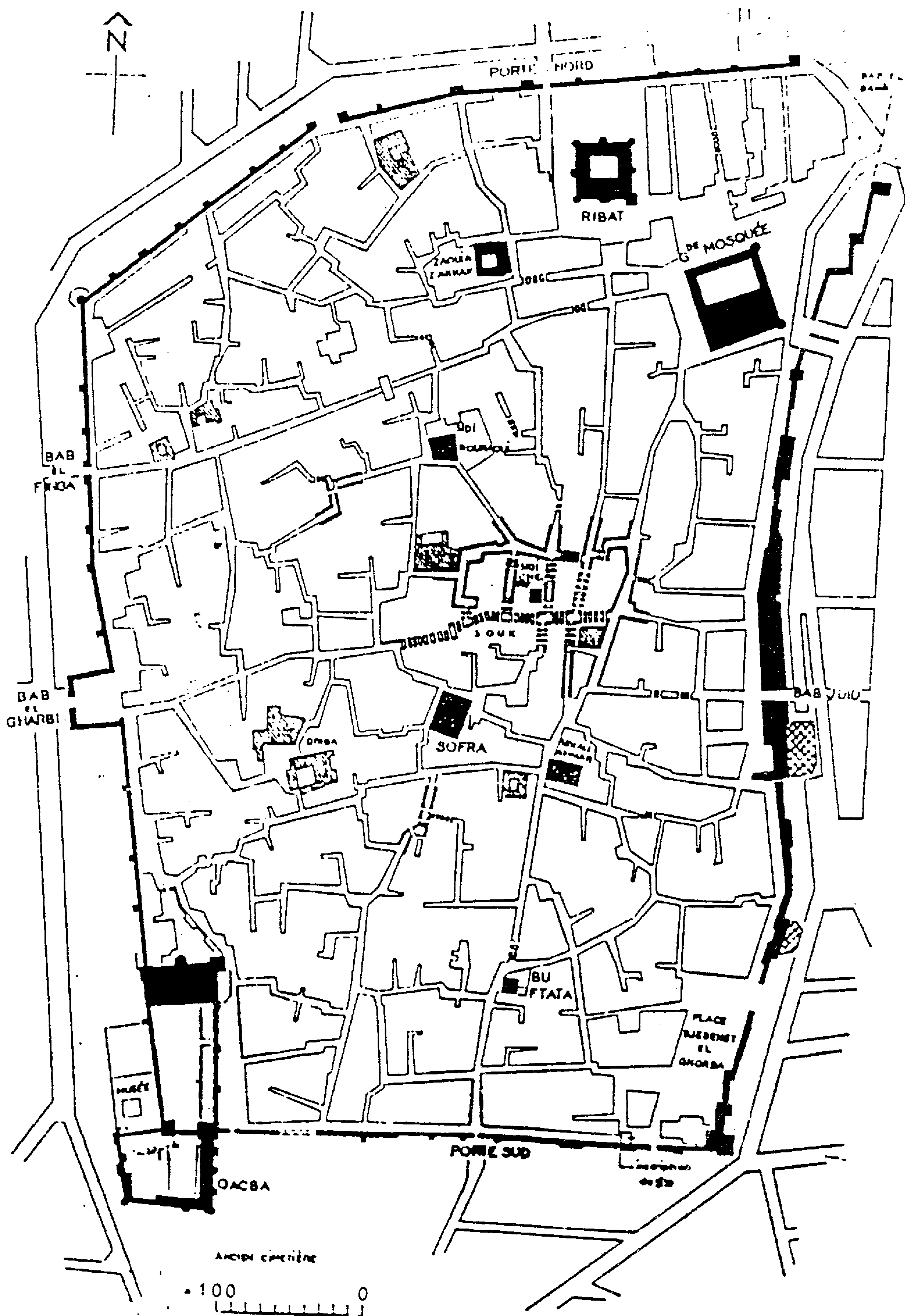
شكل 16 : سوسة : التجهيزات البحرية



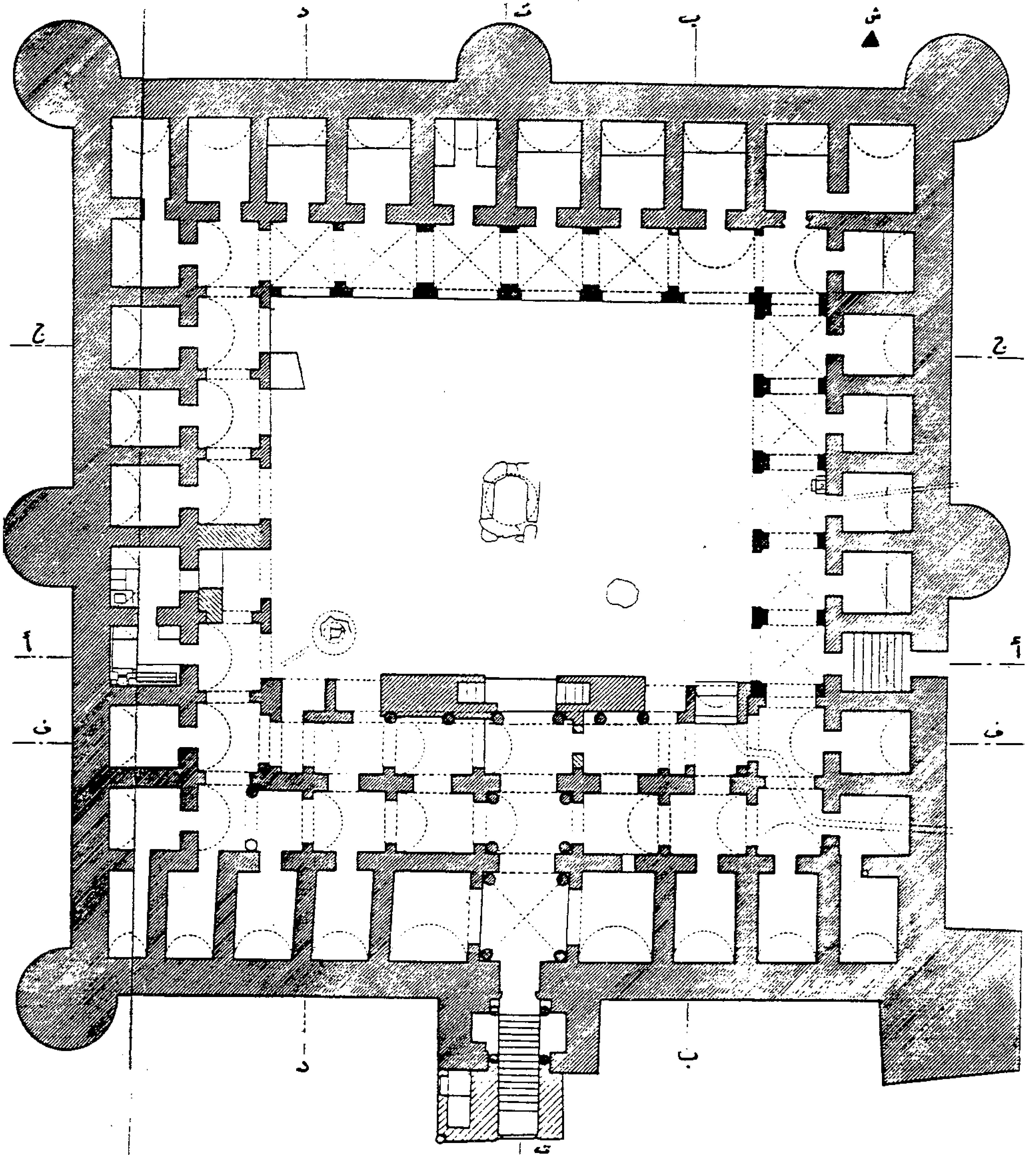
- 1 الميناء الخارجي
- 2 الميناء الداخلي
- 3 صقالة
- 4 الجامع المحصن



شكل 17 : مدينة سوسة



شكل 18 : رباط سوسة - الطابق الارضي -

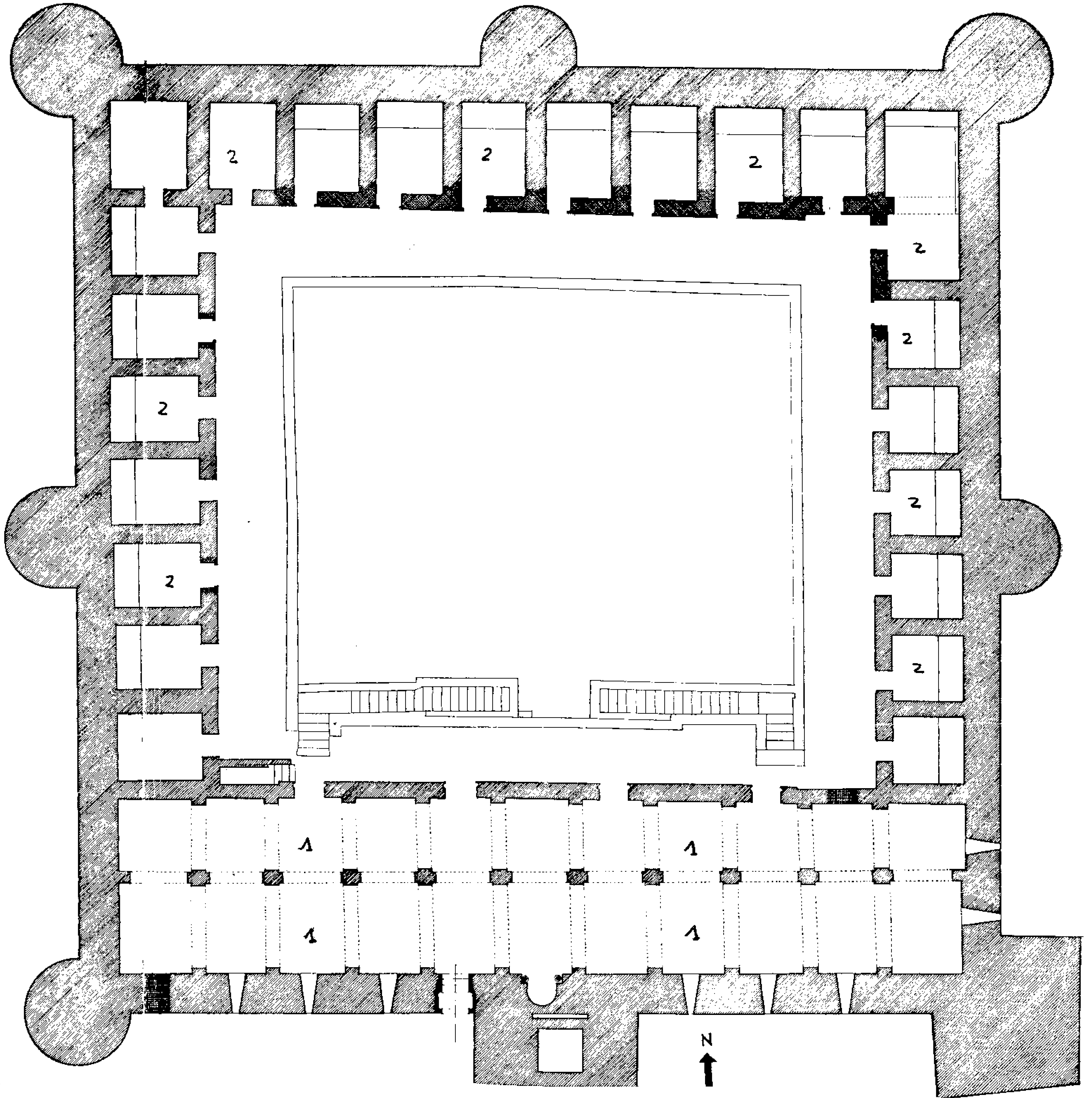


0 4 8 م

- 1 : مخازن ومكاتب
- 2 : مدخل
- 3 : بيوت الحراسة

تق. 8 - 9 م
غير محدد
1727
1847

شكل 19 : رباط سوسة - الطابق الاول



1 - مسجد

2 - غرف

ق. 8 م

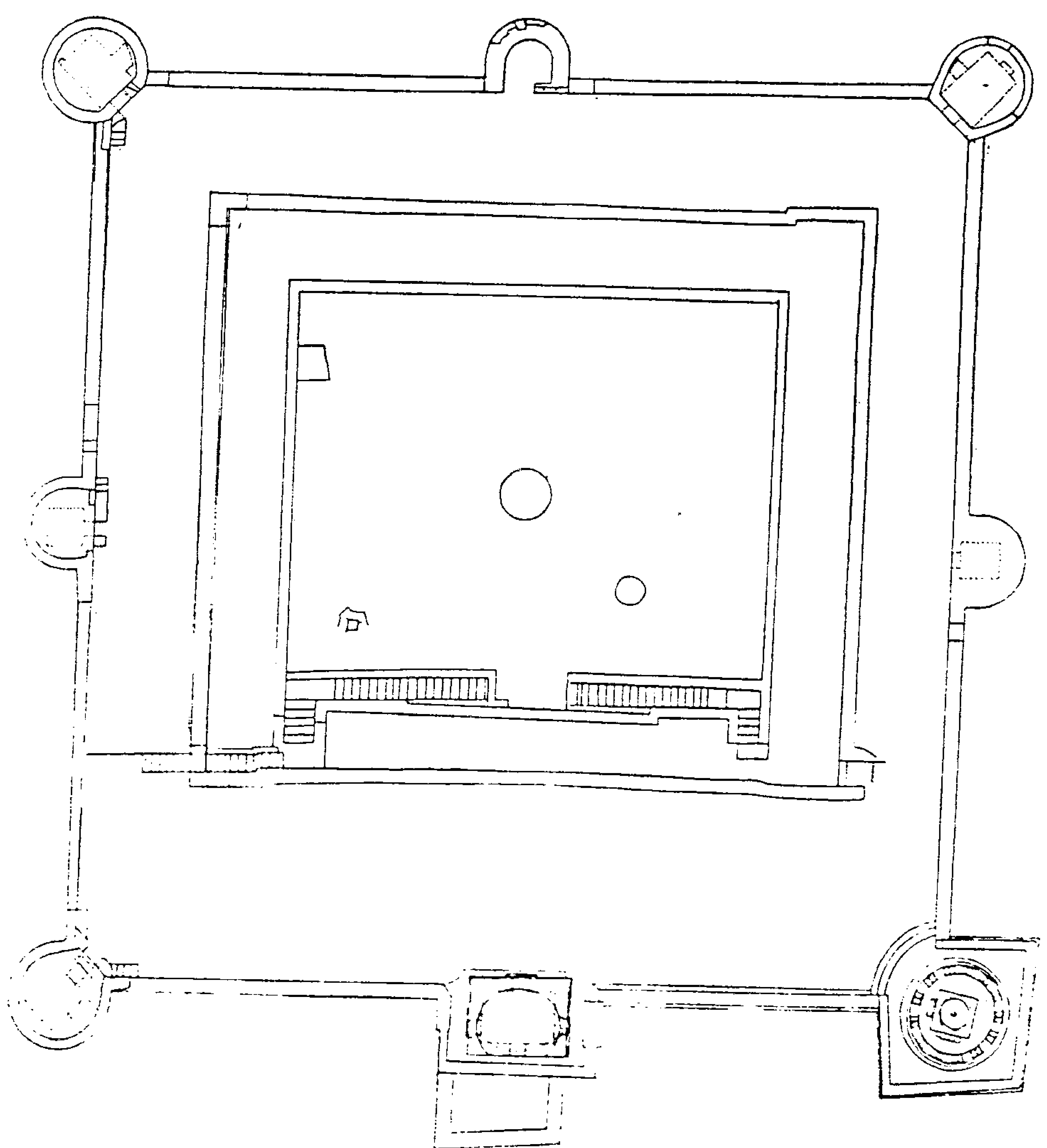
ق. 9 م

اصلاحات 1722

ترميمات حديثة

0 2 4 م

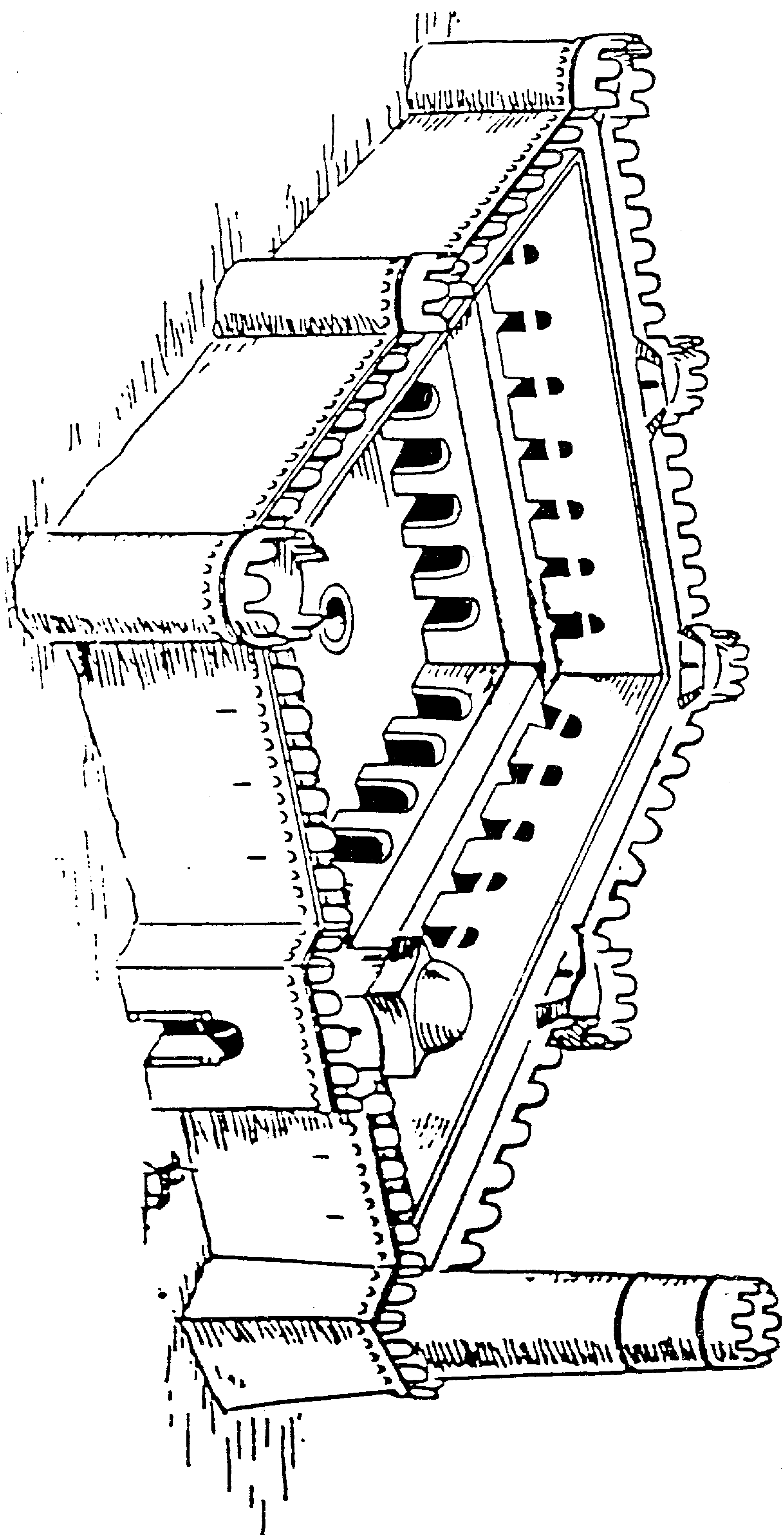
شكل 20 : رباط سوسة - السطوح -



0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 م

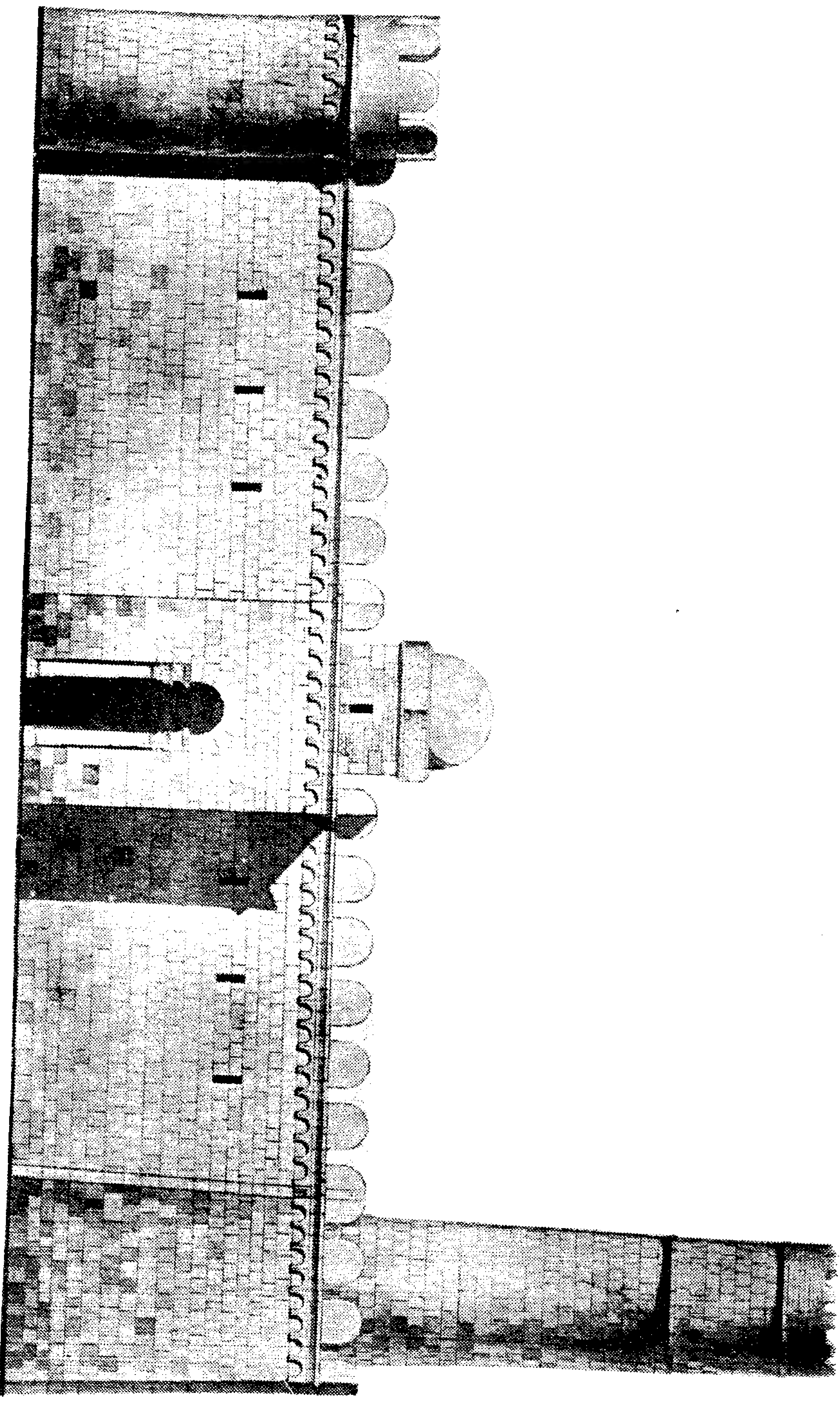
ش

شكل 21 : رباط سوسة

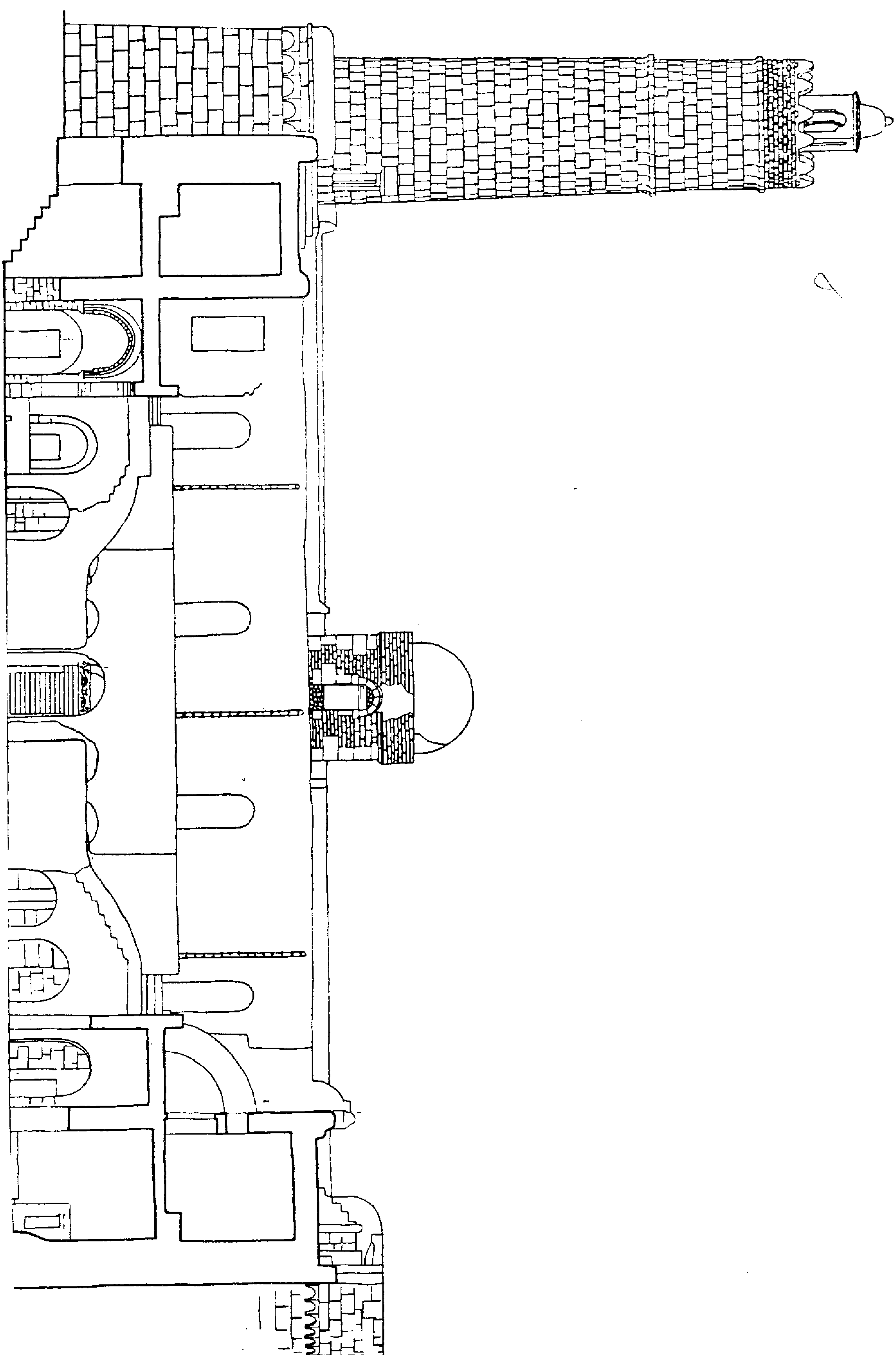


(الندرية ميكال)

- الواجهة الجنوبية -
شكل 22 : رباط سوسة

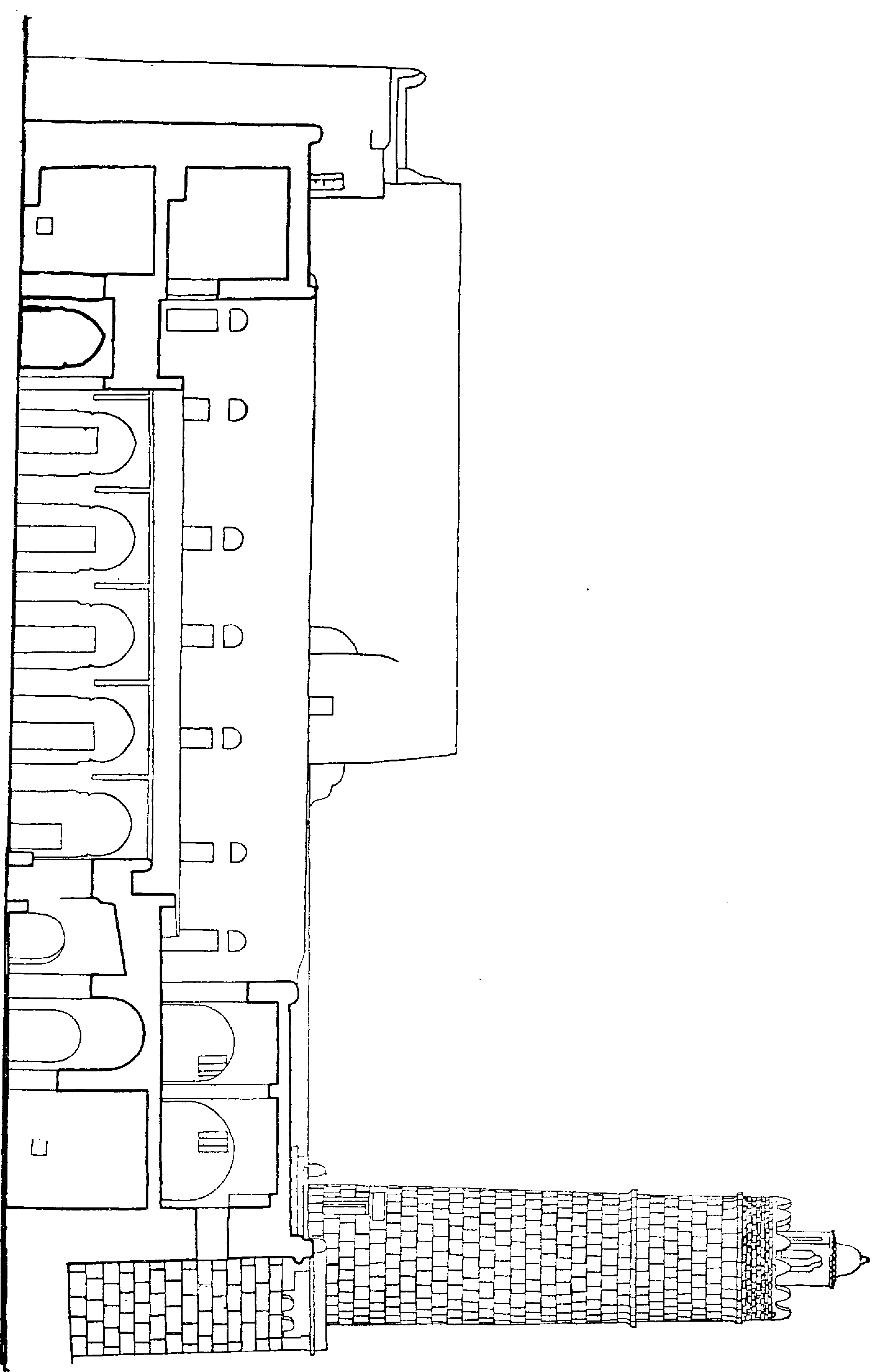


شكل 23 : رباط مسجدة - مخطط 1 - 1 -

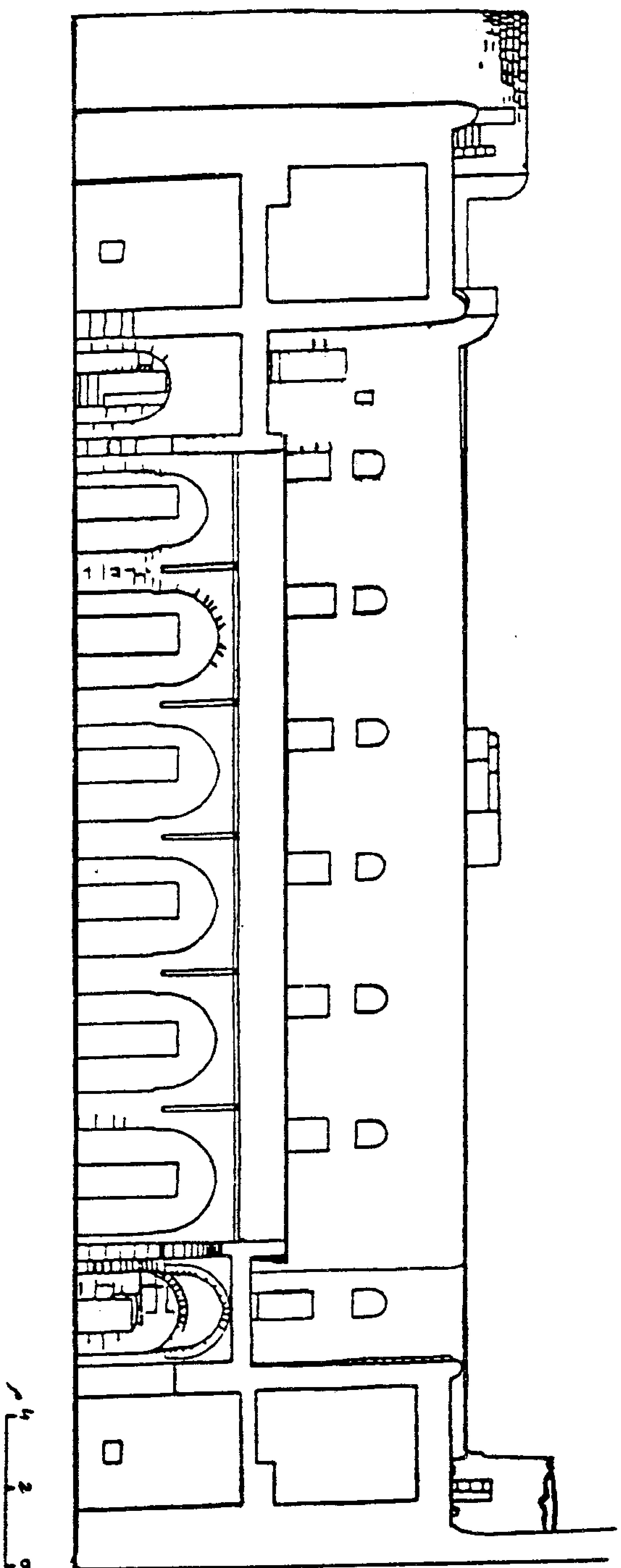


6
0

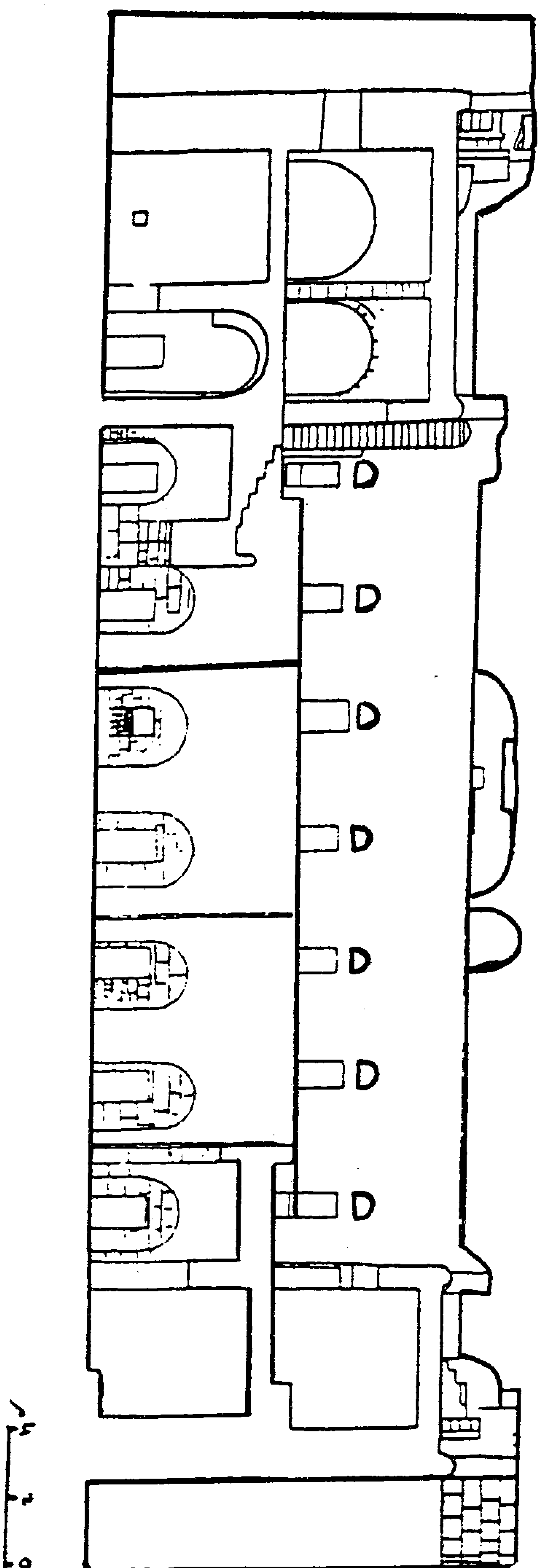
شكل 24 : رباط سوسة - مقطع ب - ب -



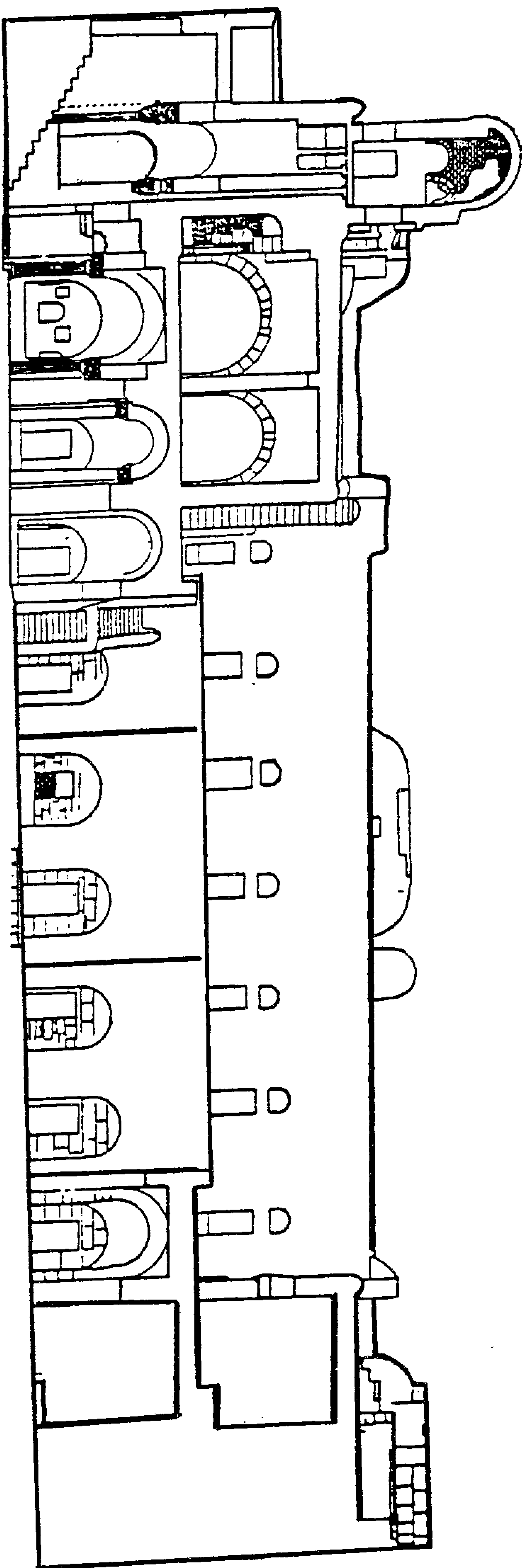
شکل 25 : رباط سوسنة - مقطع ج - ج -



شكل 26 : رباط سوسة - مقطع د - د - د

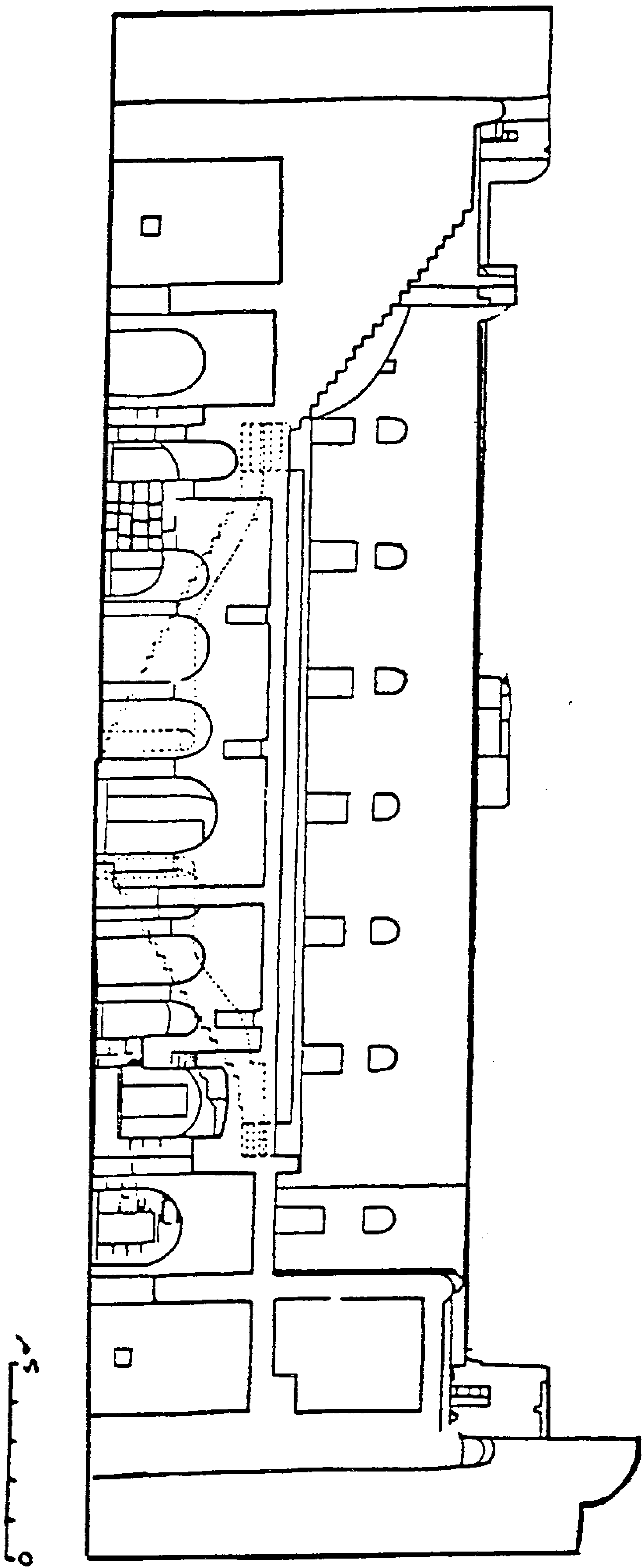


شكل 27 : رباط سوسة - مقطع ت - ت -

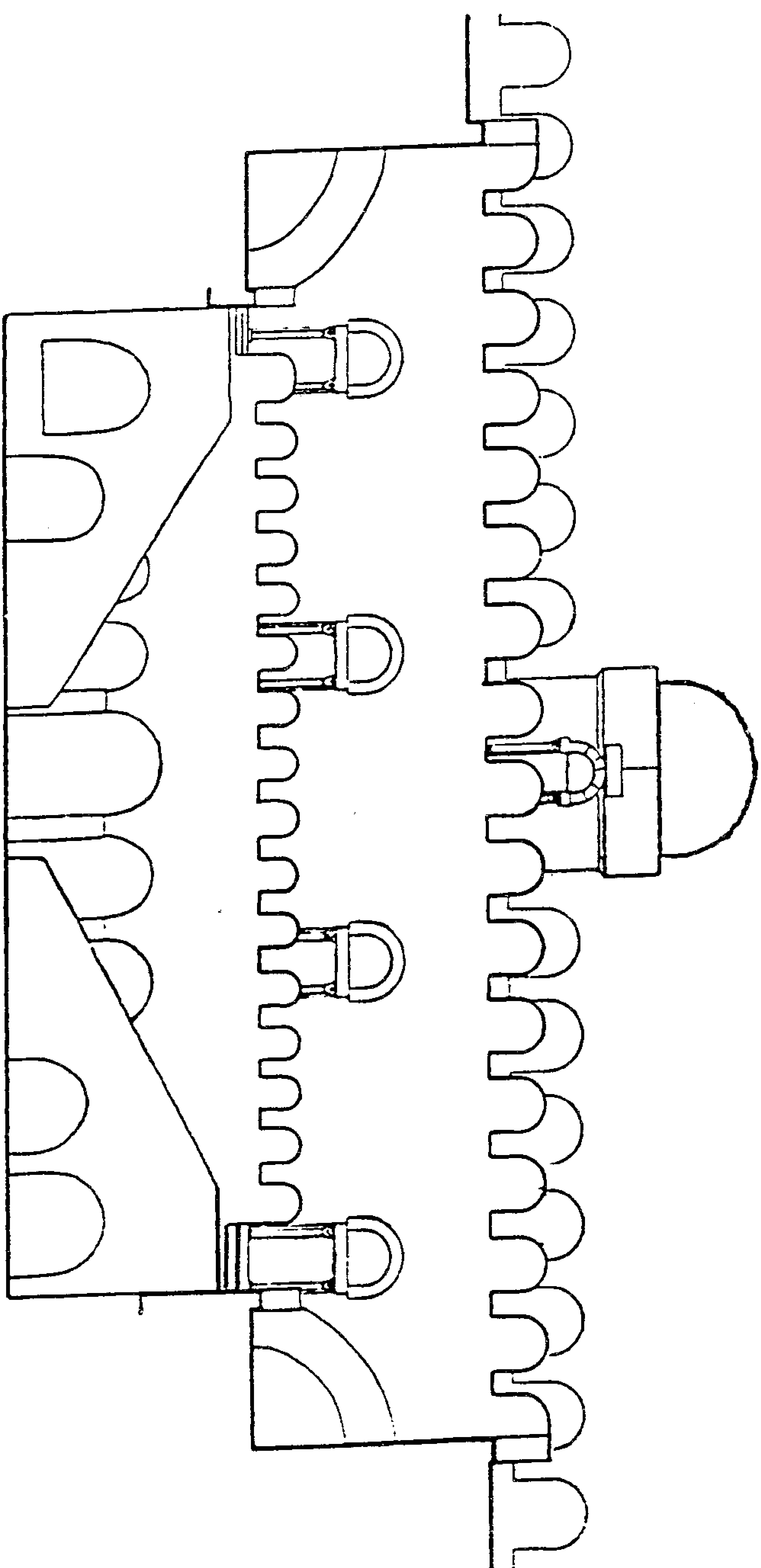


4 3 0

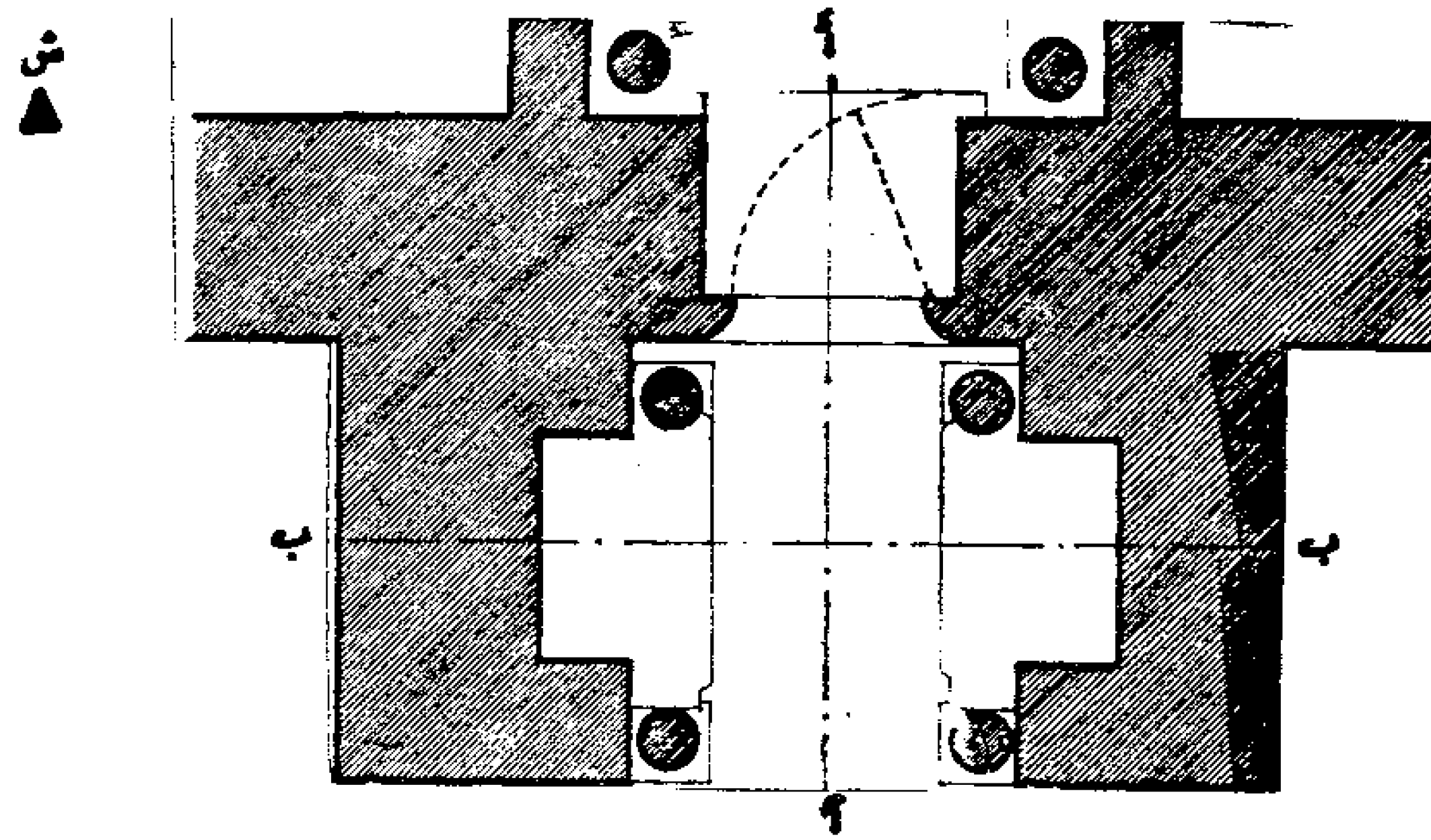
شكل 28 : رباط سوسة - مقطع ف - ف -



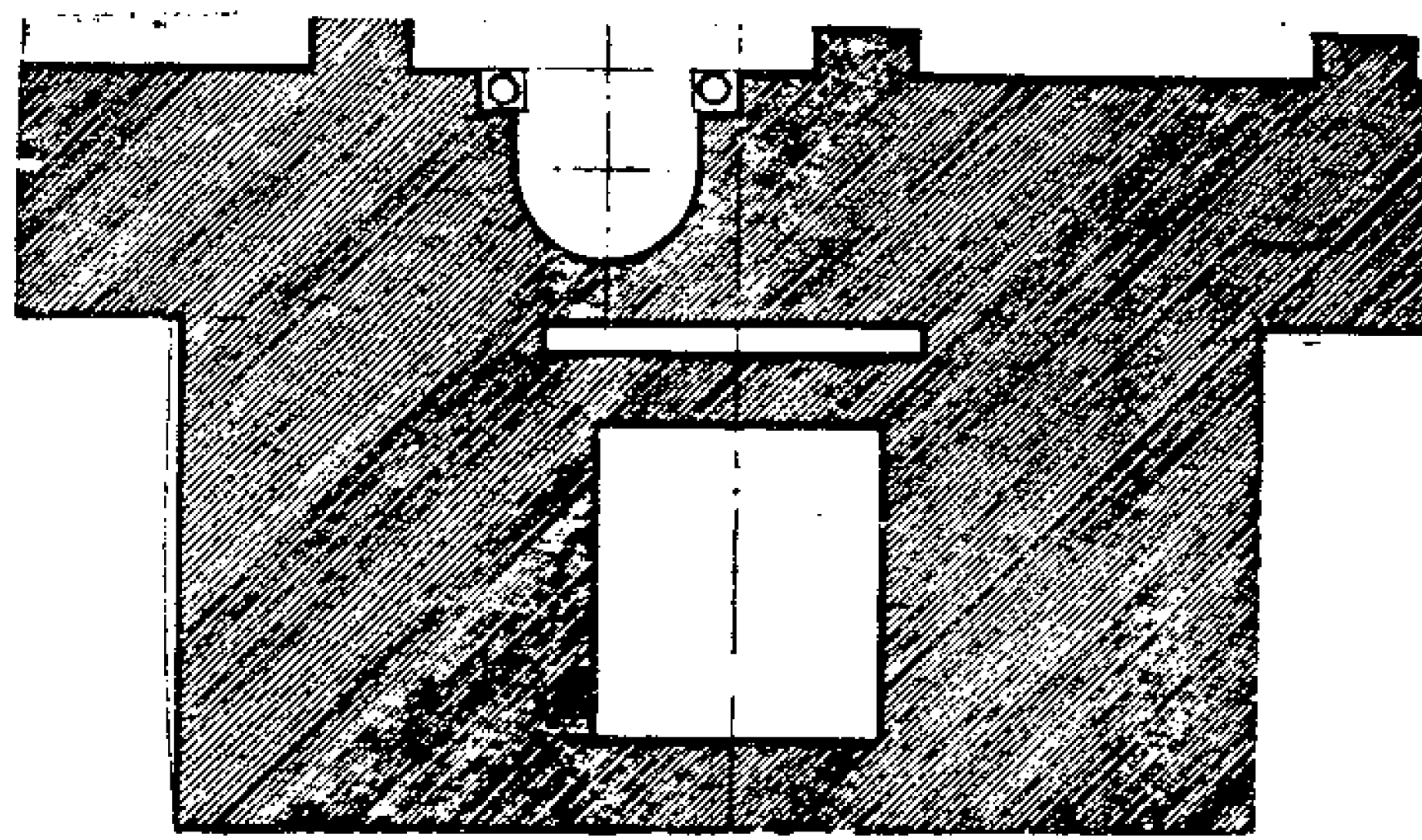
شكل 29 : رباط سوسة : القبّة والمدارج الداخلية



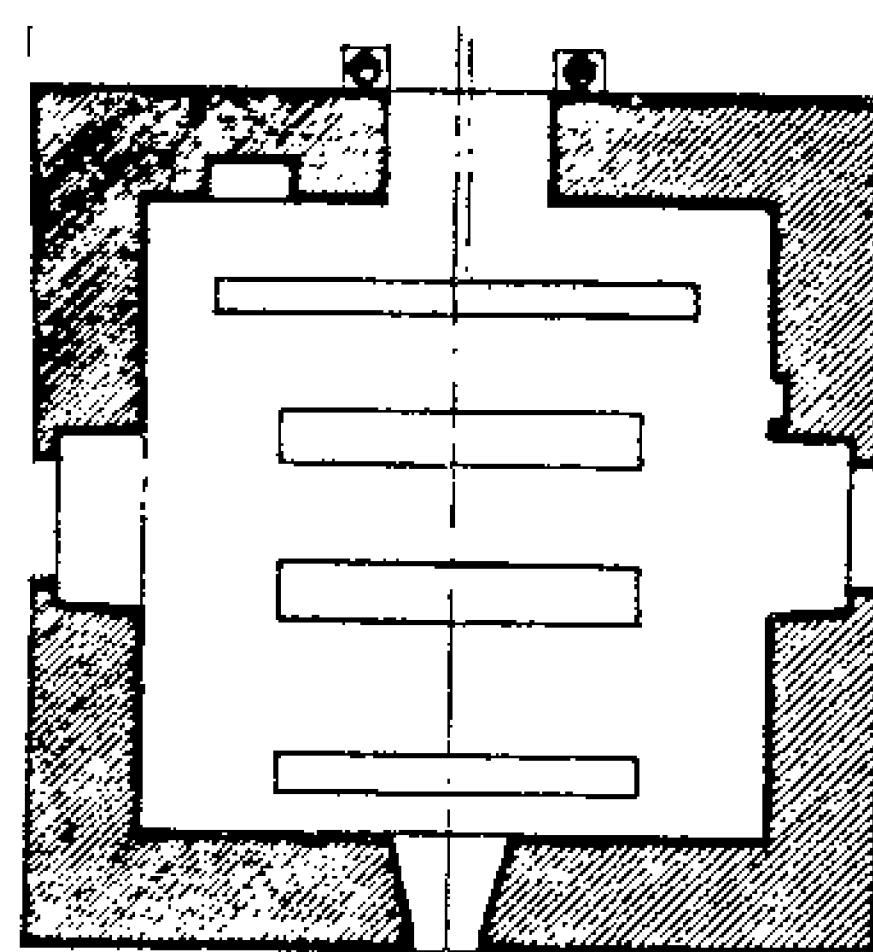
شكل 30 : رباط موسسة : المدخل



الطابق الأرضي



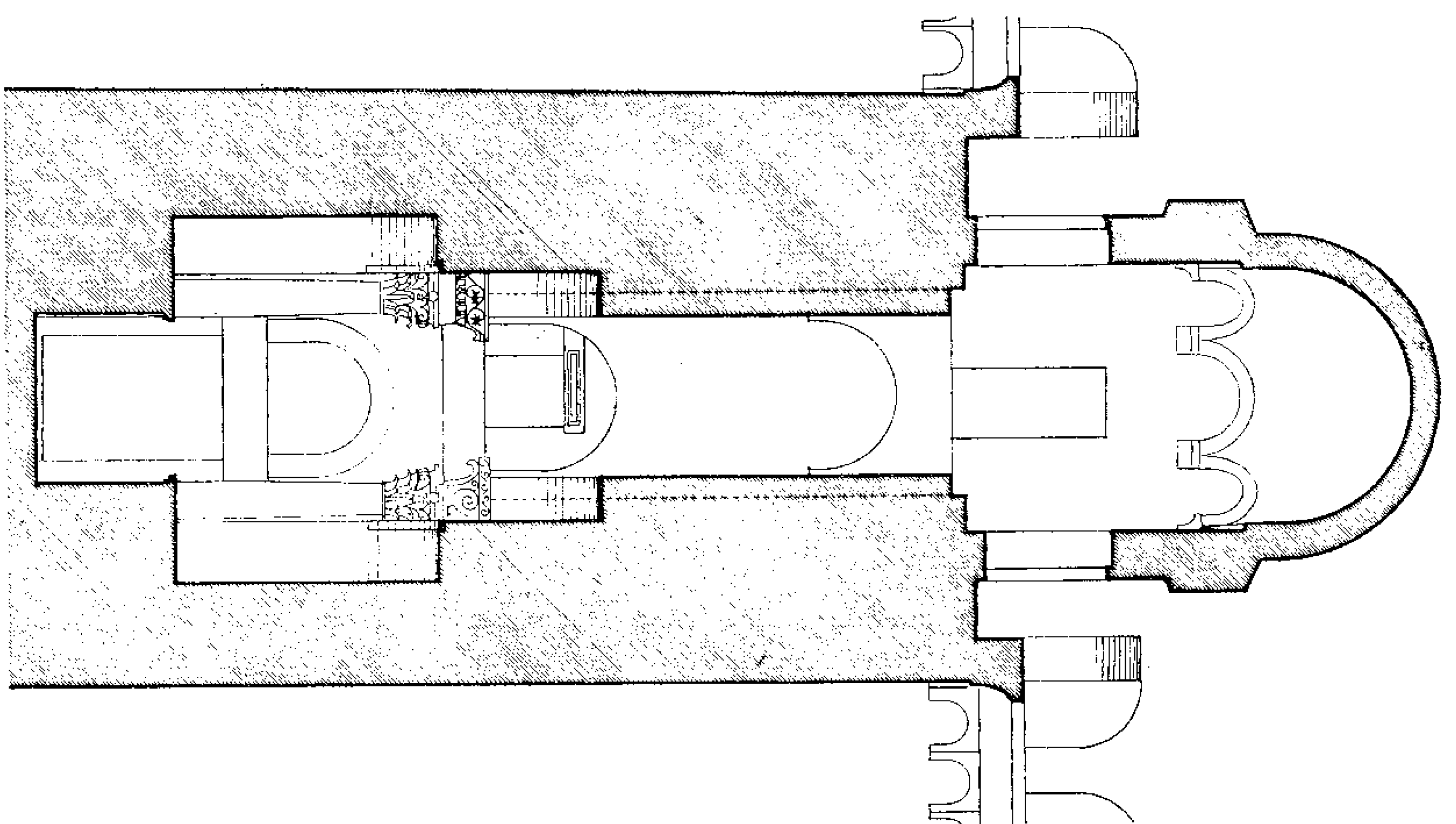
الطابق الأول



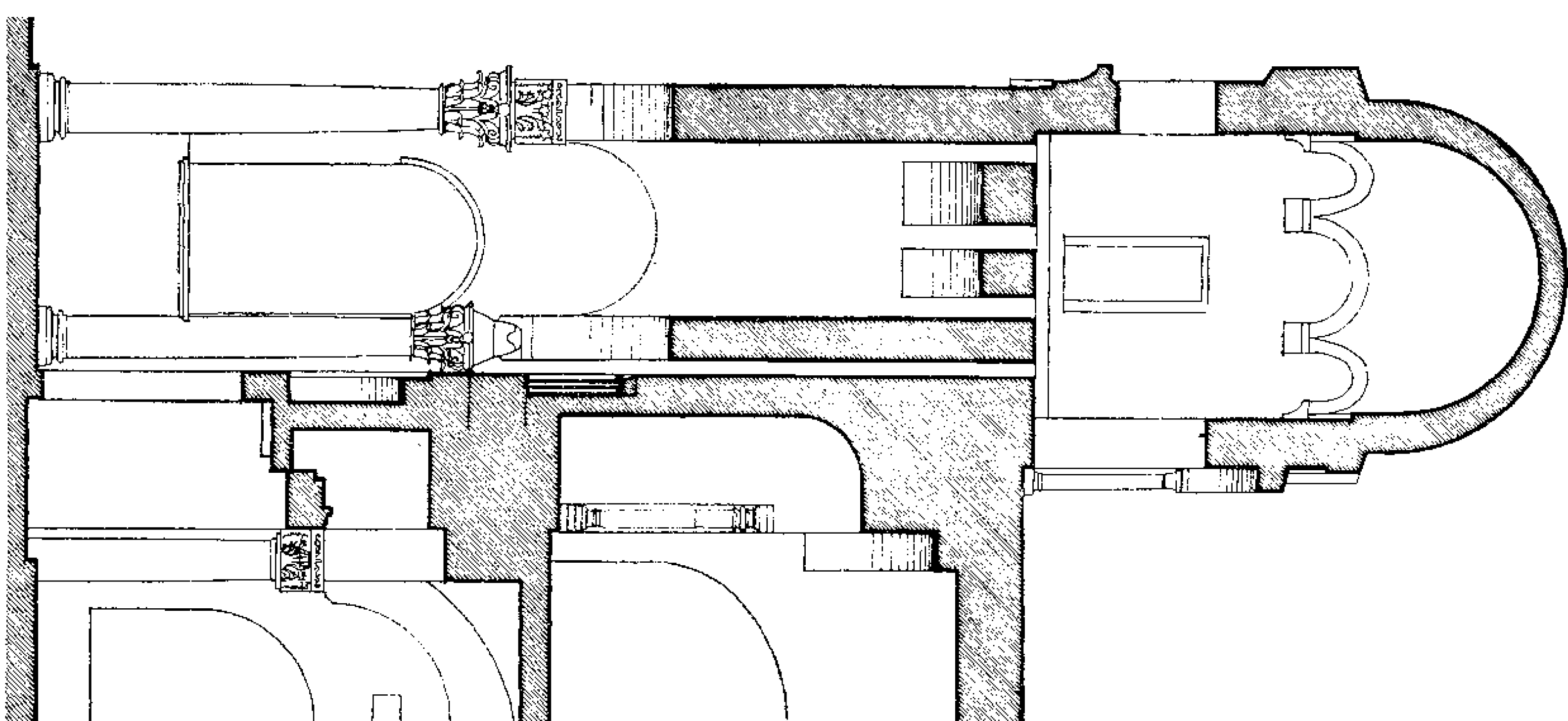
الطابق الثاني

٥ ١ ٢

شكل 31 : رباط سوسة : المدخل

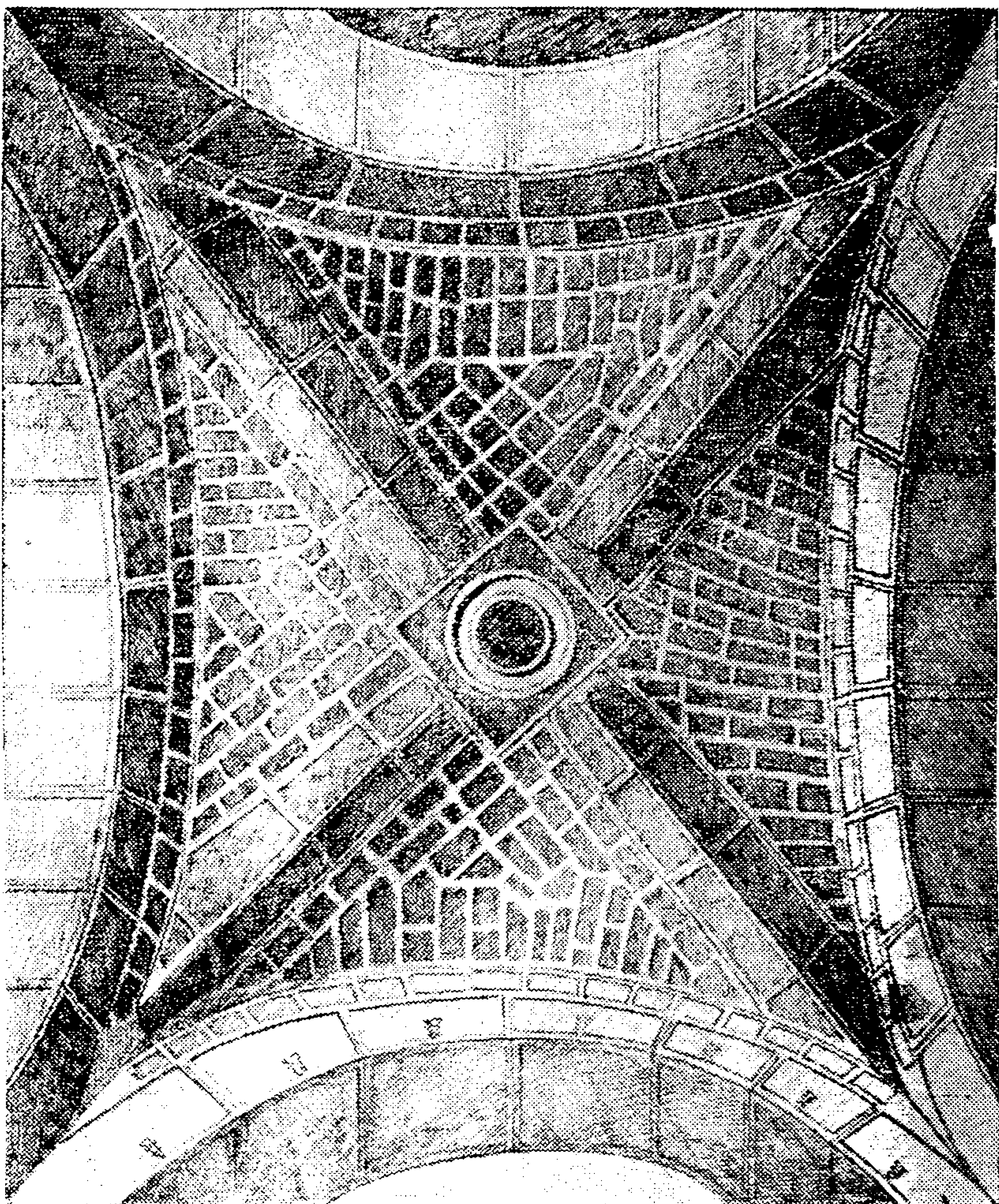


مقطع : ب - ب

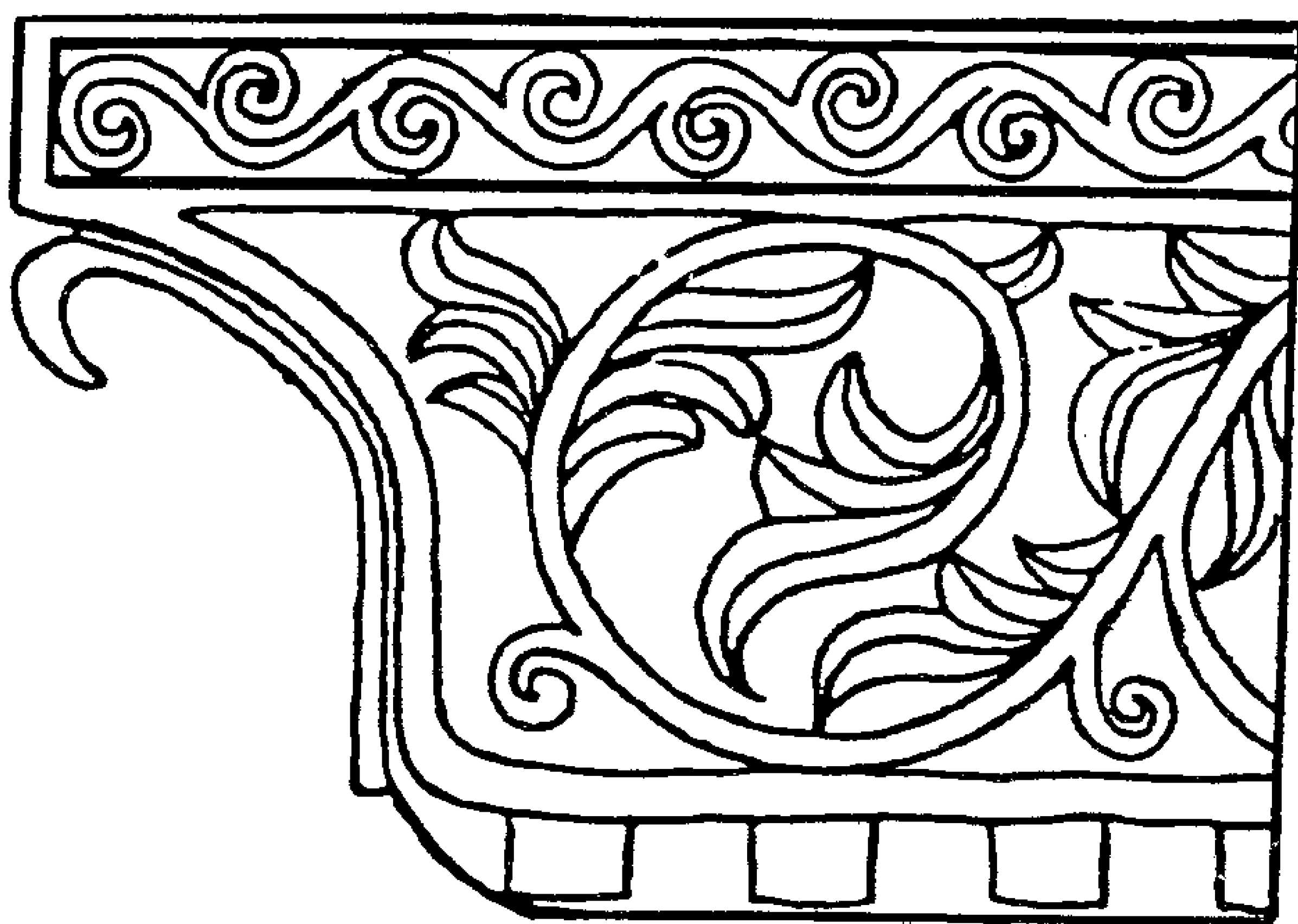
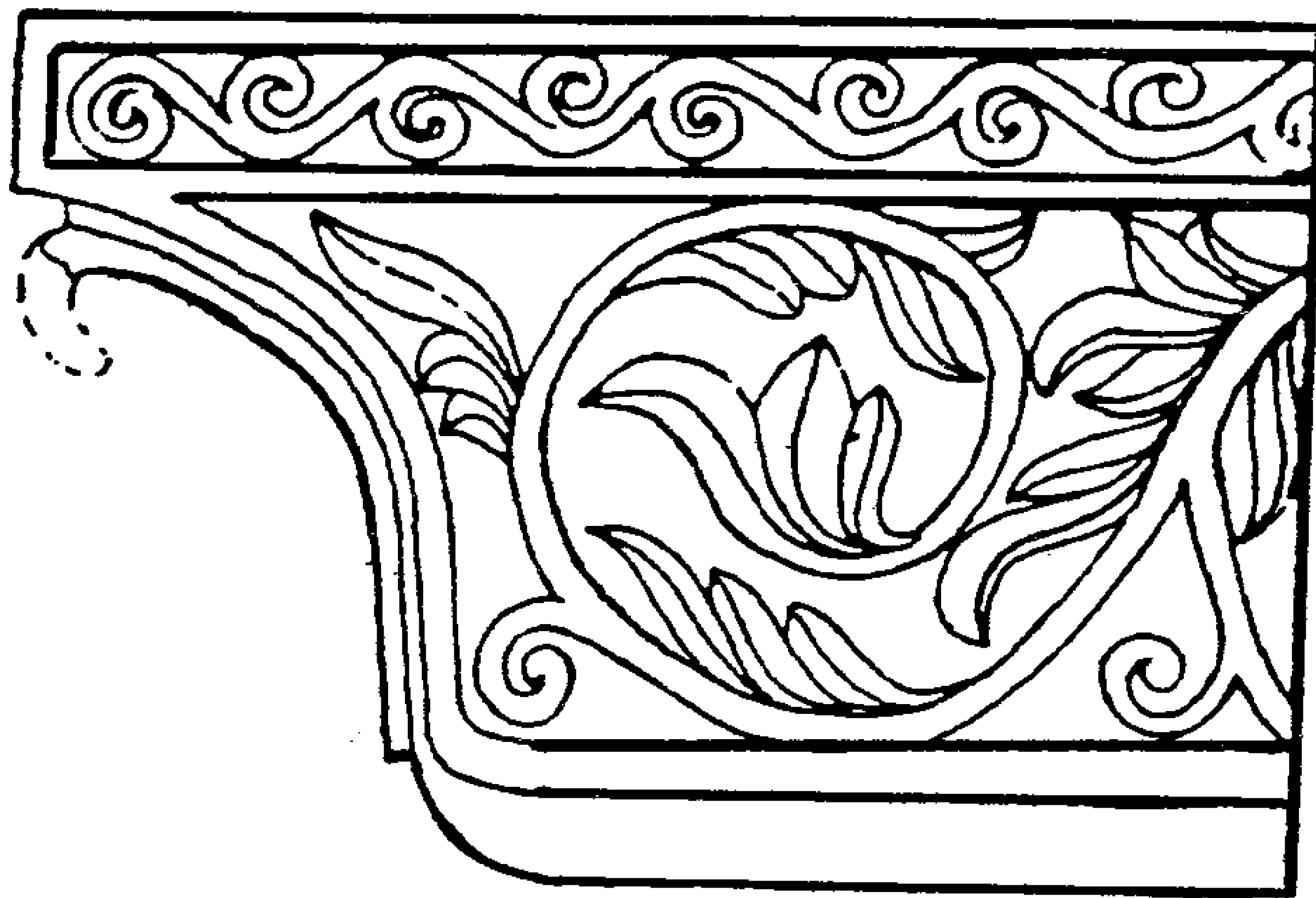


مقطع : أ - أ

شكل 32 : رباط سوسة : قبو المدخل



شكل 33 : رباط سوسة : زخارف بيزنطية

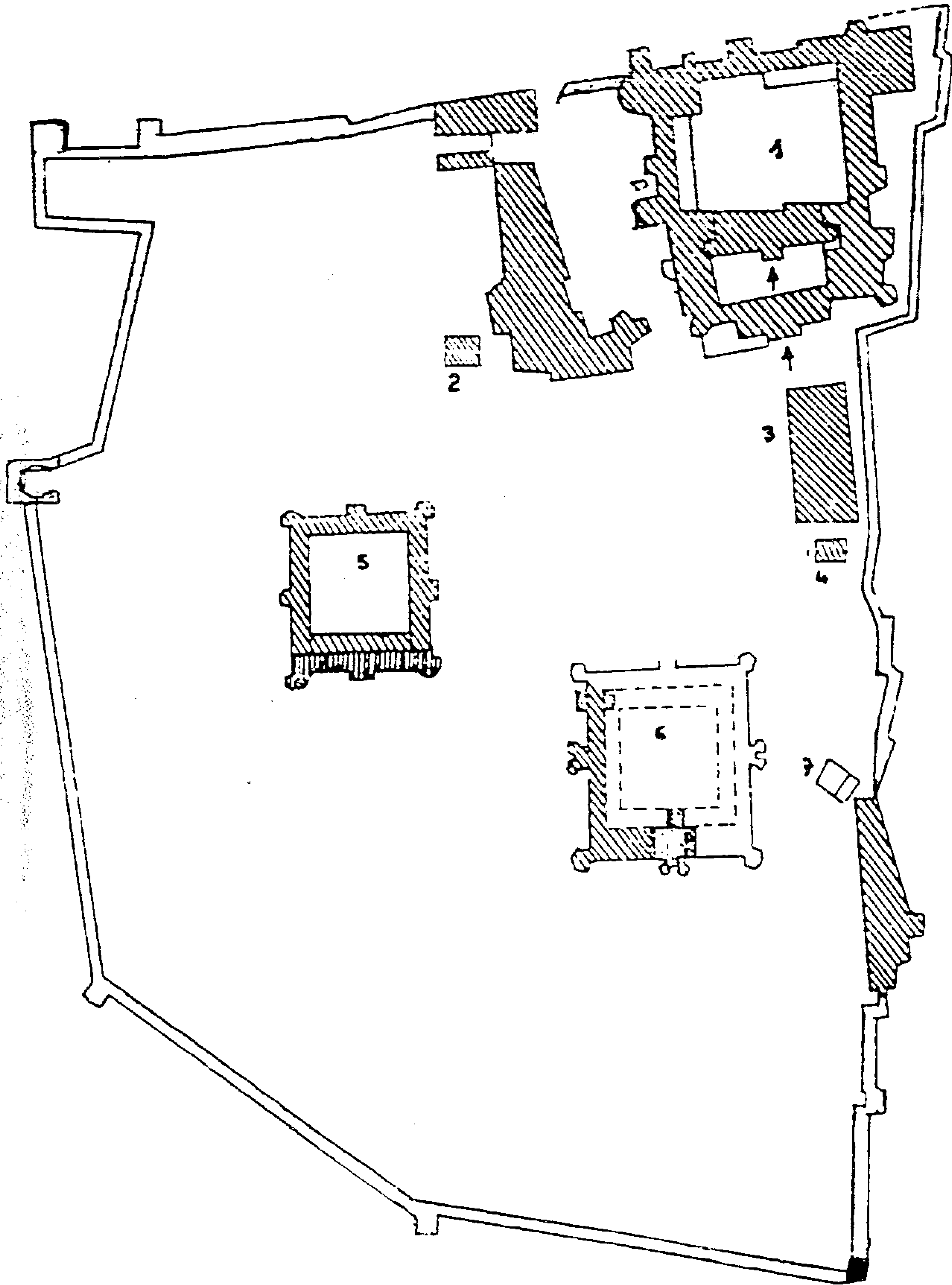


0 0.25 م

شكل 34 : مدينة المنستير (1930م)



شكل 35 : مدينة المنستير : النواة الاولى (البلد)

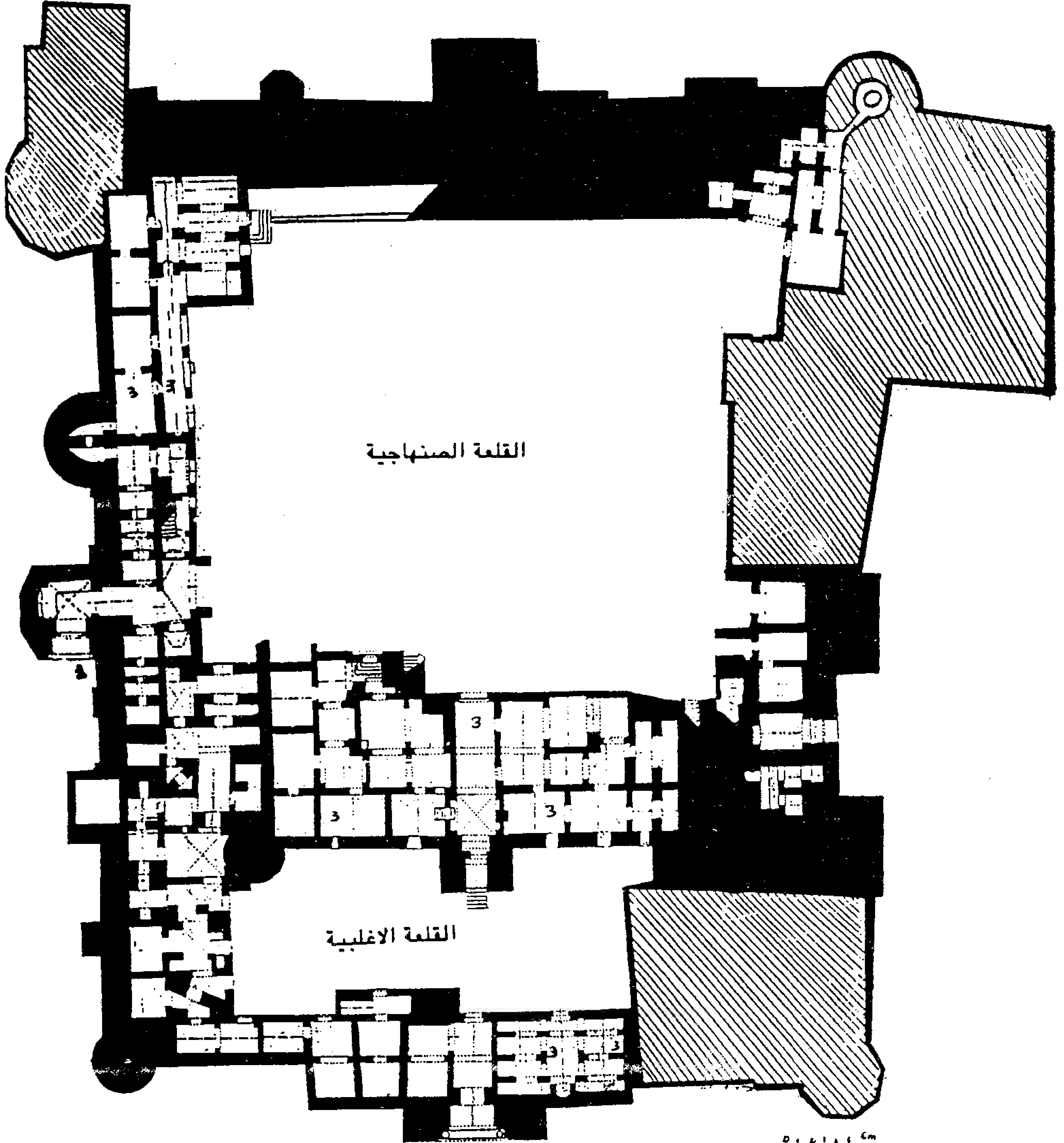


- 5 - قصر سيدي ذويب
- 6 - قصر السيدة
- 7 - مسجد المعز

- 1 - القصبة
- 2 - مسجد التوبة
- 3 - المسجد الجامع
- 4 - مسجد الأنعار

شكل 37 : قصبة المنستير (الطابق الارضي)

ش
1

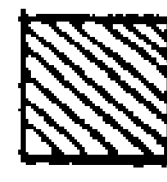


1 - المدخل الرئيسي (حفصي)

2 - الباب الجنوبي (منهاجي)

3 - مساجد

2



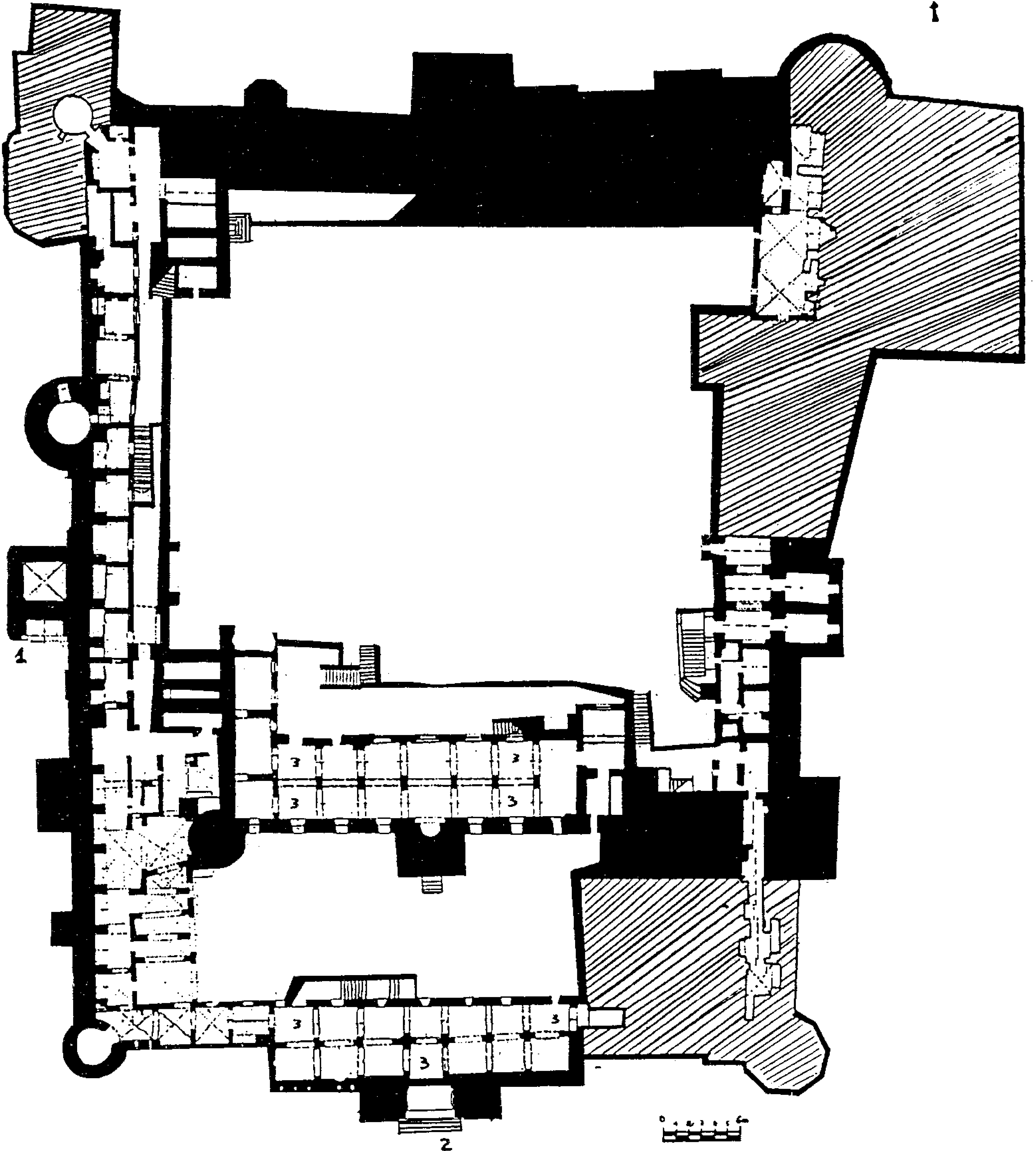
أترية



حجارة

شكل 38 : قصبة المنستير (الطابق الاول)

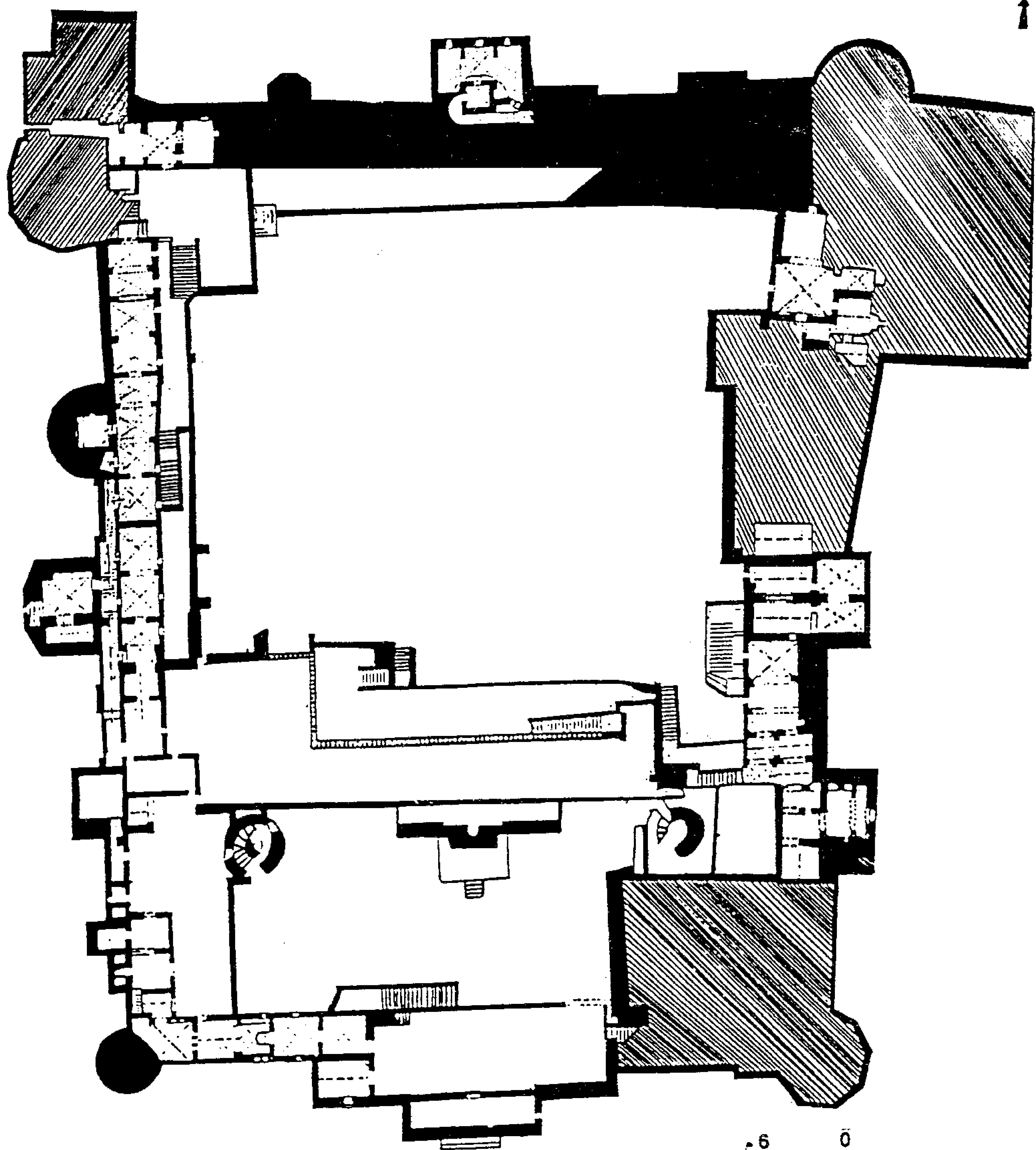
ش
↑



- 1 - المدخل الرئيسي (حفص)
- 2 - الباب الجنوبي (منهاجي)
- 3 - مساجد

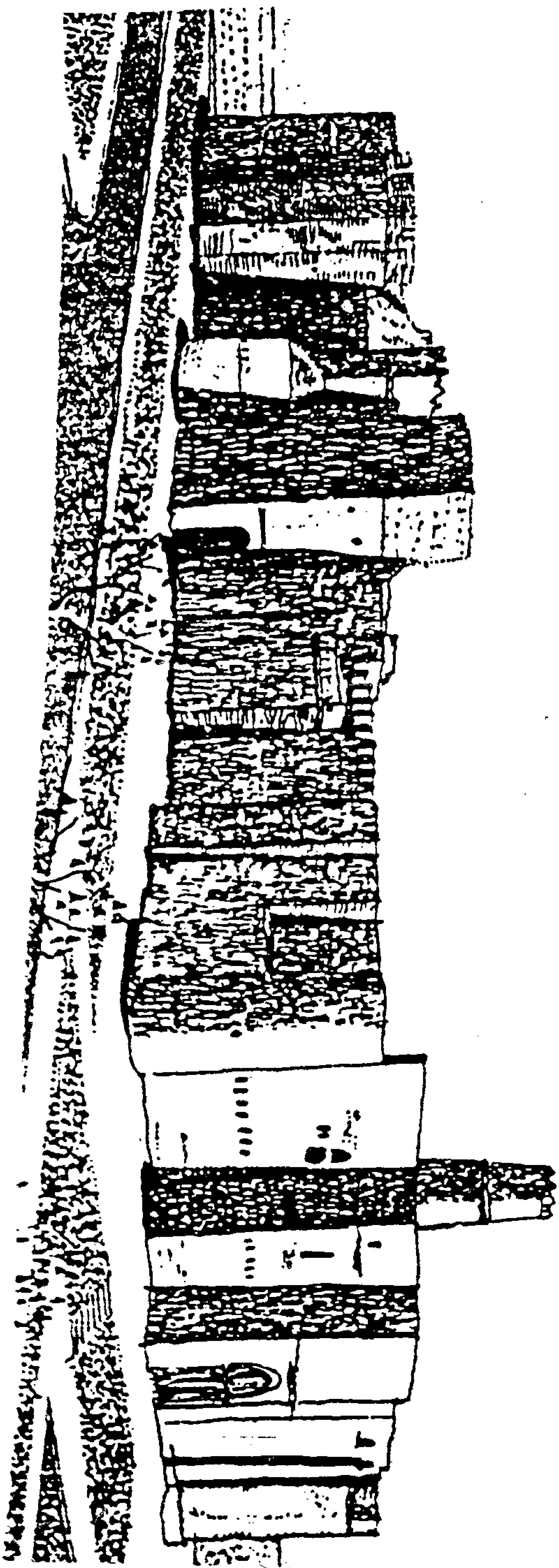
أتربة
حجارة

شكل 39 : قصبة المنستير : الطابق الثاني

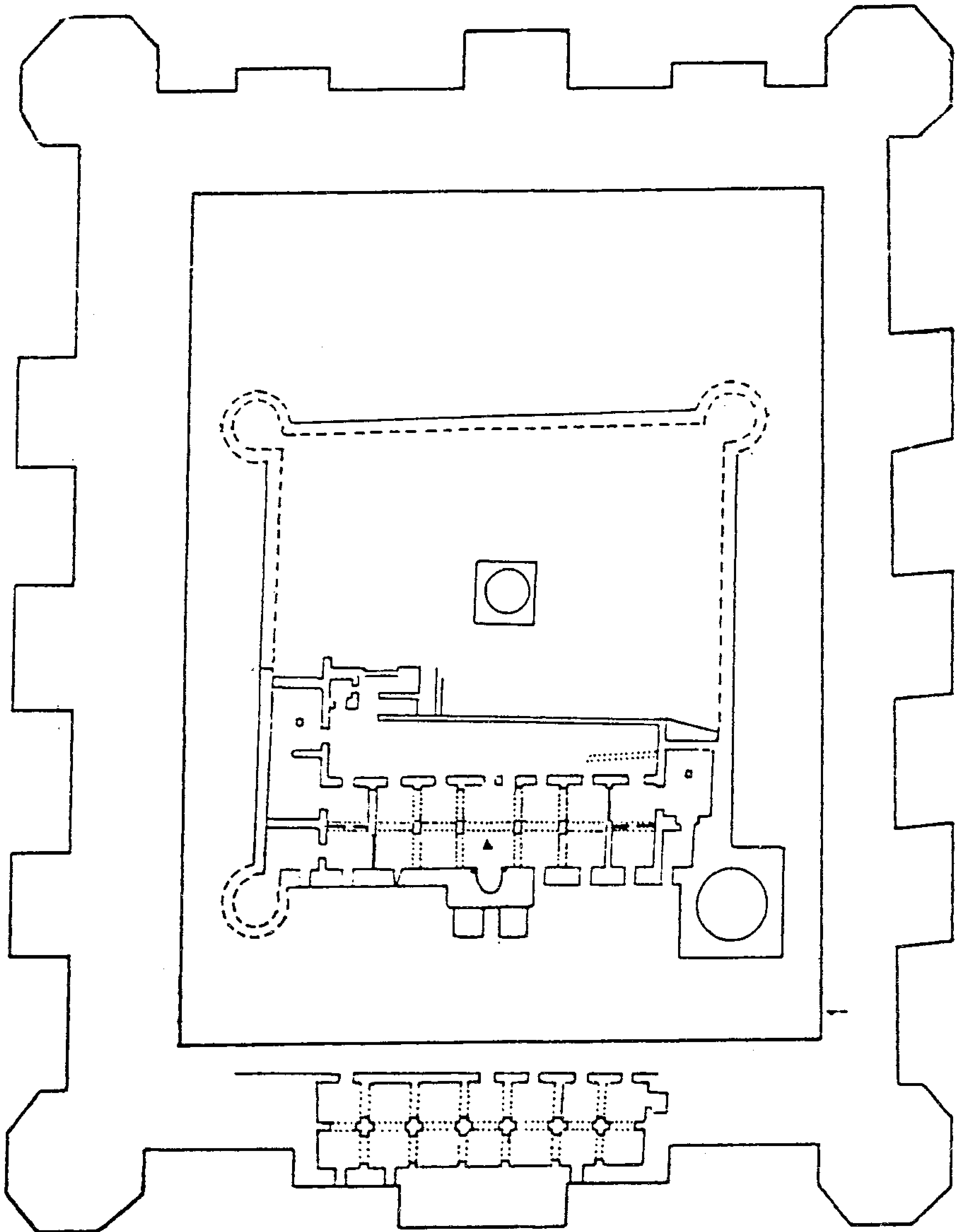


أثرية
حجارة

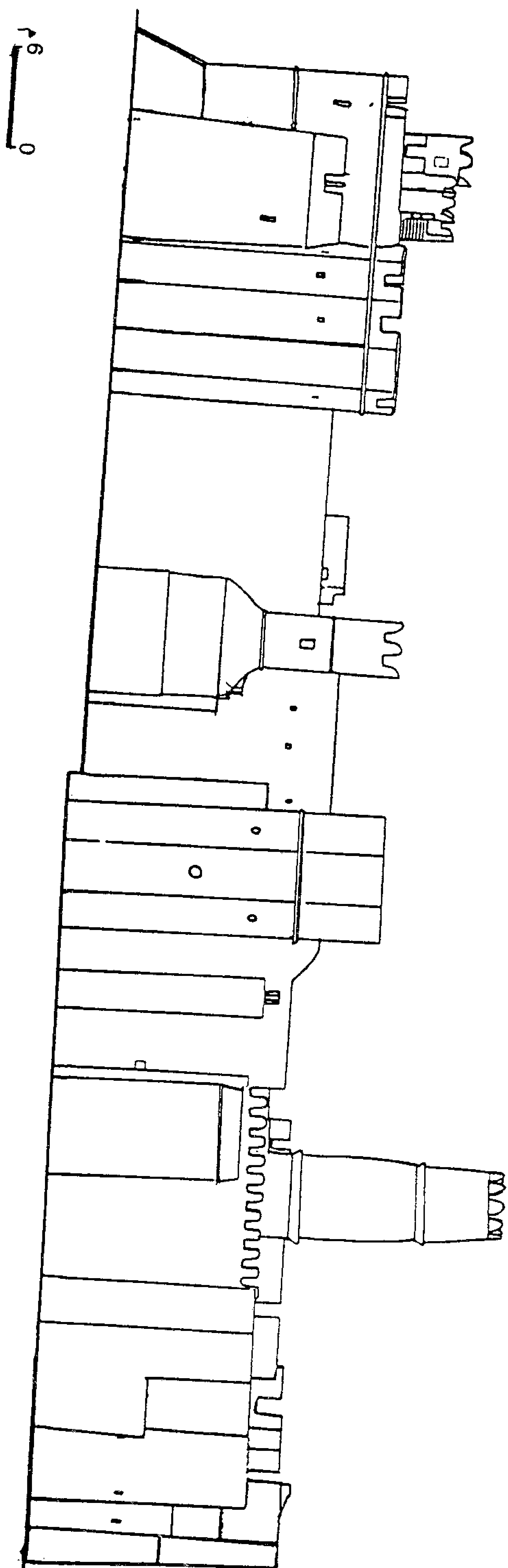
شكل 40 : فصية المنستير



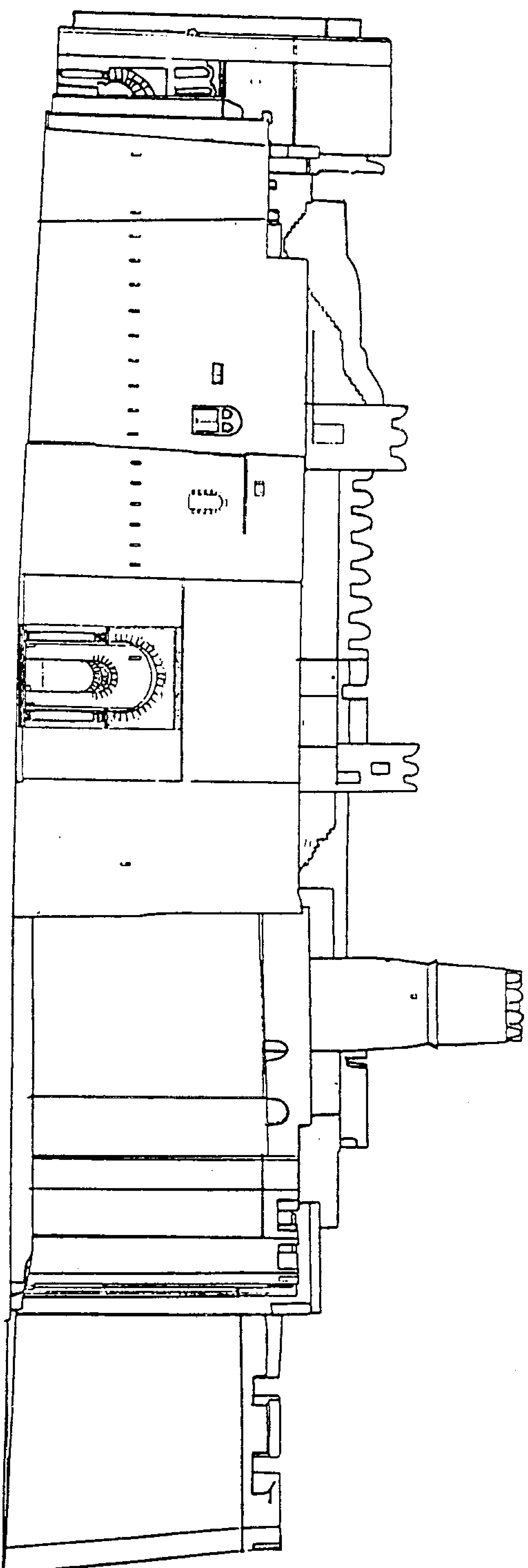
شكل 41 : قصبة المنستير حوالي القرن 10 - 11م



شكل 42 : قصبة المنستير : الواجهة الغربية

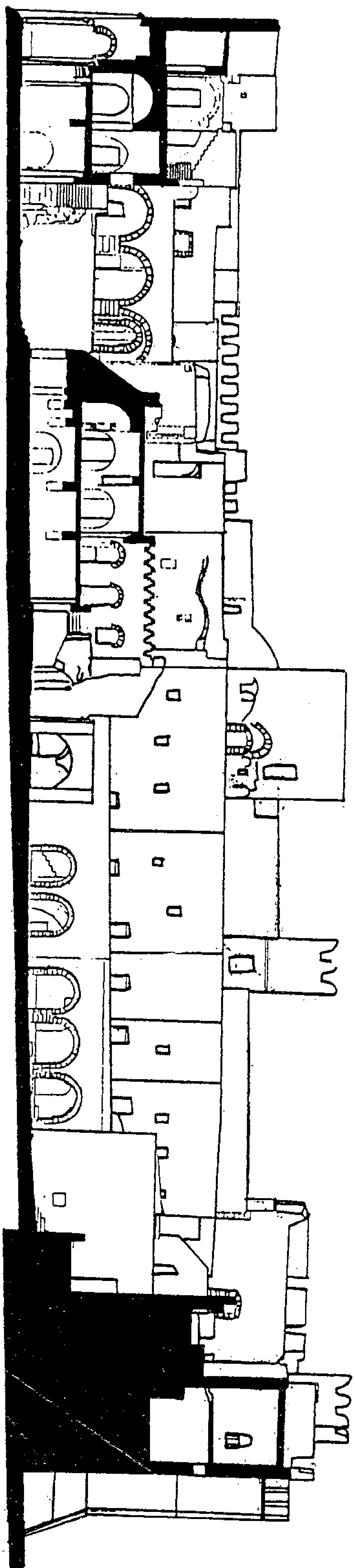


شكل 43 : قصبة المنستير - الواجهة الجنوبية



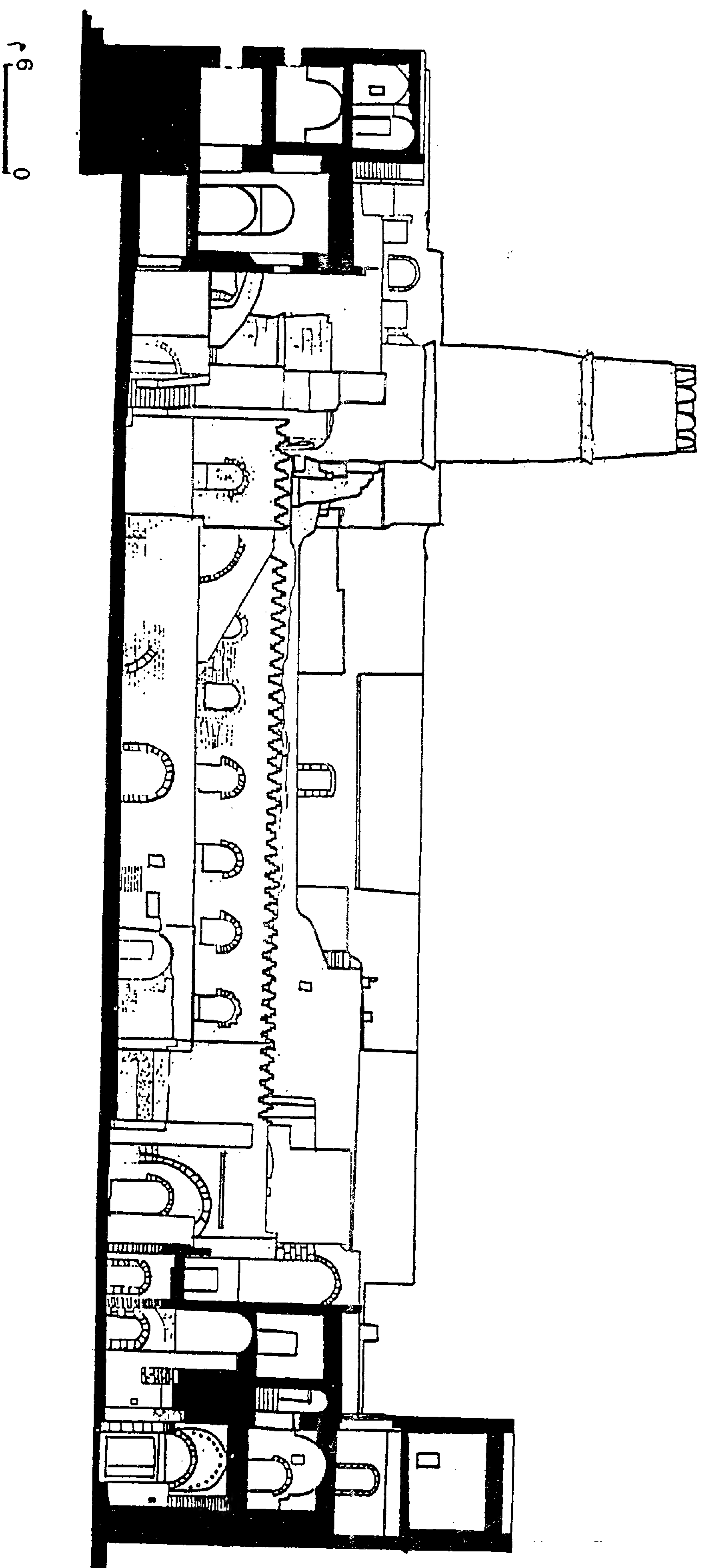
0 6

شكل 44 : قصبة المنستير:مقطع طولي

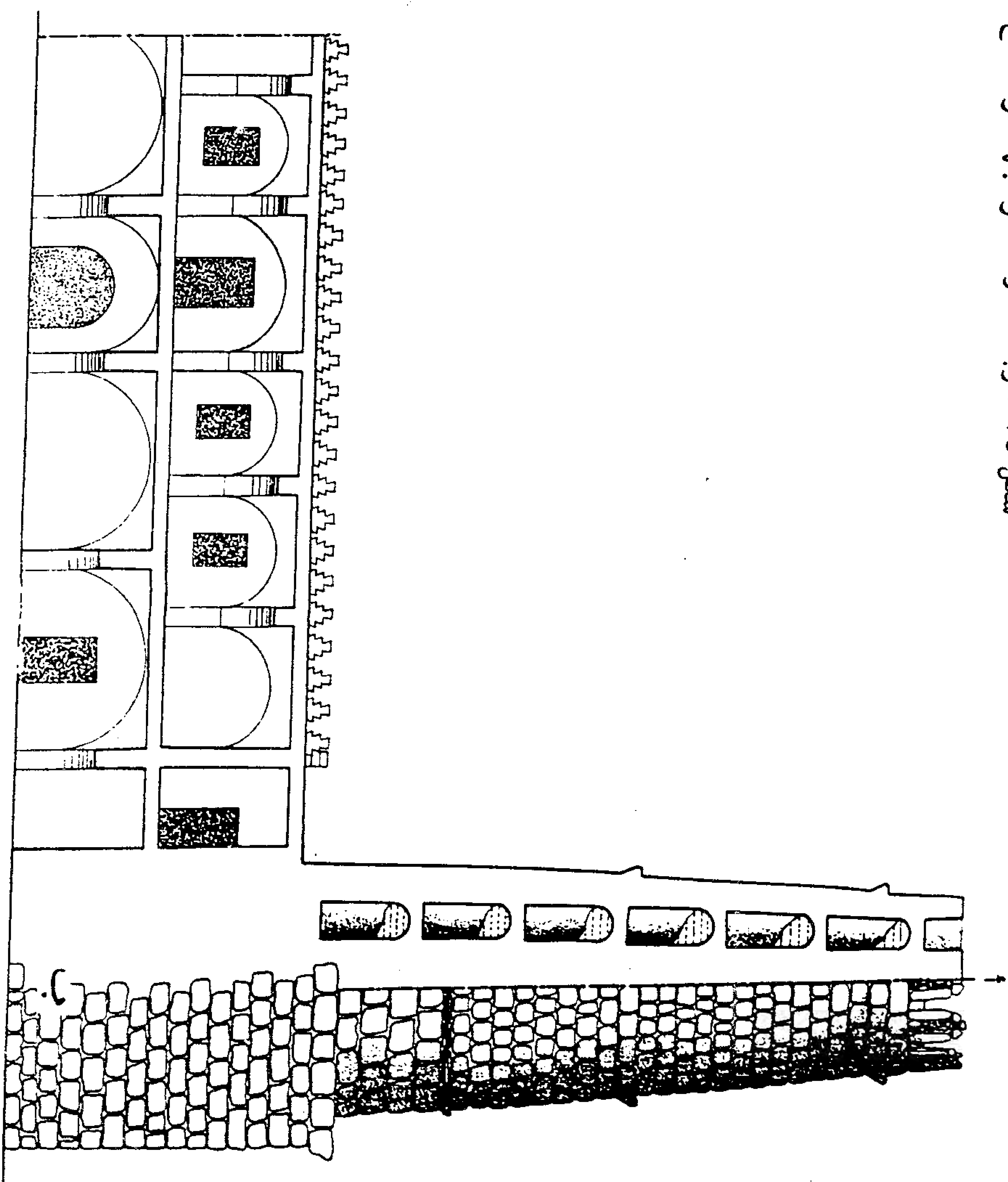


0 6

شكل 45 : قصبة المنستير، مقطع افقي

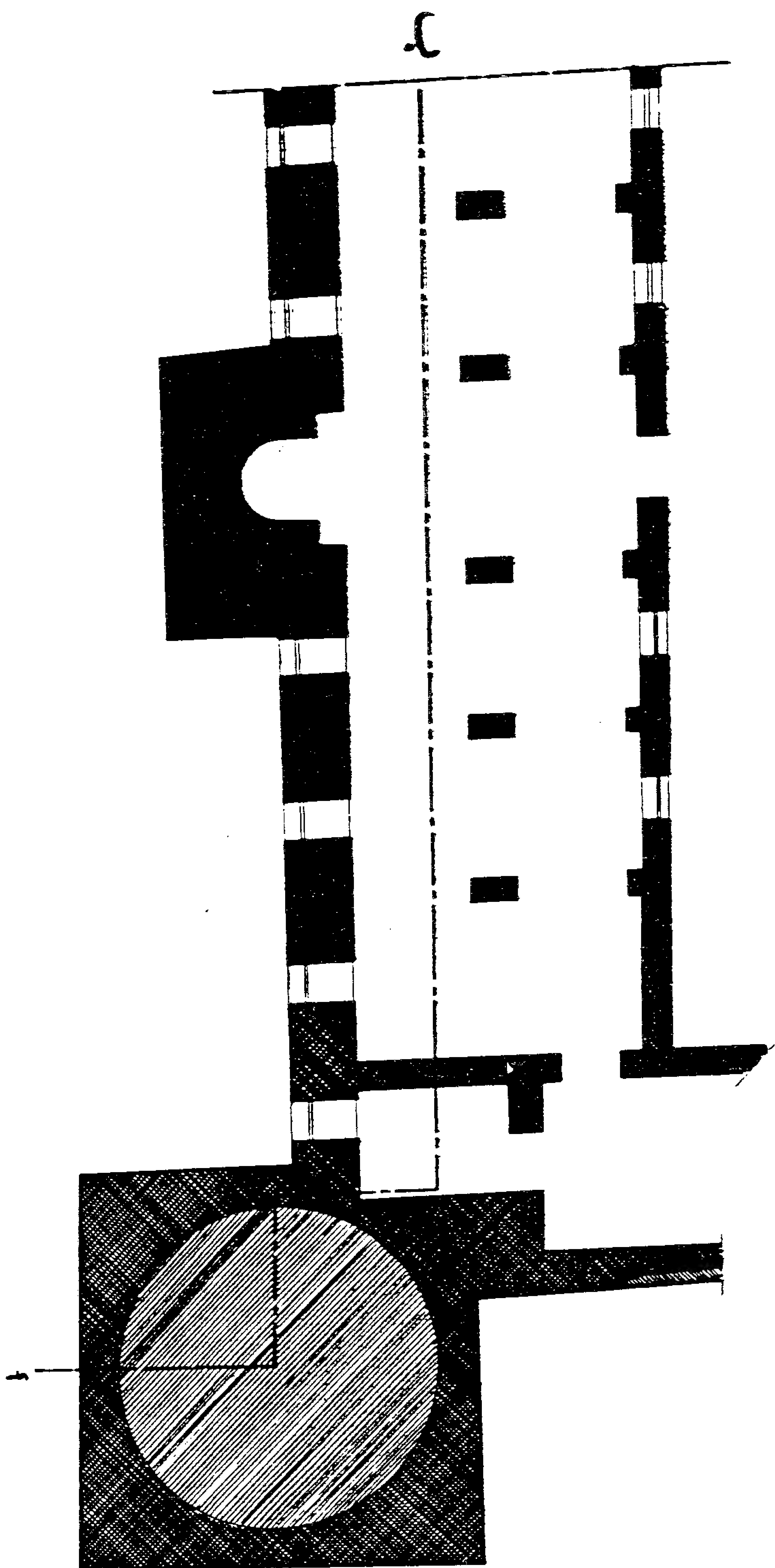


شكل 46 : رباط مرثنة واجهة ومقطع أ - ب

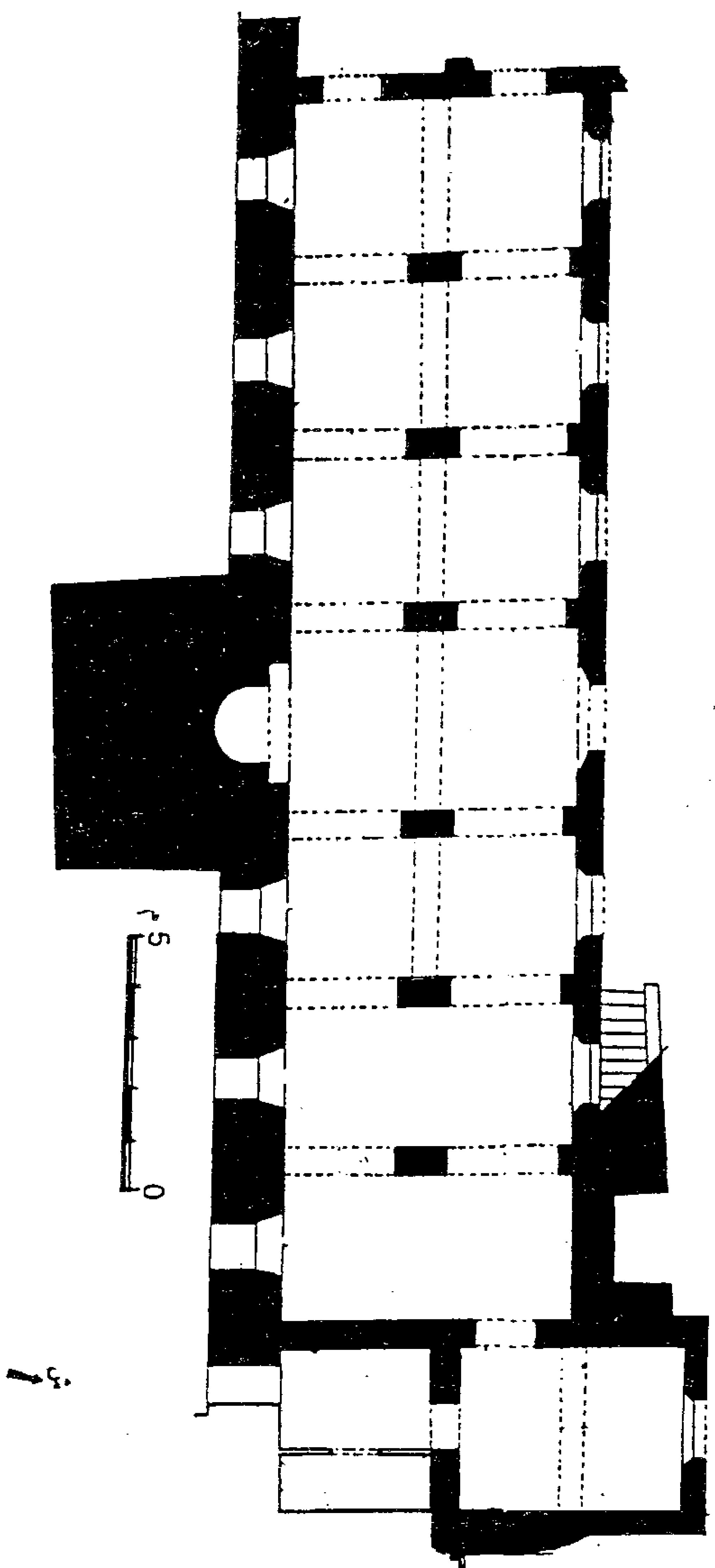


5 0

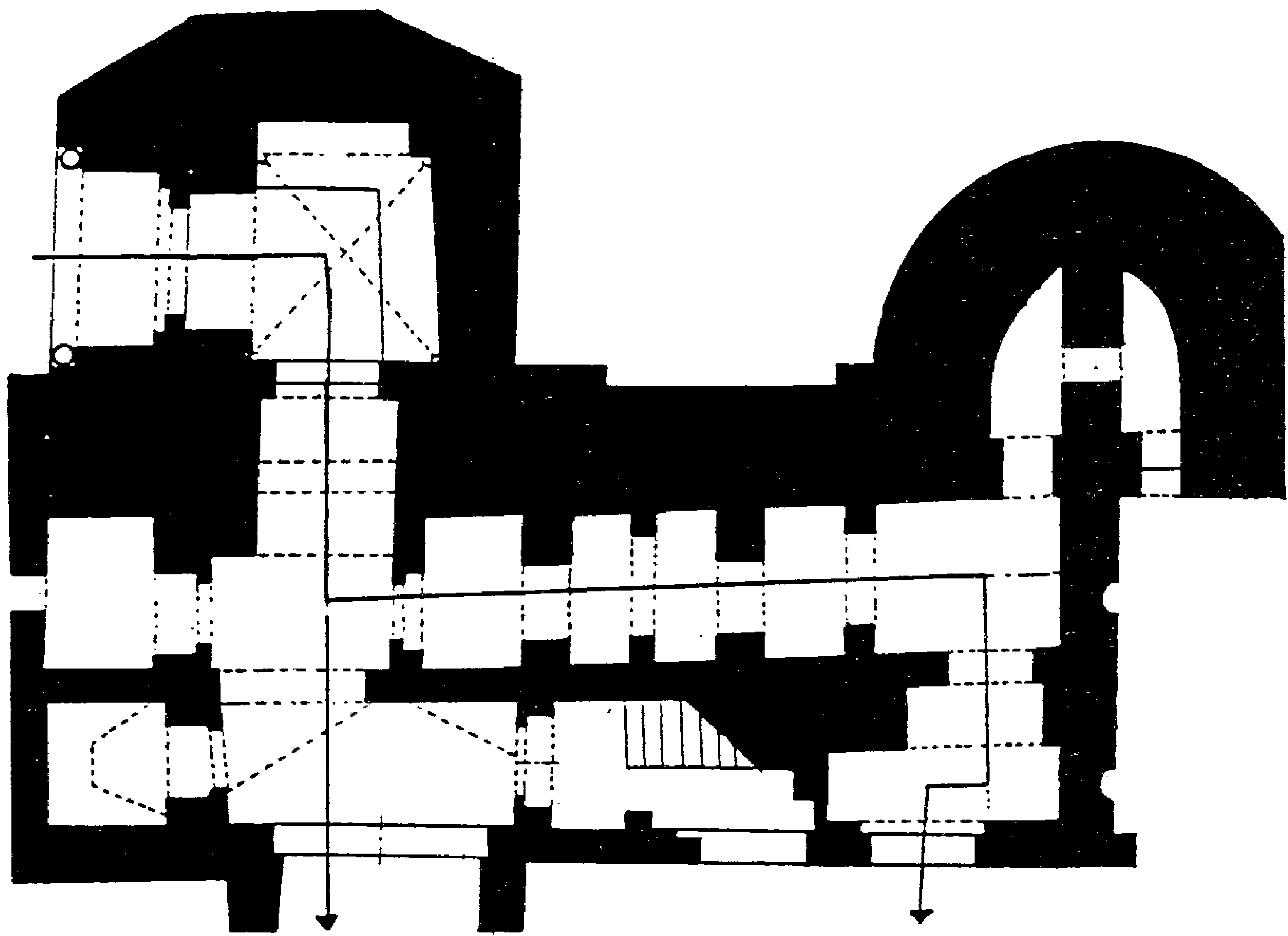
شكل 47 : رباط هرثمة : مخطط الطابق الاول



شكل 48 : قبة الحسينية : مسجد ، قصر هرثمة .

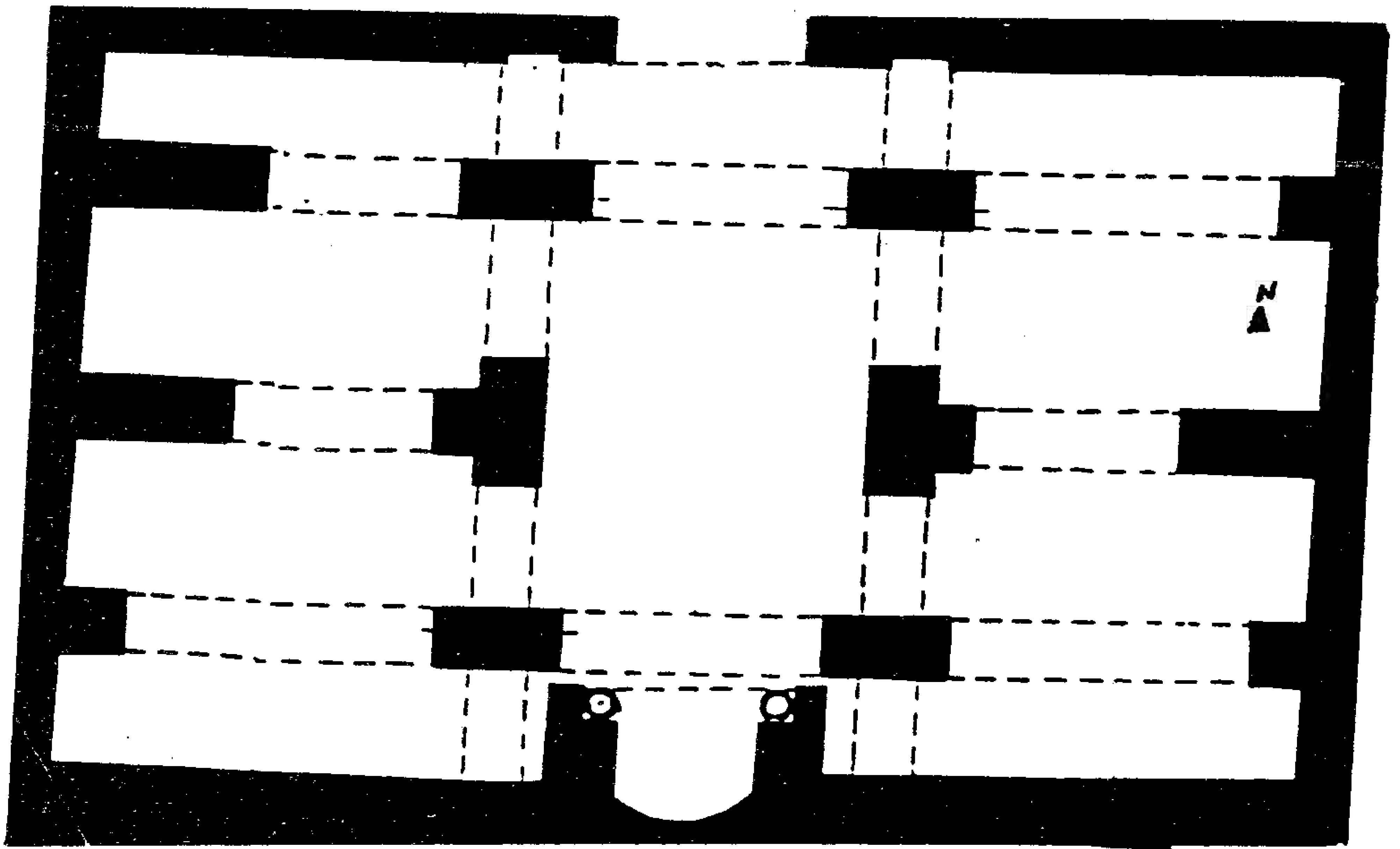


شكل 49 : قصة المنستير المدخل الحفصي



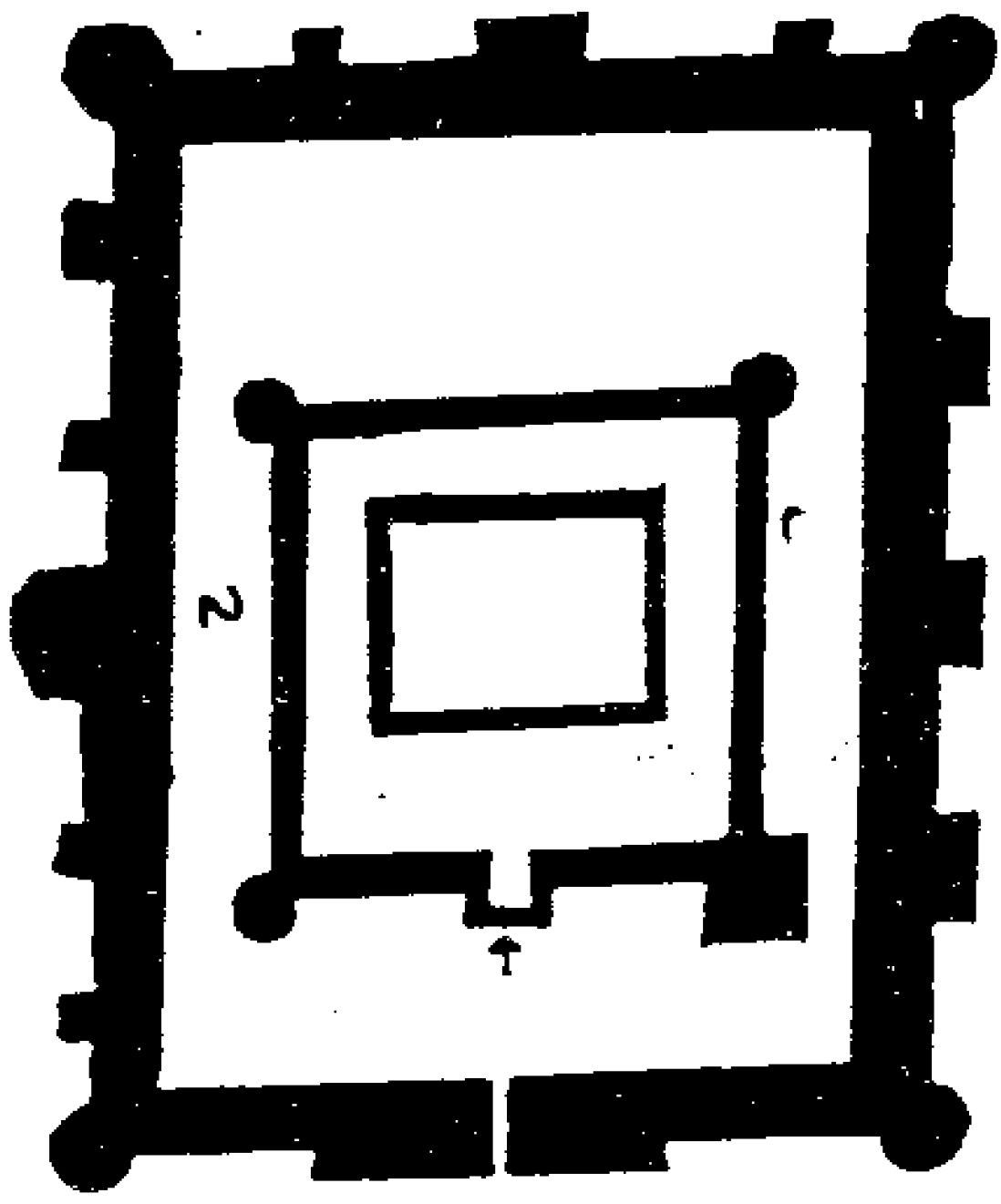
0 4 م

شكل 50 : قصبة المنستير : - مسجد أغلبي (الطابق الأرضي)

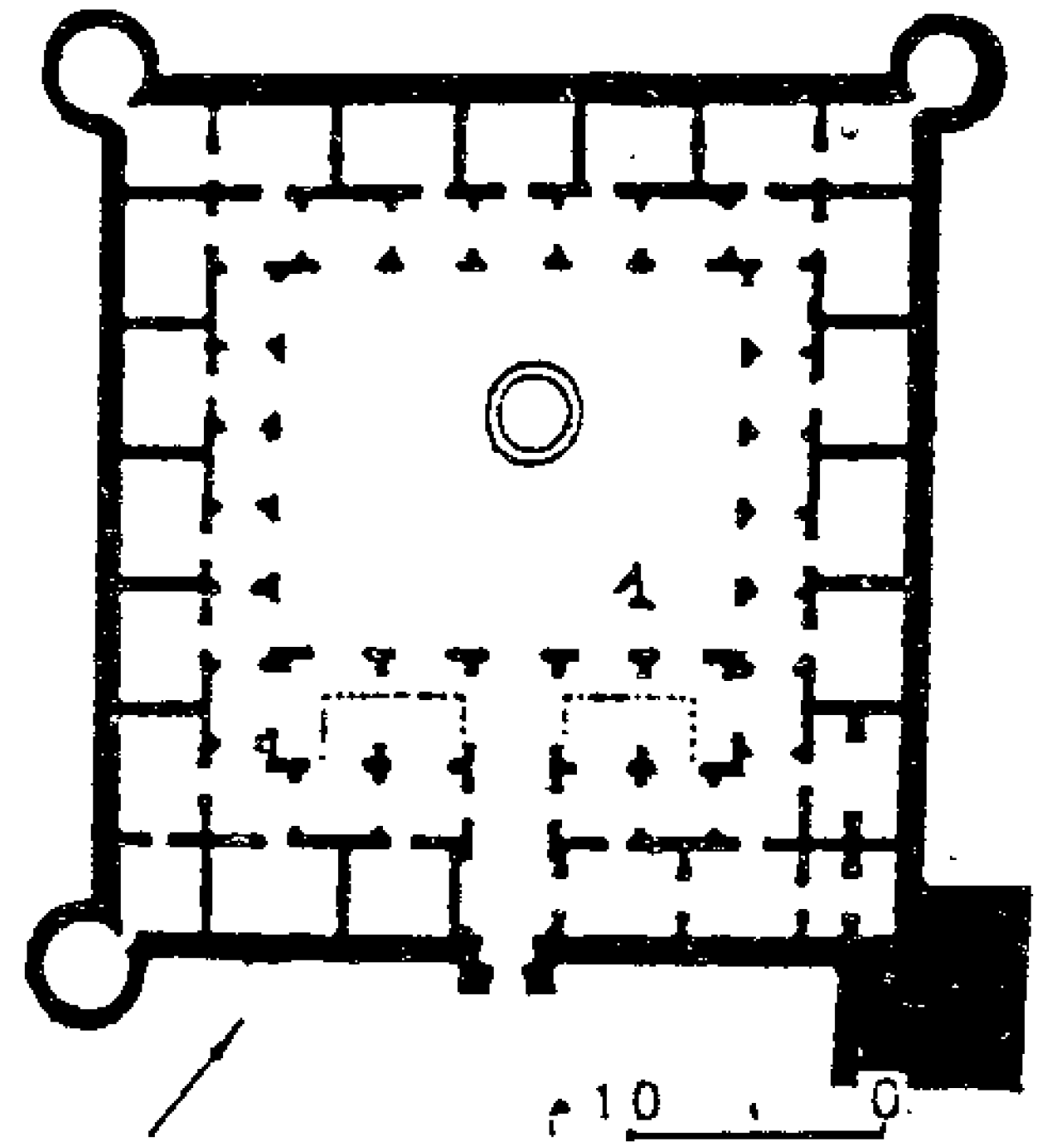


0 2 م

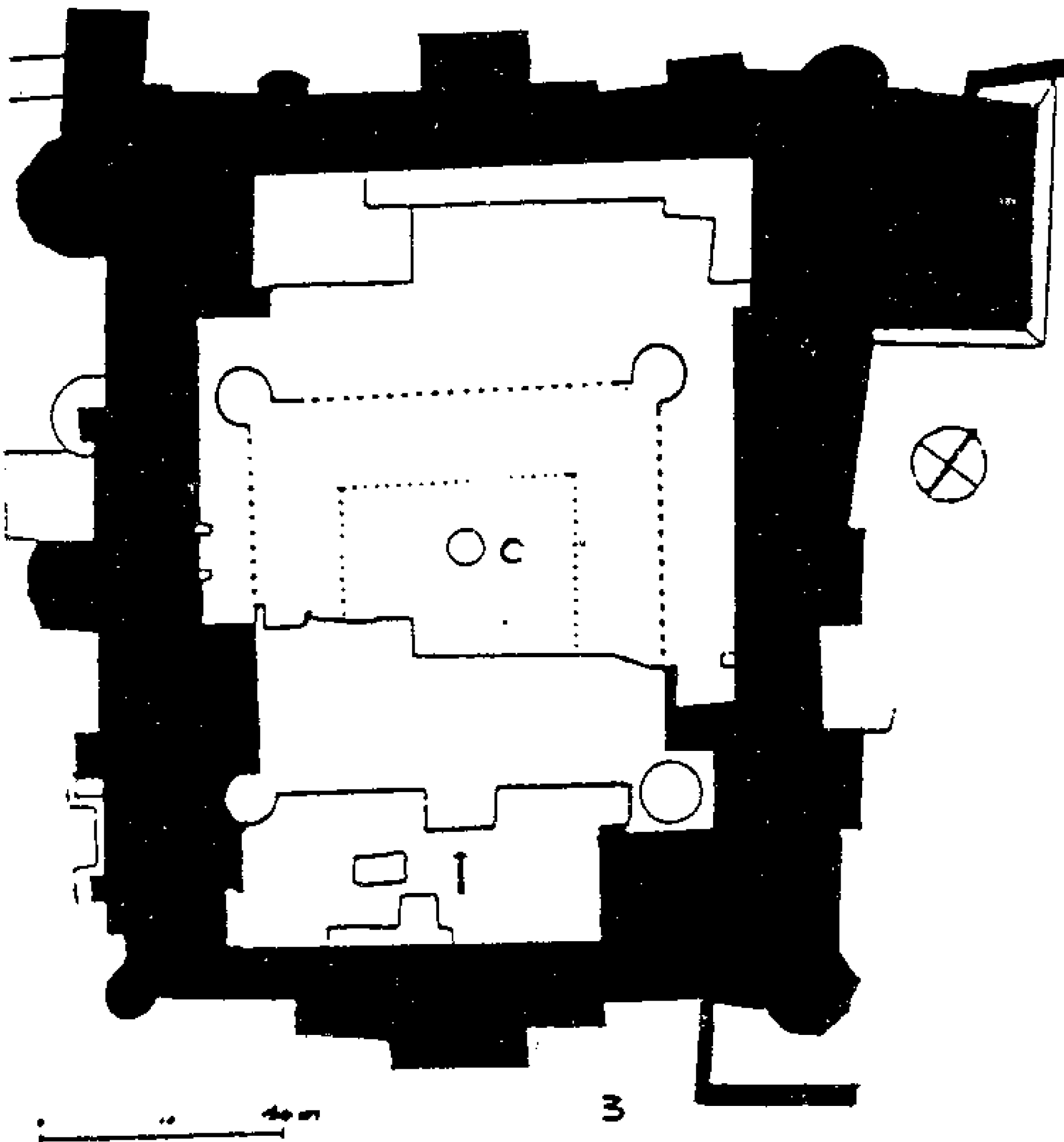
شكل 51 : قصة المنستير: تطور المعلم



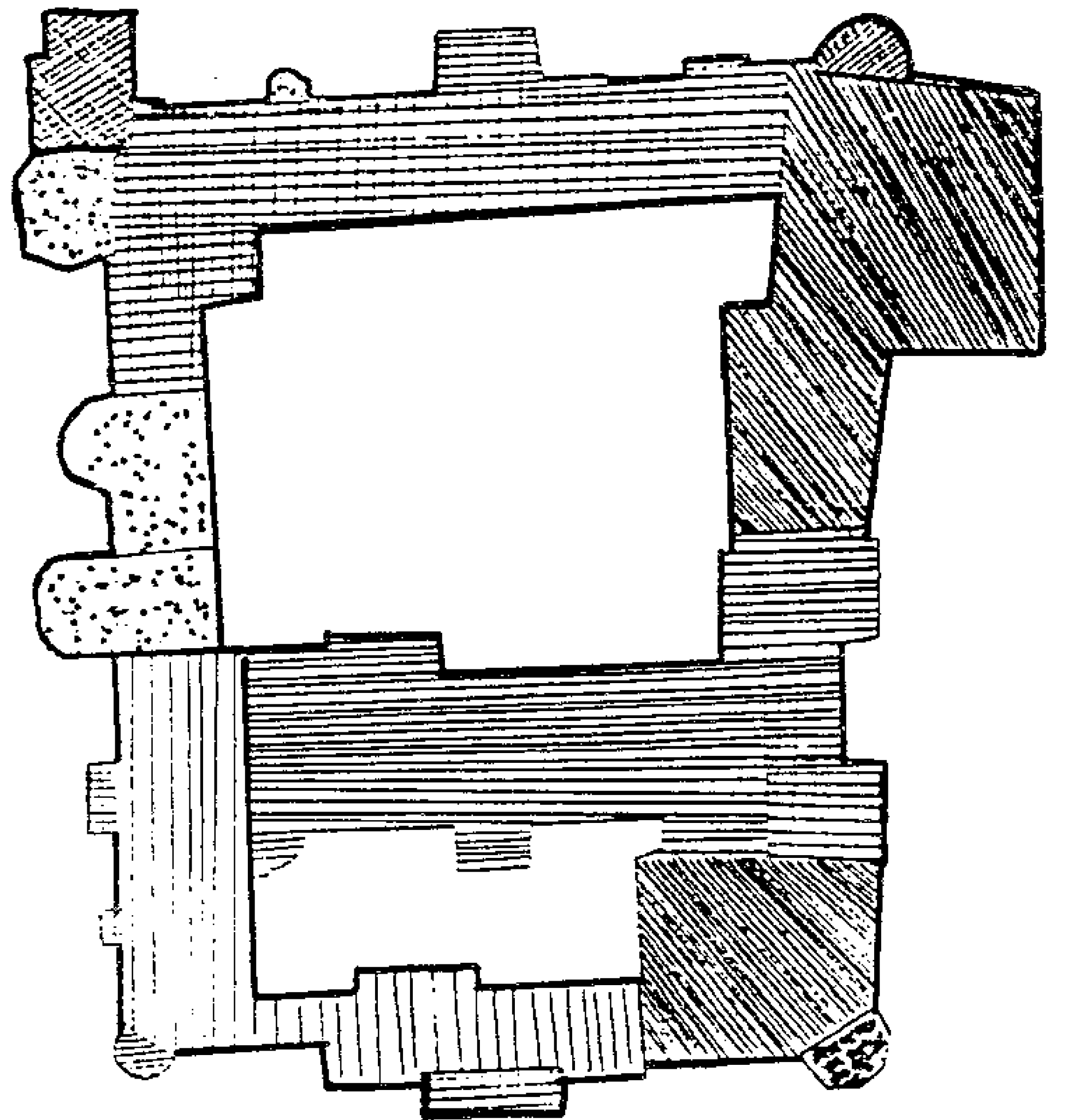
2 - ق. XI م



1 - ق. VIII م



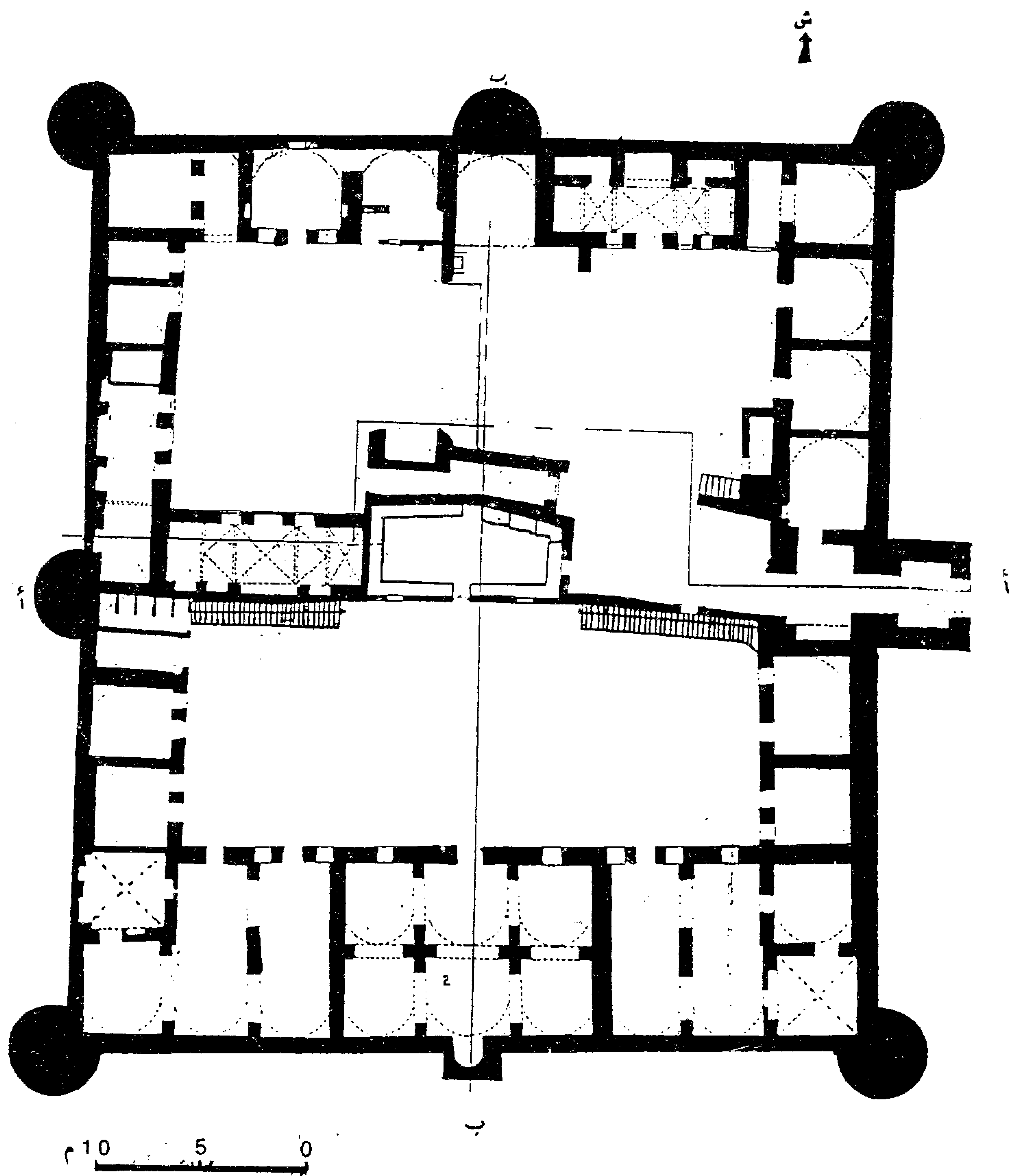
3



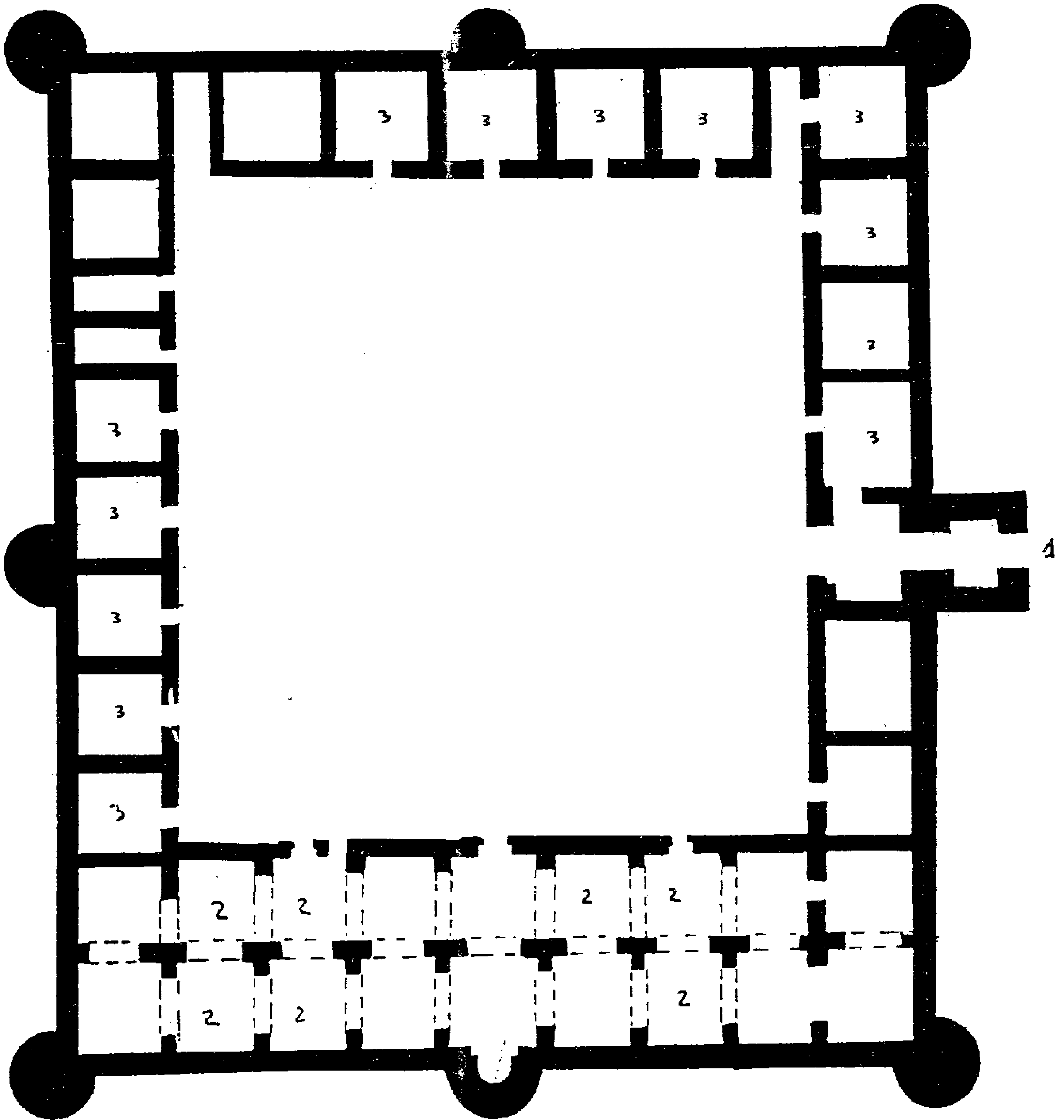
ق. XVI م	ق. VIII م
ق. XVII م	ق. IX م
ق. XVIII م	ق. X - XI م
	ق. XV م

1 و 2 و 3 : حسب أ. لزيين

شكل 52: المنستير : زاوية سيدي ذويب



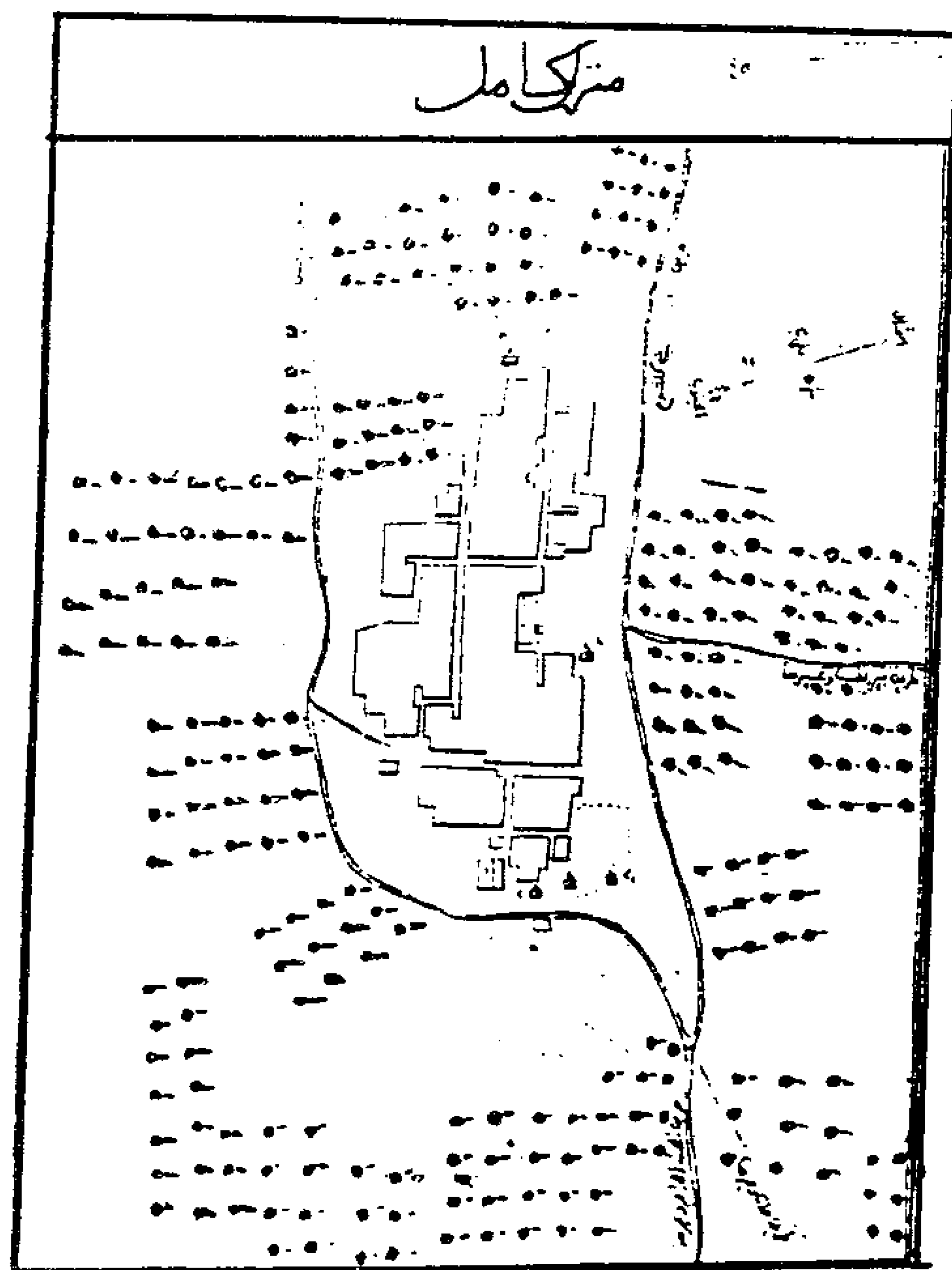
شكل 53 : المنستير :زاوية سيدي ذويب : القلعة الاغلبية



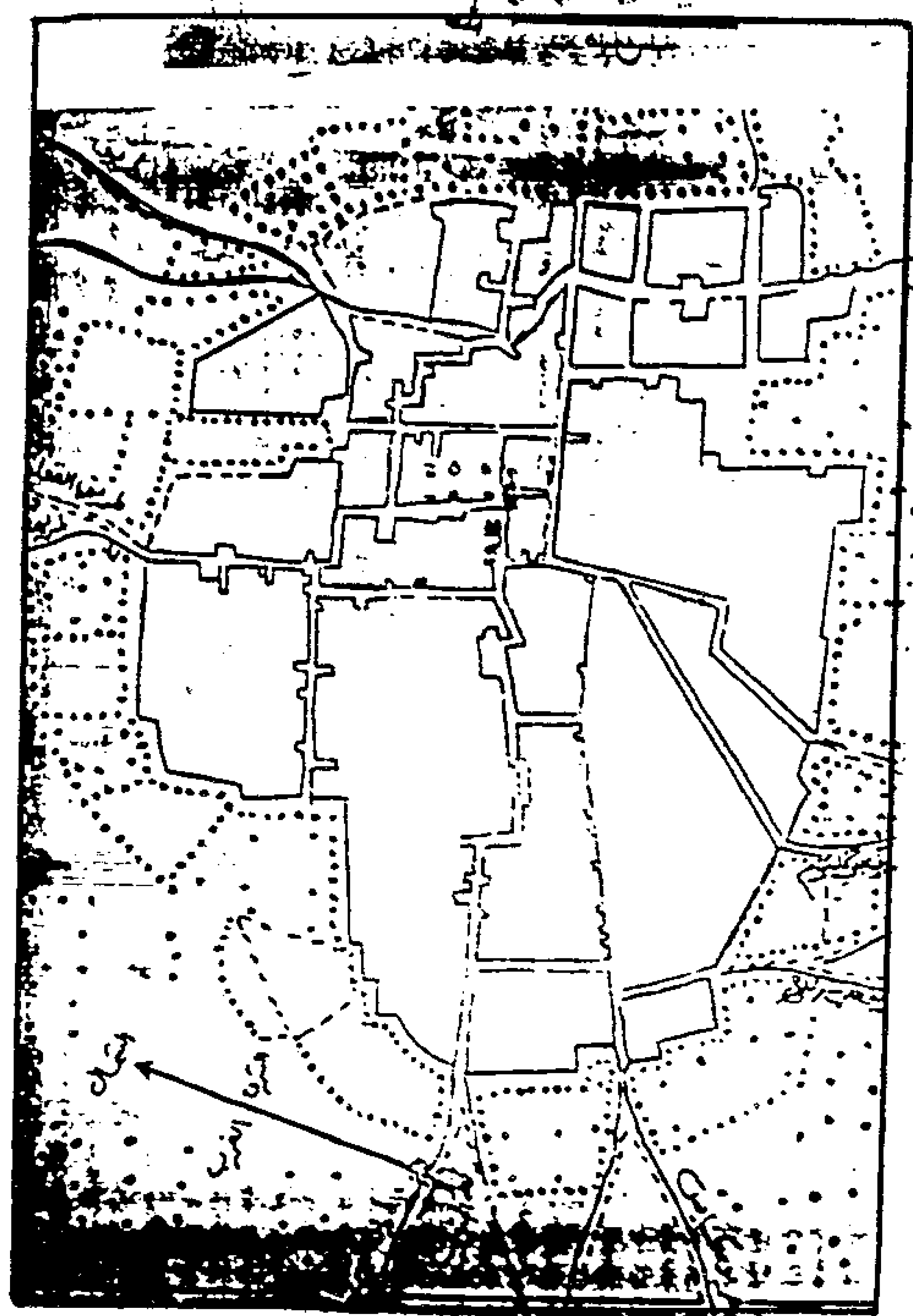
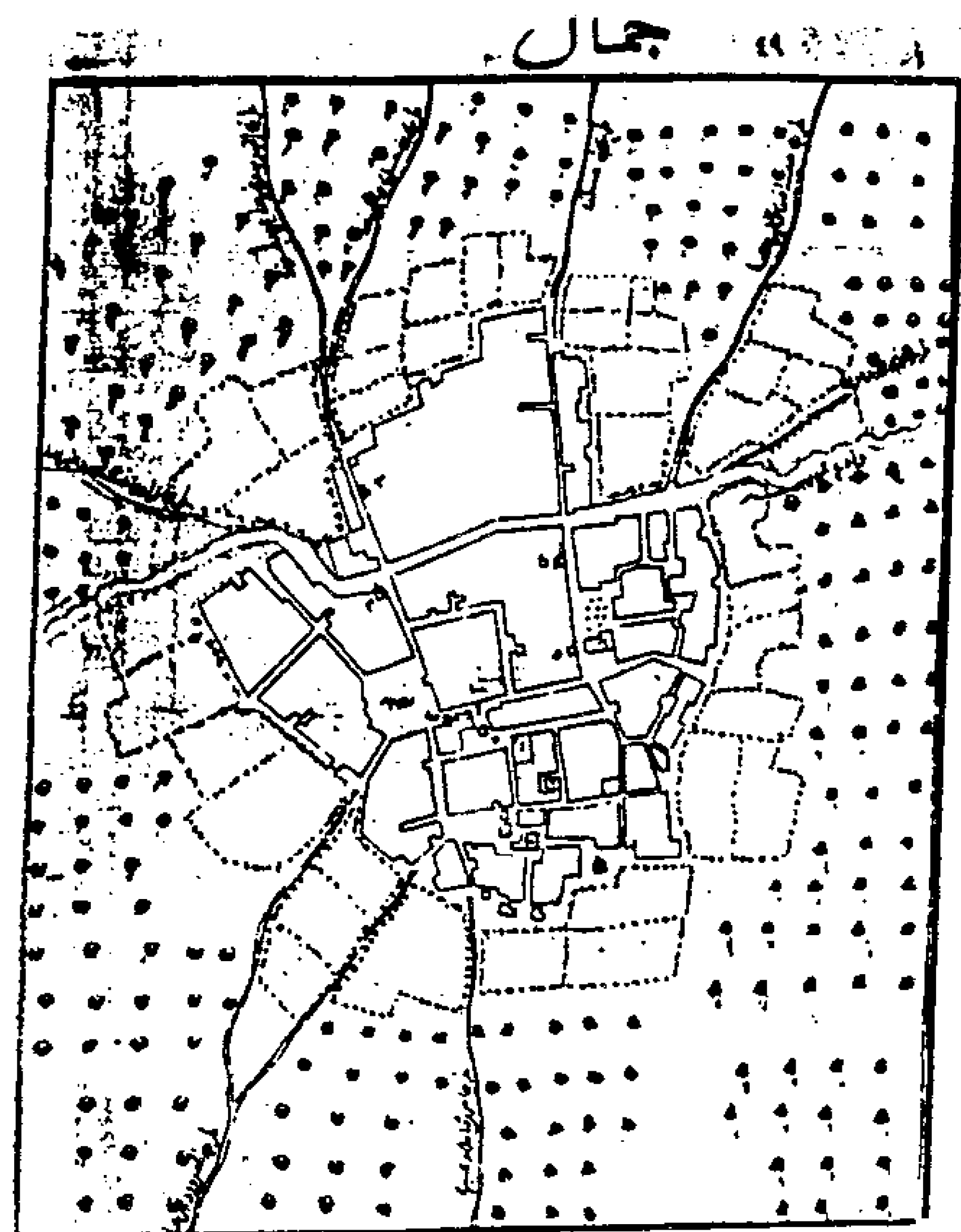
1- المدخل 2- مسجد 3- حجرات



شكل 57 : جمال - منزل كامل - مساكن (1857م)

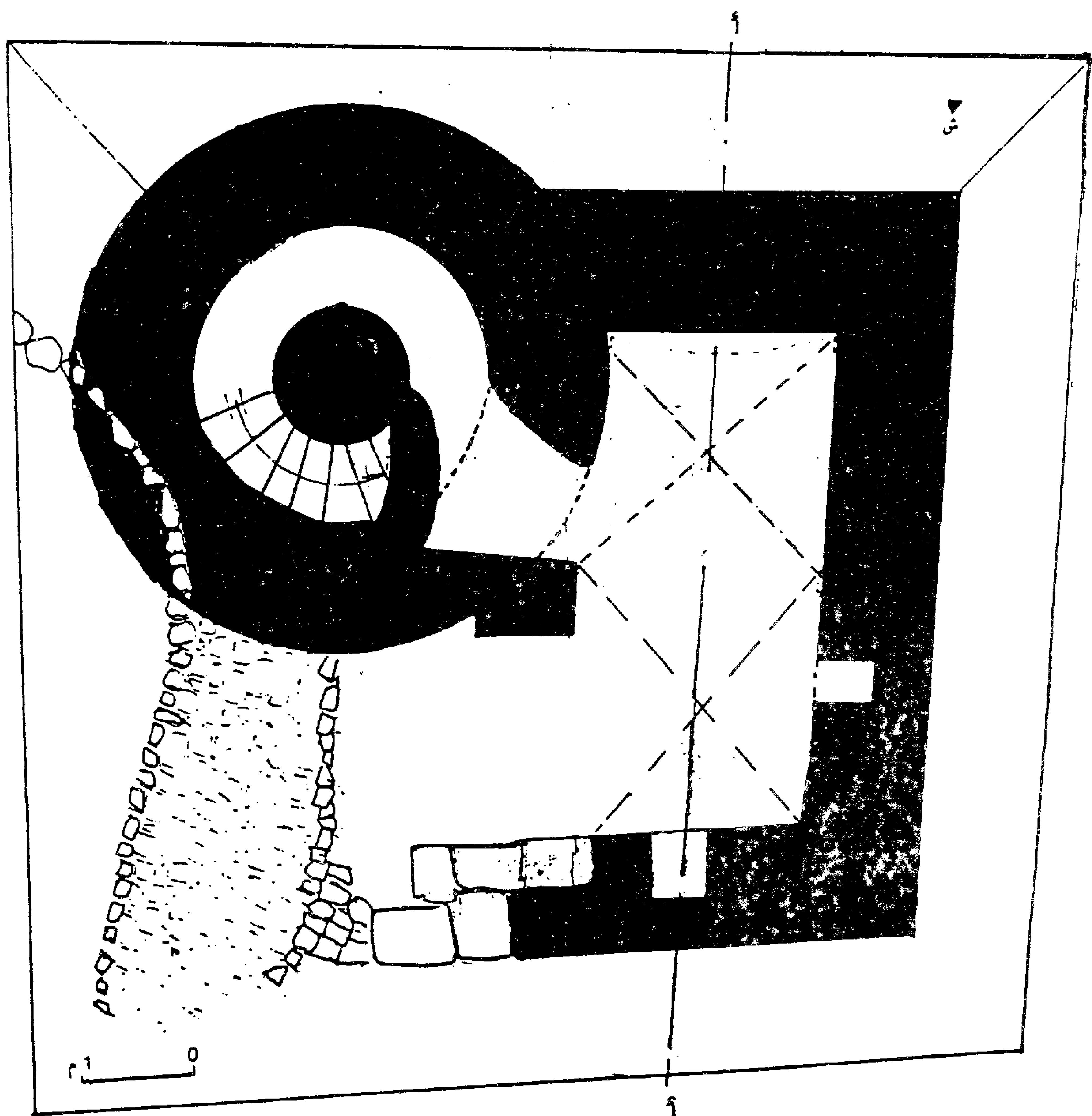


شاه مطرك

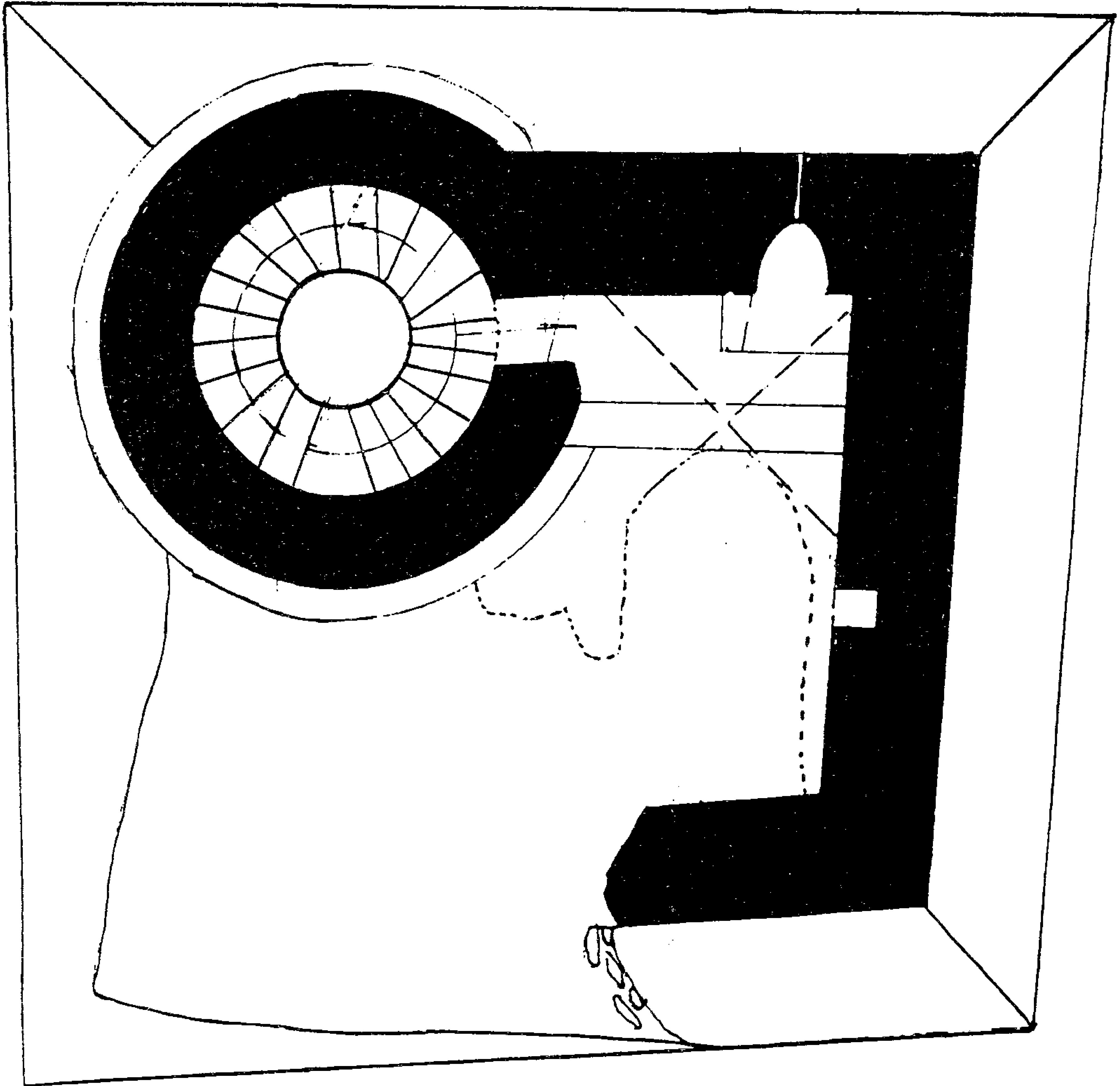


- المدرسة الحربية بباردو

شكل 58 : برج خديجة : مخطط الطابق الأرضي

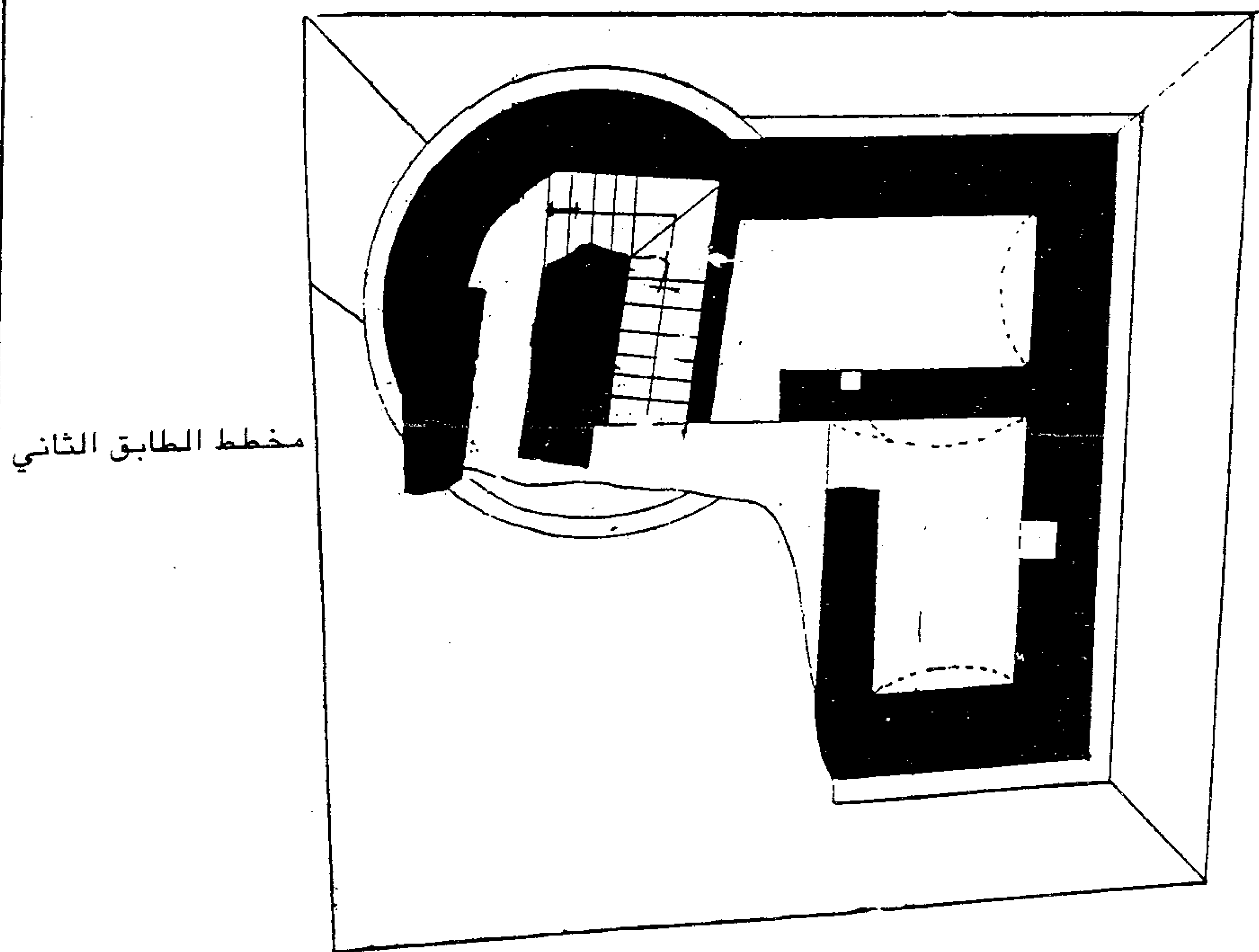


شكل 59 : برج خديجة:مخطط الطابق الأول

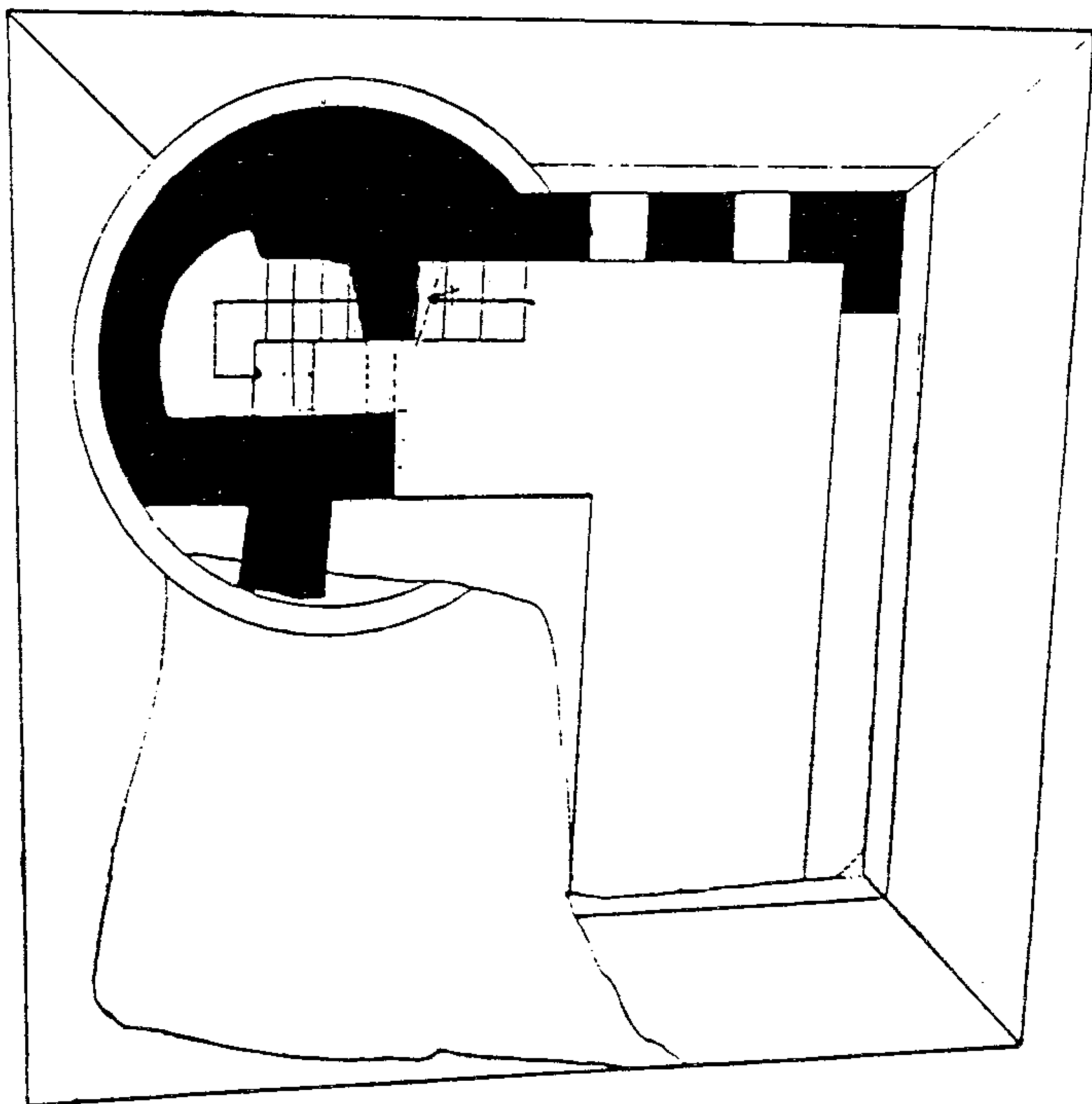


0 1 م

شكل 60 : برج خديجة



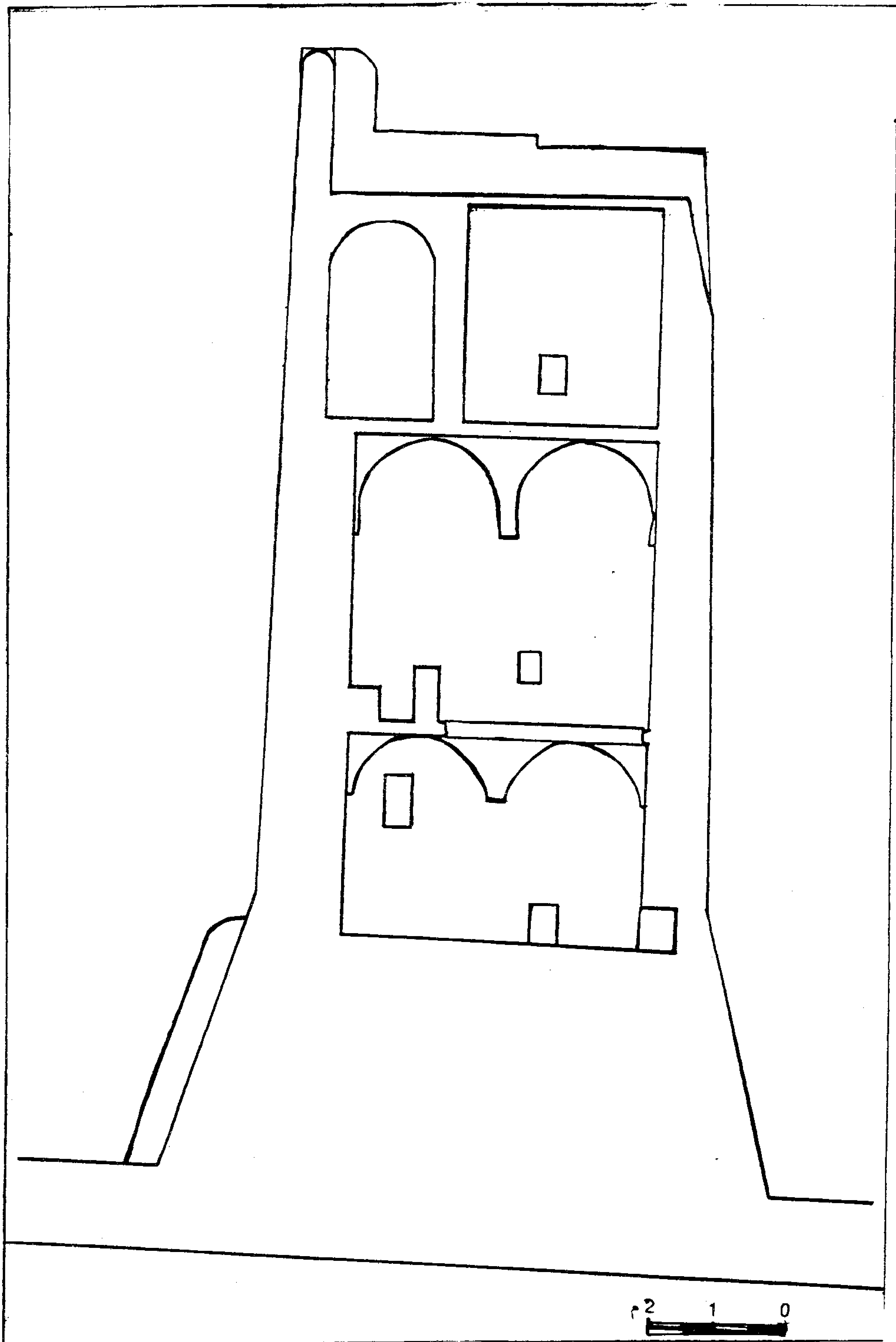
مخطط الطابق الثاني



السطوح

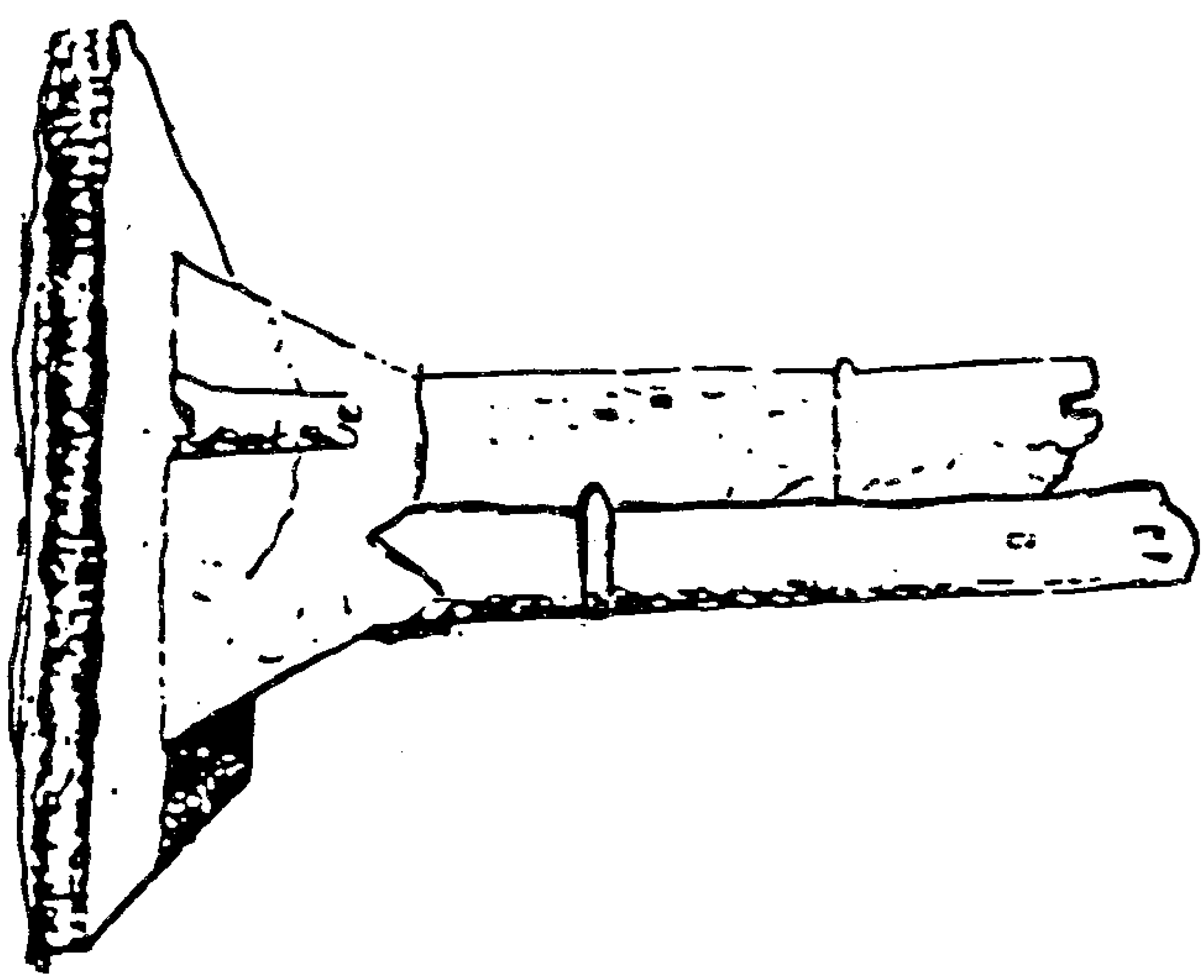
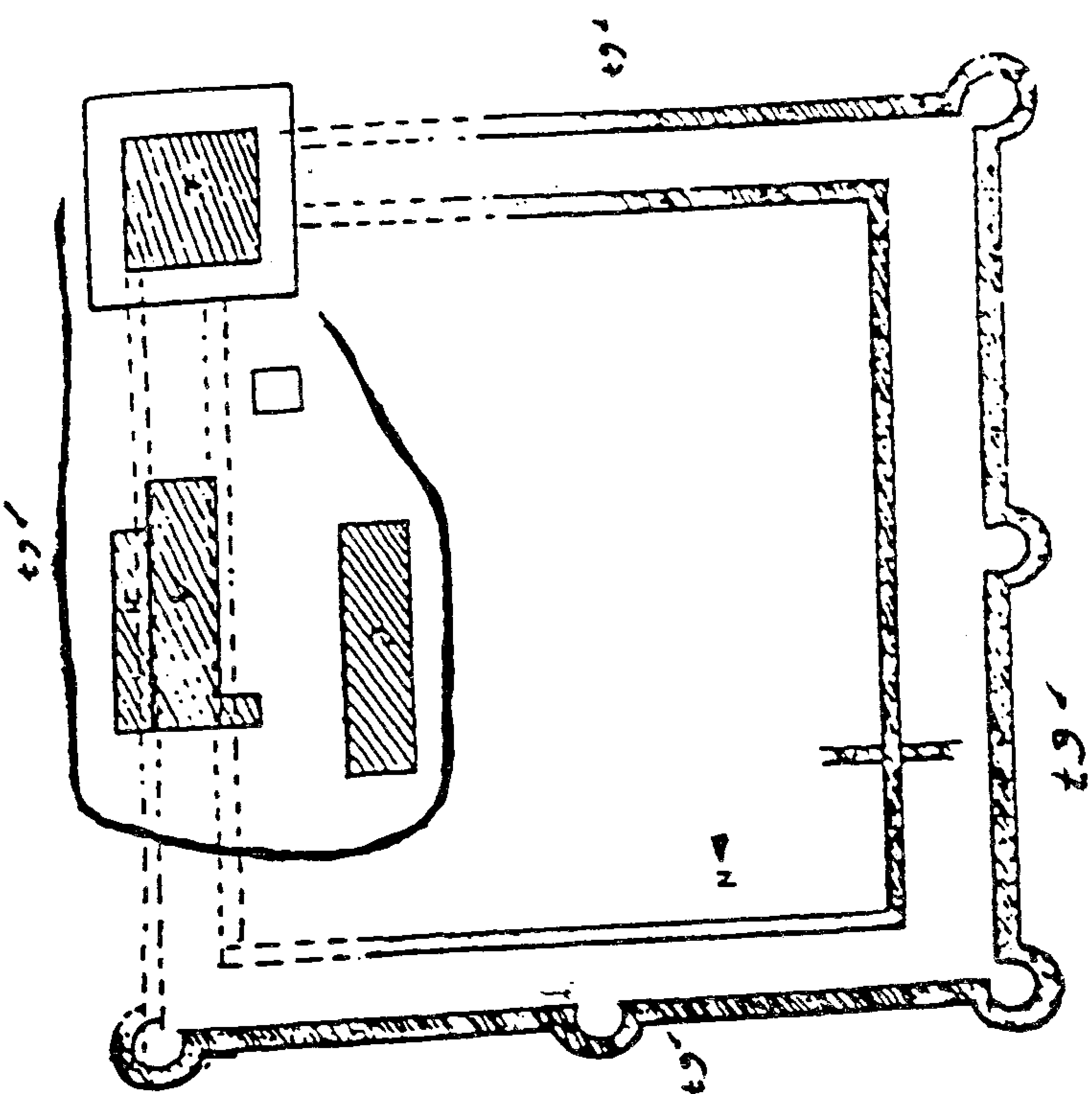
0 1 2

شكل 61 : برج خديجة : مقطع أ - أ



0 1 2 م

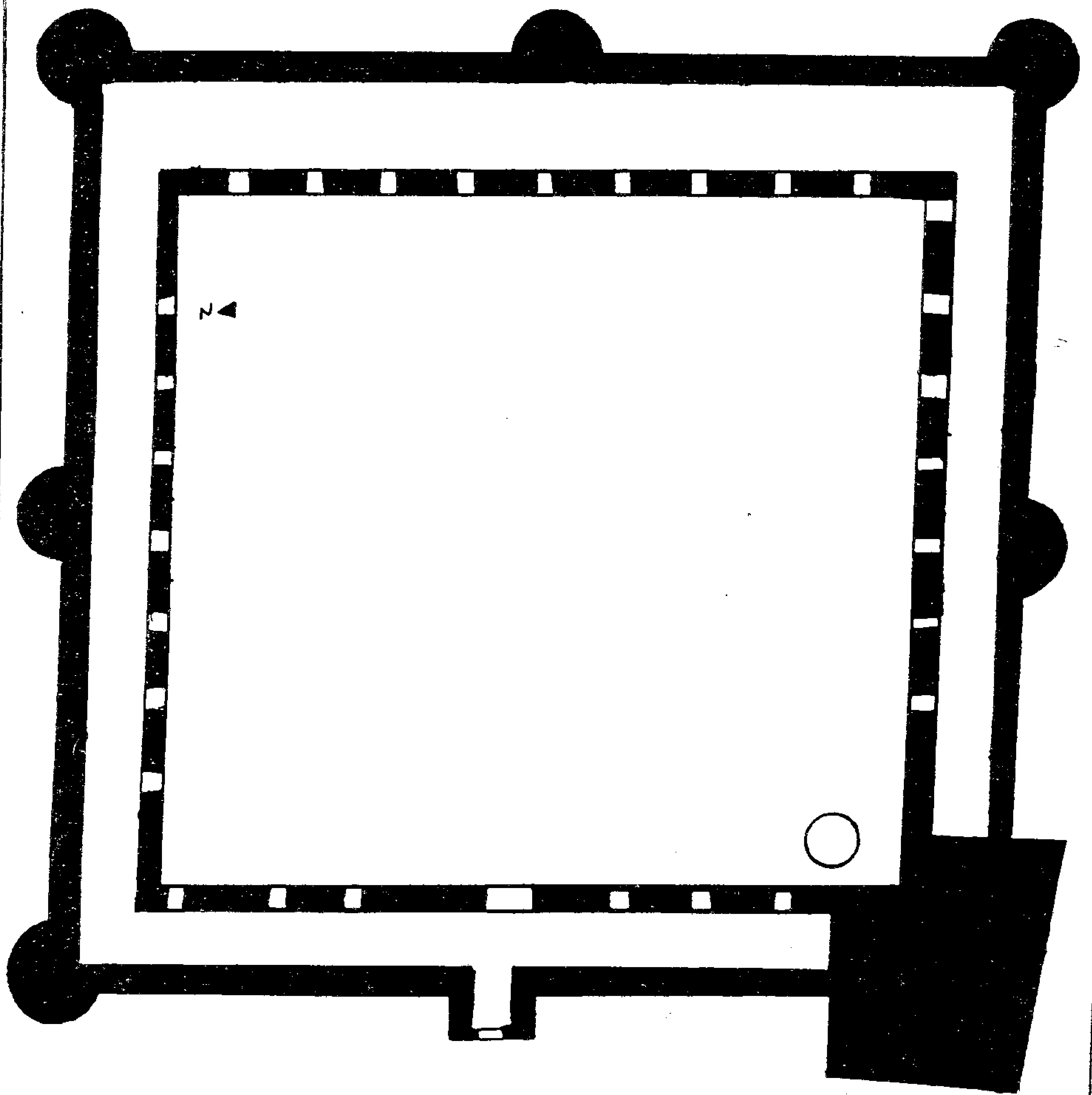
شكل 62 : برج خديجة



المنار الحفسي

الحصن الأغلبي سنة 1906

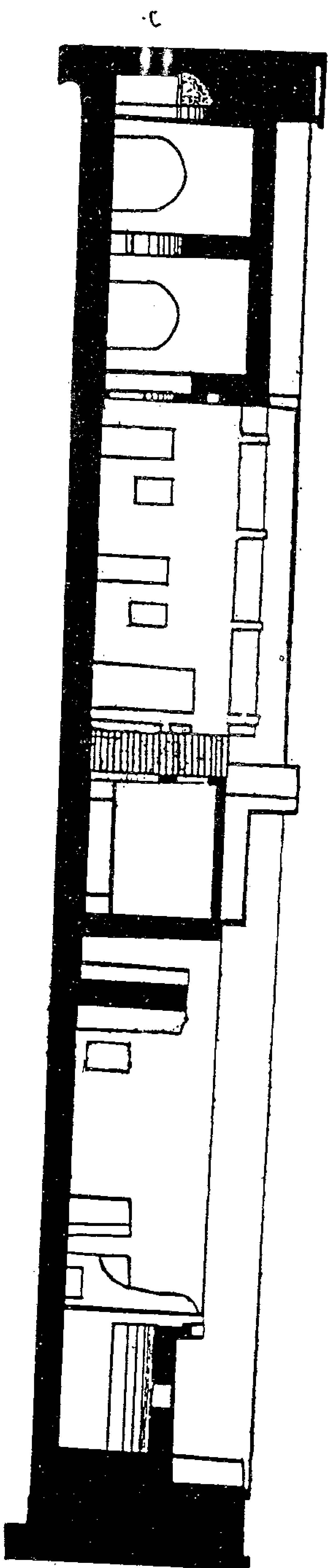
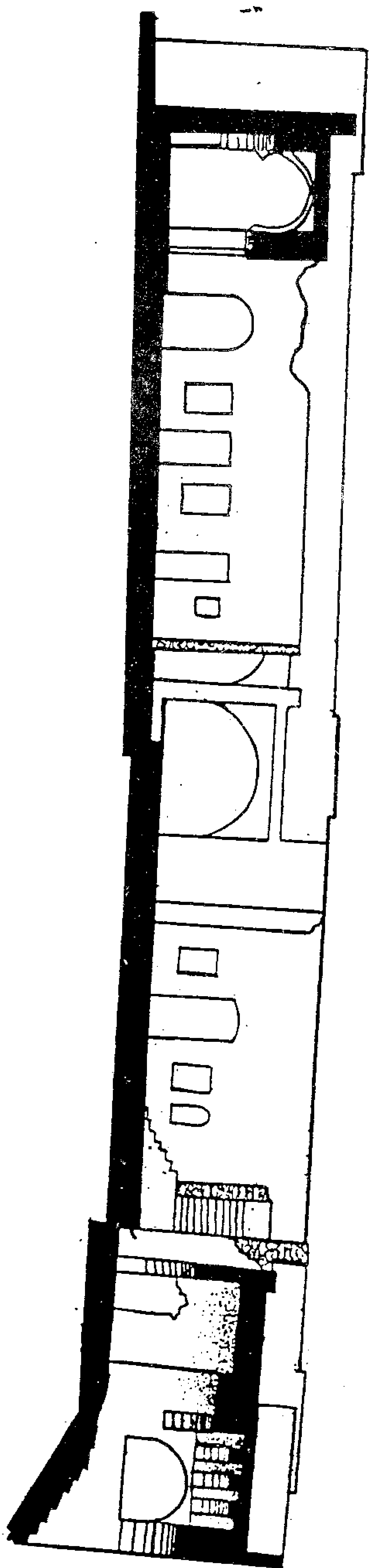
شكل 63 : برج خديجة الحصن الأغلبى



شكل 64 : رباطات منطقة صفاقس قبل العصر الحفصي

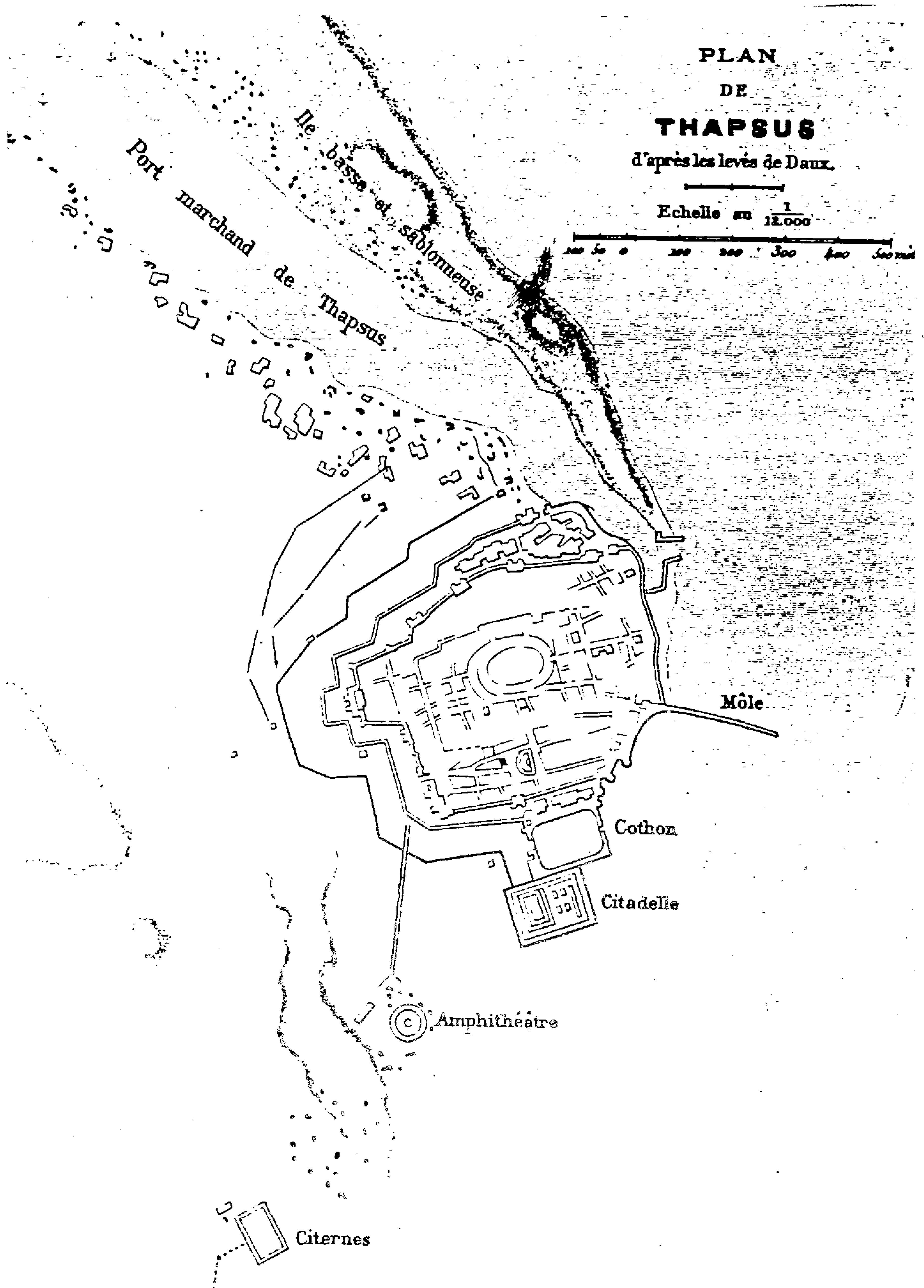


شكل 54 : المنستير ، زاوية سيدي ذويب (مقاطع)

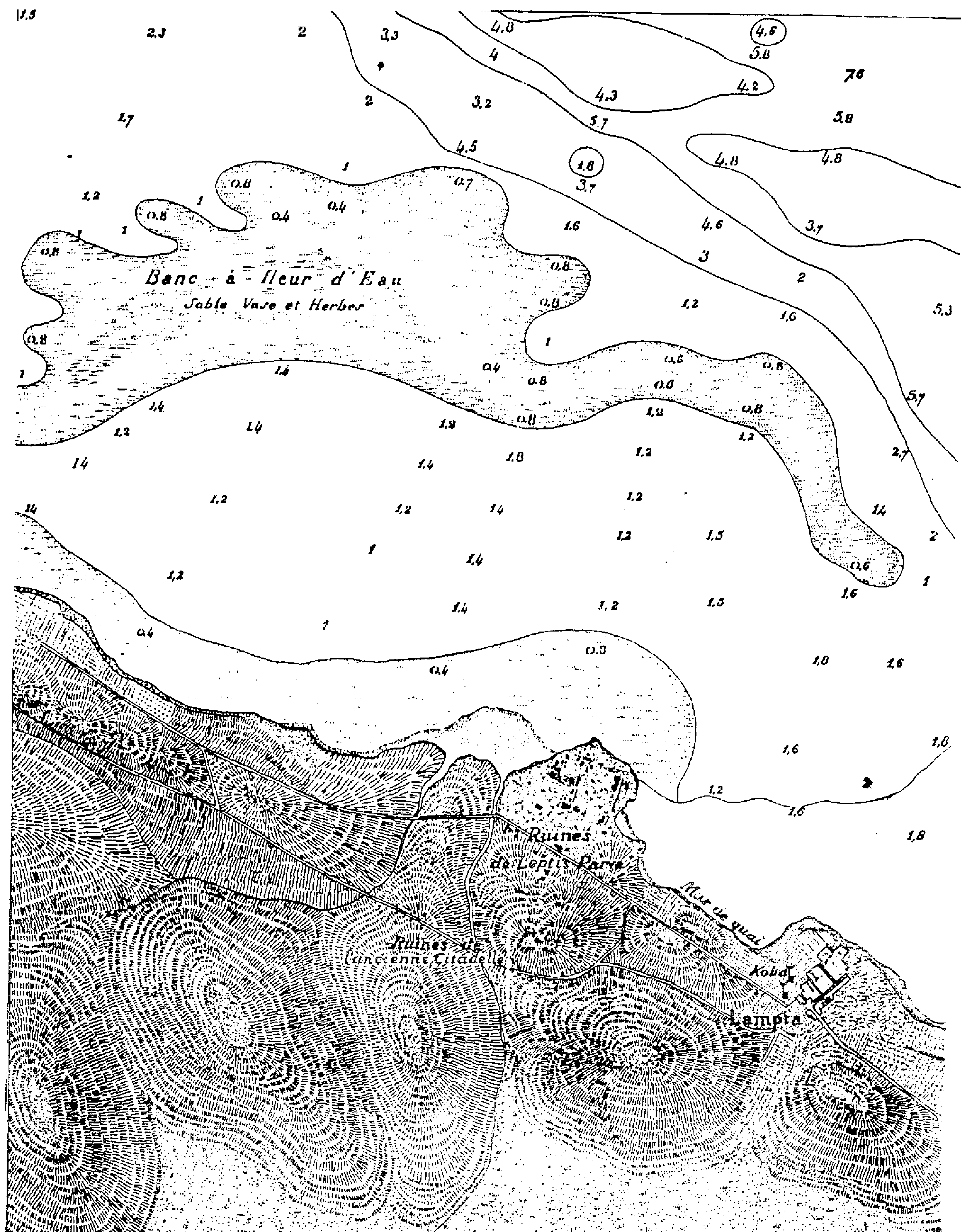


5 0

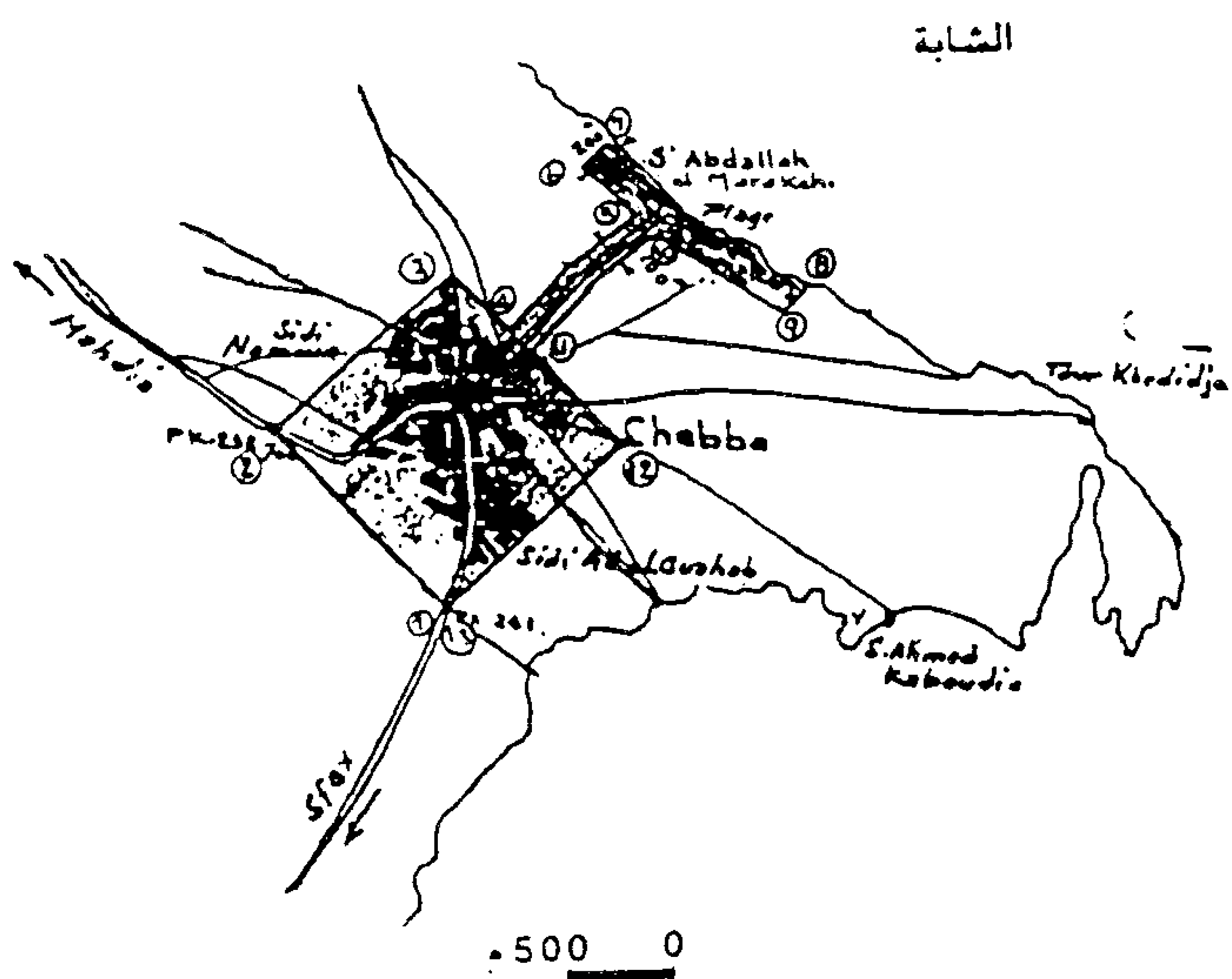
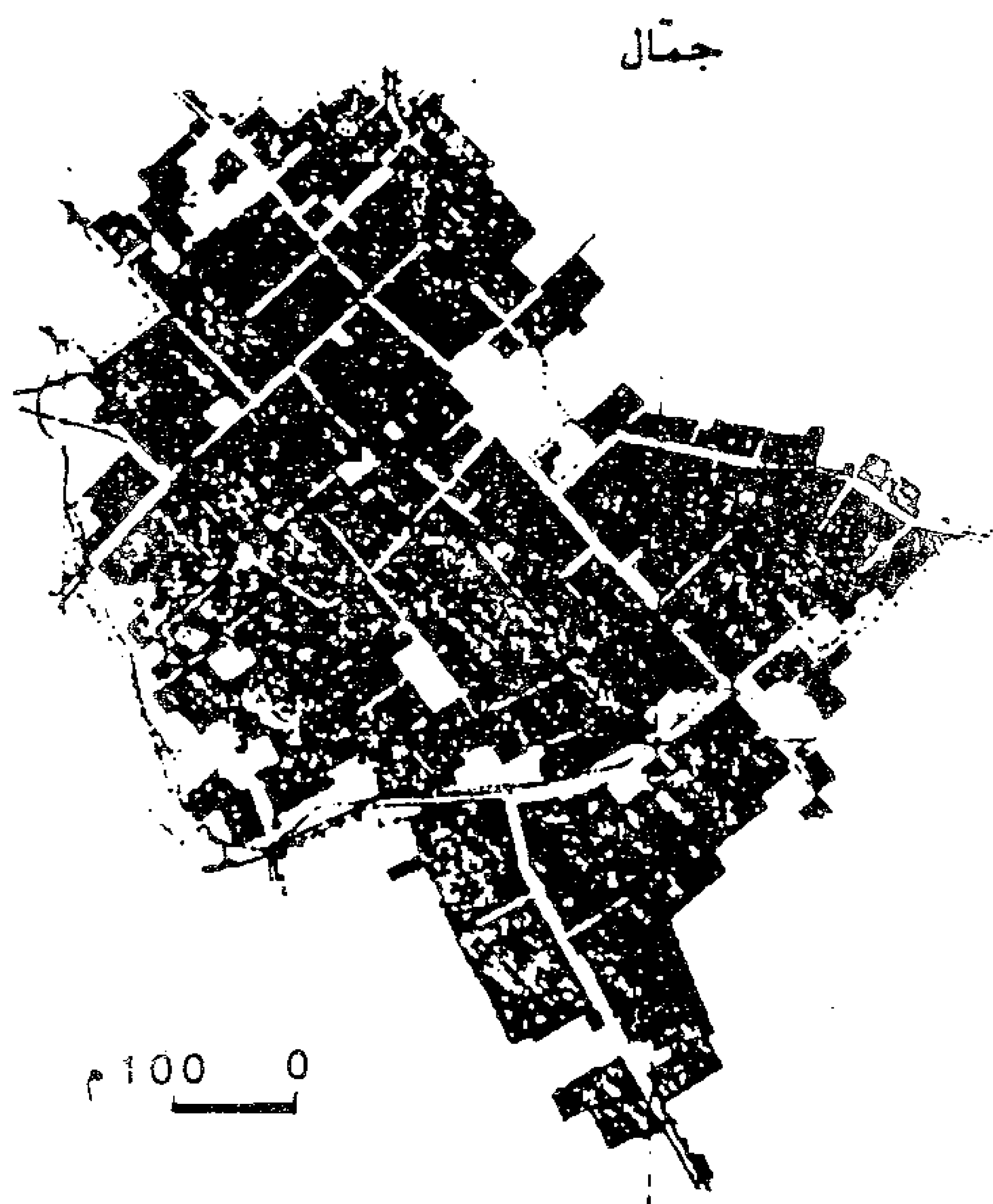
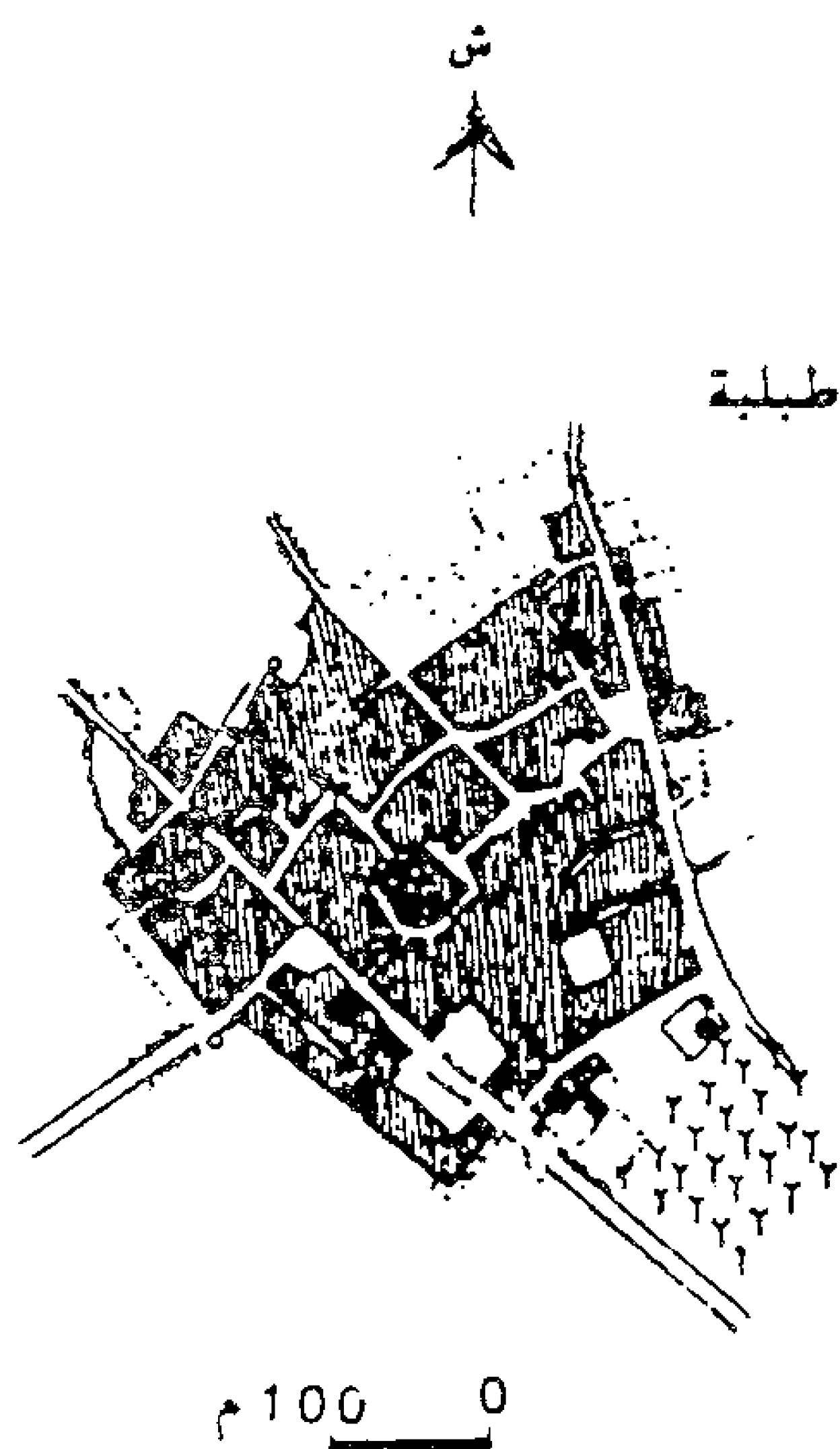
شكل 55 : موقع طبسة سنة 1830



شكل 55 ب : لعبة (ق 19 م)



شكل 56 : جمال (1884م) طبلبة (1884م) والشابة (1950م)

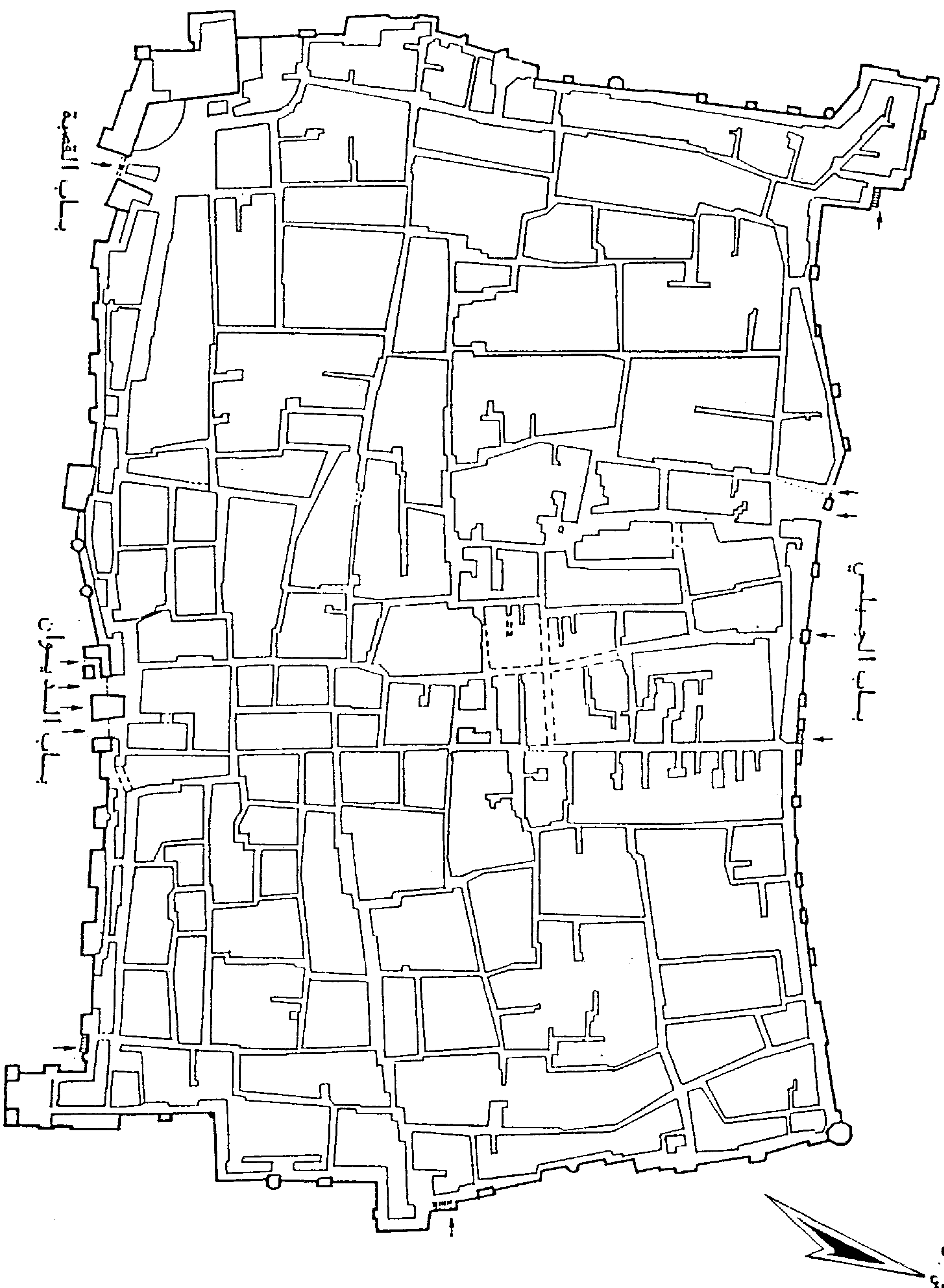


شكل 66 : مدينة صفاقس

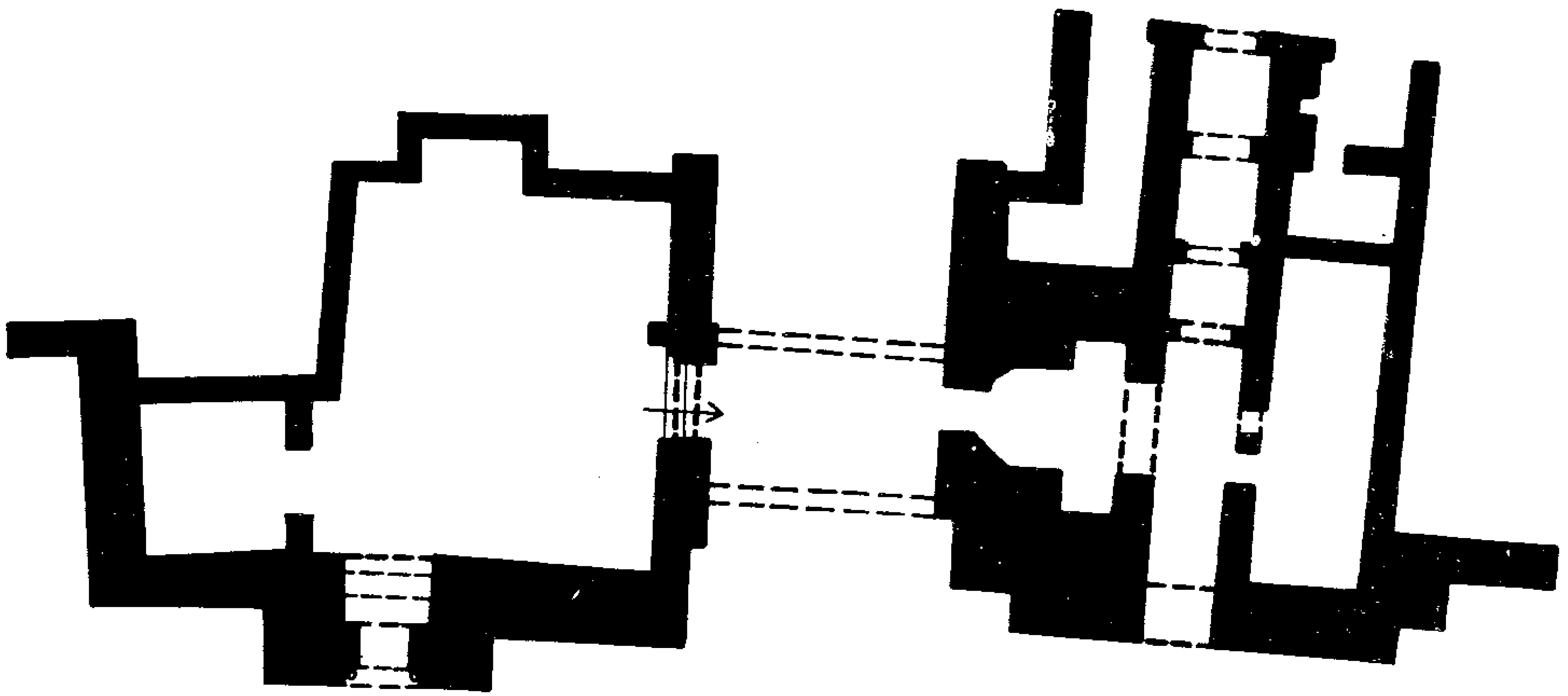


50 0

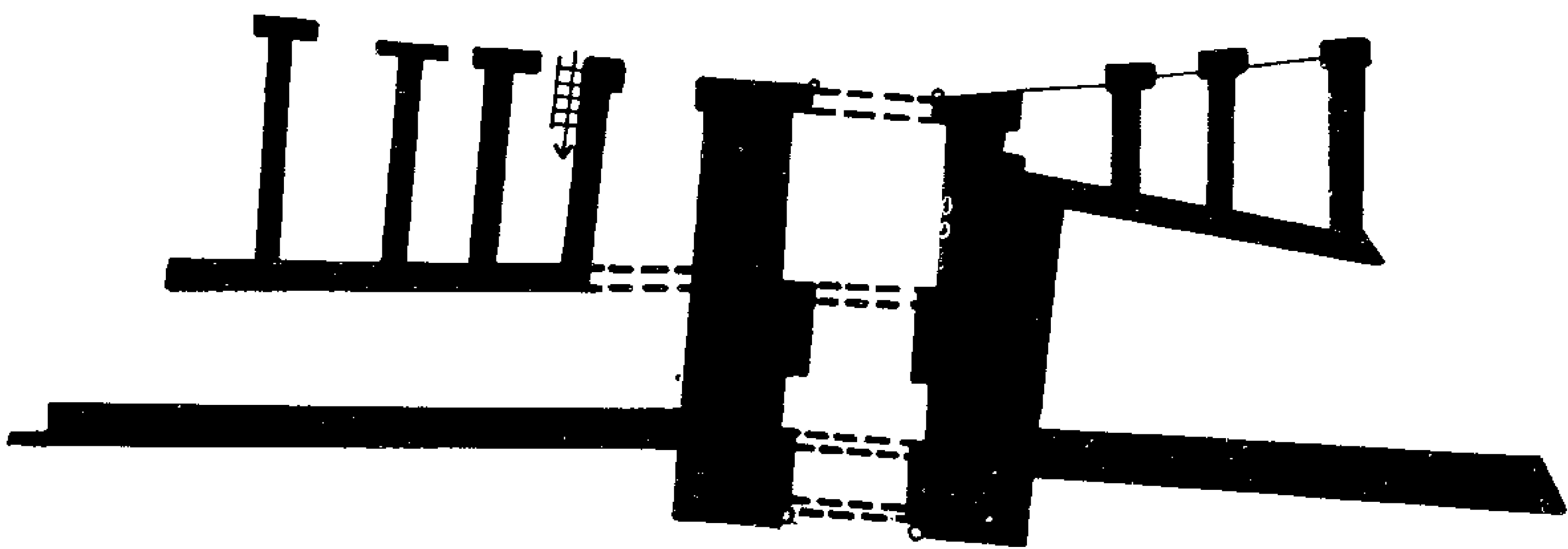
شكل 66 ب : صفاقس : التوزيع العمراني



شكل 67 : أبواب مدينة صفاقس



باب الديوان

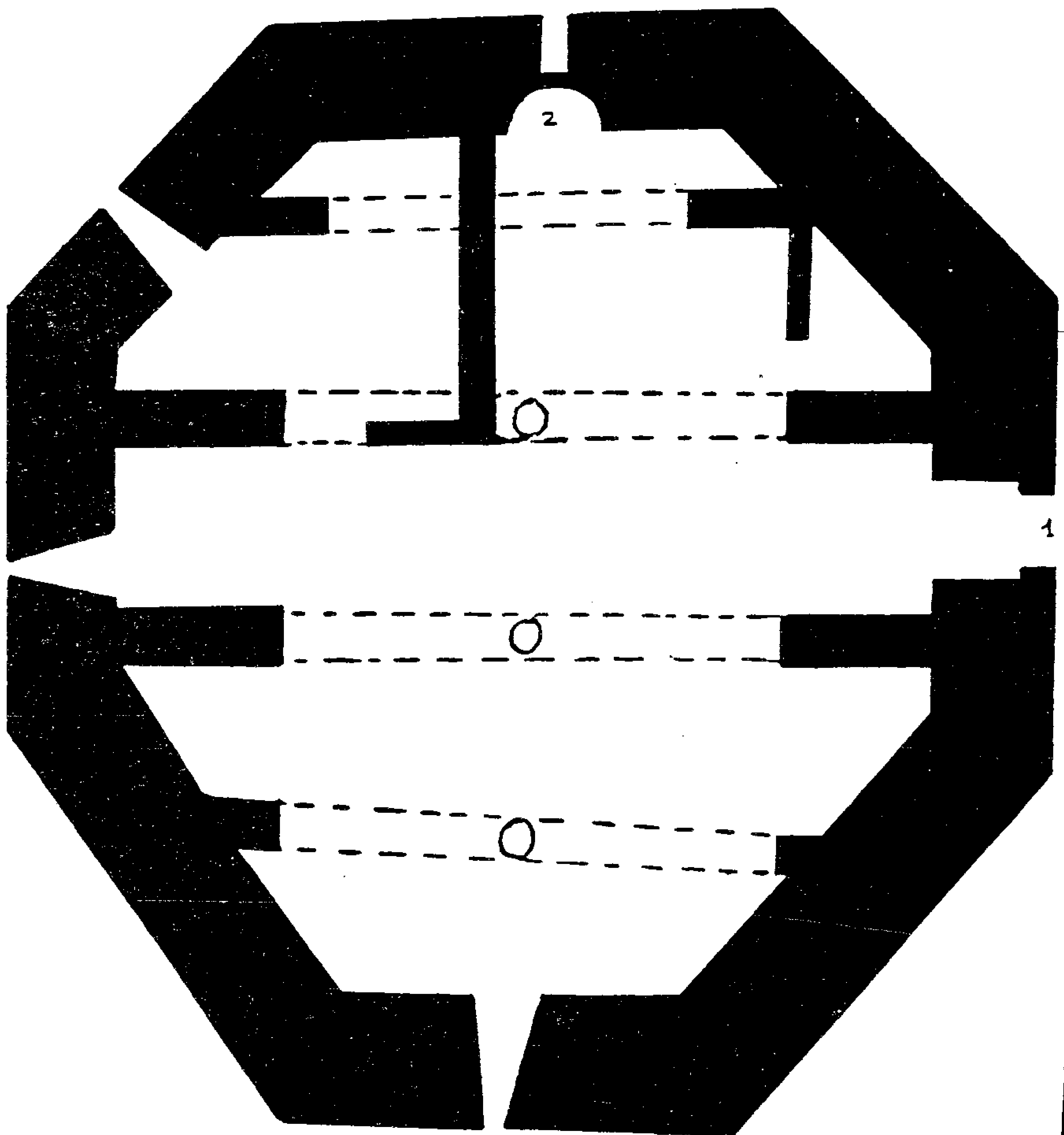


الباب الجبلي

0 5 م

شكل 68: صفاقس: برج مسعودة

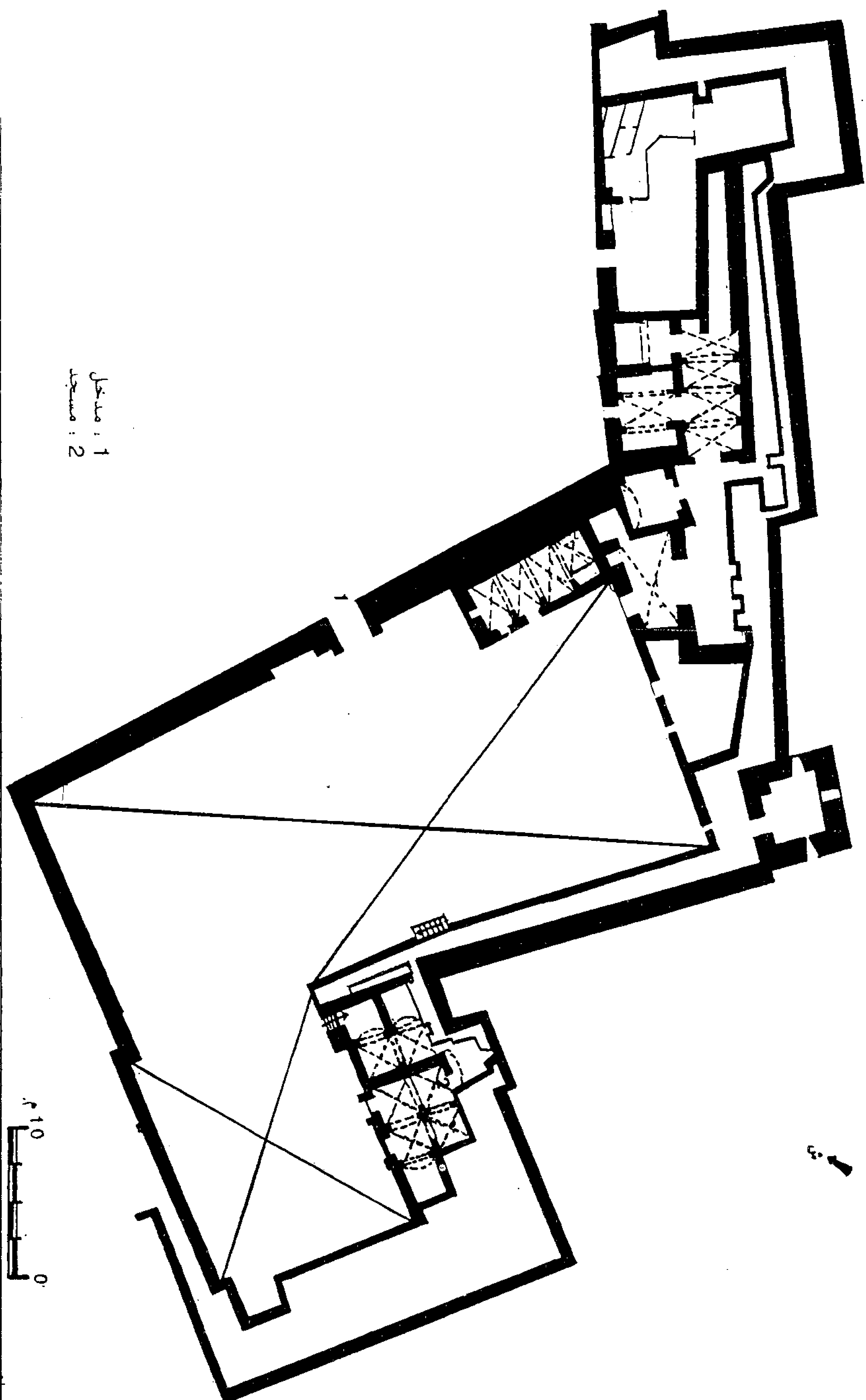
ش ▶



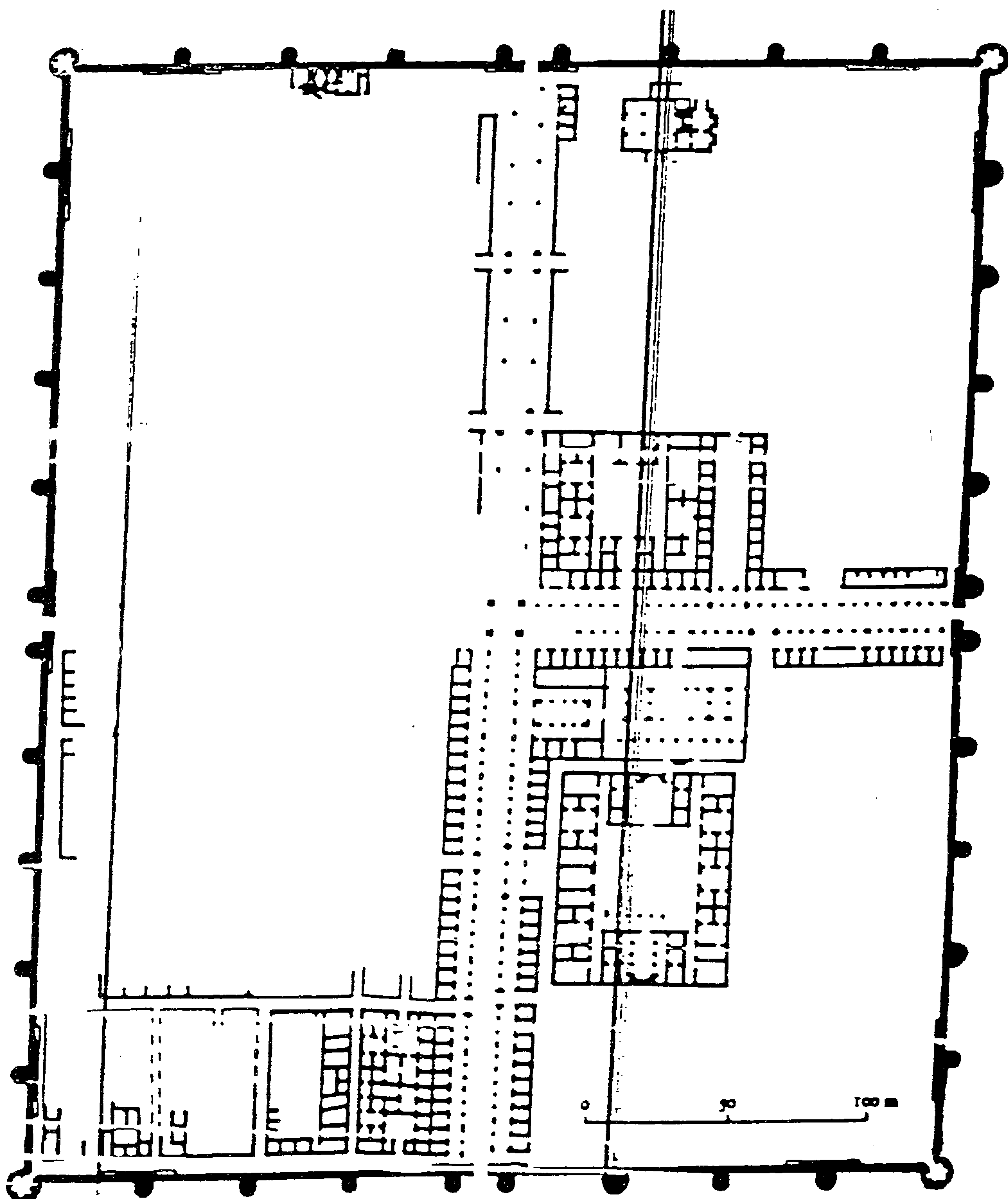
1 : مدخل
2 : محراب

2 0

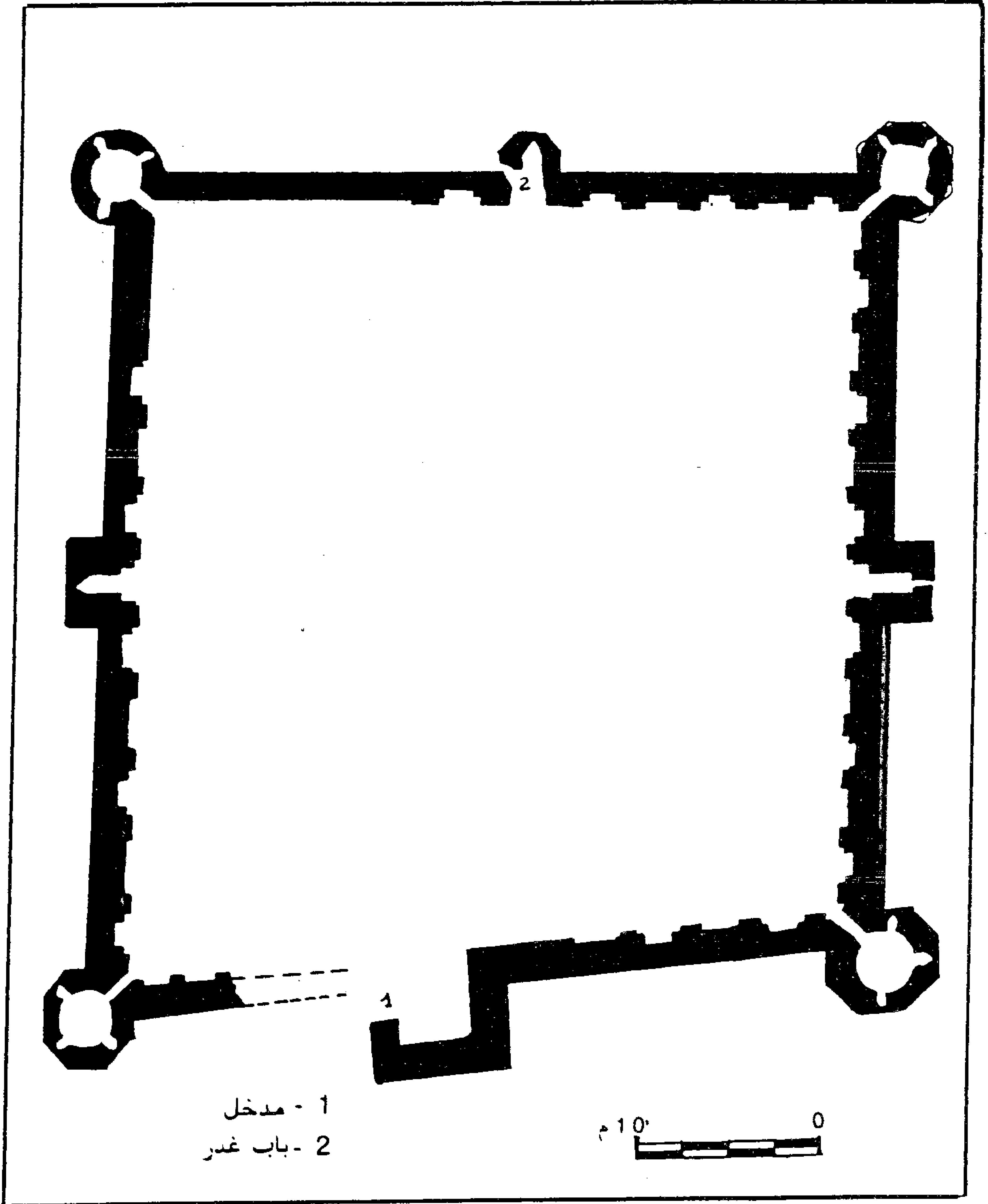
شكل 69 : مخطط قصبة صفاقس



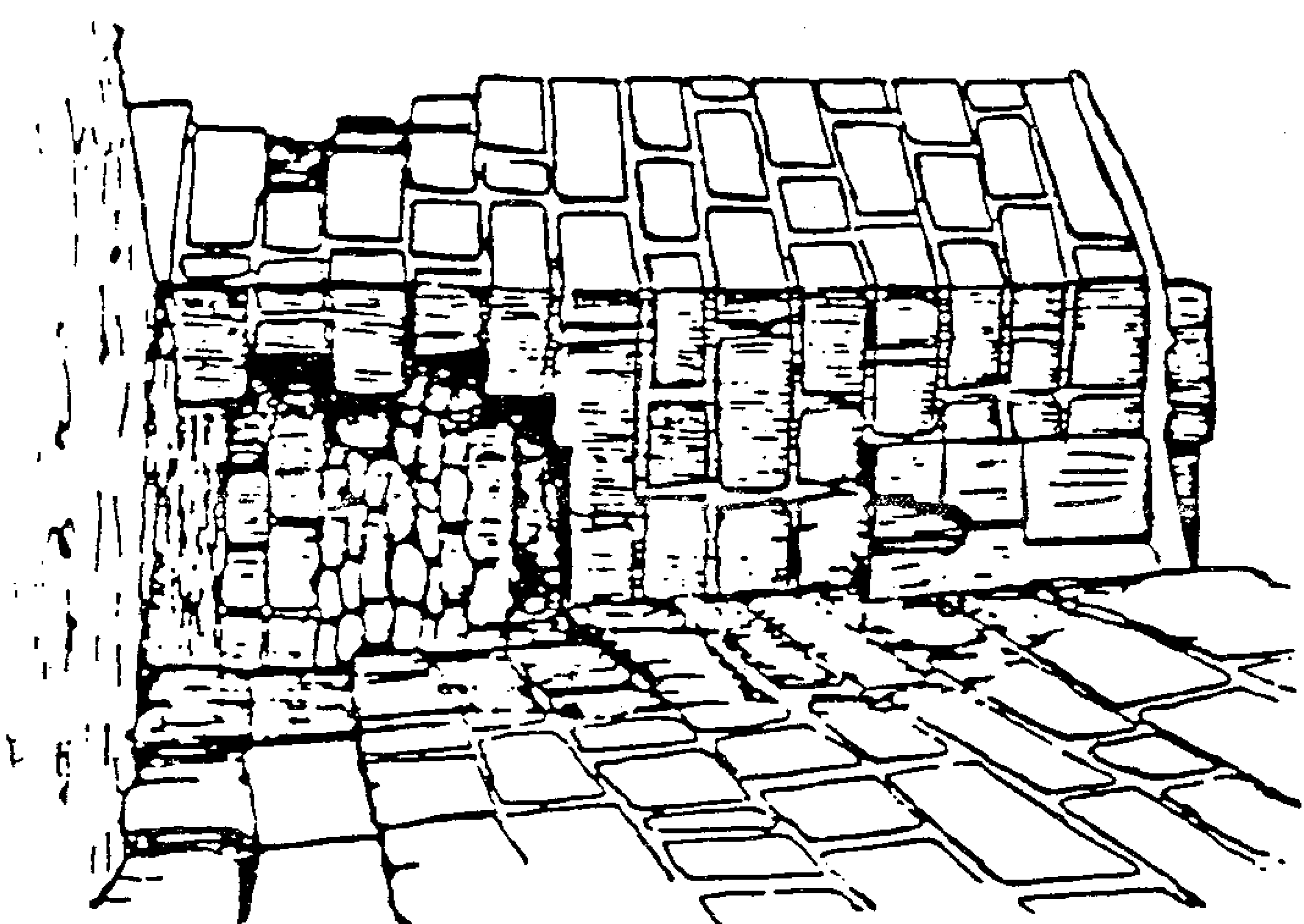
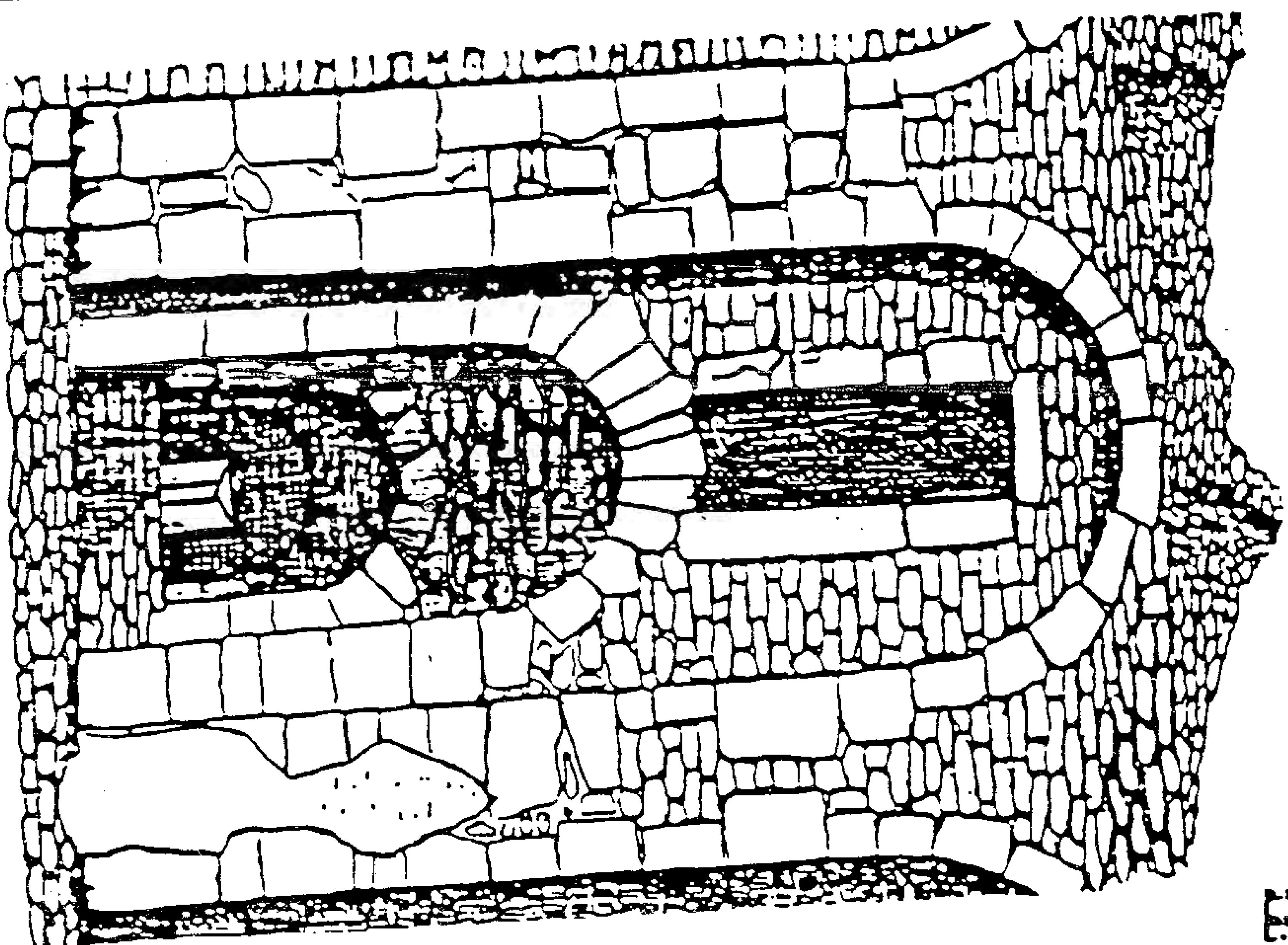
شكل 70 : مدينة عين الجمل



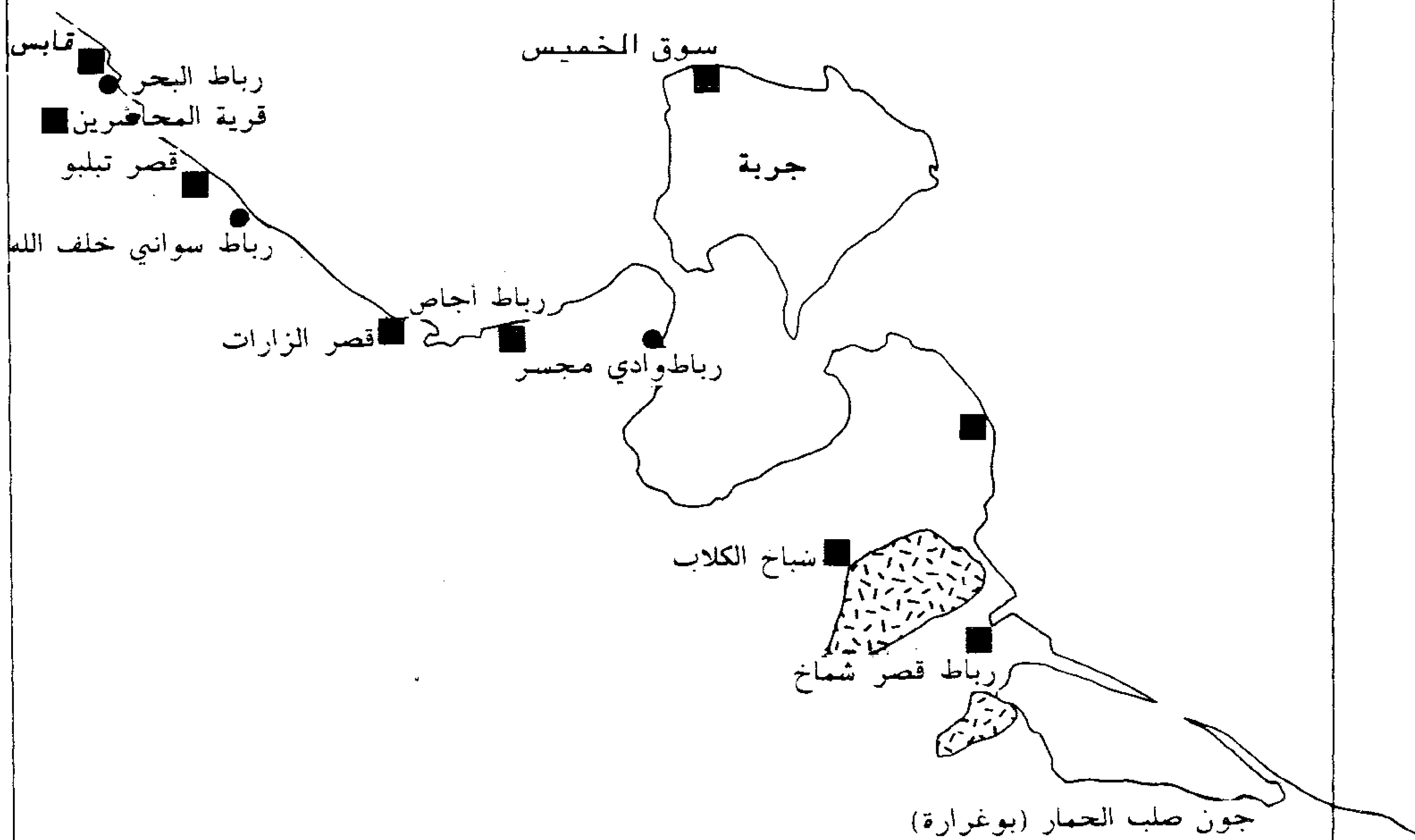
شكل 71 : قصر يونقة



شكل 72 : قصر بونقة



شكل 73 : رباطات جنوب البلاد التونسية في العصر الوسيط

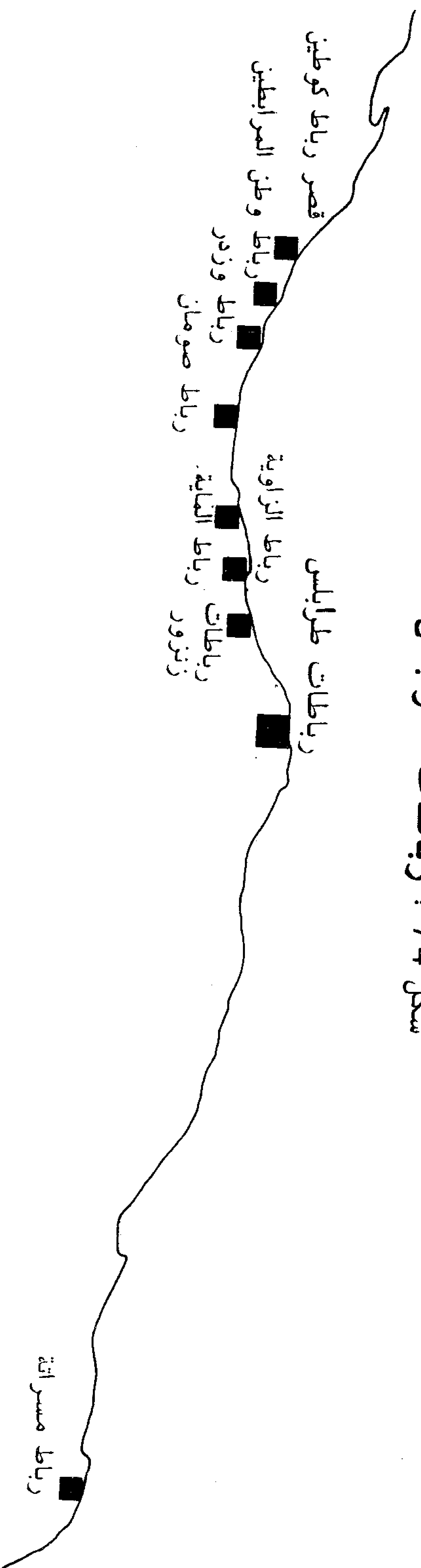


0 20 كلم

■ تجمع عمراني محصن
● مركز مرابطة

مختبر رسم الخرائط
مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية

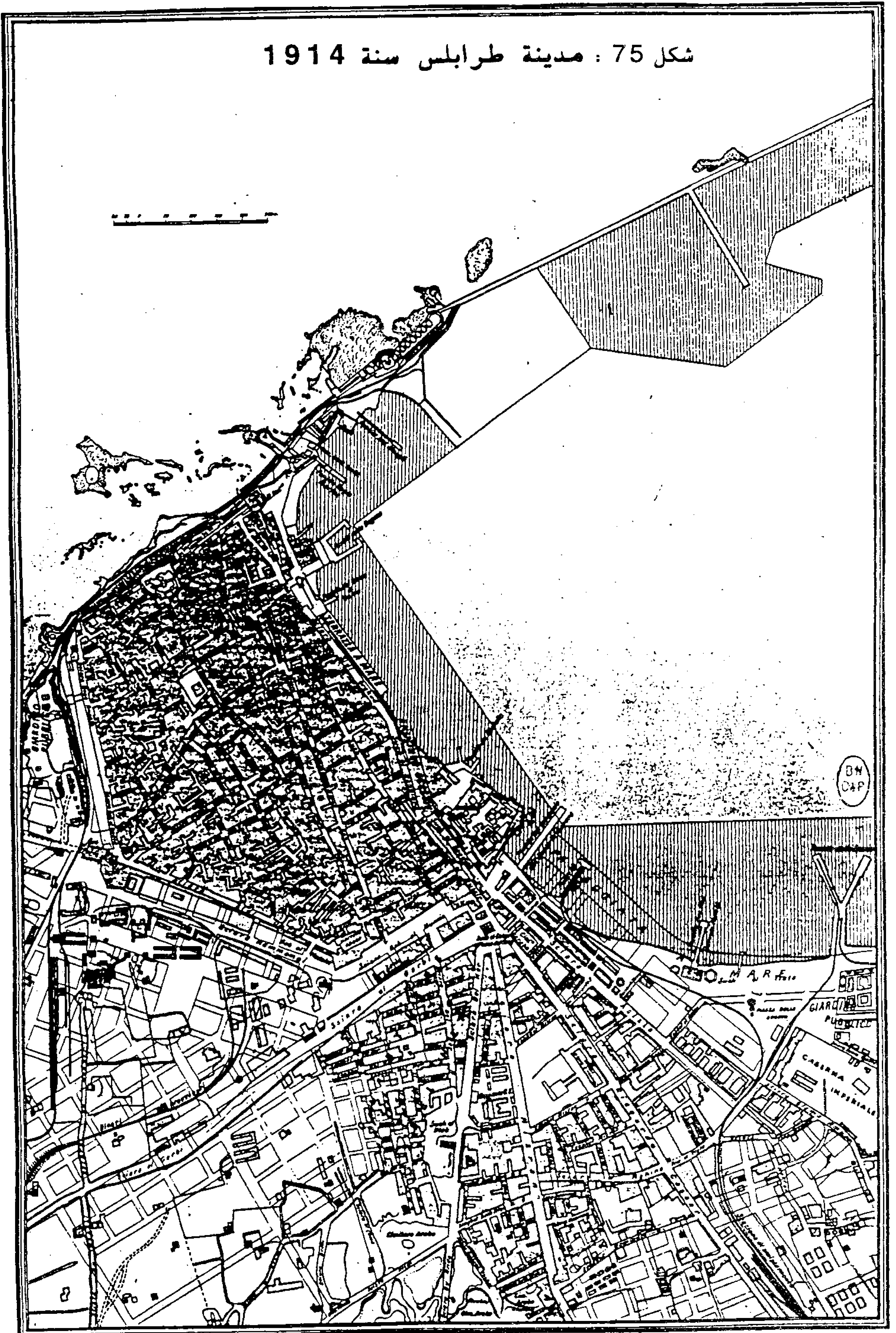
شكل 74 : رباطات طرابلس



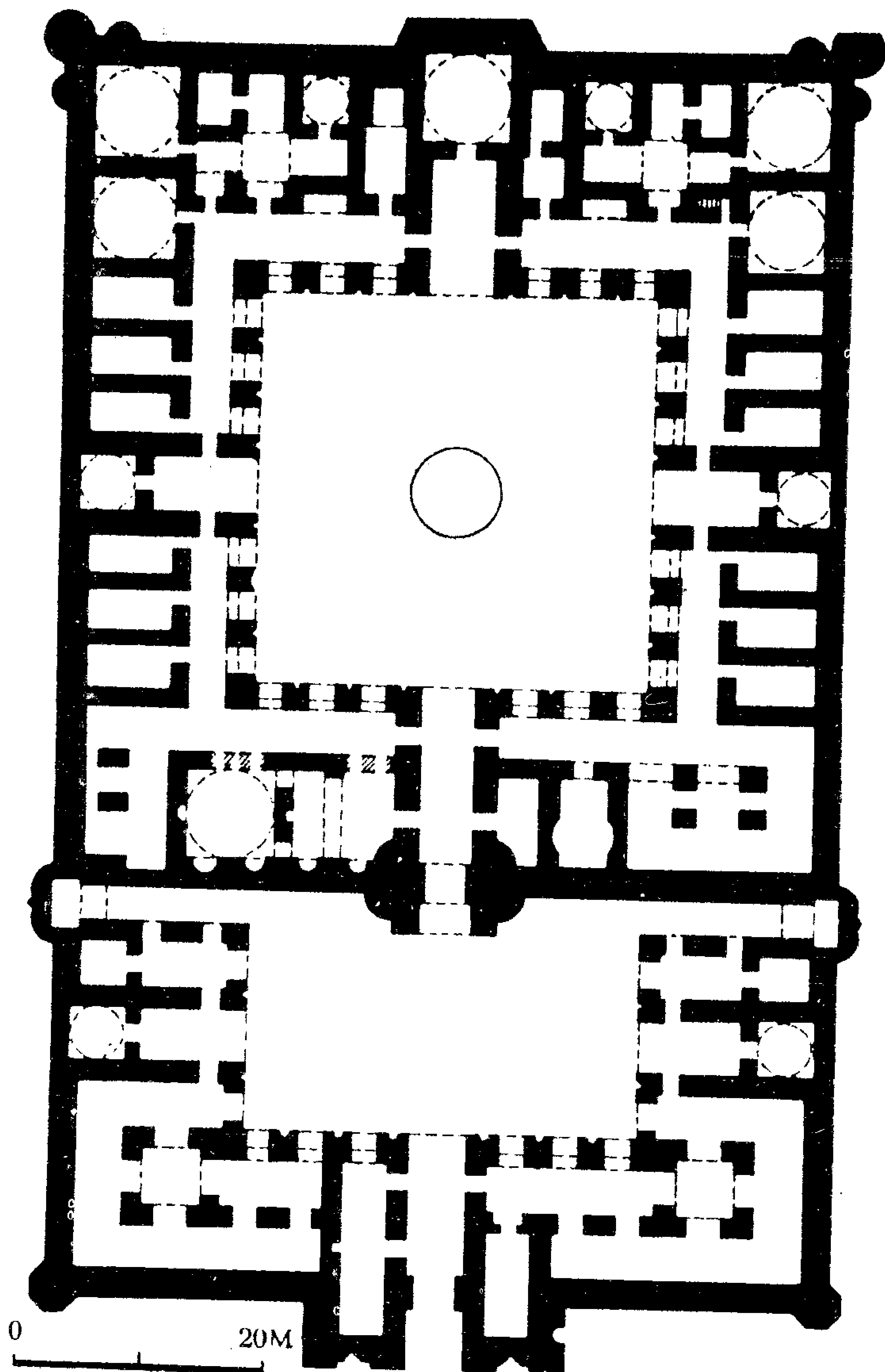
تجميع عمراني محصن

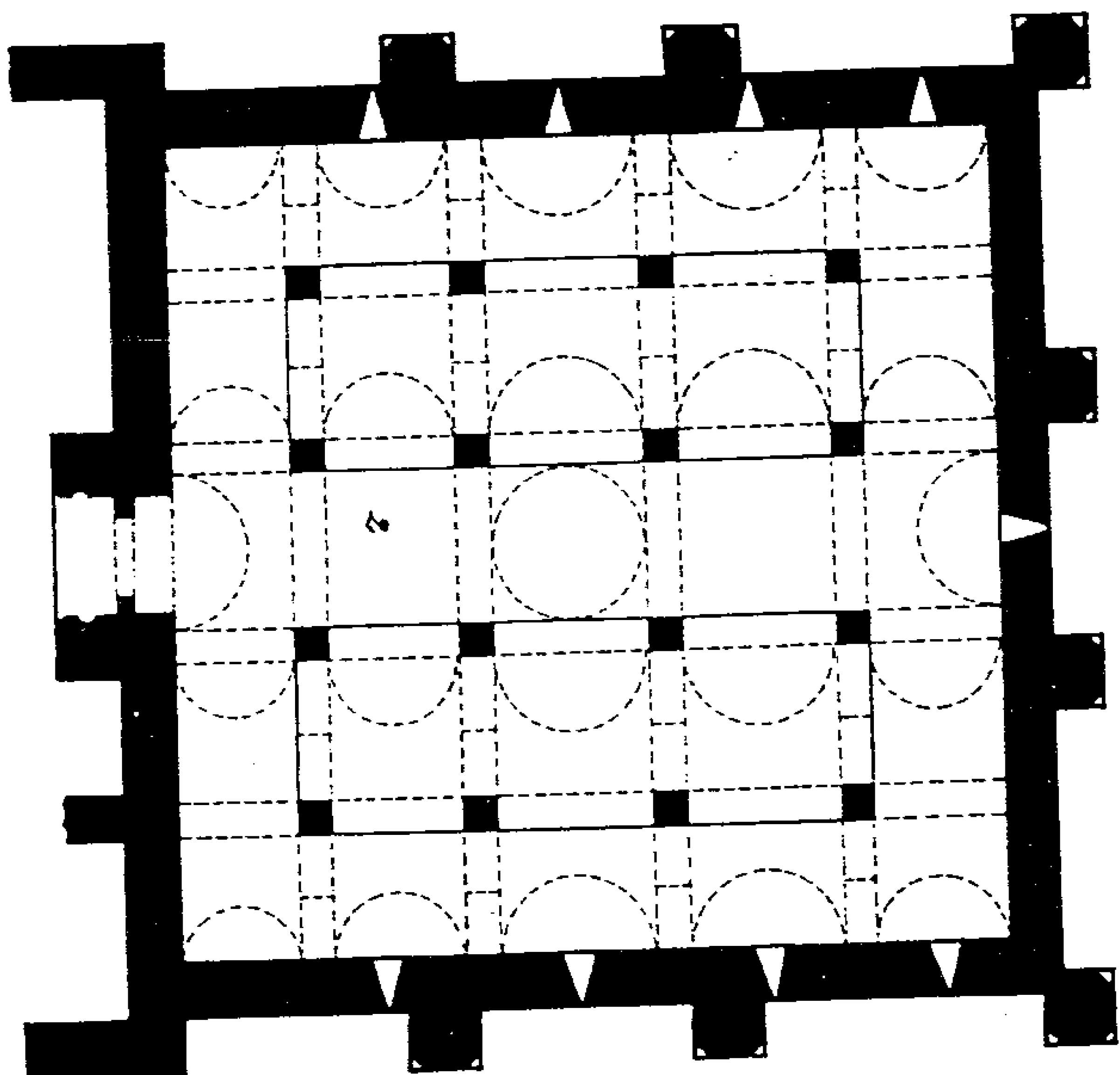
رباط مسجد الشعاب
رباط. مسجد خطاب
رباط مسجد الجدة
رباط مسجد المجاز

شكل 75 : مدينة طرابلس سنة 1914

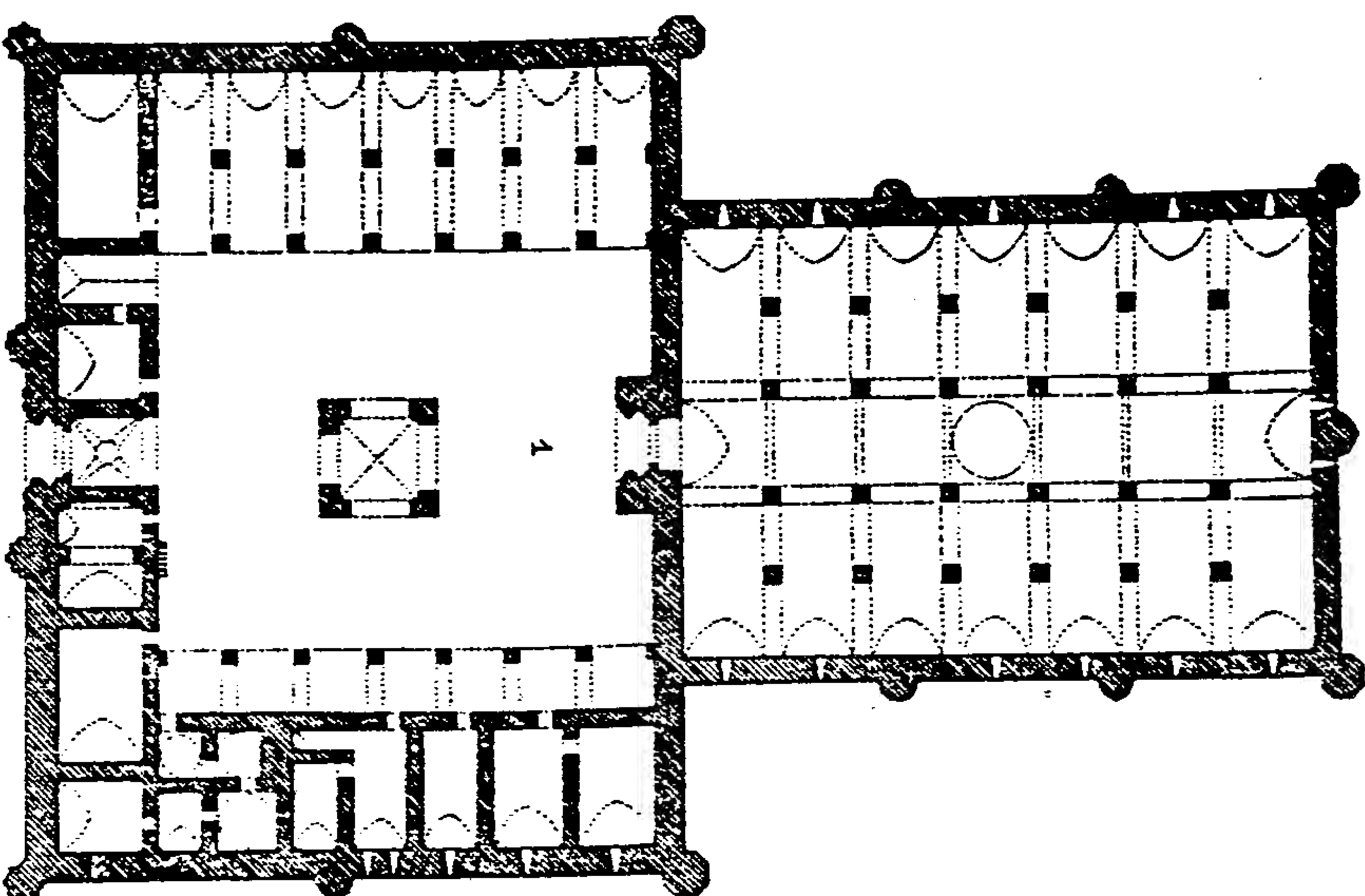


شكل 76 : إصبهان : الرباط الشريف



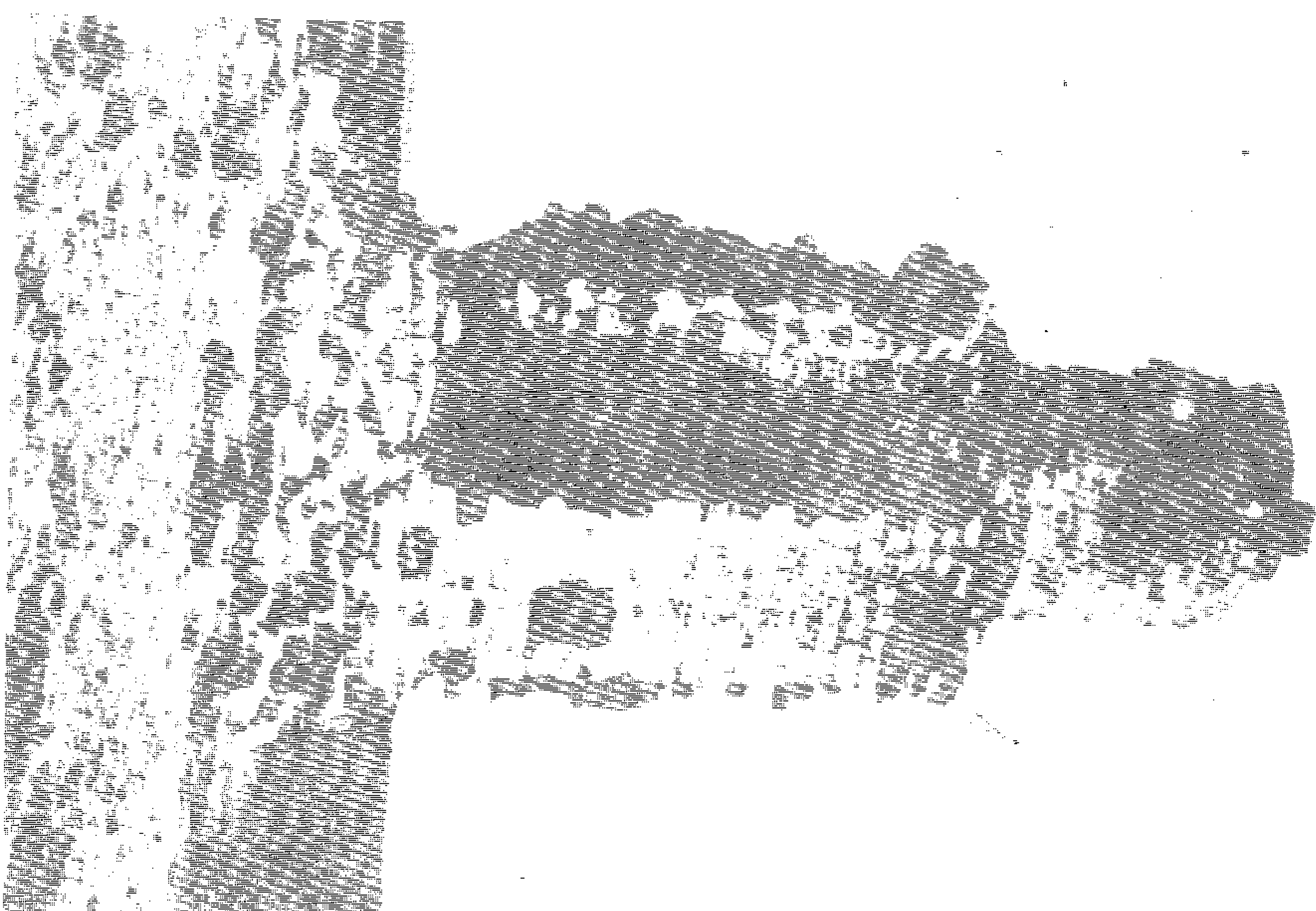
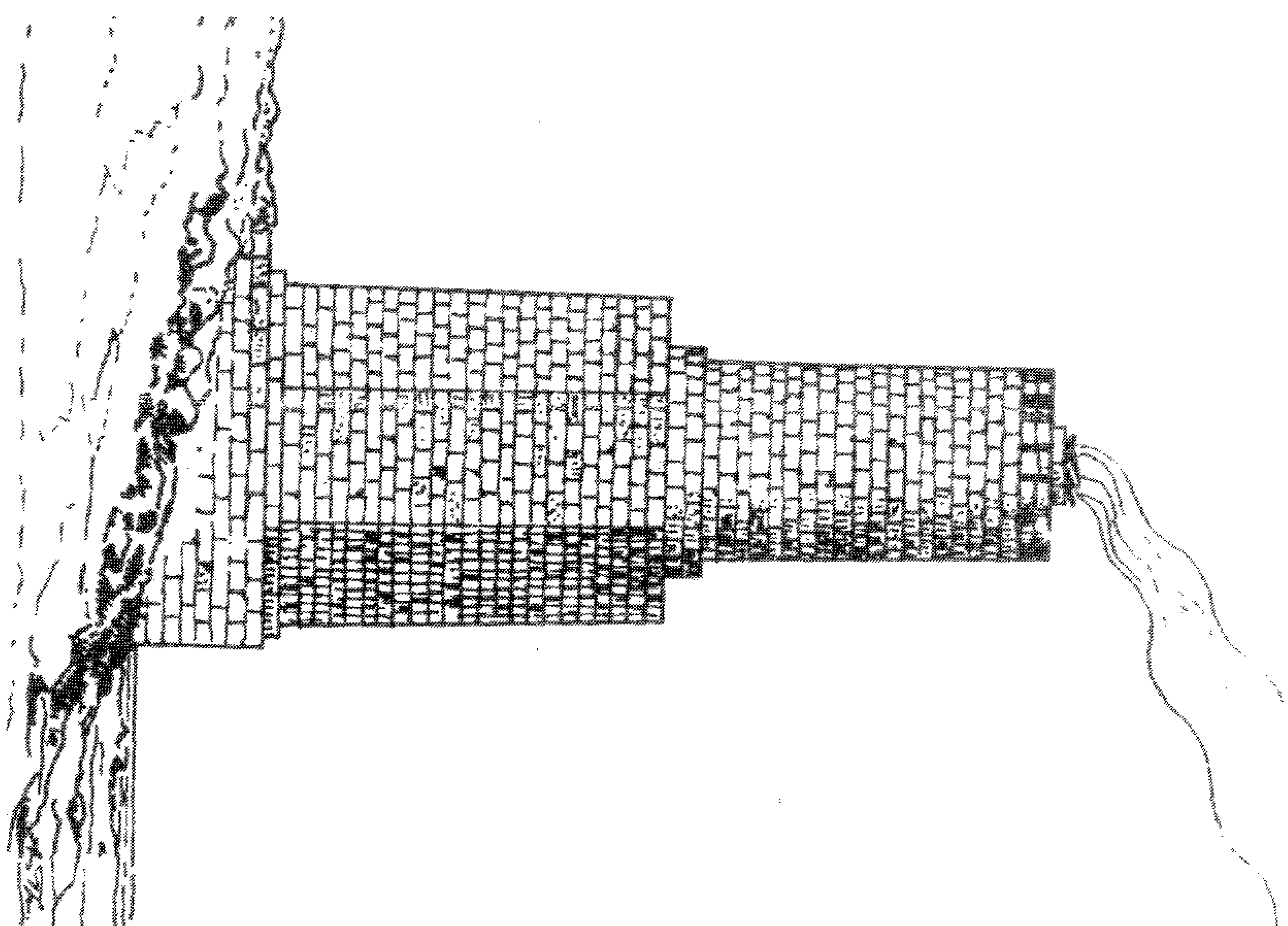


1 - قيصريّة سلطان خان (1232 - 1236)
2 - بر دور (الأناضول) : سوزوس خان

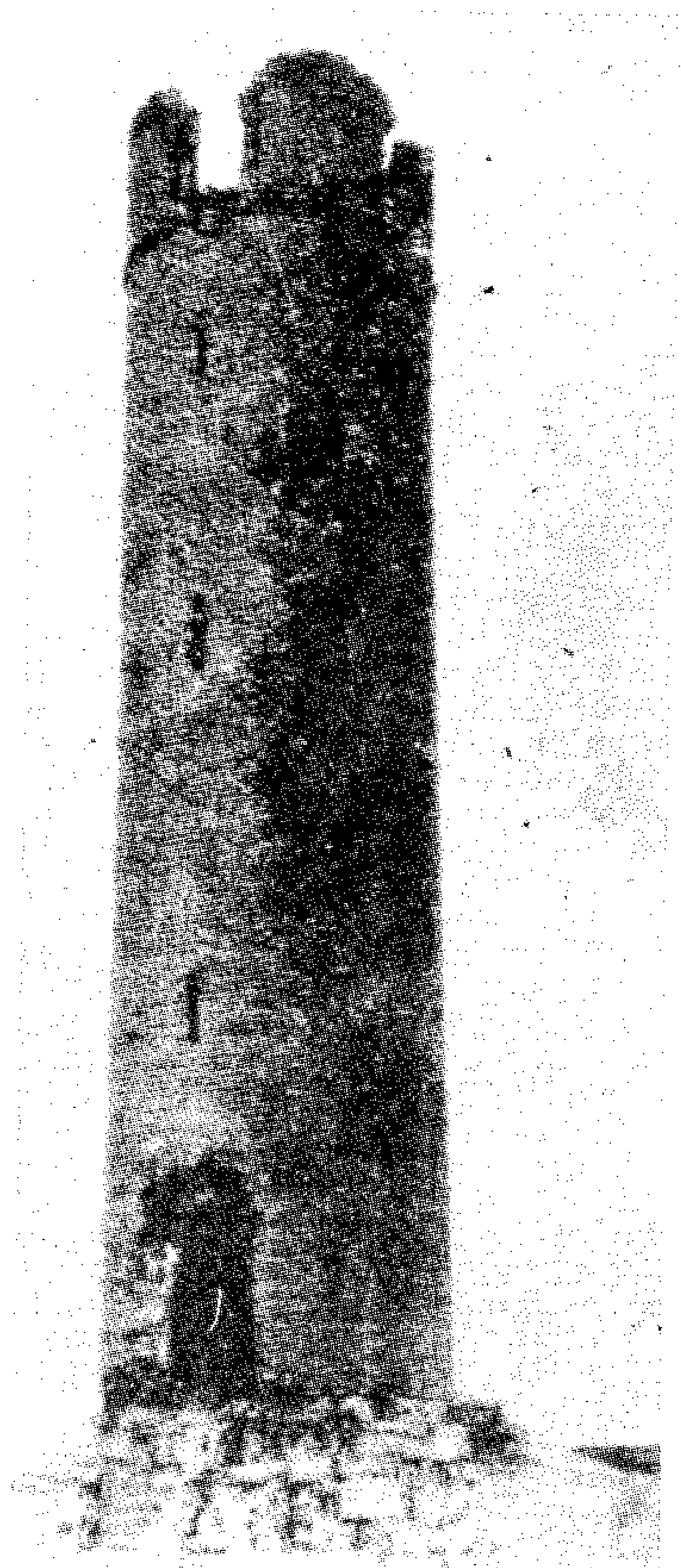


اللوحات

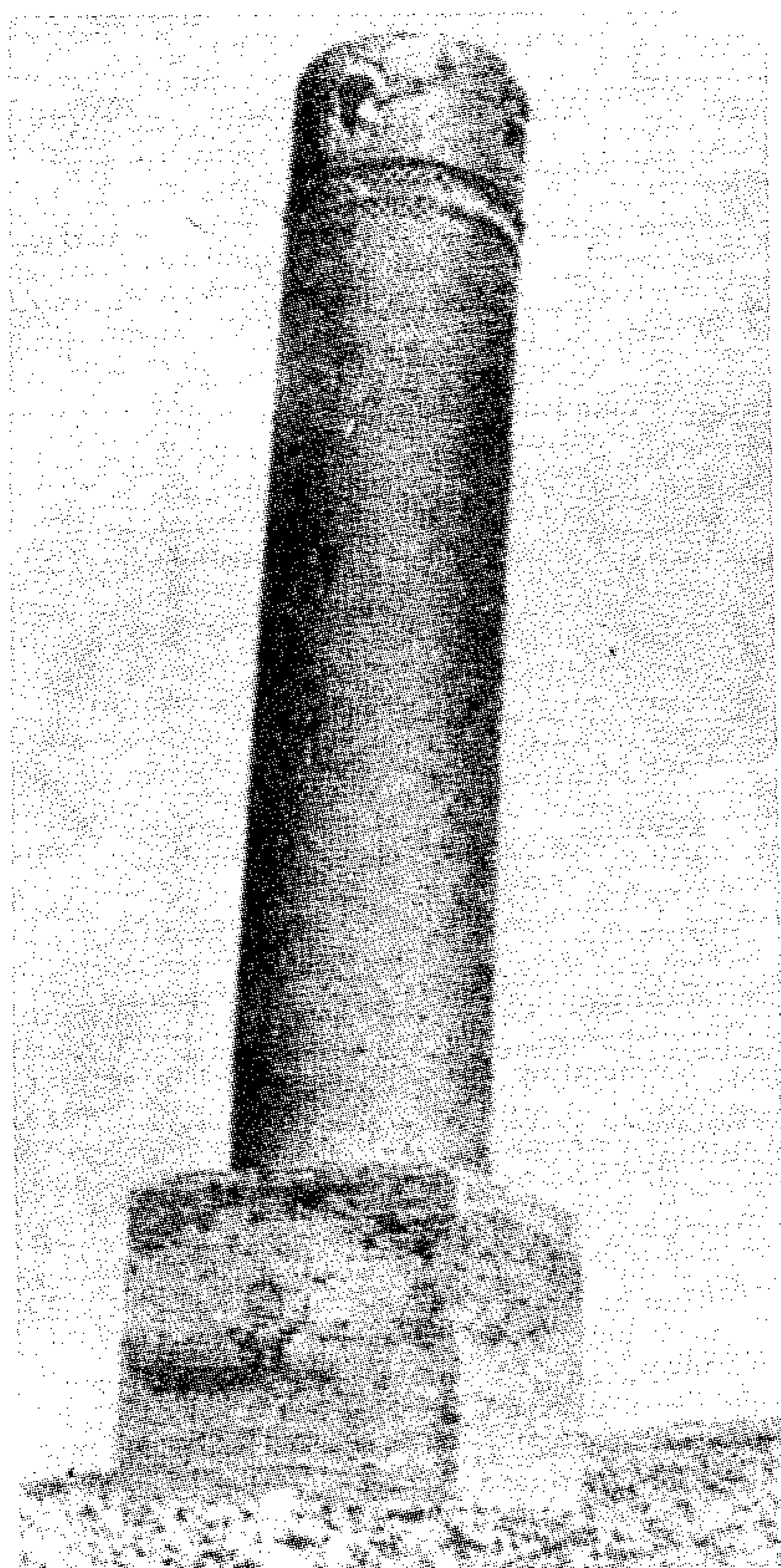
لوحة 1 : برج العرب



لوحة 2 : قلعة جعبر والرقّة

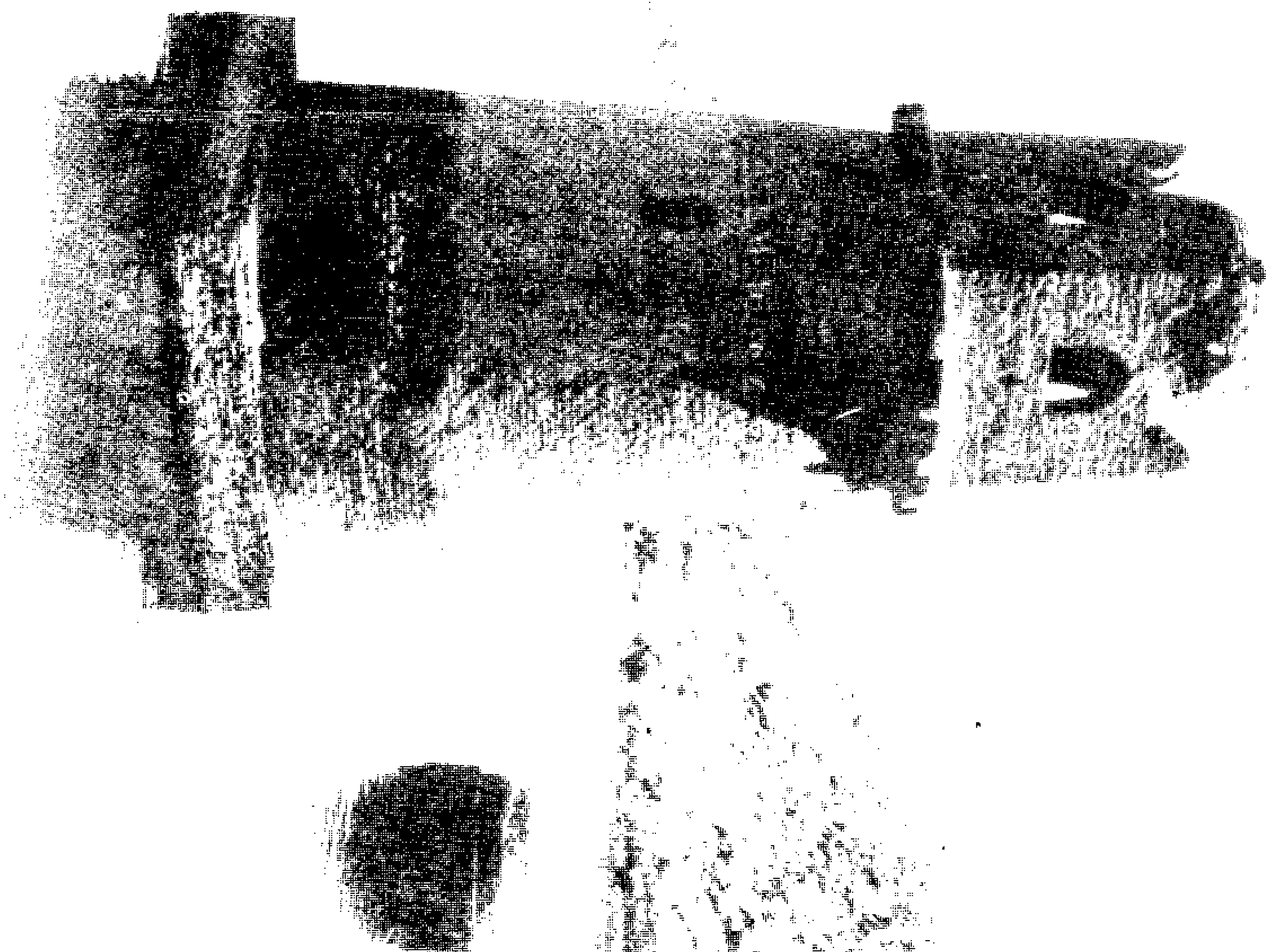


مأذنة جامع الرقّة

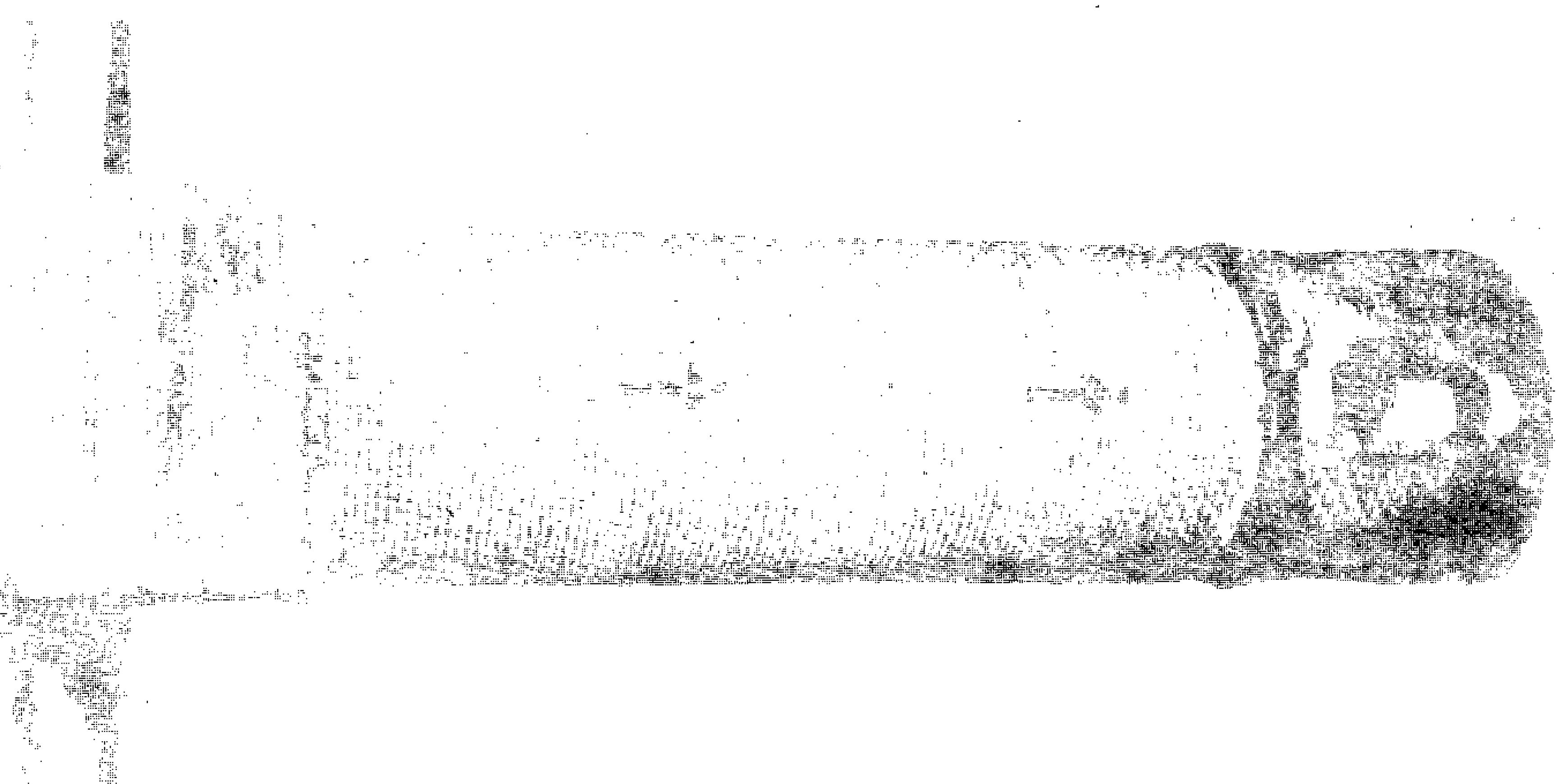


منارة قلعة جعبر

لوحة 3 : المشهد البحري بأسوان ومنارة أبي هريرة



منارة المشهد البحري



منارة أبي هريرة

لوحة 4 : درنة (سيدي مشرق)



1 - مدخل القصر



2 - بقايا المصرف الفرنسي

لوحة 5 : درنة (سيدي مشرق)



القصر : برج



القصر : الواجهة الغربية

لوحة 6 : برج قلبية



منظر عام



السور الخارجي

لوحة 7 : برج قلبية



المدخل الحالي



برج

لوحة 8 : برج قلبيية



برج



المدخل القديم

لوحة 9 : الهوارية وقصر الزيت



الهوارية : سيدي بو الرباط



بقايا قصر الزيت

لوحة 10 : سيدي داود



أثار نوبة



بقايا الميناء



بقايا دار الصناعة

لوحة 11 : النوبة (سيدي داود)



مصيدة



مصيدة

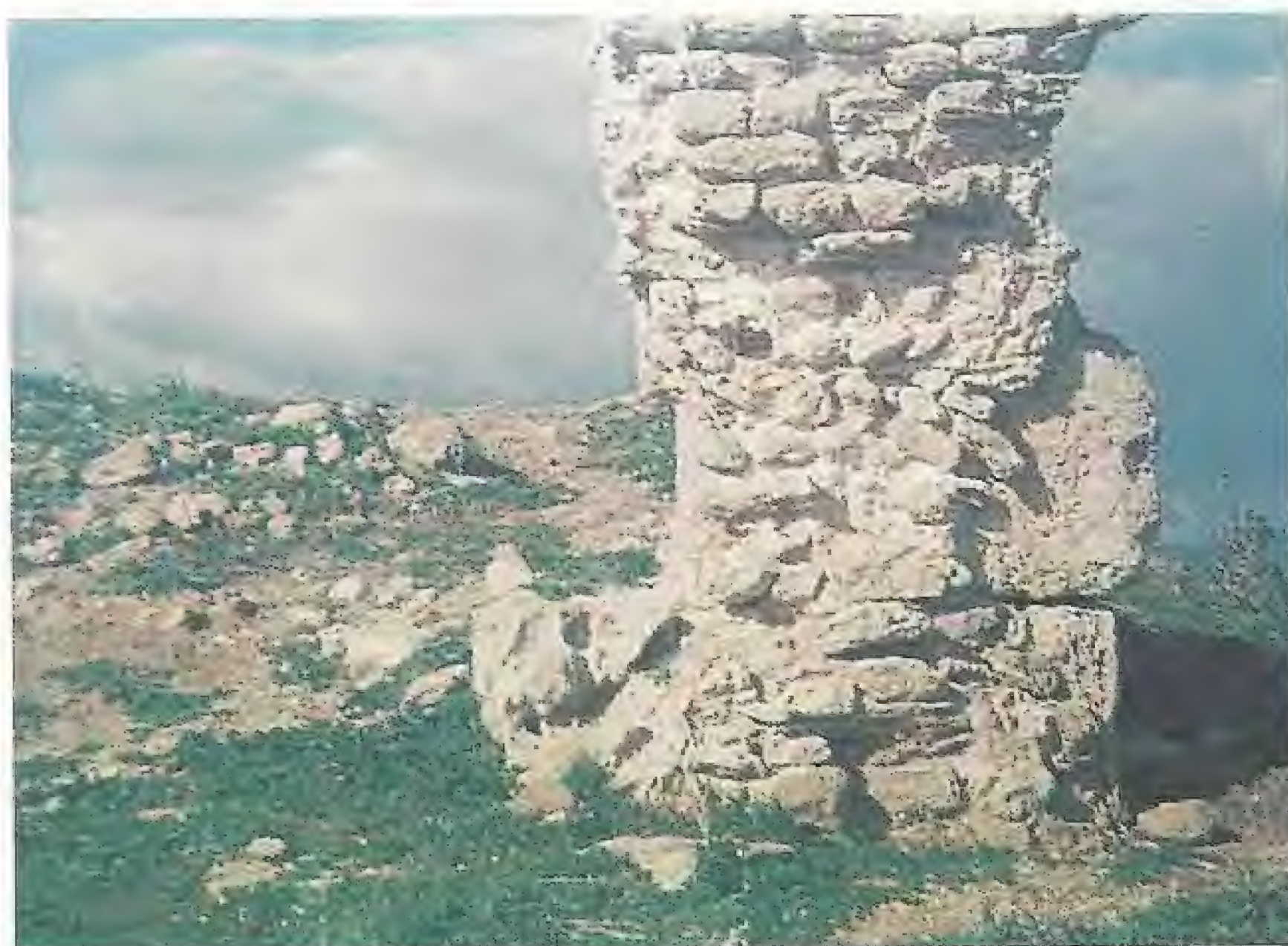
لوحة 12 : قصر لبننة وقصر سعد



قصر لبننة : منظر عام



قصر لبننة : قبو



قصر سعد : برج

لوحة 12 ب : قصر سعد



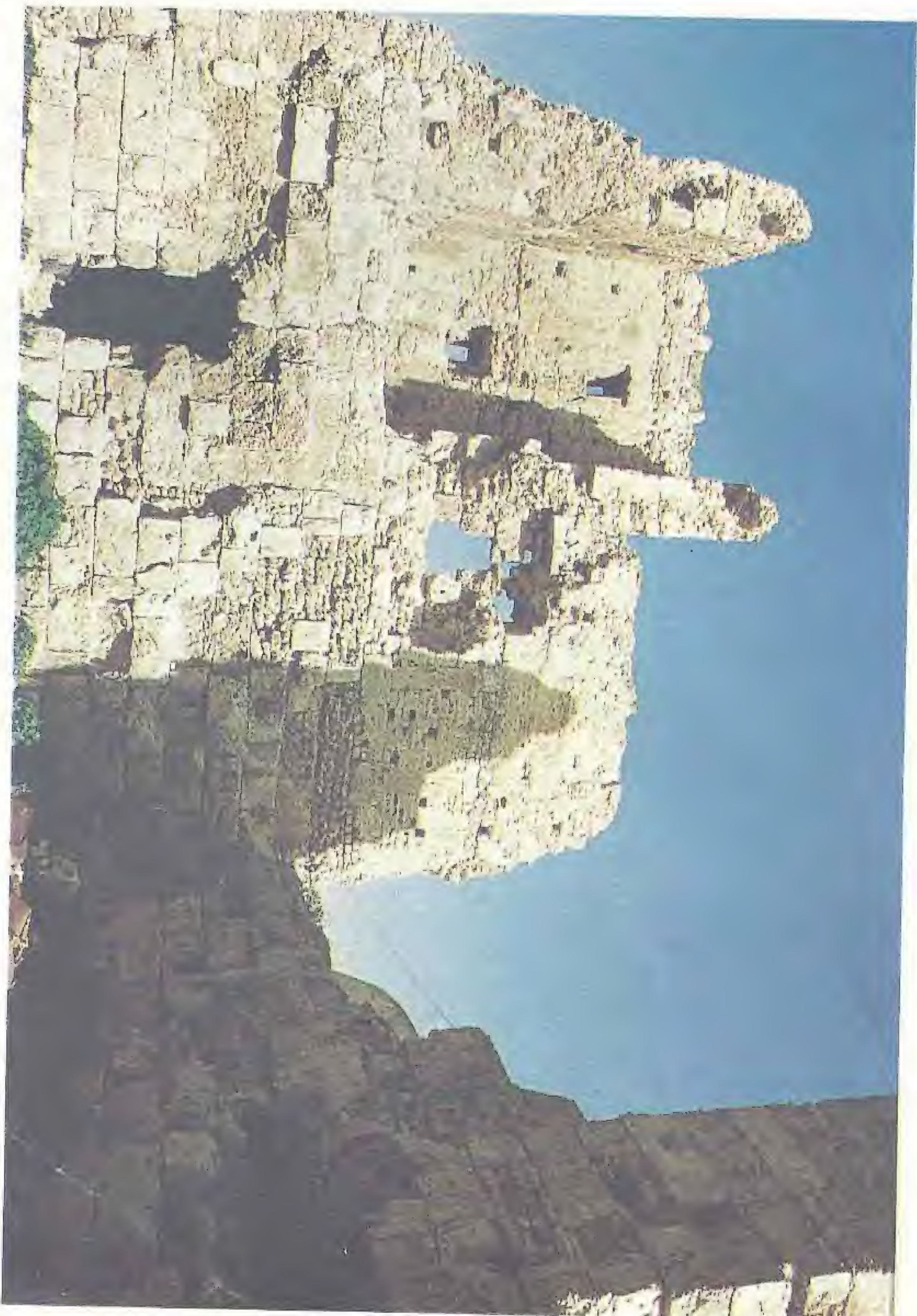
منظر عام

لوحة 12 ت : قصر سعد



خرائب الرّباط

لوحة 12 ج : القصر شيني



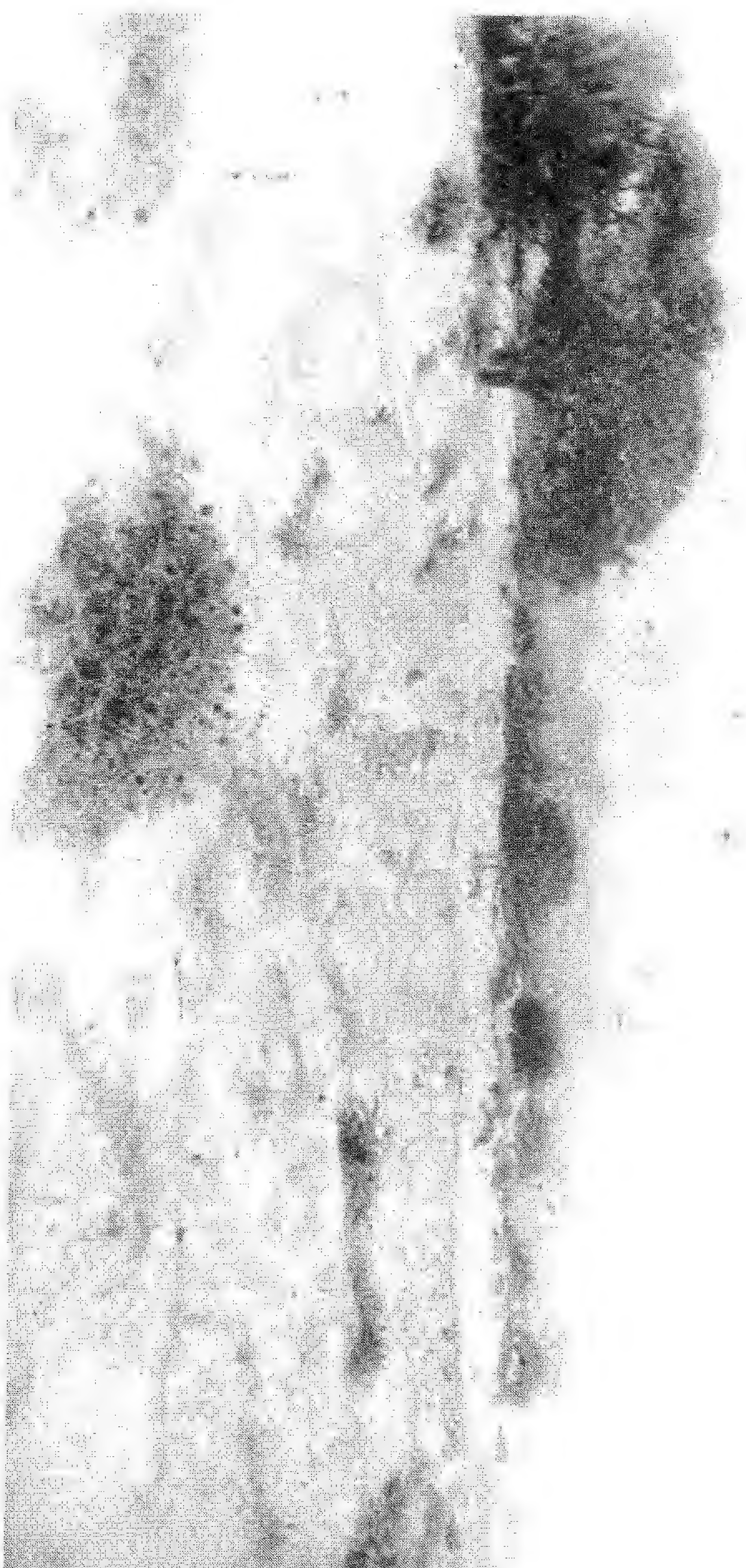
قلعة بيزنطية أعيد استعمالها في العصر الوسيط

لوحة 12 د : سليمان



قلعة سيدي الجهمي (ق 18 - 19 م)

لوحة 13 : قصر الحمامات

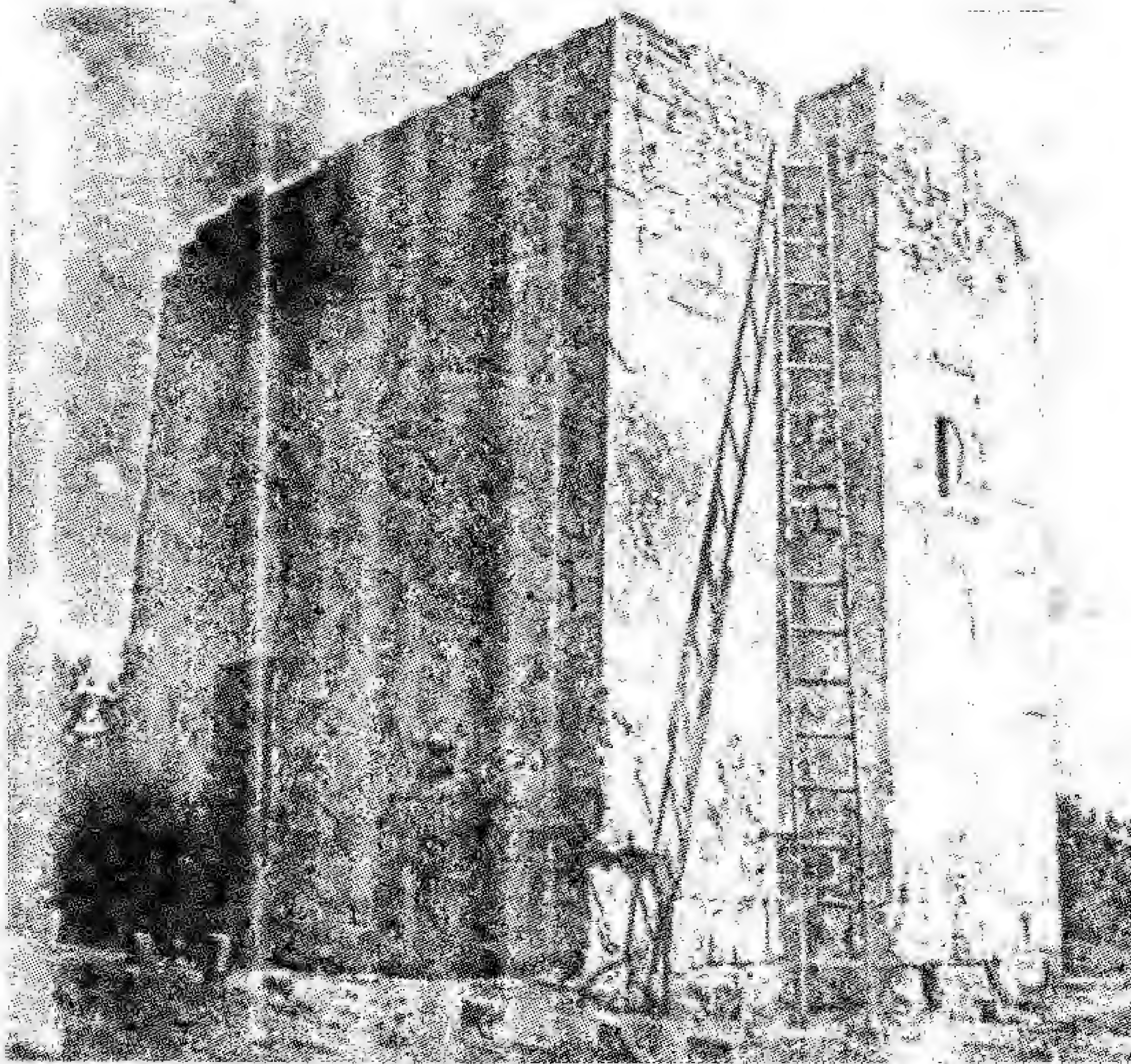


المصدر : المتحف الوطني بباردو

لوحة 14 : الحمامات وسيدي هلال



الحمامات في منتصف القرن



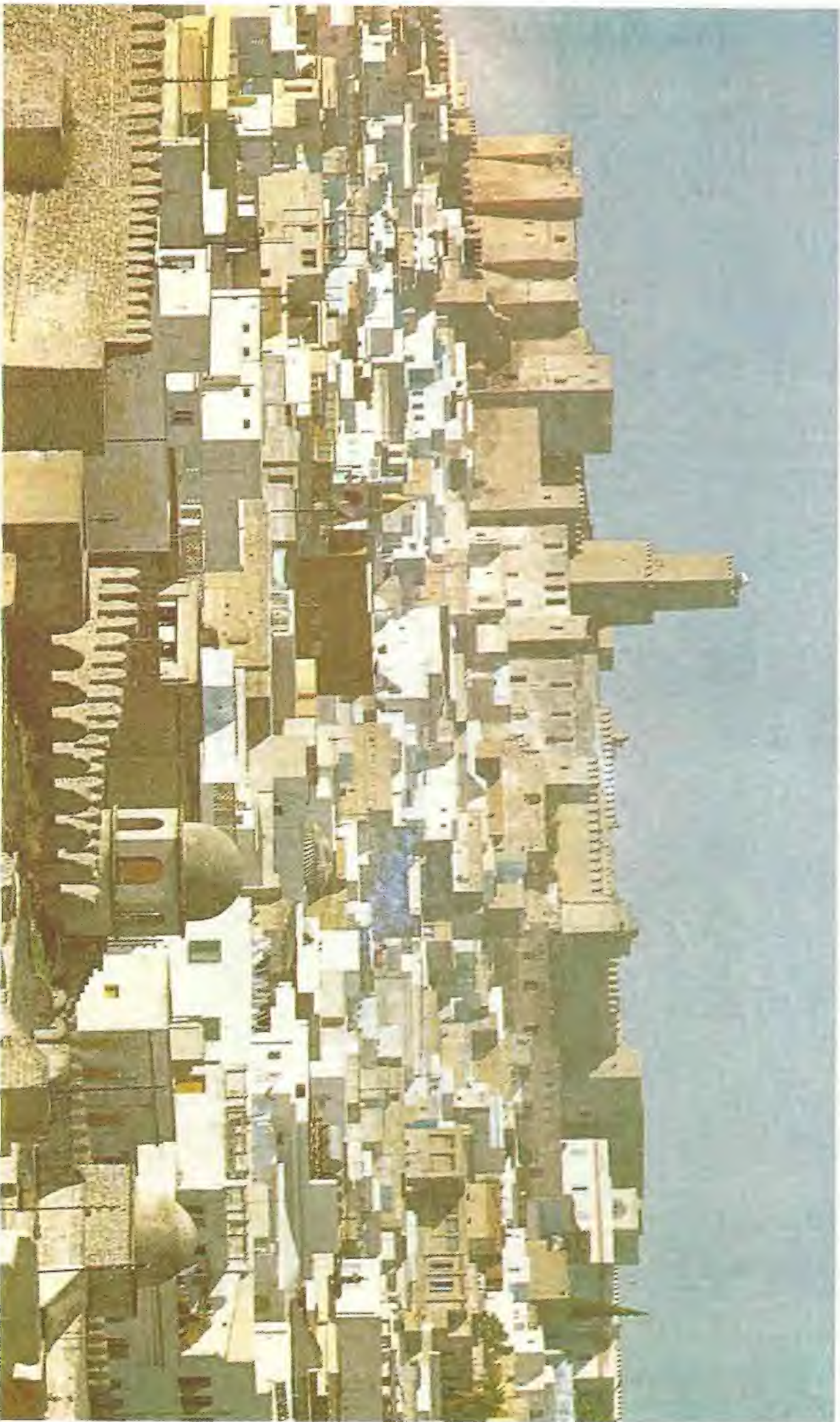
سيدي هلال

لوحة 15 : قصر المنار (بوفيشة)



البرج في القرن 19 م هـ - صلدان

لوحة 16 : مدينة سوسة : منظر عام



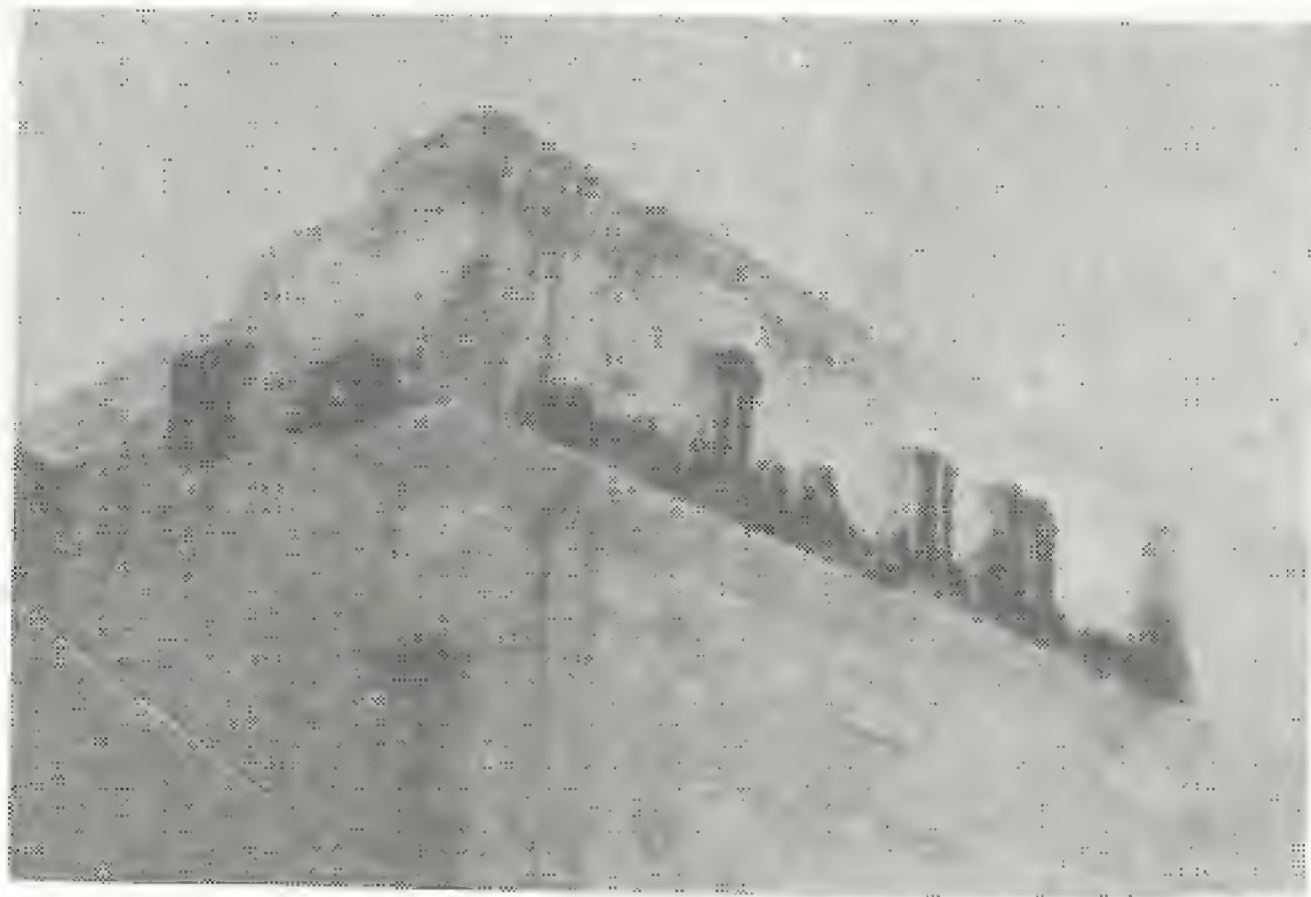
لوحة 17 : سوسة



الجامع المحسن



واجهة الجامع



نقيشة السور

لوحة 18 : سور سوسة



المصدر : المحف الوطني بباردو

لوحة 19 : سور سوسة



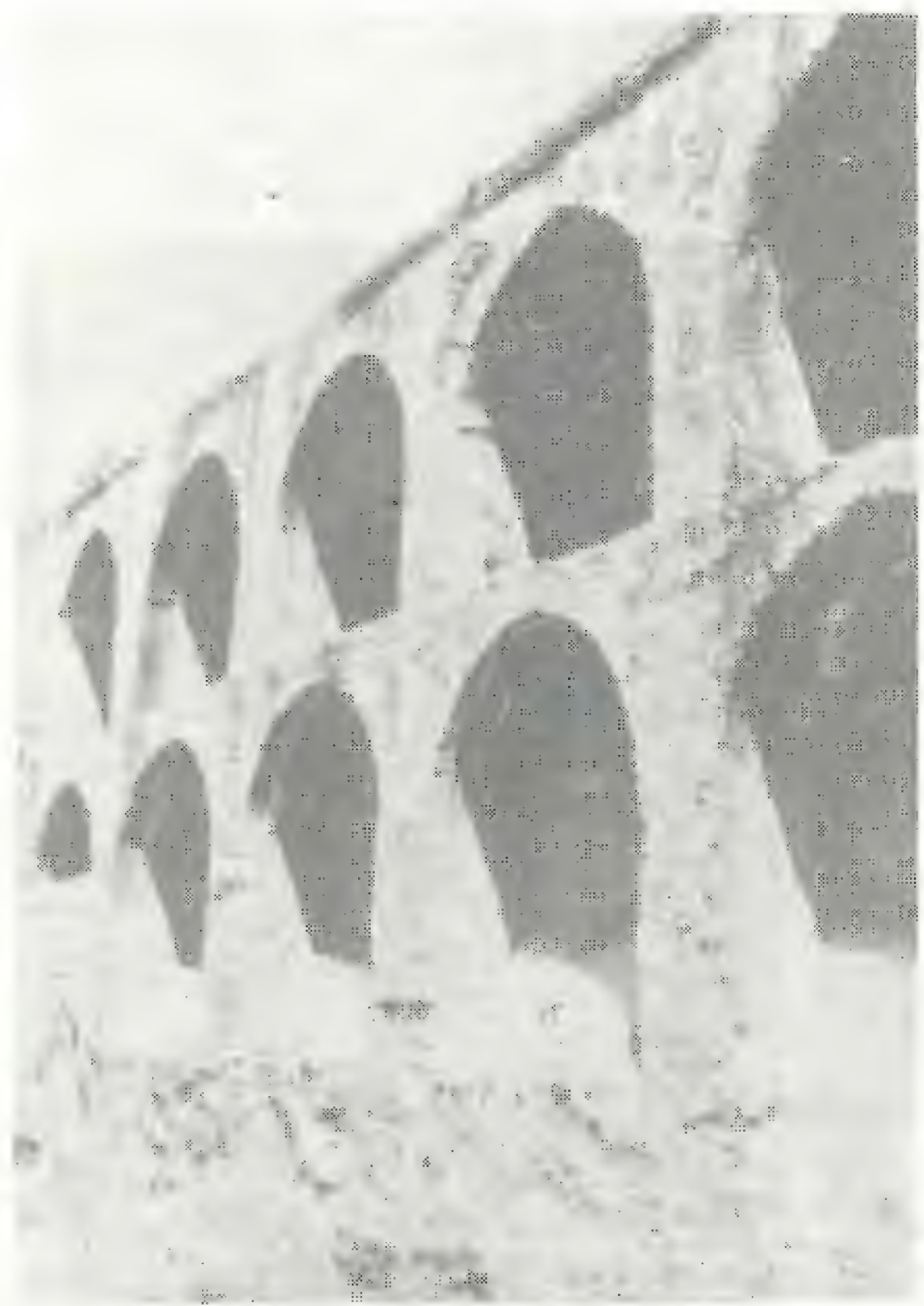
المصدر : الوكالة القومية لإحياء التراث

الواجهة الشمالية

لوحة 20 : سور سوسة



منار خلف

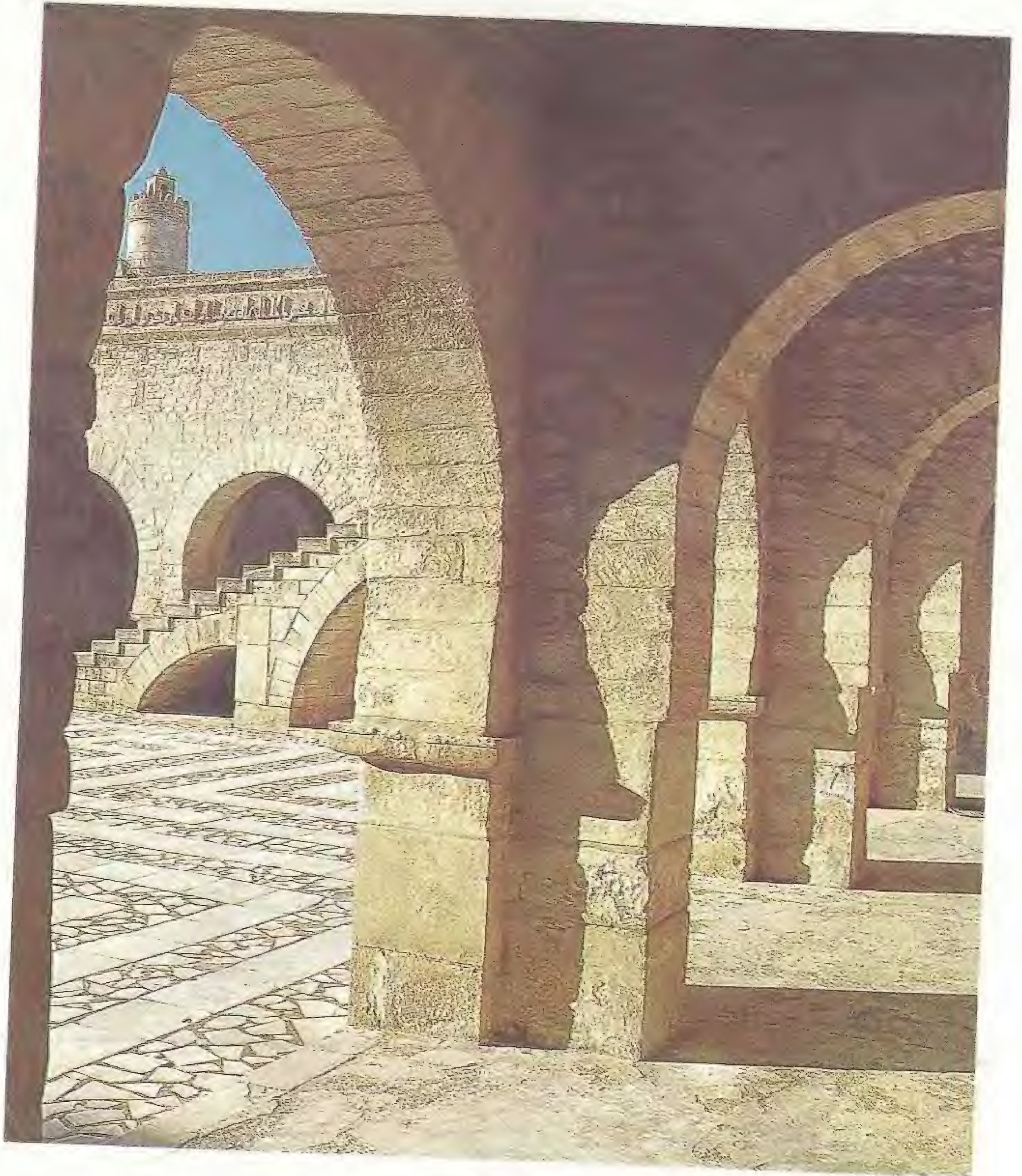


منظر داخلي



برج الشرش

لوحة 21 : سوسة : المسجد الجامع ومنار الرباط



المصدر : الوكالة القومية لإحياء التراث

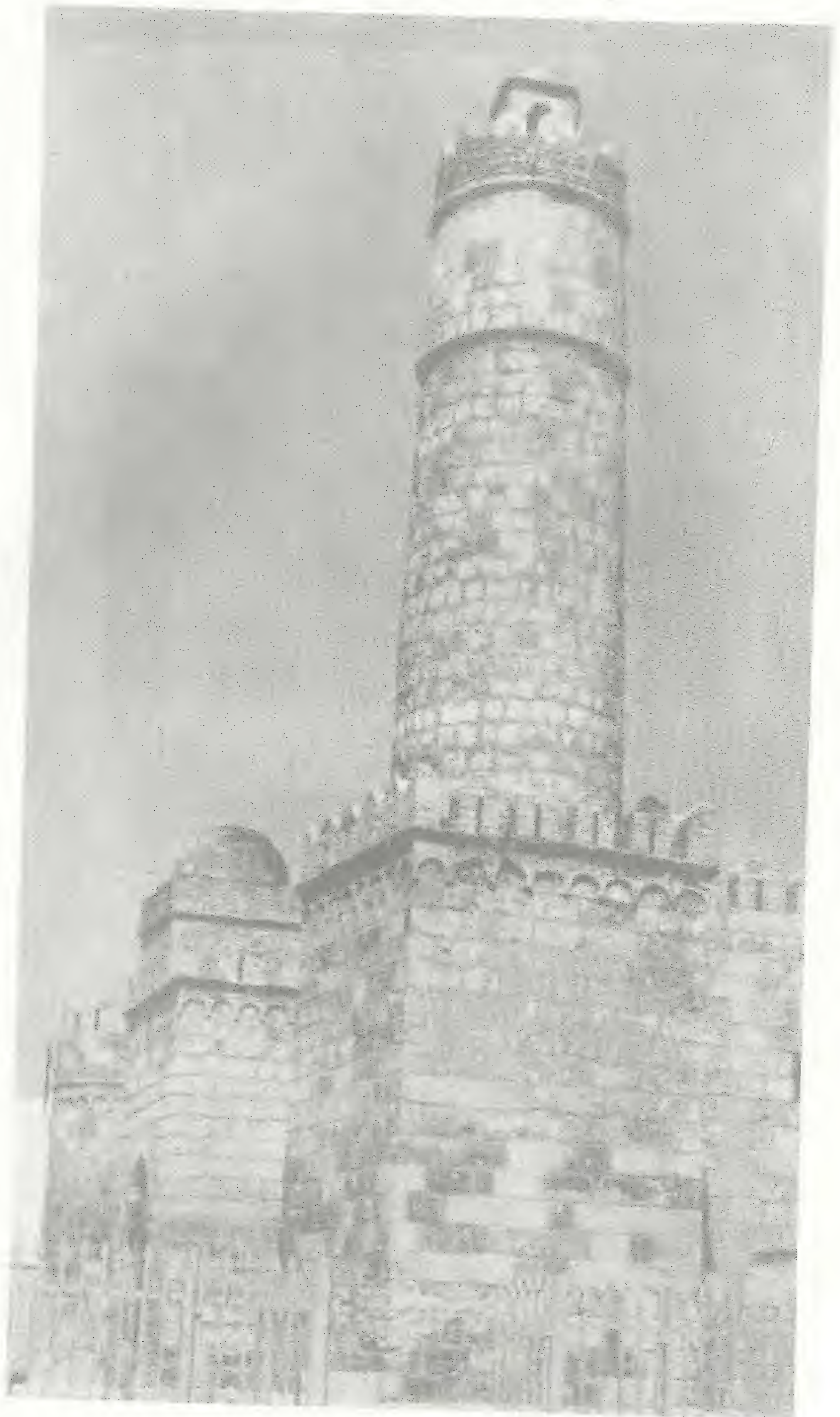
لوحة 22 : رباط سوسة



منظر عام من الداخل

المصدر : الوكالة القومية لإحياء التراث

لوحة 23 : رباط سوسة



المدخل والمنار

لوحة 24 : رباط سوسة

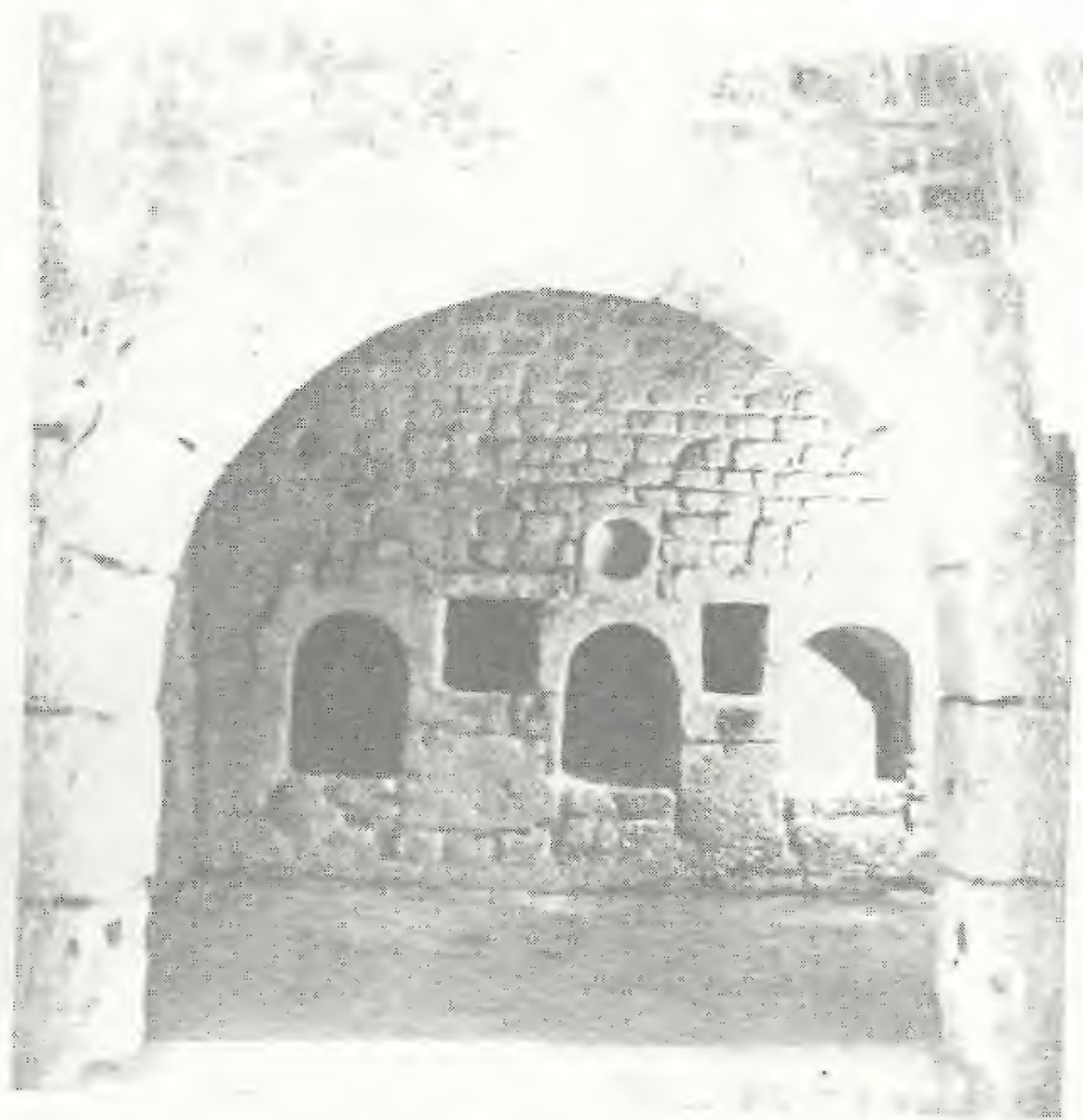


قبة المدخل



مكان اللوحة التذكارية العتيقة

لوحة 25 : رباط سوسة



بيت الحراسة الغربية



الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن

لوحة 26 : رباط سوسة



المدخل : عميدات



السقطة (سقطة المدخل)

لوحة 27 : رباط سوسة

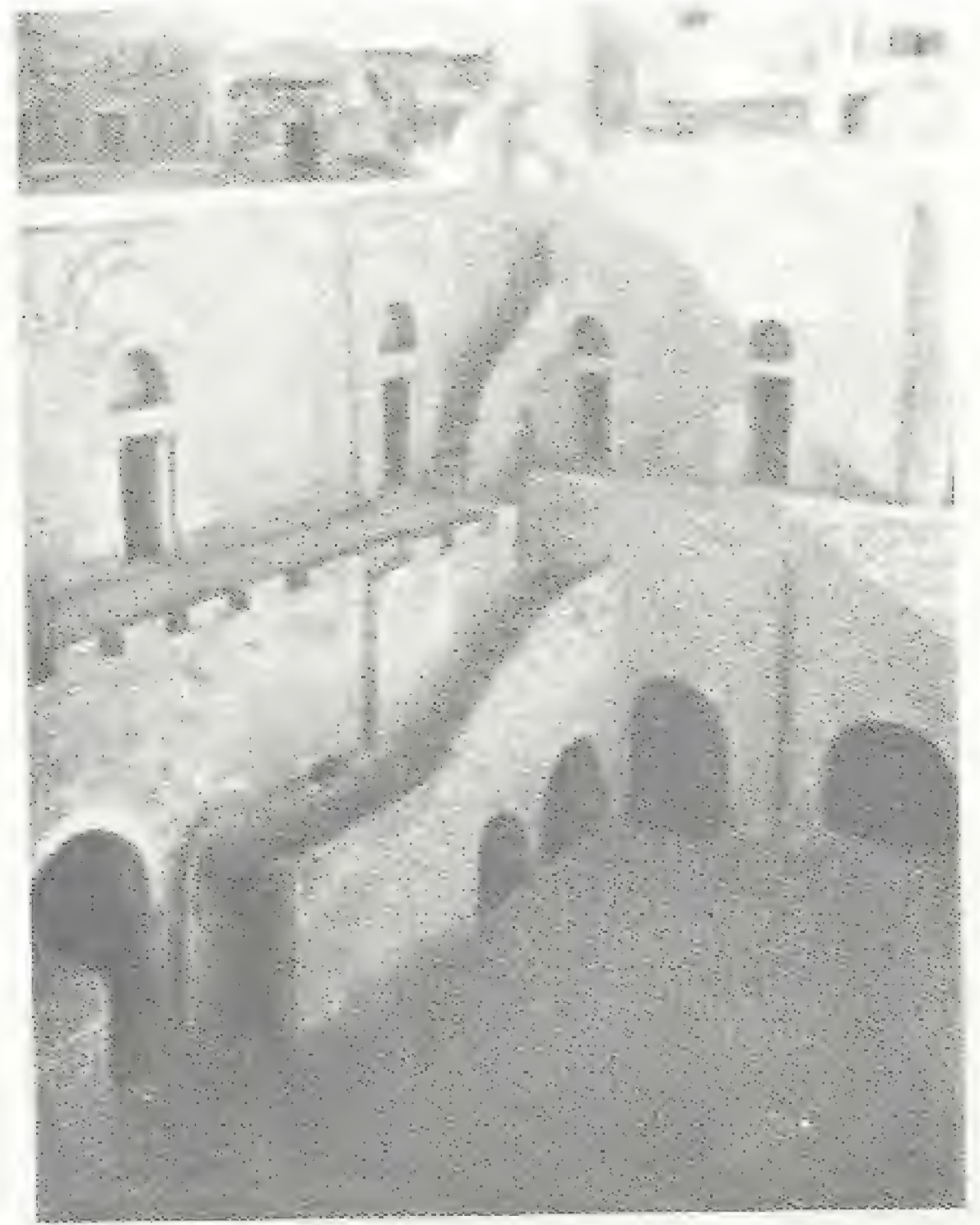


الرواق الشمالي

لوحة 28 : رباط سوسة



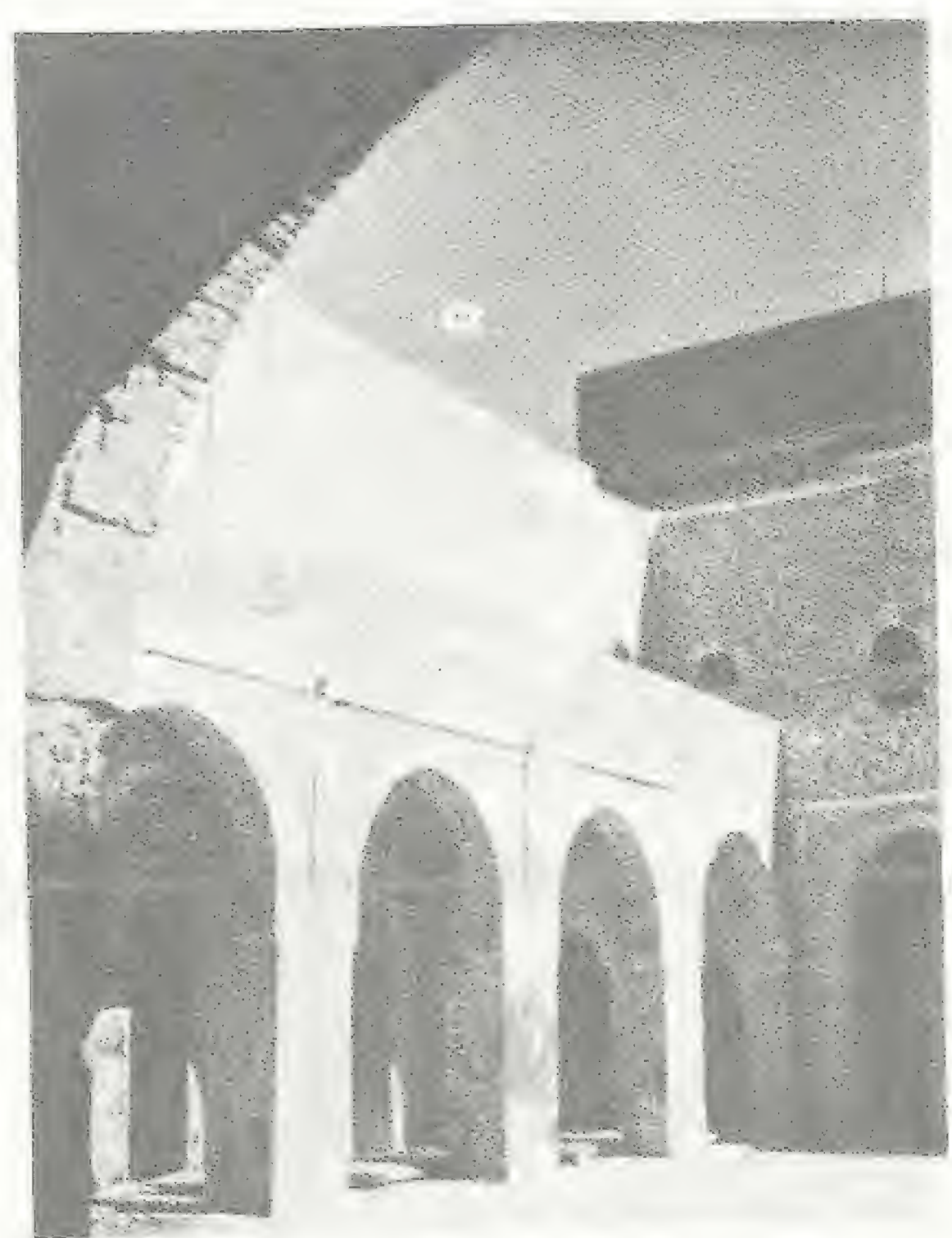
الرواق الغربي



الصحن - الزاوية الغربية -

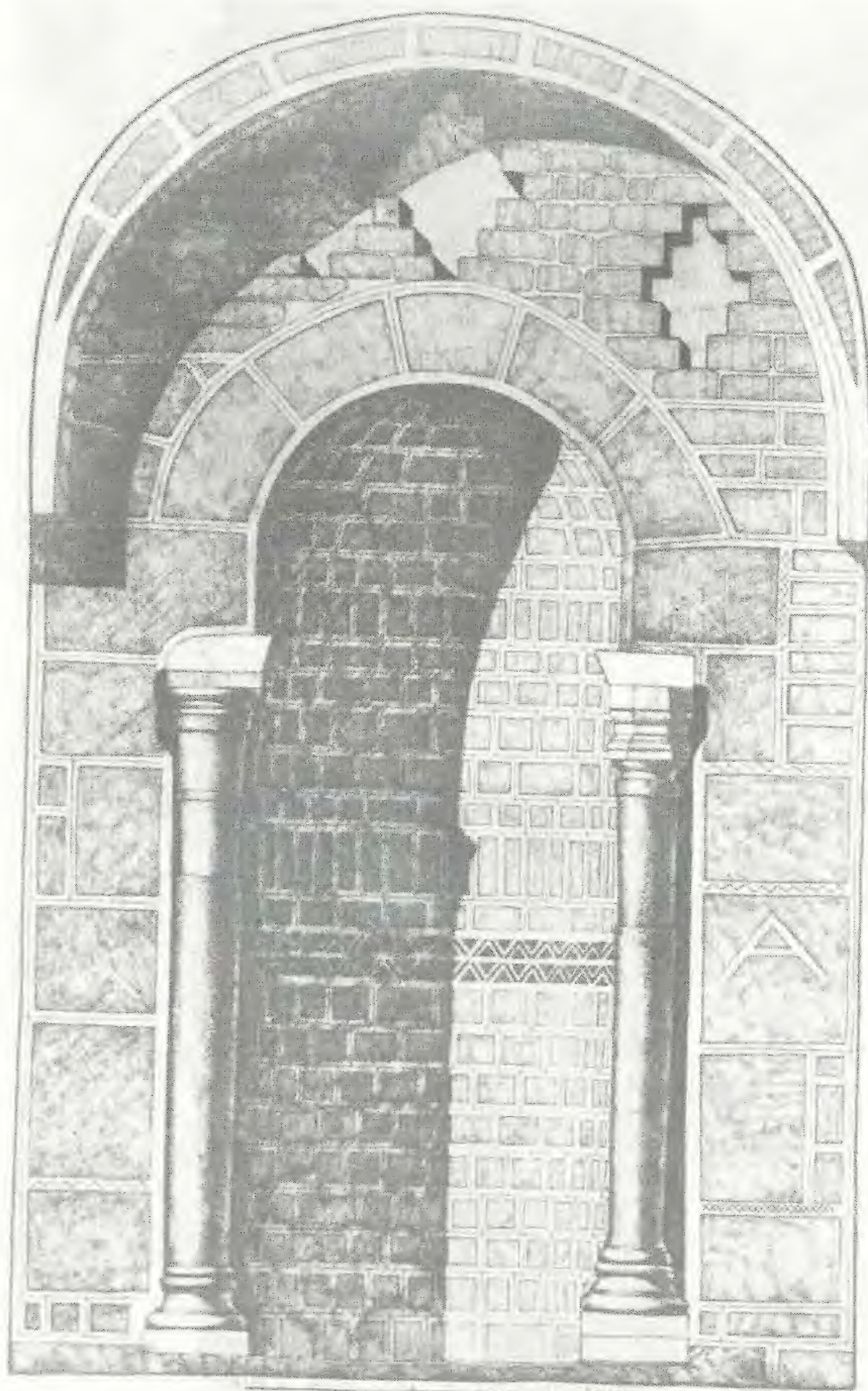


المدخل : عمود قديم



الرواق الشمالي

لوحة 29 : رباط سوسة

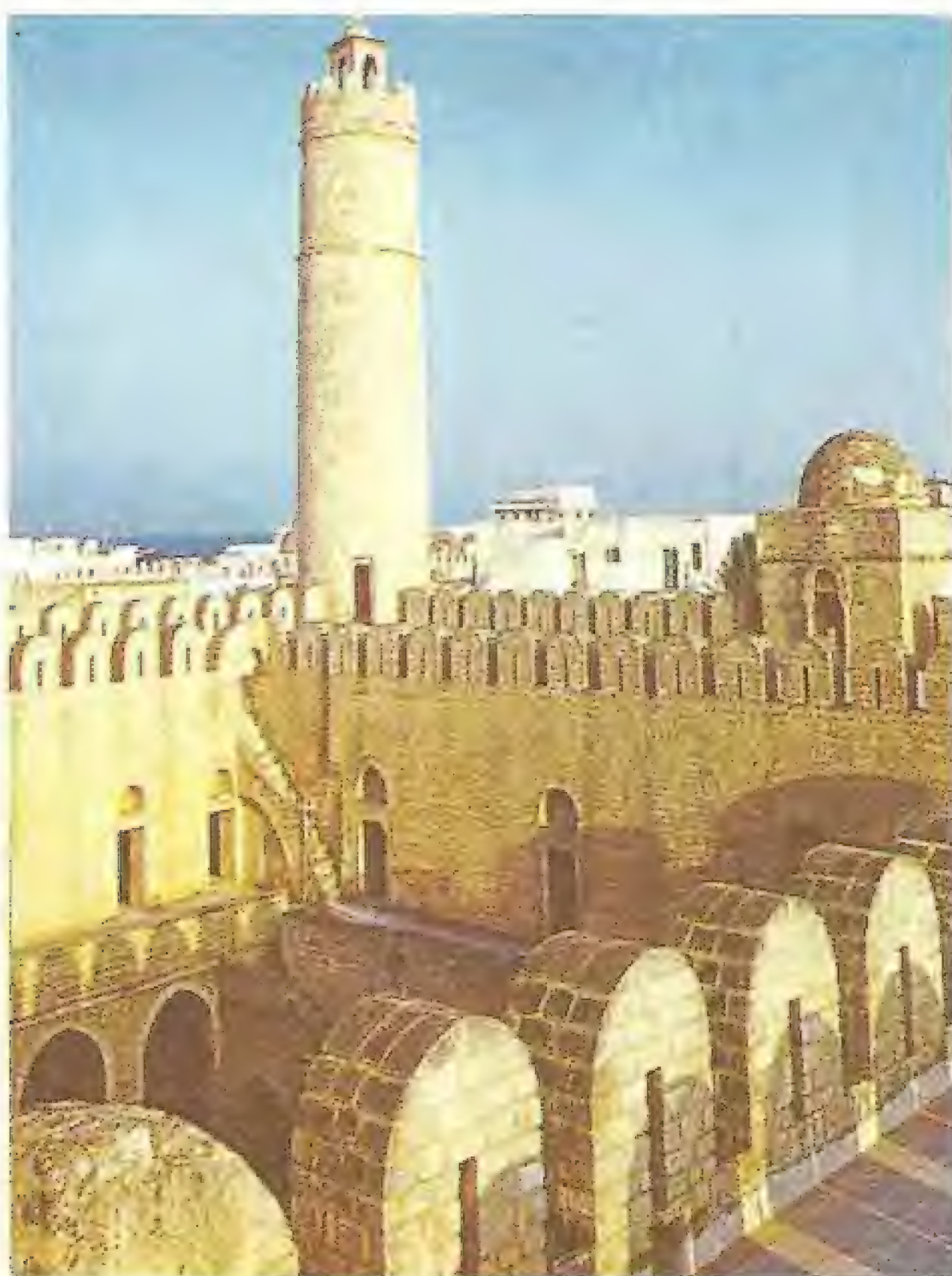


المحراب

لوحة 30 : رباط سوسة



المدخل



الشرفات

لوحة 30 ب : سوسة



المسجد الجامع : برج



الرباط : برج

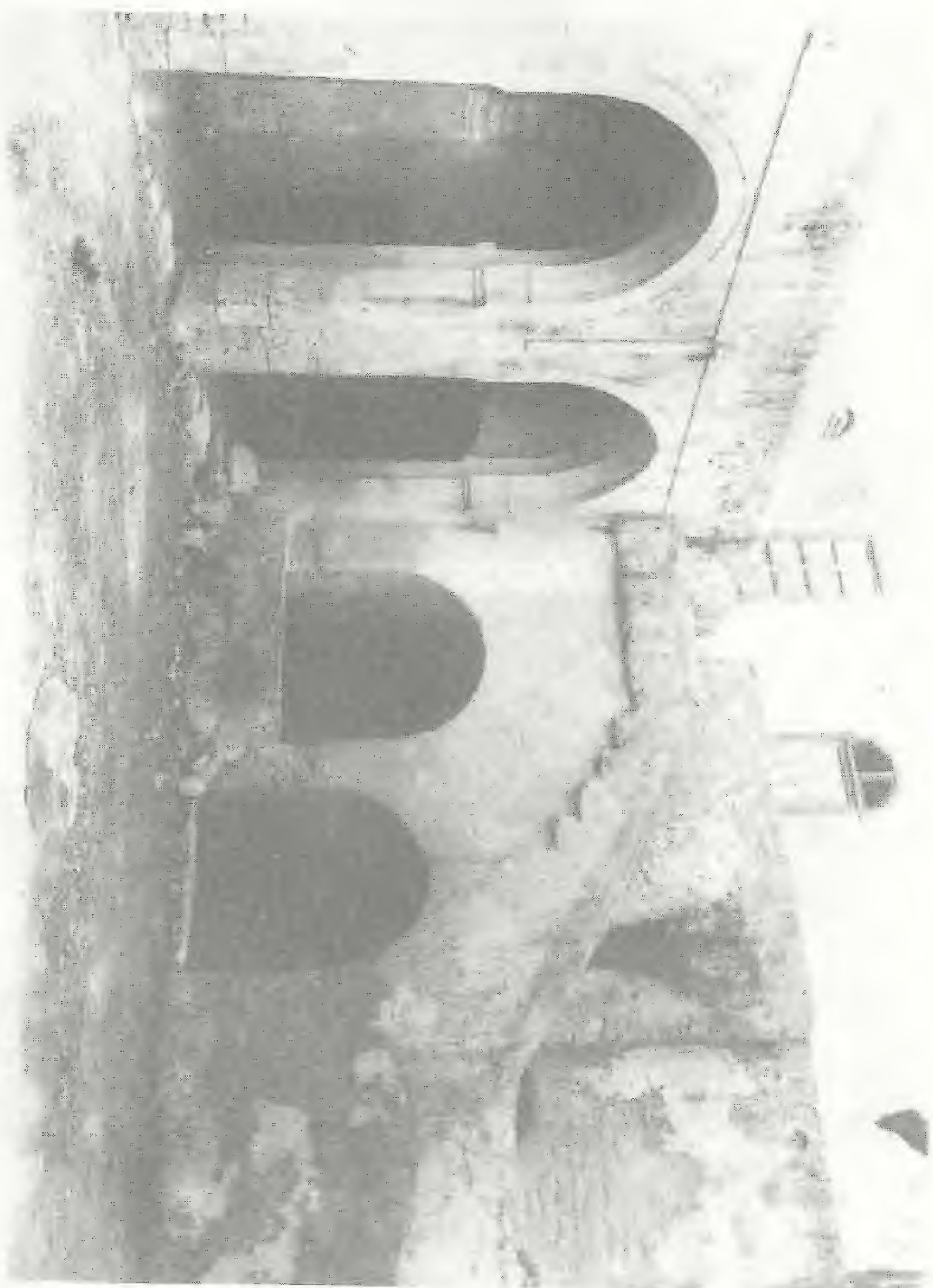
لوحة 31 : رباط سوسة



برج قبل ترميمات ليزين

المصدر : المتحف الوطني بباردو

لوحة 32 : رباط سوسة



المصدر : المتحف الوطني بباردو

المدارج والرواق قبل الترميمات الحديثة

لوحة 33 : قصر الطوب



ضريح سيدي عبد الحميد



ضريح سيدي عبد الحميد : منظر داخلي



القصة وخرائب " رباط السيدة "



رباط السيدة : منظر داخلي

لوحة 34 ب : المنستير ، "رباط السيدة "

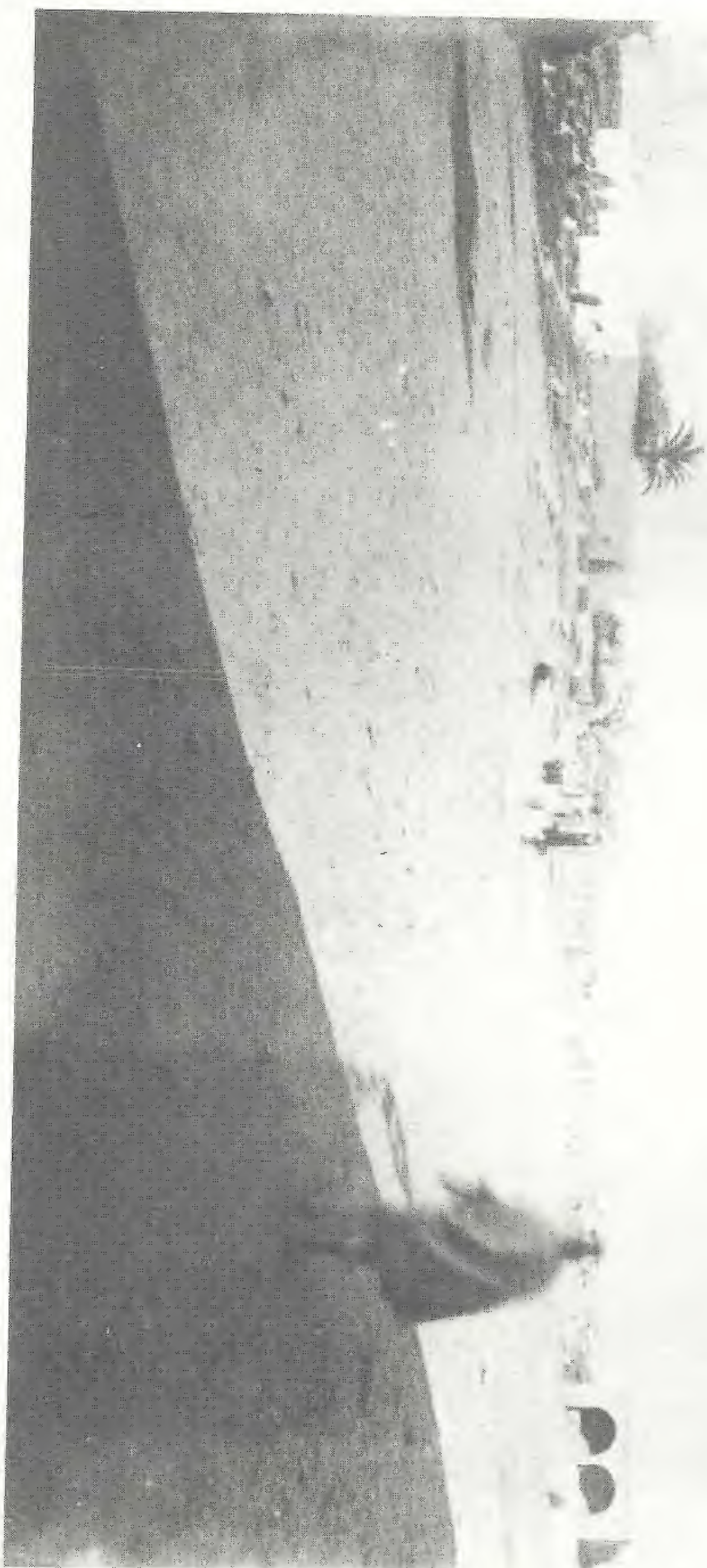


خرائب " رباط السيدة " والسور الخارجي
(في أعلى الصورة) لرباط سيدي ذويب



مسجد " رباط " السيدة

لوحة 35 : المنستير : مقبرة الرباط



المصدر : المتحف الوطني بباردو

لوحة 36 : رباط المنستير



منظر عام



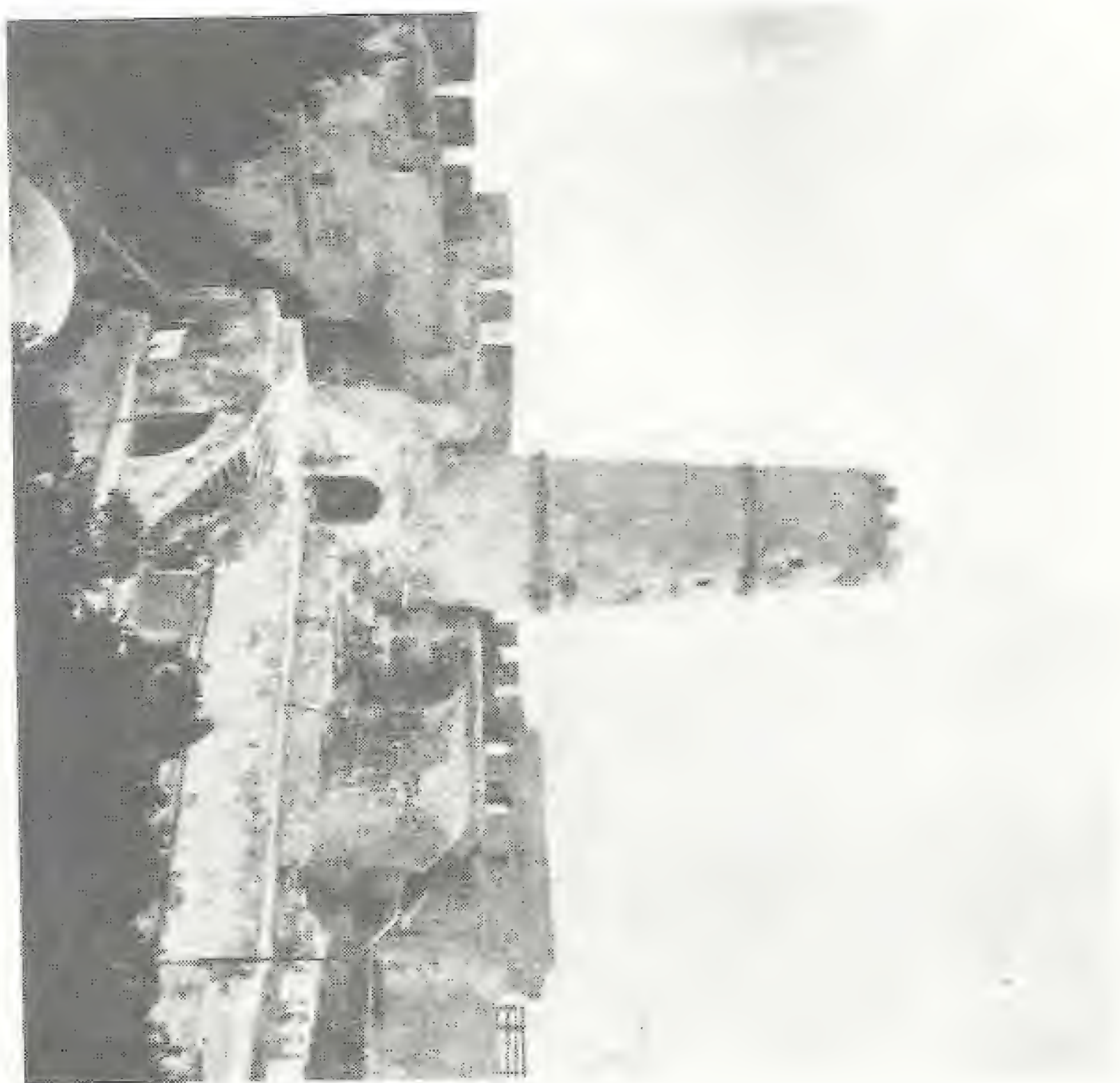
السور الشمالي

لوحة 37 : رباط المنستير

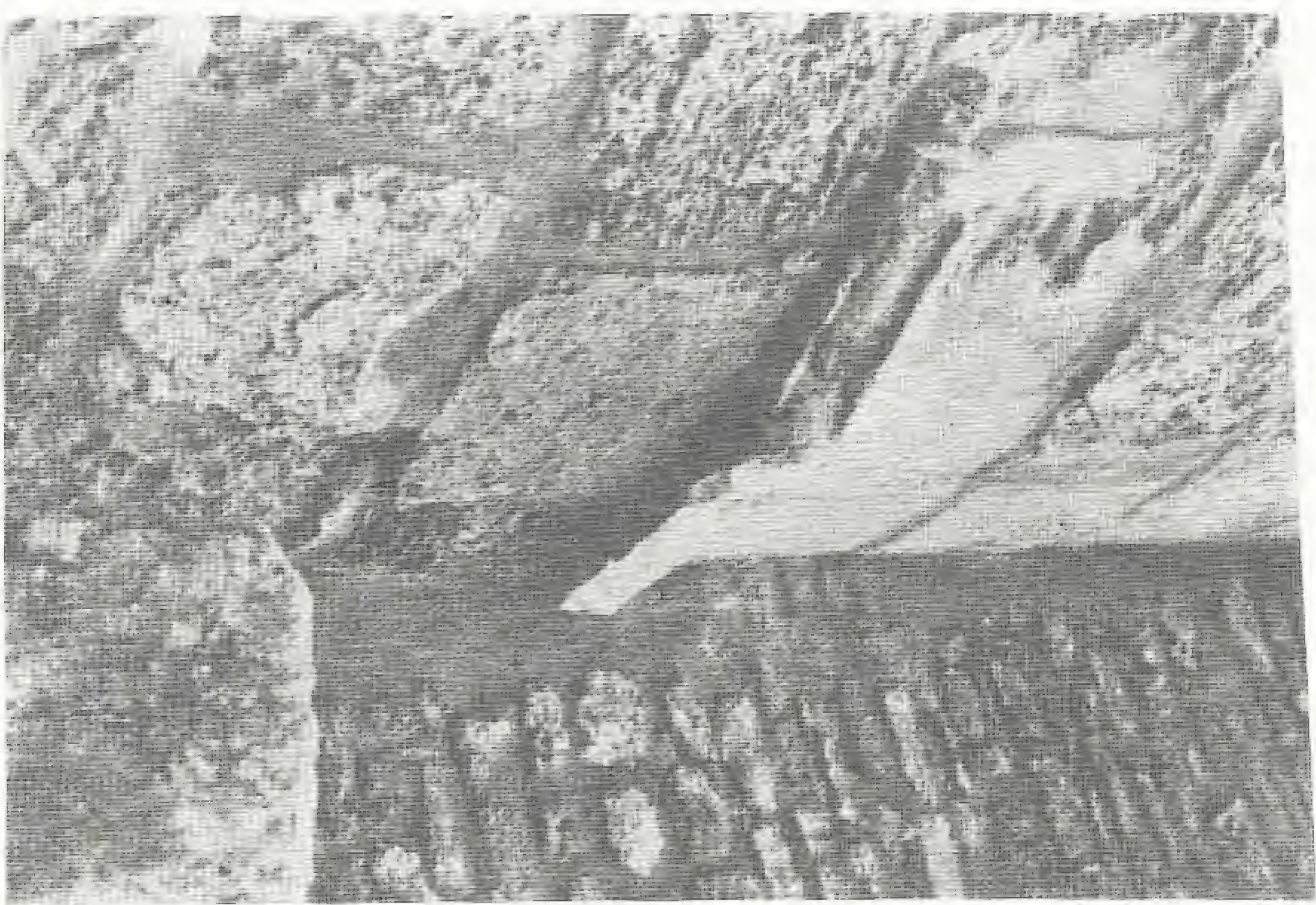


منار هرثمة

لوحة 38 : رباط المنستير



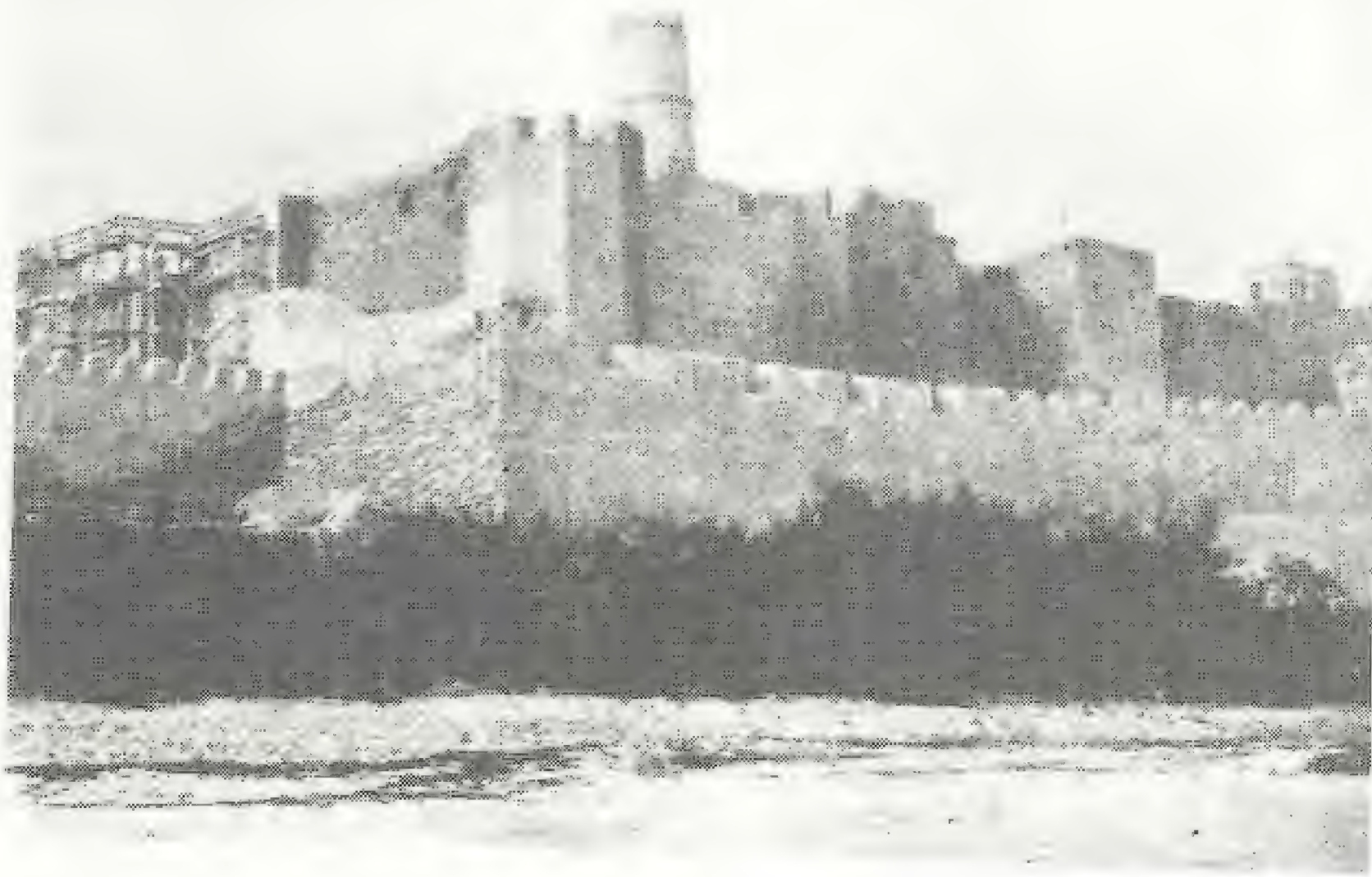
الفناء الكبير والمنار



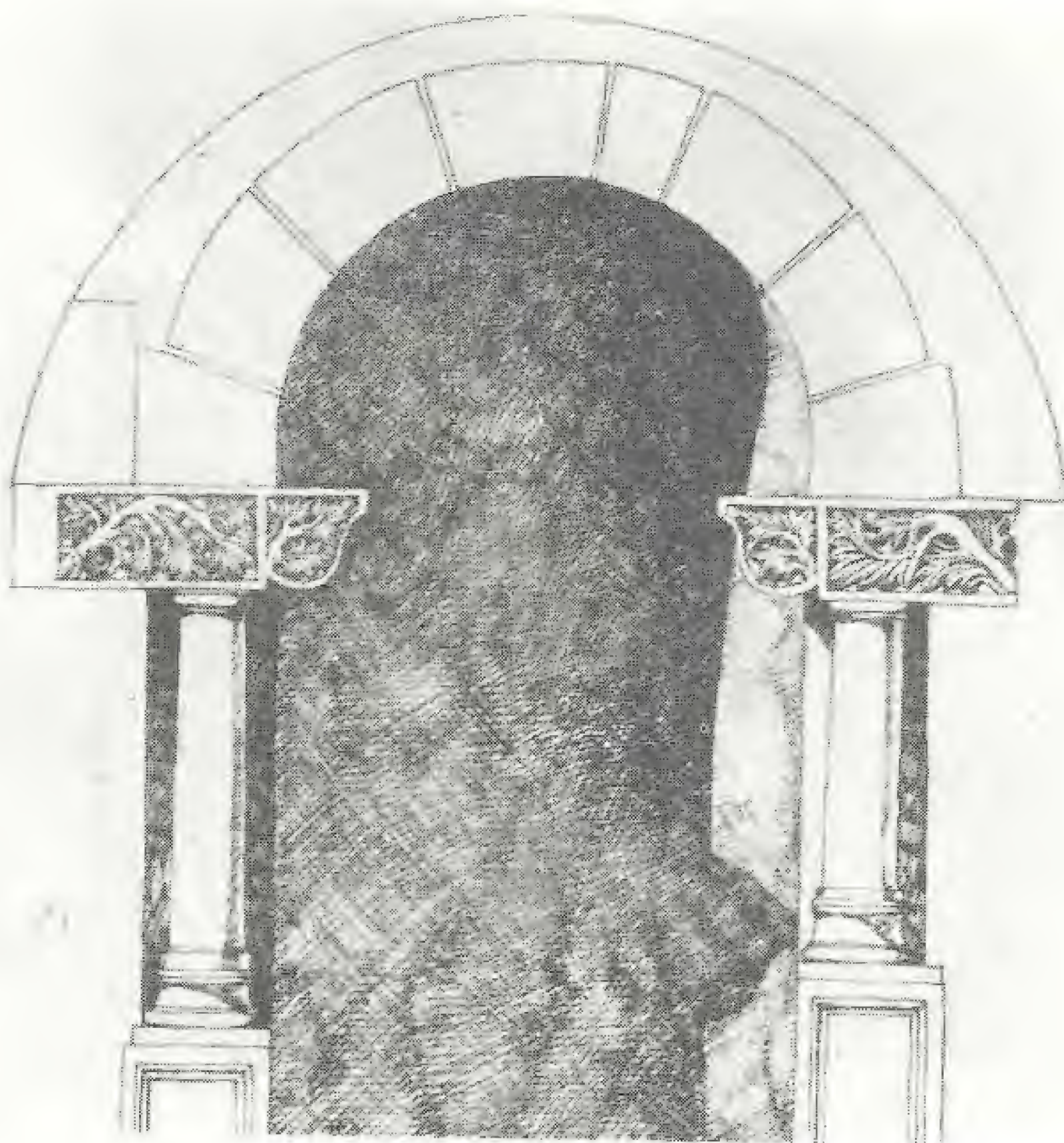
المنار (الإفريز القديم)

2

لوحة 39 : رباط المنستير



السّور الشرقي

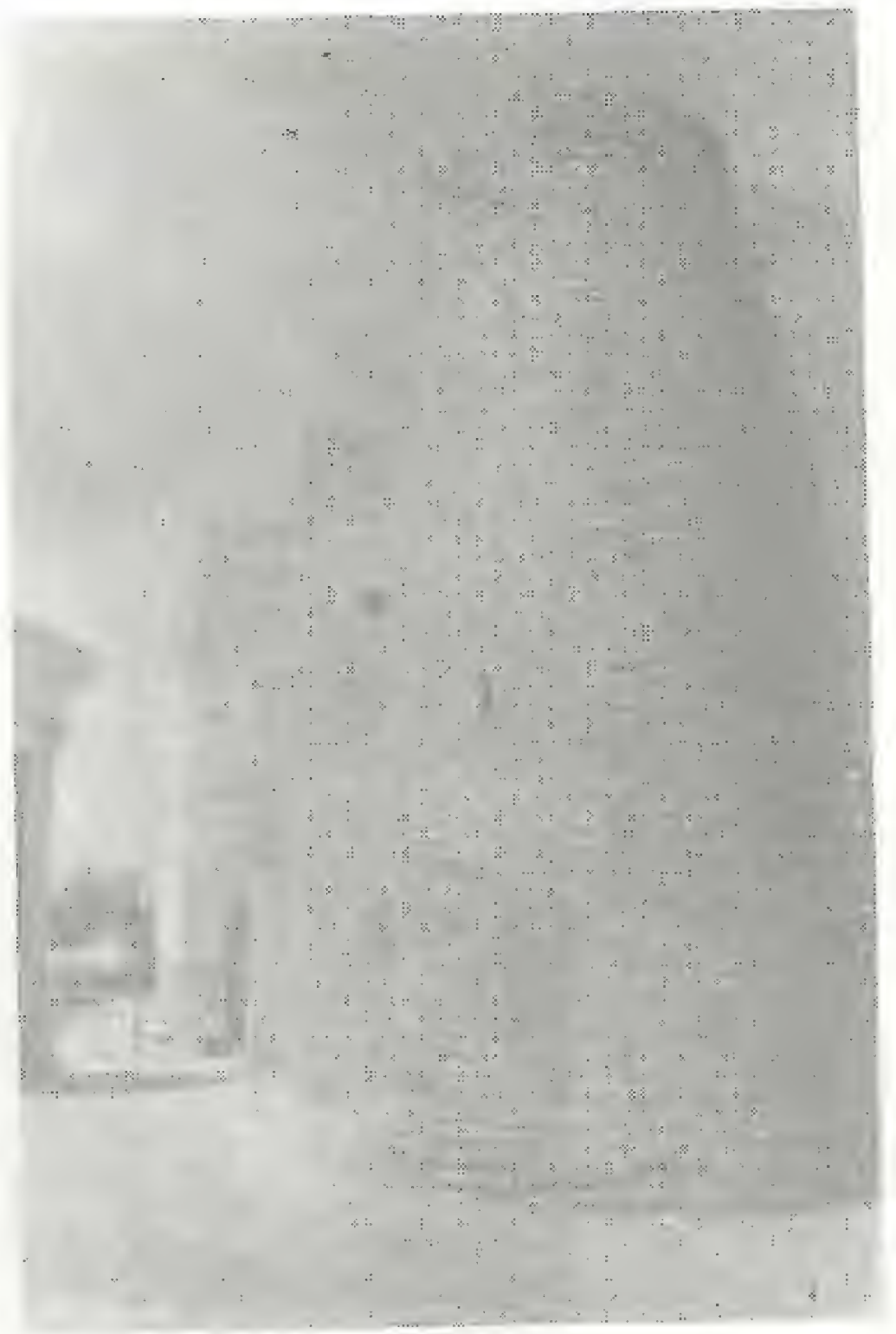


المحراب

لوحة 40 : رباط المنستير



منظر داخلي قبل الترميم

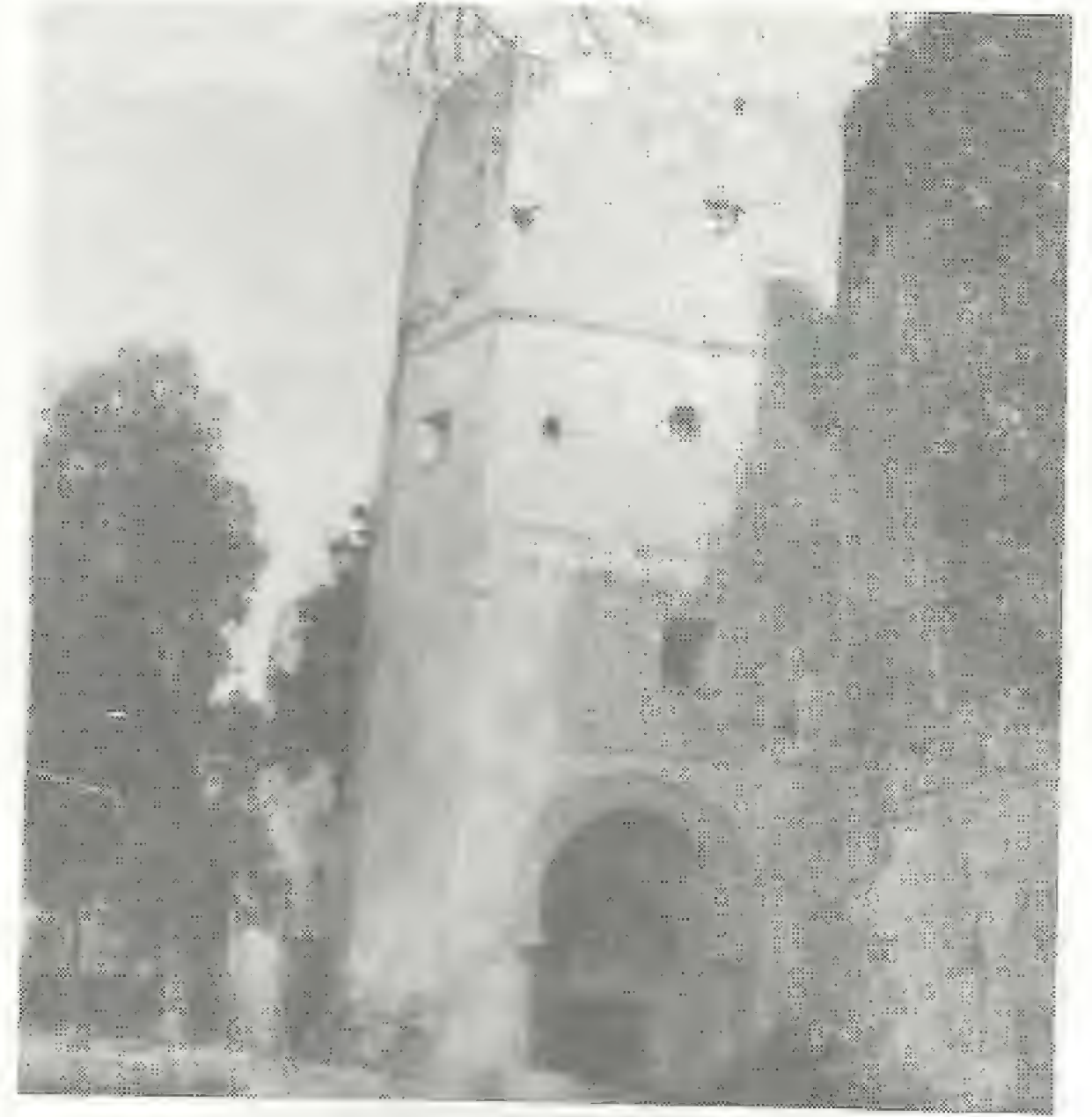


الواجهة



المسجد - الجامع

لوحة 41 : المنستير وخنيس



1 - قصبة المنستير : المدخل الحفصي

2 - قصبة المنستير : (برج من القرن VIII م)



3 - خنيس : بئر ومقام رجال الجرف

لوحة 42 : لطة



واجهة الرباط

لوحة 42 ب : لمطة



منظر داخلي للرباط

لوحة 42 ت : لمطة وقصبة المديوني



رباط لمطة قبل الترميمات الحديثة



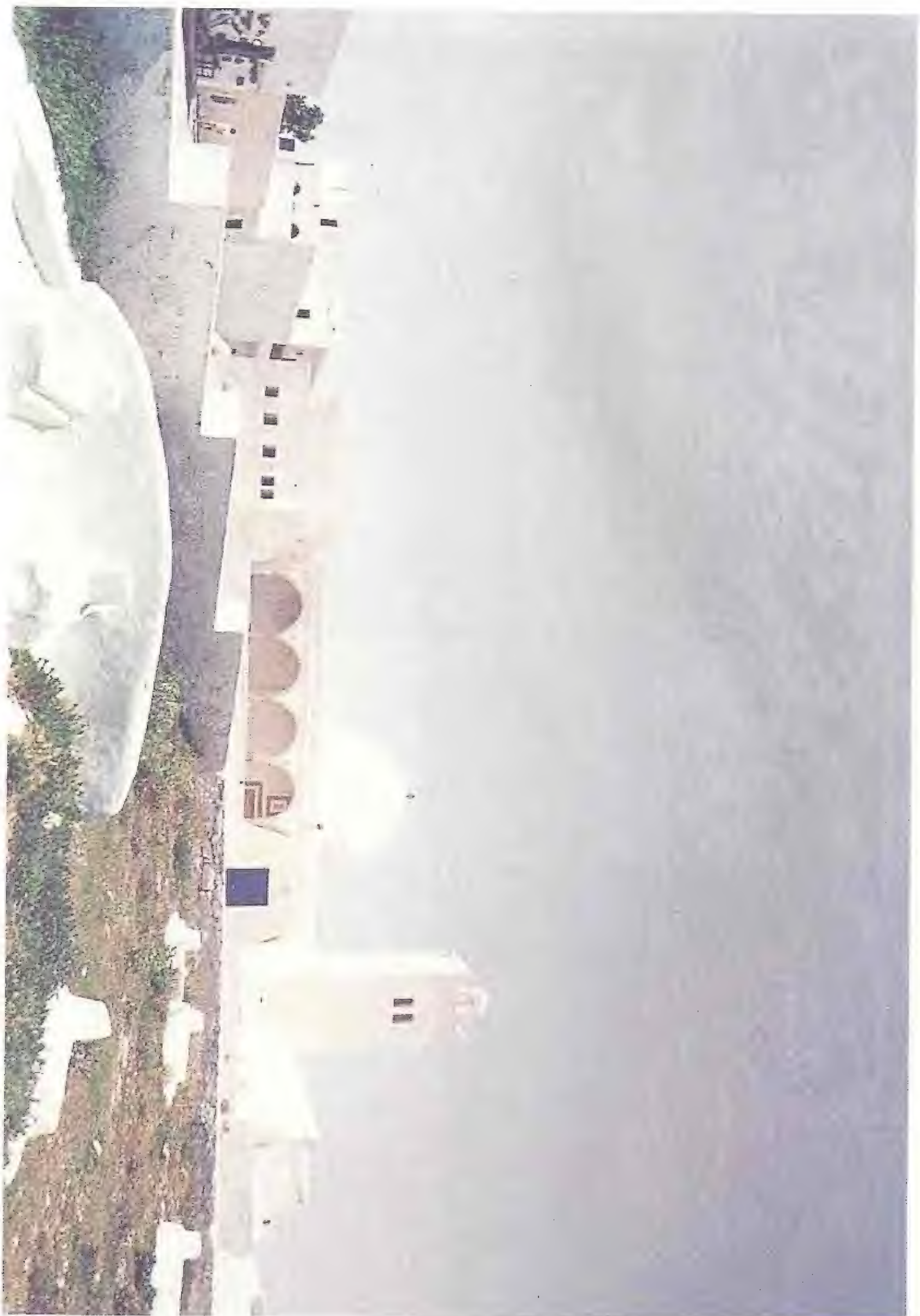
قصبة المديوني : سيدي المراكشي

لوحة 43 : هرقله



منظر عام

لوحة 43 ب : مر قلة



المسجد الحفصي

لوحة 43 ت : قنطرة حلق المنجل



منظر عام



الجدار

لوحة 43 ج : حلق المنجل والقلعة الكبرى



قنطرة حلق المنجل : قبو .



القلعة الكبرى : سقيفة لطيف

لوحة 44 : طبلبة : سيدي عيَّاش



منظر عام



الواجهة

لوحة 44 ب : طبلبة والمهدية

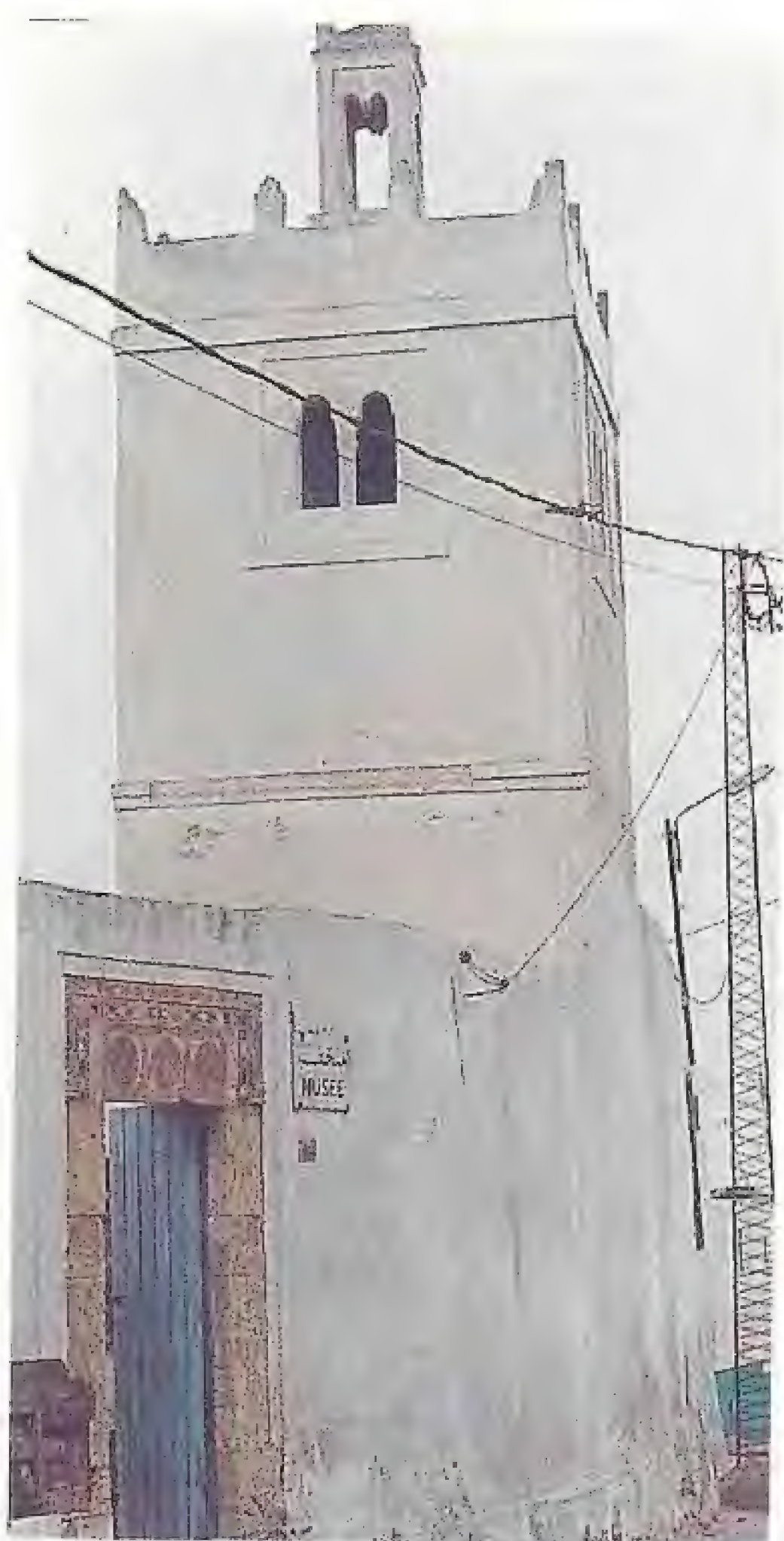


زاوية سيدي عيَّاش



المهدية : تاج بزاوية سيدي الغمام

لوحة 45 : منزل كامل - صيادة - المكنين



منزل كامل " الصاباط

المكنين : الجامع الحفصي



غار صيادة

7

لوحة 46 : الكنائس والمصدور



فسقية أغلبية بالكنائس



تيجان أغلبية بسيدي المايل
(المصدور)



بقايا قصر الكنائس

لوحة 47 : الكنائس ورجيش



بقايا قصر الكنائس



رجيش : حوض من العصر الوسيط

لوحة 48 : جمال



محراب الجامع الكبير

نقيشة حفصية (الجامع الكبير)



منارة جامع المراكشية

لوحة 49 : مسجد عيسى وتبصة



مسجد عيسى : ضريح عيسى بن مسكين



سقالة تبصة

لوحة 50 : الشابة



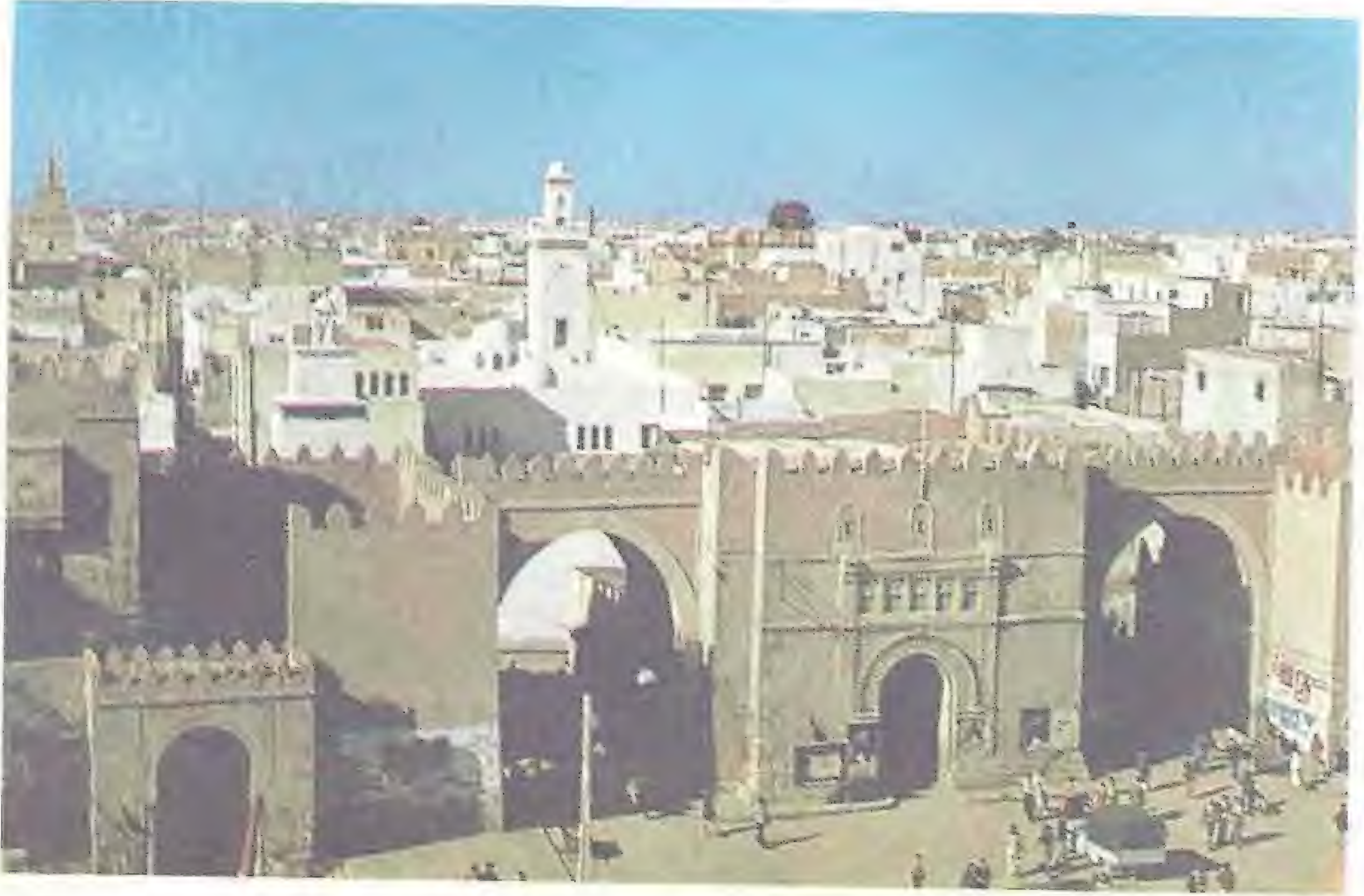
المقام - الحصن : ضريح سيدي عبد الله المراكشي



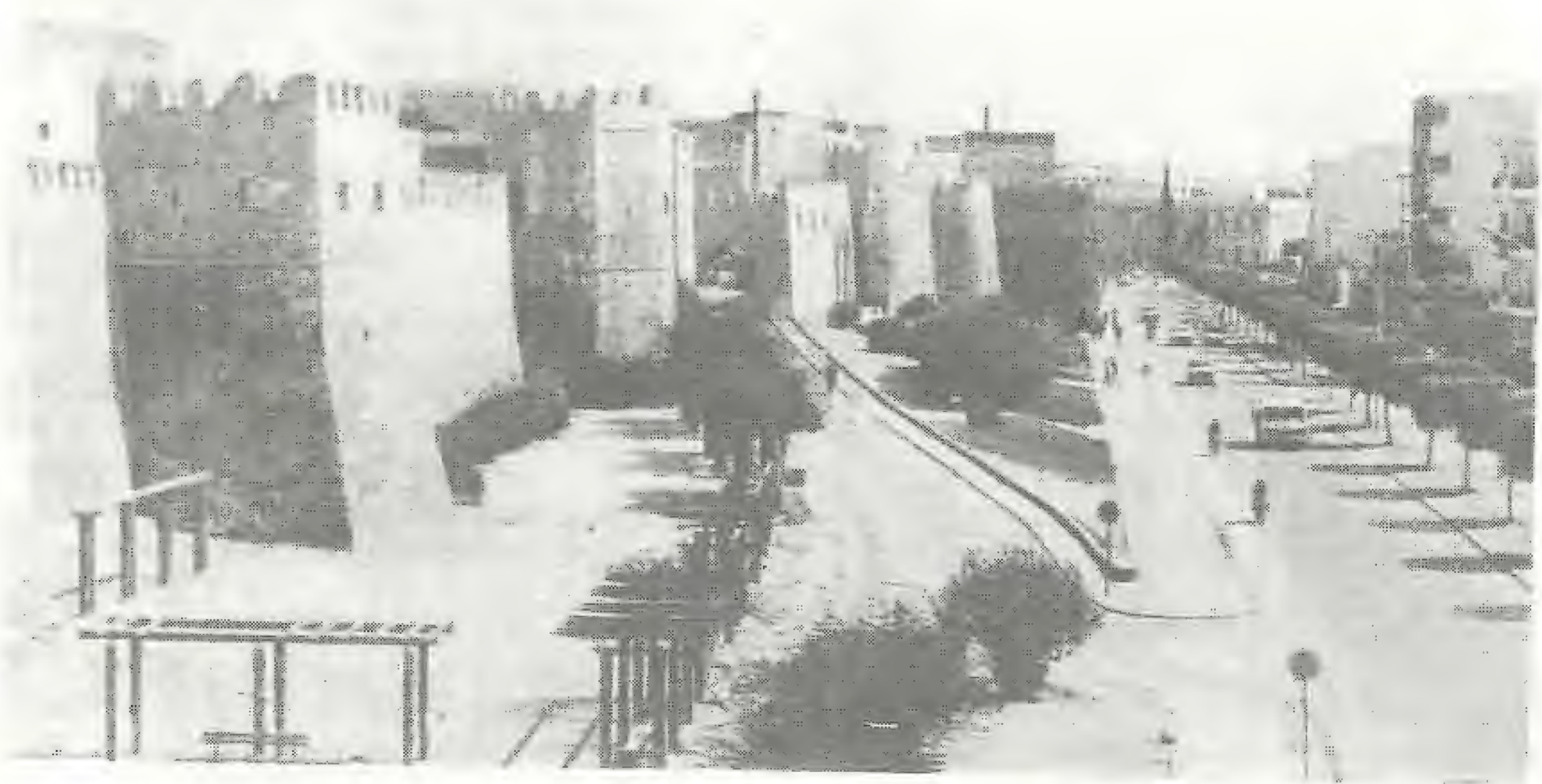
برج خديجة : المنار الأغلبى الإسطوانى

والبرج الطولى الحفصى

لوحة 51 : صفاقس

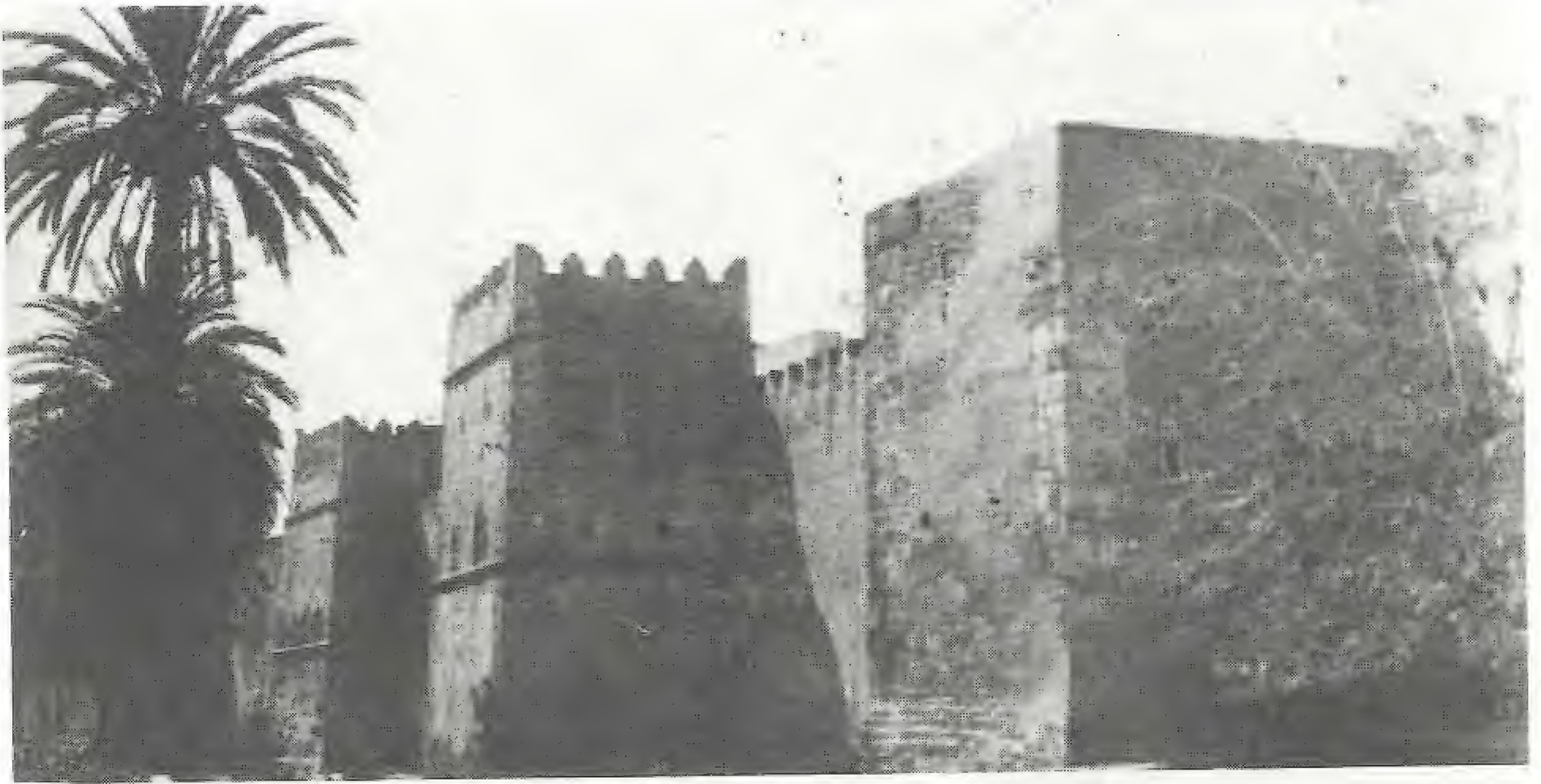


منظر عام (باب الديوان)



الستور الغربي

لوحة 51 ب : سور صفاقس



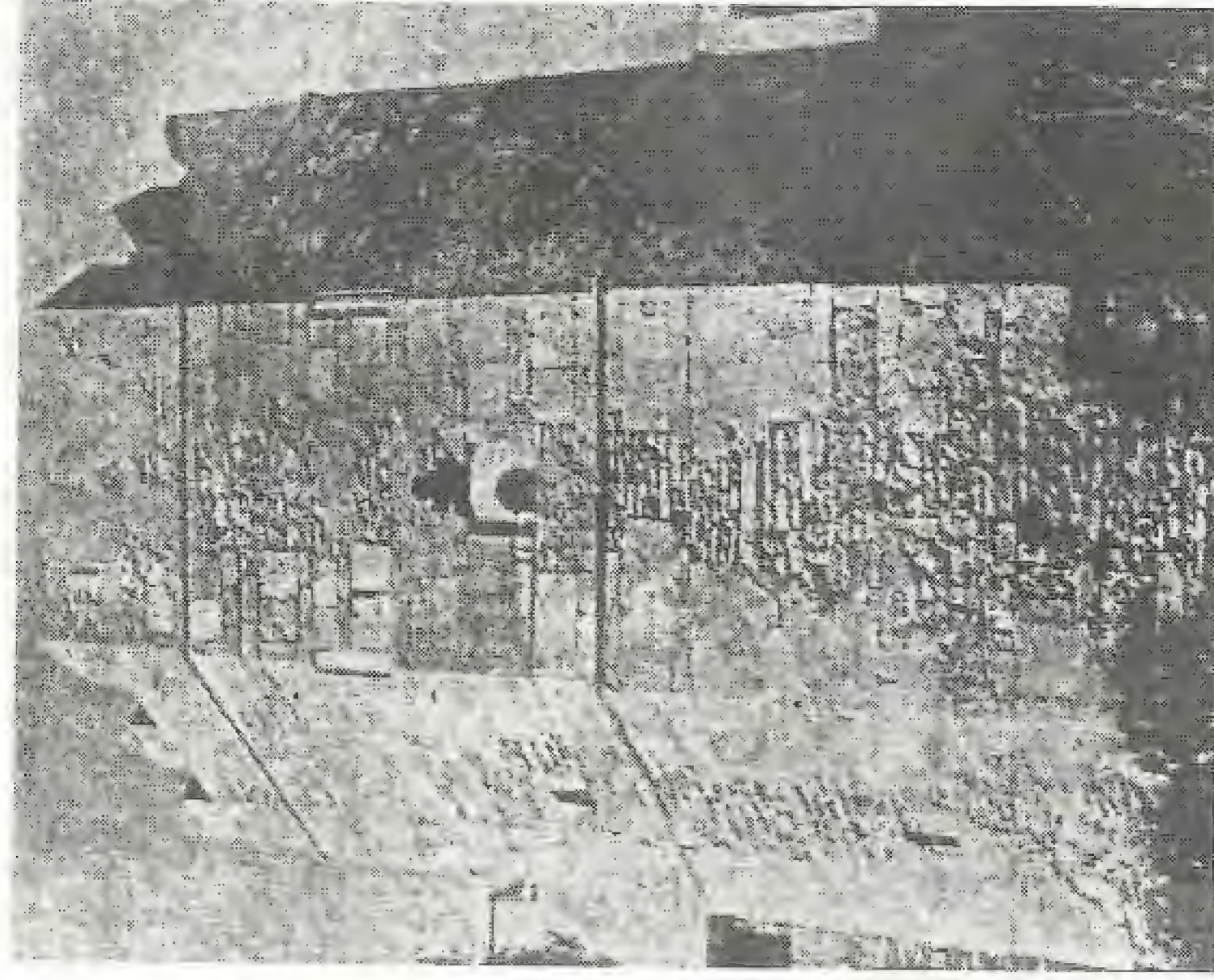
السور الشمالي



برج النار



السور الجنوبي



برج سيدي خنفير



برج القار



السور الجنوبي وباب الديوان

لوحة 53 : سور صفاقس

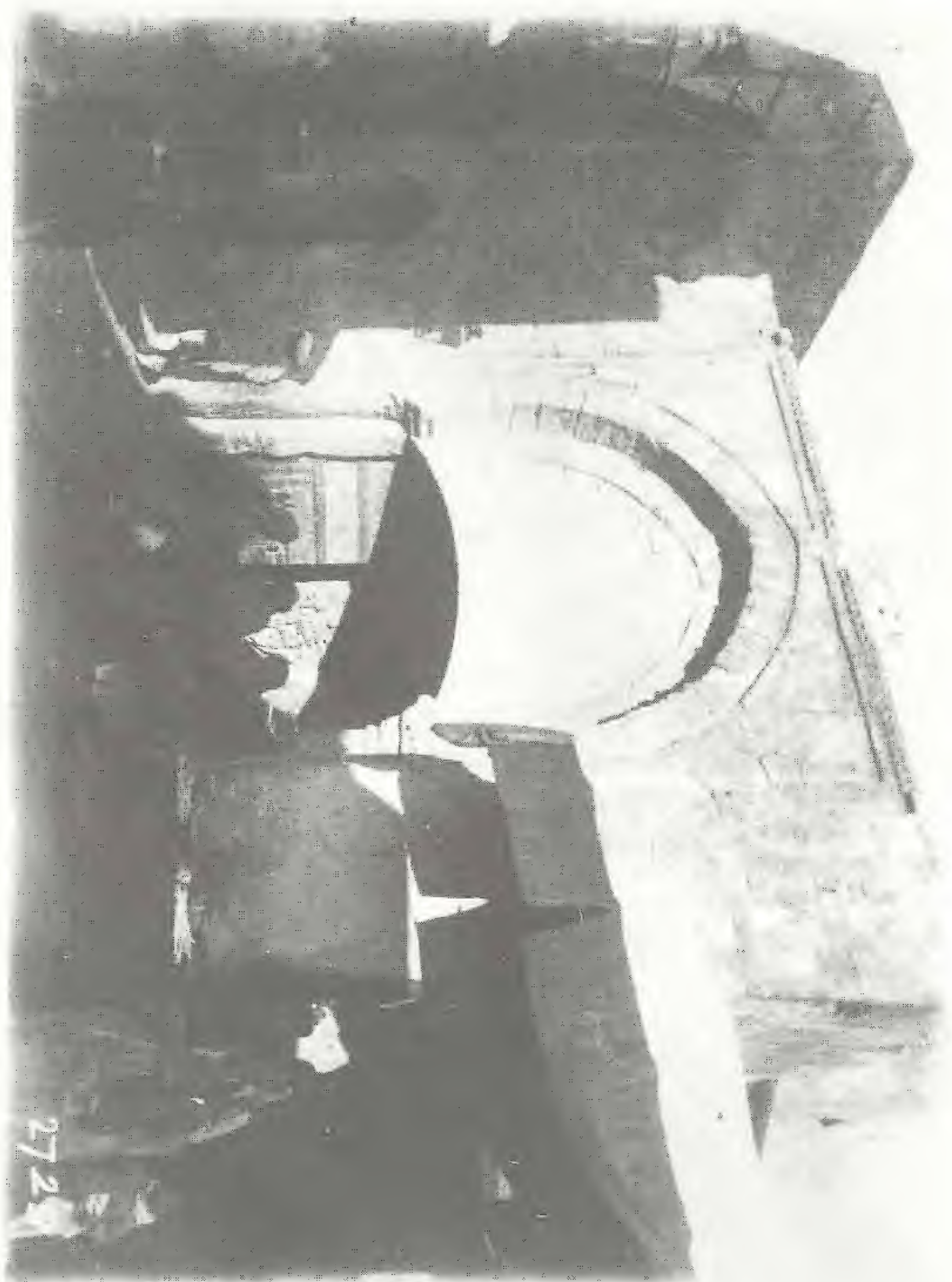


برج - دعامة



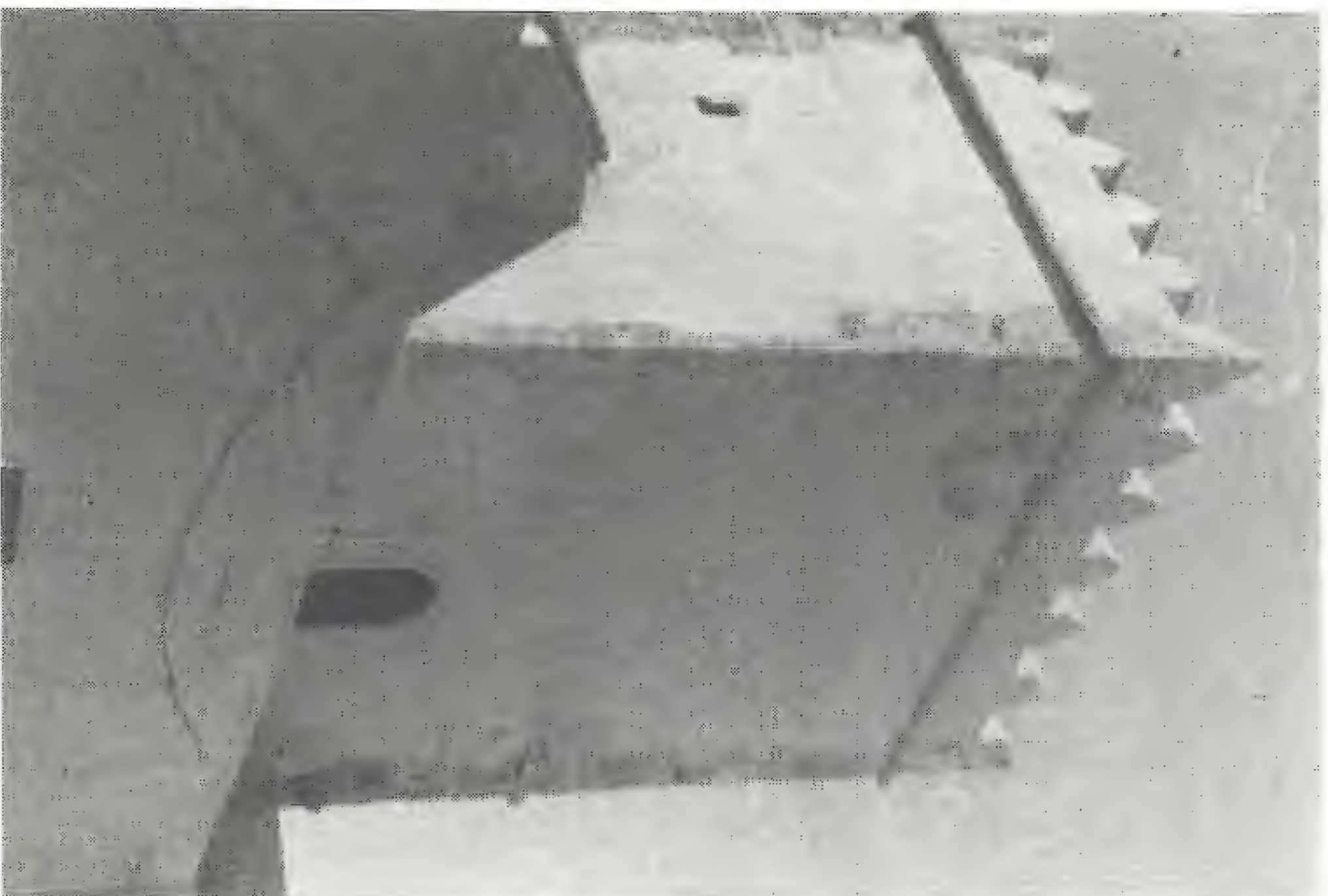
برج مسعودة

لوحة 53 ب : صفاقس : باب الجبلي

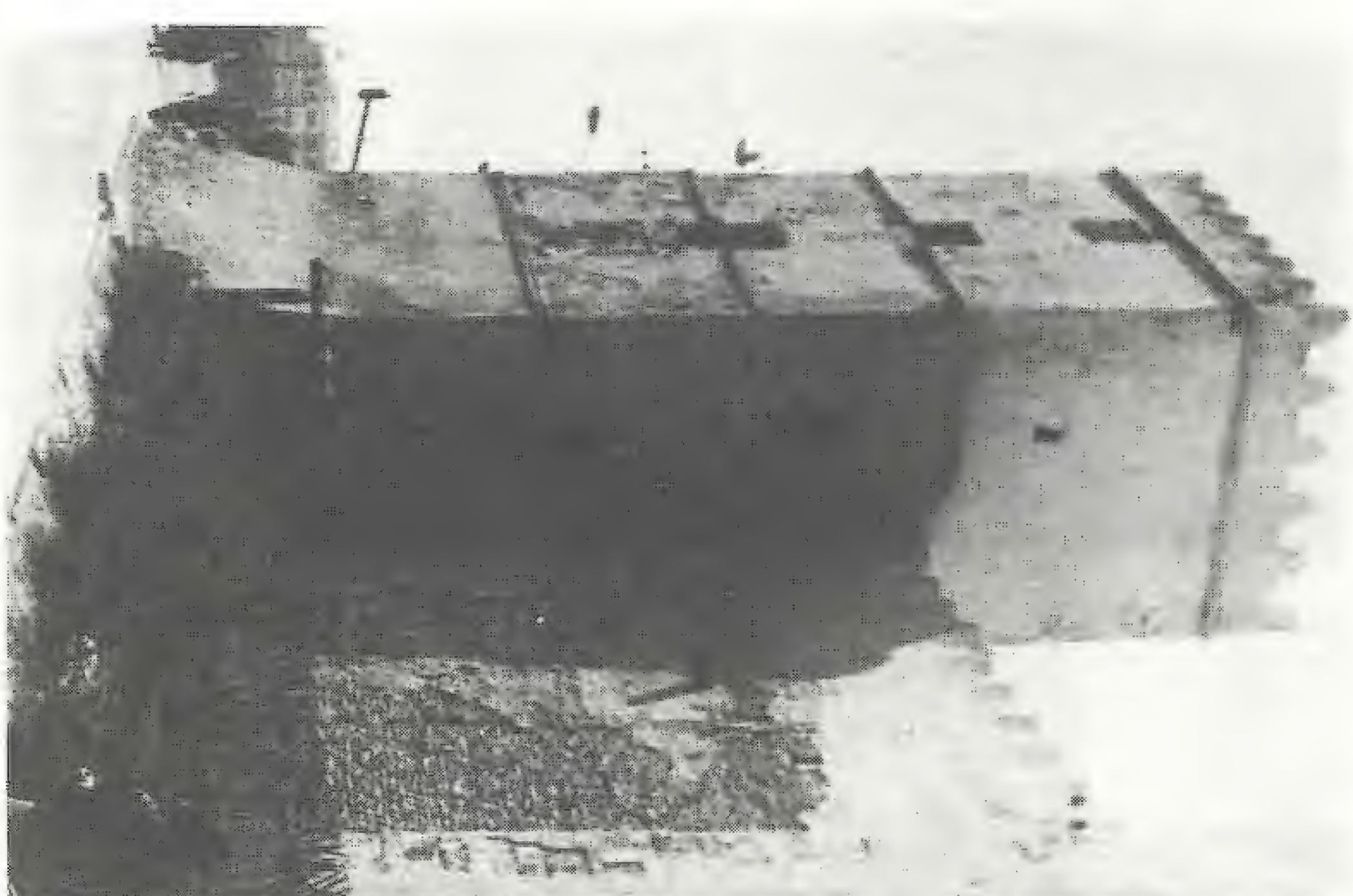


المصدر : المتحف الوطني بباردو

لوحة 54 : قصبة صفاقس



المنار : منظر داخلي



المنار : منظر خارجي

لوحة 55 : قصر تنيور



منظر عام

لوحة 56 : قصر تنيور



الواجهة الشرقية



برج

لوحة 57 : قصر تنبور



الرباط " من الداخل "



برج

لوحة 58 : قصر تنيور



السّور

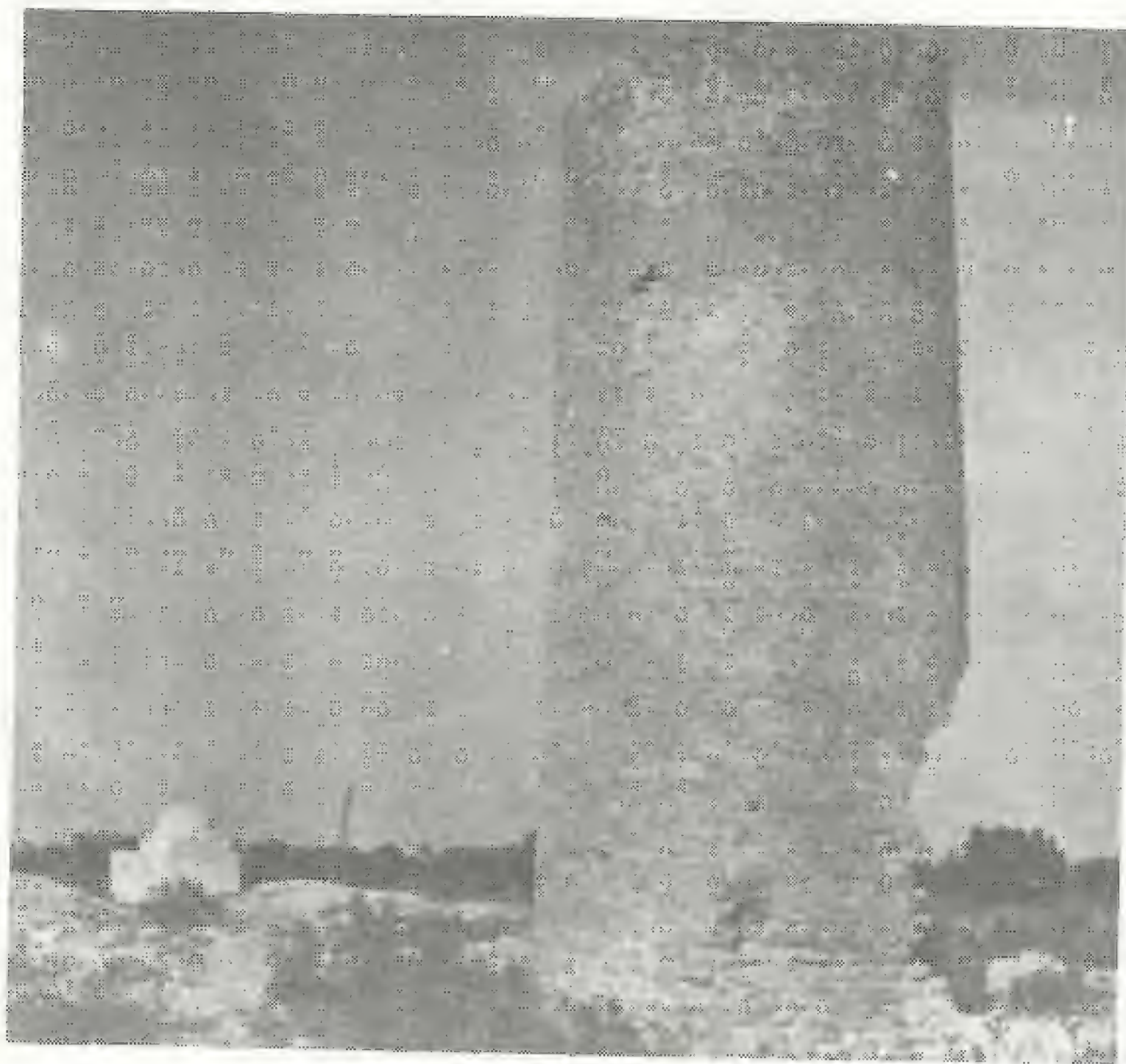


المنار

لوحة 59 : سيدي منصور وجبنيانة



برج سيدي منصور



منار جبنيانة

لوحة 59 ب : قصر زياد



منظر عام للقصر وقبة سيدي مسرة

لوحة 60 : رباط يونقة



منظر عام

لوحة 60 ب : رباط يونقة

2



منظر داخلي للسور

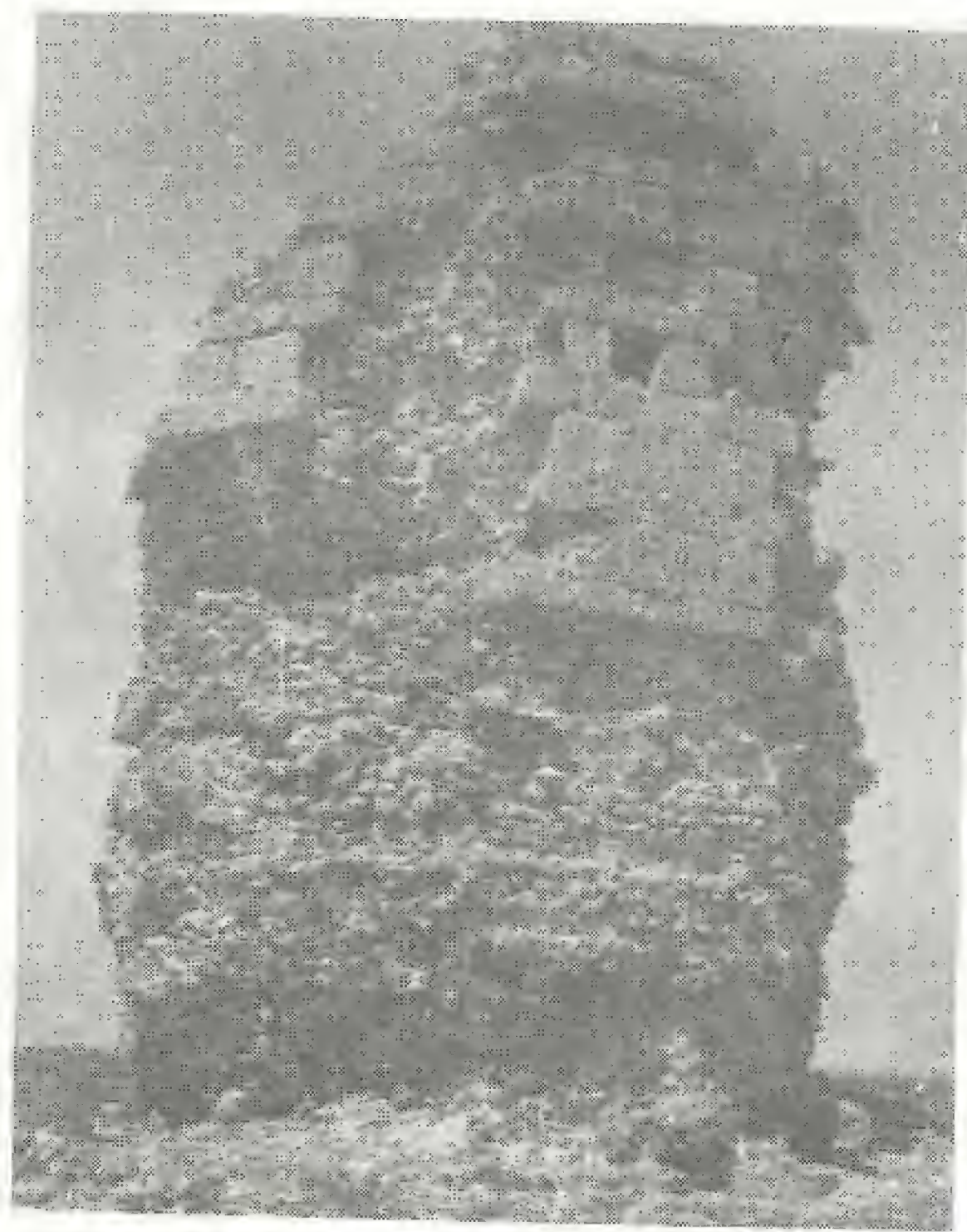


باب غدر

لوحة 61 : جزر الكنائس



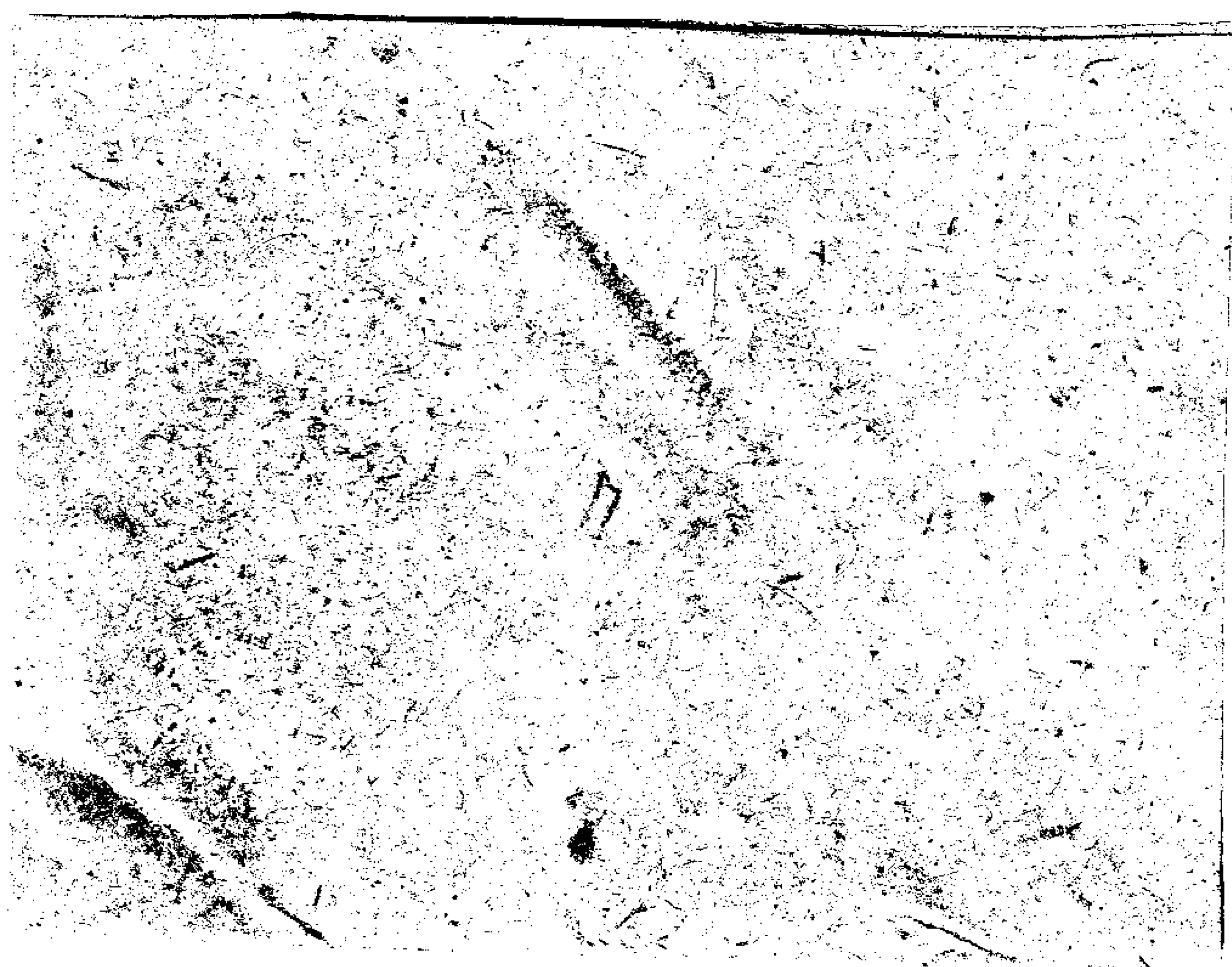
منظر عام

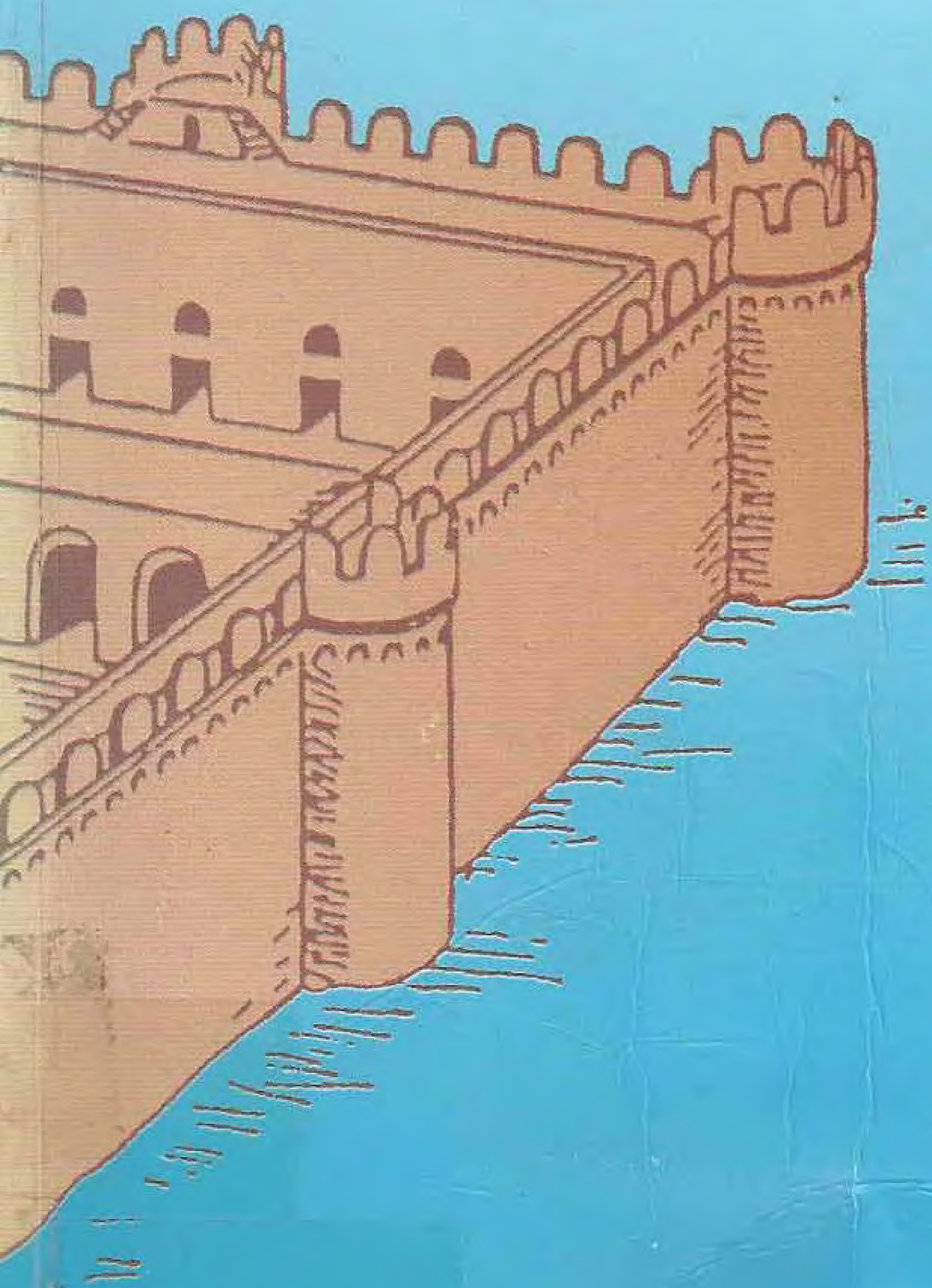


الناظر

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

1999





Imp. Officielle
I.S.B.N : 9973 - 902 - 06 - 8